

صِغَرُ الشَّهَادَاتِ

فِي سِرَاجِ شَهَادَاتِ الْأَحْيَاءِ
بَيْنَ سَنَةِ ٧٦٠ هـ وَ ٨٧٠ هـ

لِلْمُؤَلَّفِ الْأَلِيَّ إِلَى الْمُسَيَّرِ تَجْدِيدِ وَأَبْنِ

الْمُسَيَّرِ بِالْقَطِيبِ الرَّافِدِيِّ

مصحح ومفتق

حسن قاسم

مكتبة دار الفقه
بمكة المكرمة
١٤٢٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

صِيَاءُ الشَّهَابِ

فِي سِرِّهِ سِهَابِ الْإِحْبَارِ

مركز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

لِلْحَدِيثِ الْأَدَبِيِّ أَبِي الْحُسَيْنِ سَعِيدِ بْنِ هُبَالَةَ

الْمُسْتَشْفَرُ الْقُطْبُ الرُّوَيْدِيُّ

متوفى ۵۷۳ هـ

جمع داری اموال

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۸۳۷۰

ش. اموال

تصحیح و تحقیق

حسن قاسمی

سرشناسه	: قطب راوندى، سعيد بن هبة الله، - ٥٧٣ ق.
عنوان قراردادی	: شهاب الاخبار فى الحكم و الامثال و الاداب. شرح.
عنوان و نام پدیدآور	: ضياء الشهاب فى شرح شهاب الاخبار / ابى الحسين سعيد بن هبة الله بالقطب الراوندى؛ تصحیح و مقدمه حسن قاسمى.
مشخصات نشر	: تهران: دارالکتب الاسلاميه، ۱۳۸۹.
مشخصات ظاهري	: ۴۸۴ ص.
شابک	: ۸۰۰۰۰ ريال : 978-964-440-466-5
وضعیت فهرست نویسی	: فیا.
یادداشت	: عربی.
موضوع	: قضای، محمد بن سلامه، - ۴۵۴ ق. . شهاب الاخبار فى الحكم و الامثال و الاداب -- نقد و تفسیر.
موضوع	: احادیث شیعه -- قرن ۵ ق.
شناسه افزوده	: قاسمى، حسن، ۱۳۵۷ - ، مصحح.
شناسه افزوده	: قضای، محمد بن سلامه، - ۴۵۴ ق. . شهاب الاخبار فى الحكم و الامثال و الاداب -- شرح.
رده بندى کنگره	: ۱۳۸۹ ۲۱۷ ۹۰۲ ش ۵/۴۲۲ BP
رده بندى دیوبى	: ۲۹۷/۲۱۸
شماره کتابشناسى ملی	: ۲۰۰۸۵۵۶

مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

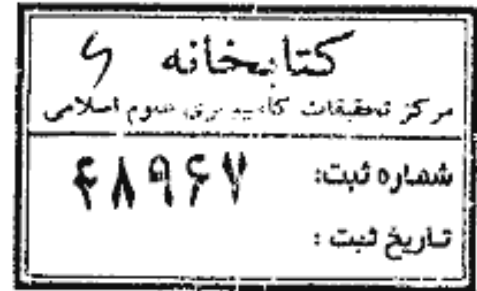
طهران - بازار سلطانی - ۹۹
هاتف: ۵۵۶۲۰۴۱۰ - ۵۵۶۲۷۴۴۹



ضیاء الشهاب فى شرح شهاب الاخبار

المؤلف: ابى الحسين سعيد بن هبة الله المشتهر بالقطب الراوندى
تصحیح و تحقیق: حسن القاسمى

- الطبعة الاولى: ۱۴۳۱ هـ - ۱۳۸۹ ش.
- عدد الصفحات: ۴۸۴ ص.
- المطبعة: المروى
- الكمية: ۱۰۰۰
- الناشر: دارالكتب الاسلاميه
- ردمک: ۹۷۸-۹۶۴-۴۴۰-۴۶۶-۵
- حقوق الطبع و التقليد محفوظة للناشر
- الثمن: ۸۰۰۰۰ ريال



مقدمة التحقيق

المؤلف والثناء عليه^(١)

الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي المعروف بـ «القطب الراوندي»، موطنه «راوند» وهي بلدة قرب كاشان وأصبهان^(٢) كان والده وجدّه من العلماء^(٣)؛ تلقى الشيخ قطب الدين الراوندي - قدس سرّه - علومه عن أساطين العلم، وكبار العلماء في عصره، منهم: الشيخ المفسر أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي، والشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم؛ ومن مشايخه من علماء العامة: الشيخ العالم المحدث شهردار بن الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي.

خلفه الصالح وخلفه أولاد فقهاء أعلام المذهب وهم: الشيخ أبو الفرج عماد الدين علي بن قطب الدين، فقيه ثقة كما في فهرست الشيخ منتجب الدين؛ وولد المترجم الثاني: الشيخ نصير الدين أبو عبد الله الحسين بن قطب الدين؛ له تأليفات كثيرة جليّة خلفها. وهنا أذكر، بعد نقل ما قال في شأنه المترجون، تأليفاته التي منها طبع، ومنها مخطوط ومنها لم يوجد نسخة مخطوطة حتى الآن. وأيضاً أذكر عدّة من مشايخه وتلاميذه .

١. راجع: منتهى المقال في علم الرجال: ٣/٣٤٨؛ مقابس الأنوار: ١١؛ خاتمة المستدرک: ٣/٧٩-٩٠؛ الفدير: ٣٨٠/٥-٣٨٤؛ فهرست منتجب الدين: ٦٨-٦٩؛ معالم العلماء: ١٥-١٦ و ٩٠؛ أمل الآمل: ٢/١٢٥-١٢٧؛ لسان الميزان: ٣/٤٨؛ هدية العارفين: ١/٣٩٢؛ الأعلام: ٣/١٠٤؛ بحار الأنوار: ١٠٢/٢٣٥-٢٣٦؛ معجم المؤلفين: ٤/٢٢٥ و ٢٣٣؛ أعيان الشيعة: ٧/٢٣٩-٢٤١ و ٢٦٠-٢٦١؛ الكنى والألقاب: ٣/٧٢-٧٣؛ جامع الرواة: ١/٣٦٤؛ لؤلؤة البحرين: ٤/٣٠؛ بهجة الآمال: ٦٦؛ تكملة الرجال: ١/٤٣٦؛ رياض العلماء: ٢/٤١٩-٤٣٧؛ معجم رجال الحديث: ٩/٩٧-٩٨؛

٢. معجم البلدان: ٣/١٩.

٣. رياض العلماء: ٢/٤٣٠.

د ضياء الشهاب

مكانته العلمية في بيان المترجمون

قال عنه ابن حجر العسقلاني: كان فاضلاً في جميع العلوم، له مصنفات كثيرة في كل نوع، وكان على مذهب الشيعة.

وقال في مجمع الآداب: قطب الدين الراوندي، فقيه الشيعة، كان من أفاضل علماء الشيعة.

وقال الشيخ منتجب الدين: فقيه ثقة عين صالح، له تصانيف.

وقال الميرزا عبد الله أفندي: فاضل عالم متبحر فقيه متكلم بصير بالأخبار شاعر. وله مؤلفات جياذ نافعة. بل هو أجل وأعظم من كل ما ذكر فيه.

وقال الشيخ النوري: فضائل القطب ومناقبه وترويعه للمذهب بأنواع المؤلفات المتعلقة به أظهر وأشهر من أن ينكر، وكان له أيضاً طبع لطيف ولكن أغفل عن ذكر بعض أشعاره المترجمون له. وقال المحدث القمي: العالم المتبحر الفقيه المحدث المفسر المحقق الثقة الجليل صاحب الخرائج والجرائح.

وقال الشيخ عبد الله السباهجي: كان عالماً فاضلاً متبحراً كاملاً فقيهاً محدثاً ثقةً عيناً علامةً.

تأليفاته القيّمة

له تأليف قيّمة، منها طبع ومنها مخطوط ومنها لم يوجد منها نسخة؛ منها: آيات الأحكام؛ وهو غير كتابه «فقه القرآن» الذي هو شرح الآيات الأحكامية - كما صرح به في «أمل الآمل»؛ لكن خربت الصناعة المولى عبد الله الأفندي قال في «الرياض»: إنَّ شرح آيات الاحكام له هو المعروف بفقه القرآن.

إحكام الأحكام^(١)

بيان الانفرادات

شرح الآيات المشككة في التنزيه^(٢)

١. في كشف المحجب والأستار: ٢٧؛ «إحكام الأحكام في بيان الانفرادات».

٢. في بعض المصادر «الآيات» بدل «الآيات»، وفي بعضها «التربة» بدل «التنزيه».

مقدمة التحقيق ٥

الاختلاف الواقع بين شيخنا المفيد وسيّدنا المرتضى في أصول المسائل الكلاميّة تعدّ ٩٥
مسألة^(١)

الانجاز في شرح «الإيجاز في الفرائض» للشيخ الطوسي
الأغراب في الإعراب
التغريب في التعريب
التلخيص من فصول الشعراني
المخرائج والمجرائح، وهو يعدّ من أعظم كتب المعجزات ودلائل نبوة نبيّنا ﷺ وإمامة
الأئمة عليهم السلام التي انتهت إلينا من تراث علمائنا الأقدمين. (مطبوع)
الرايع في الشرايع، مجلّدان
المسألة الكافية، وفي بعض النسخ «الشافية في الفسلة الثانية»
المجالس في الحديث، ينقل أحمد بن زين العابدين الحسيني الجبلي عنه في «فضائل
السادات» الذي فرغ منه في ١٢٠٣^(٢)
المزار، كتاب كبير
المستقصى في شرح الذريعة في الأصول للسيد المرتضى، ثلاث مجلّدات
المعارج في شرح نهج البلاغة
المغني في شرح «نهاية الأحكام» للشيخ الطوسي، في عشر مجلّدات؛ كان موجوداً إلى
القرن الثامن حيث ينقل عنه الشهيد الأوّل في كتاب «البيان» في بحث السجود.
الناسخ والمنسوخ (مخطوط)
النيّات في جميع العبادات
أحوال أحاديثنا وإثبات صحتها
أسباب النزول

١. راجع: كشف المحجّة: ٢٠.

٢. الذريعة: ٣٥٤/١٩.

و ضياء الشهاب

ألقاب الرسول وفاطمة والأئمة عليهم السلام

أم القرآن؛ قال في الروضات: إنه منسوب إليه واحتمل اتحاده مع فقه القرآن أو غيره من تفاسيره.

أم المعجزات، هو من تنبأت الخرائج والجرايح له، وطبع مع الجرايح.

إحكام الأحكام

بيان الانفرادات

تحفة العليل؛ في الأدعية والأحراز والآداب وأحاديث البلاء وأوصاف جملة من المطعومات؛ ونسب التحفة إليه في الروضات وجعله غير كتاب الدعوات للراوندي الموسوم بـ «سلوة الحزين»^(١).

تفسير القرآن

تهافت الفلاسفة

جنا الجننتين في ذكر ولد العسكريين

جواهر الكلام في شرح مقدمة الكلام

النِّيَّات في جميع العبادات

حلّ المعقود من الجمل والعقود

خلاصة التفاسير (مخطوط)

رسالة الفقهاء

رسالة في الخمس

رسالة في العقيقة

زهرة المباحثة

سلوة الحزين (مطبوع)

شجار العصابة في غسل الجنابة

شرح الذريعة للشريف المرتضى

شرح العوامل

شرح الكلمات الهامة لأمر المؤمنين عليه السلام

شرح ما يجوز وما لا يجوز من النهاية؛ وهو غير شرحه للنهاية الموسوم بالمغني، وغير

شرح مشكلات النهاية له أيضاً.

صلاة الآيات

ضياء الشهاب في شرح شهاب الأخبار (مخطوط)

علامات النبي والإمام، وهو من تنمات «الخرايج والجرايح» (مطبوع)

غريب النهاية

رسالة في من حضره الأداء وعليه القضاء

فقه القرآن (مطبوع)

قصص الأنبياء (مطبوع)

كتاب البحر؛ ذكر في «أمل الآمل»: نسبة الكتاب الموسوم بـ «البحر» إليه ولم ينكر سائر

خصوصياته.^(١)

كتاب المزار

لباب الأخبار في فضل آية الكرسي؛ أو اللبّ واللباب، مختصر فصول عبد الوهاب في

فضل آية الكرسي^(٢)

لبّ اللباب، مائة وخمسون مجلساً في أخبار المواعظ والأخلاق (مخطوط)

مسألة في الخمس

مسألة في العقيقة

١. الذريعة: ٢١/٣.

٢. الذريعة: ٢٩٢/١٨.

مشكلات

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، مجلّدان (مطبوع)

نفثة المصدور، ديوان شعره

نوادر المعجزات، وهو من تنمات الخرائج والجرائح (مطبوع)

نهيّة النهاية، وهو غير شروحه على النهاية

مشايخه والرواة عنه

يروى عليه السلام عن أساتذة منهم: ١. الشيخ أبو السعادات هبة الله بن علي البغدادي المتوفى ٥٢٢. ٢. السيّد عماد الدين أبو الصمصام ذو الفقار بن محمّد الحسيني المروزي أدركه الشيخ منتجب الدين حدود ٥٢٠ وله يومئذ من العمر ١١٥ عاماً. ٣. الشيخ أبو المحاسن مسعود بن محمّد الصوافي المتوفى ٥٤٤، كما أرحّ في تاريخ بيهق. ٤. الشيخ عماد الدين محمّد بن أبي القاسم الطبري. ٥. الشيخ أبو عبد الله الحسين المؤدّب القمي. ٦. الشيخ ركن الدين أبو الحسن علي بن علي بن عبد الصمد النيسابوري التميمي. ٧. الشيخ أبو القاسم الحسن بن محمّد الحديقي. ٨. السيّد أبو تراب المرتضى بن الداعي الرازي الحسيني. ٩. الشيخ هبة الله بن دعويدار. ١٠. السيّد أبو البركات محمّد بن إسماعيل الحسيني المشهدي. ١١. الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسن الحلبي. ١٢. أبو نصر الغاري. ١٣. الشيخ أبو القاسم بن كميح. ١٤. الشيخ أبو جعفر محمّد بن المرزبان. ١٥. الشيخ أبو علي الطبرسي، المتوفى ٥٤٨. ١٦. الشيخ أبو سعد الحسن بن علي الارابادي. ١٧. الشيخ محمّد بن علي بن عبد الصمد أخو الشيخ ركن الدين المذكور. ١٨. الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمّد بن علي بن محمّد المرشكي. ١٩. السيّد أبو الحرب المجتبي بن الداعي الرازي أخو السيّد أبي تراب المذكور. ٢٠. السيّد علي بن أبي طالب السليقي. ٢١. الشيخ أبو جعفر بن كميح. ٢٢. الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الأخوة. ٢٣. الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسن النيسابوري المقرئ. ٢٤. الشيخ محمّد بن الحسن والد خواجه نصير الدين الطوسي.

مقدمة التحقيق ط

ويروي عن القطب الراوندي جمع من أعلام، منهم: ١. الشيخ أحمد بن علي بن عبد الجبار الطبرسي القاضي. ٢. الشيخ نصير الدين راشد بن إبراهيم البحراني. ٣. الشيخ بابويه سعد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن بابويه. ٤. ولد المترجم أبو الفرج عماد الدين علي بن قطب الدين الراوندي. ٥. القاضي جمال الدين علي. ٦. الشريف عز الدين أبو الحرث محمد بن الحسن العلوي البغدادي. ٧. الشيخ ابن شهر آشوب محمد بن علي السروي الهازندрани.

تلاميذه

١. القاضي أحمد بن علي بن عبد الجبار الطوسي. ٢. نصير الدين الحسين بن سعيد الراوندي (ابنه). ٣. القاضي جمال الدين علي بن عبد الجبار الطوسي. ٤. علي بن محمد المدائني. ٥. ظهير الدين محمد بن سعيد الراوندي (ابنه). ٦. عماد الدين محمد بن سعيد الراوندي (ابنه). ٧. بابويه بن سعد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن بابويه القمي. ٨. الشيخ نصير الدين أبو إبراهيم راشد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد البحراني. ٩. الخليل بن خمر تكين الحلبي. ١٠. الحاكم الإمام علي بن أحمد بن علي الزيادي. ١١. كمال الدين علي بن محمد المدائني، من مشايخ السيّد ابن طاووس. ١٢. الشيخ منتجب الدين ابن بابويه علي بن عبيد الله الرازي، صاحب «الفهرست». ١٣. الشريف عز الدين أبو الحارث محمد بن الحسن بن علي بن الحسين العلوي الحسيني البغدادي. ١٤. الحافظ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب الهازندрани السروي. ١٥. زين الدين أبو جعفر محمد بن عبد الحميد بن محمد.

أنموذج من شعره

له طبع لطيف في الشعر، وهنا أذكر بعض ما له - نقلاً عن المحدث النوري^(١) - مما يتعلّق

ي ضياء الشهاب

بالفضائل:

قسيم النار ذو خير وخير
فكان محمد في الدين شمساً
هما فرعان من عليا قريش
وقال له النبي لأنت مَنِّي
ومن بعدي الخليفة في البرايا
وأنت غياثهم والغوث فيهم
ولائي في البتول وفي بنيتها
محمد النبي غداً شفيعي
ولا أرضى بـتيم أو عدي
مصير آل أحمد يوم حشري
وله ﷺ أيضاً:

بنو الزهراء آباء اليتامى
هم حجج الإله على البرايا
فكان نهارهم أبداً صياماً
ألم يجعل رسول الله يوم الـ
ألم يك حيدر قرماً هماماً
وإن آذى البتول بنو عدي
بنوهم عروة الوثق محامي
قسيم النار في الدنيا كفانا
هم الراعون في الدنيا الأناما
فلا تسرف ولا تقتر عليهم
وله ﷺ أيضاً:

أمير المؤمنين غداً إمامي
فأنا اليوم أجعله أمامي

أواليه وأفديه بروحي
ومن يهواه لا تفريط منه
فأعلى حبه صيتي وصوتي
لأرجو الأمن في حشري ونشري
فقد آثرت أهل البيت معا
عليّ والبتول كرام أصل
وزين العابدين إمام حق
وصادقهم وكاظمهم أناروا
وإعجاز الرضا في الأرض باق
واردي المسكرين الأعادي
وأن القائم المهديّ شمس
هم أهل الولاية والتوليّ
وله ﷺ أيضا: .

لآل المصطفى شرف محيط
إذا كثر البلايا والرزايا
إذا ما قام قائمهم بوعظ
إذا امتلأت بعد لهم ديار
هم العلماء إن جهل البرايا
بنو أعمامهم جاروا عليهم
لهم في كل يوم مستجد
فما محمد وارتدّ قوم
تناسوا ما مضى بغدير خم
ألا لعنت أمة قد أضاعوا
على آل الرسول صلاة زكى

تضايق عن تنظّمه البسيط
فكلّ منهم جأش ربيط
كان كلامه درّ لقيط
تقاعس دونه الدهر القسوط
هم الموفون إن خان الخليط
ومال الدهر إذ مال الغبيط
برغم الأصدقاء دم عبيط
بنكت العهد إذ خان الشموط
فأدركهم لشقوتهم هبوط
الحسين كأنه فرخ سميط
طوال الدهر ما طلع الشميط

ل ضياء الشهاب

وفاته ومدفنه

توفي ضحوة يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة،^(١) أو في ثالث عشر شوال^(٢). ومزاره الشاخ في الصحن الكبير في حضرة السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام. قال الميرزا عبد الله أفندي: ثم إن المولى حشري التبريزي الشاعر المشهور نقل في كتاب «تذكرة الأولياء في أحوال العلماء» أن قبر القطب الراوندي في قرية «خسروشاه» من توابع تبريز.

كلام حول القضاء

أمّا لأن أصل الكتاب هو أحاديث جمعها القضاعي، هنا أشير إلى مختصر من ترجمته وأيضاً أشير إلى تأليفاته التي منها «شهاب الأخبار» وأيضاً أشير إلى شروحه التي كتب عليه الأعلام من الفريقين حتى الآن. وأما ترجمته^(٣)

القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، هذه النسبة إلى قضاة شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة منهم كلب وبلي وجهينة وغيرها وقد اختلف في قضاة؛ فقليل؛ إنه من معد، وقيل: من اليمن؛ والمنتسب إليه خلق كثير منهم القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر القضاعي. كان فقيهاً شافعيّاً، وقاضي الديار المصريّة؛ روى عن أبي مسلم الكاتب فمن بعده، وروى عنه الخطيب البغدادي، والقاضي أبو بكر الأنصاري ببغداد بالإجازة، والحميدي وأبو عبد الجليل الساوي ومحمد بن محمد بن بركات السعدي، وسهل

١. بحار الأنوار: ١٠٧/٥.

٢. لسان الميزان: ٤٨/٣.

٣. له ترجمة في حسن المحاضرة: ٢٢٧/١؛ العبر: ٢٣٣/٣؛ اللباب: ٢٦٩/٢؛ الوافي بالوفيات: ١١٤/٣؛ وفيات الأعيان: ٣٤٩/٣؛ مشيخة الرازي: ١٦٤/١-١٦٥؛ إكمال الكمال: ١٤٧/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٩٢/١٨-٩٣؛ هدية العارفين: ٧١/٢؛ معجم المطبوعات العربيّة: ١٥١٥-١٥١٦؛ الأعلام: ١٤٦/٦؛ تهذيب التهذيب: ٢١٢/٩.

مقدمة التحقيق م

بن بشر الإسفرايني وأبو عبد الله الرازي في مشيخته؛ قال مأكولا: كان متفناً في عدة علوم لم أر بمصر من يجري مجراه. وقال السلفي: كان من الثقات الأثبات شافعي المذهب والاعتقاد مرضي الجملة.

وقد لخص الأستاذ أبو الوفاء مصطفى المراغي ترجمته بأسلوب بديع ورائع في مقدمة كتابه اللباب في شرح الشهاب، فقال: القضاعي عالم مصري، وفقه شافعي، نشأ في بيئة علمية، فأحب العلم، وكلف به، فوالده سلامة بن جعفر كان عالماً مشغوفاً بالعلم، تتلمذ للزمري، وكان يحفظ ما يأخذ عنه، وكان مقرباً إلى ابن طولون، وكان ابن طولون يستعبره الرؤيا، فنسج القضاعي الابن على منوال القضاعي الأب، ونهج نهجه، ورحل إلى البلاد في طلب العلم، ووصل إلى الحجاز والشام والقسطنطينية، وسمع الحديث بمكة، وتفقت في علوم كثيرة. وآثاره العلمية تشير إلى أنه تطلع في علوم التفسير والحديث والتأريخ، وقد رشحه علمه لوظيفة القضاء، فولى قضاء مصر، ورشحه أدبه للكتابة، فكتب للوزير علي بن أحمد الجرجاني، ورشحه سياسته وكياسته لوظيفة السفارة، فسفر لمصر إلى الروم وأقام مدة بالقسطنطينية، ولم تشغله السفارة بها عن العلم، فأخذ بها عن بعض علمائها، كما أخذ بعضهم عنه. وكان الفاطميون يعظمونه لعلمه ومواهبه، والظاهر أن زهده حمله على أن يولي الوعظ والإرشاد عنايته، فألف في ذلك عدة كتب كما يتبين من ثبت كتبه. أما أخلاقه وسيرته، فقد اتفق المترجمون على أنه كان محمود السيرة زاهداً خيراً، يتعد المساكين ببره وصداقاته، وذكروا عنه: أنه كان يبعث أولاده بالليل إلى بيوت الأرامل بالصدقات، وإذا أعجبه طعام تصدق به، وحسبه أن يقول عنه السخاوي: شهرته تغني عن الإطناب في مناقبه.^(١)

توفي بمصر ليلة الخميس سابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة. والقضاعي وإن كان شافعي المذهب عند المترجمون، ولكن قال المحدث النوري: «هذا

ن ضياء الشهاب

وربما يستأنس لتشيّعه بأمور: منها: توغل الأصحاب على كتابه، والاعتناء به، والاعتماد عليه، وهذا غير معهود منهم بالنسبة إلى كتبهم الدينية، كما لا يخفى على المطلع بسيرتهم. ومنها: إنّه قال في خطبة الكتاب بعد ذكر النبي ﷺ: «أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً». ولم يعطف عليهم الأزواج والصحابة، وهذا بعيد عن طريقة مؤلفي العامة غايته. ومنها: إنّه ليس في تمام هذا الكتاب من الأخبار الموضوعة في مدح الخلفاء، سيّما الشيخين والصحابة، خبر واحد مع كثرتها وحرصهم في نشرها ودرجها في كتبهم بأدنى مناسبة، مع أنّه روى فيه قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق». ومنها: إنّ جلّ ما فيه من الأخبار موجود في أصول الأصحاب ومجاميعهم - كما أشار إليه المجلسي أيضاً - وليس في باقيه ما ينكر ويستغرب، وما وجدنا في كتب العامة له نظيراً ومشابهاً^(١).



وأما تأليفاته الجليلة

منها:

تفسير القرآن في عشرين مجلداً ذكره أبو الوفاء مصطفى المراغي

أمالى في الحديث

الإنباء في الحديث

الإنباء عن الأنبياء

درّة الواعظين وذخّر العابدين، مجلّد على عشرين مجلداً

دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار في الحكم

عيون المعارف وفنون الخلاف في التاريخ. ويظهر أنّه الإنباء عن الأنبياء

تاريخ مختصر من مبتدأ الخلق إلى زمانه

المختار في ذكر الخطط والآثار في مصر

مناقب الشافعي
نزهة الألباب في التاريخ
دستور معالم الحكم من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
شهاب الأخبار
مسند الشهاب

وأما كتاب شهاب الأخبار وشروحه

قال العلامة المجلسي في البحار: كتاب الشهاب، وإن كان من مؤلفات المخالفين، لكن أكثر فقراته مذكورة في الكتب والأخبار المروية من طرقنا، ولذا اعتمد عليه علماءنا، وتصدوا لشرحه.^(١)

قال الميرزا النوري في خاتمة المستدرک: كتاب الشهاب: للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم المغربي القضاعي، المحدث المعروف، والمعاصر للشيخ الطوسي عليه السلام وأضرابه، المتوفى سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وهو مقصور على الكلمات الوجيزة النبوية. هذا الكتاب صار مطبوعاً شائعاً بين الخاصة والعامة.

وقد شرحه جماعة من علماء الفريقين؛ فمن الخاصة:

- العالم الجليل السيد ضياء الدين فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي، سماه «ضوء الشهاب في شرح الشهاب»، ينقل عنه في البحار كثيراً.
- أفضل الدين الشيخ حسن بن علي بن أحمد الهاهابادي، قال منتجب الدين: إنه علم في الأدب، فقيه، وعدّ من كتبه «شرح الشهاب».
- برهان الدين أبو الحارث محمد بن أبي الخير علي بن أبي سليمان ظفر الحمداني، عدّ في المنتجب من كتبه «شرح الشهاب».
- قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، عدّ في المنتجب من كتبه «ضياء الشهاب في

ع ضياء الشهاب

شرح الشهاب».

- الشيخ أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي، عدّ في المنتجب من كتبه «روح الأحباب وروح الألباب في شرح الشهاب»، وكذا ابن شهر آشوب في معالم العلماء. وغير هؤلاء الأعلام مما يجده المتتبع.

- شرح شهاب الاخبار، لبعض الأصحاب، رأى العلامة الطهراني في كتب السيد علي شبر في النجف.^(١)

- الشيخ أبو بكر محمد بن موسى بن الفرج الدربندي، نقله الراوندي في الكتاب منه (ص ٢٠٢) حديثاً من كتابه وصرّح أنّ اسم كتابه «باب الأبواب» أو «شرح الشهاب» وأيضاً نقله منه في (ص ٣١١).

و أمّا من العامة:

لخصه:

- الشيخ نجم الدين الغيطي محمد بن أحمد الاسكندري، المتوفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وأصلحه الإمام حسن بن محمد الصغاني، وسماه «كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب» وضع علامة للصحيح، والضعيف، والمرسل، ورتبه على الأبواب كالمشارك، وقد أوصى ابن الأثير في «المثل السائر» بمطالعة للكاتب الفقيه وله ضوء الشهاب. وشرحه:

- الشيخ عبد الرؤوف المناوي شرحاً ممزوجاً، وسماه «رفع النقاب عن كتاب الشهاب»، لكنّ الأميني الشامي قال في ترجمته: ورتّب الشهاب للقضاعي وشرحه، وسماه «إمعان الطلاب بشرح ترتيب الشهاب» وله ترتيب أحاديثه على ترتيب «جامع الصغير» ورموزه. - «حلّ الشهاب»، وشرحه بعضهم أوله: الحمد لله الذي جعل سنّة نبيّه مشكاة لاقتباس أنوار الرشده والهدى، الى آخره.

مقدمة التحقيق ف

- ابن وحشي محمد بن الحسين الموصلي. واختصر هذا الشرح الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الوادياشي، المتوفى سنة سبعين وخمسمائة.
- الأستاذ أبو القاسم بن إبراهيم الوراق العابي، شرحه شرحاً بالقول.
- ورتبته السيوطي كترتيب الجامع الصغير له، وسماه «إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب».
- وصرح في أول كلامه بشافعية القاضي.
- ابن الصغير أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الصغير الأنصاري الخزرجي الفقيه المالكي من أهل الثغر الأعلى من سرقسطة ولد في ٥٠٢ بالمرية وتوفى بمراكش سنة ٥٥٩.^(١)
- أبو عمرو بن عباد الحافظ يوسف بن عبد الله الأندلسي.
- أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد بن حسين بن سليمان البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥.^(٢)
- علي بن أحمد المعروف بابن القضاعي، سماه: فصل الخطاب في شرح الشهاب.^(٣)
- عبد العزيز بن محمد بن سعيد بن معاوية ابن داود الأنصاري أبو الإصبع الأطروشي الدورقي، كان محدثاً نحوياً توفى سنة ٥٢٤.^(٤)
- عبيد الله بن أحمد بن الحسين النرد شيرى الكاتب اللغوي.^(٥)
- محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري أبو بكر الصوفي المتوفى سنة ٥٣٠.^(٦)
- محمد بن أسعد بن علي بن عبد الله العراقي أبو المظفر الحلي المعروف بابن الحكيمي

١. هدية العارفين: ٨٦/١.

٢. إيضاح المكنون: ٦٠/٢.

٣. إيضاح المكنون: ١٩٠/٢.

٤. هدية العارفين: ٥٧٨/١.

٥. هدية العارفين: ٦٥٠/١.

٦. هدية العارفين: ٨٧/٢.

ص ضياء الشهاب

الواعظ الحنفي تلميذ الحريري ووالد النجم المتوفى سنة ٥٦٧هـ.^(١)

- المحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن سعيد بن زيد الأندلسي المعروف بأبي عمرو بن عباد المحدث المقرئ المتوفى سنة ٥٧٥هـ، وسماه بهجة الألباب في شرح الشهاب.^(٢)

الكتاب (ضياء الشهاب في شرح شهاب الأخبار)

وأما شرح القطب الراوندي على هذا الكتاب من أهم شروحه عند الخاصة، وفي رياض العلماء أشار إلى أن تاريخ تأليفه سنة ٥٥٣هـ. لا يخفى أهمية الكتاب من جهة شأن مؤلفه وموضوعه على المحققين، لكن مع أهميته لم أجد منه إلا نسخة مخطوطة واحدة.

وأما الكلام حول اسم الكتاب وكاتبه وصحة استناده إلى القطب الراوندي؛

لا بد فيه أن أشير إلى النقاط التالية:

(أ) ليس كاتب النسخة هو علم الهدى الكاشاني، وقد وقع مفهرس النسخة في هذا الخطأ، ودليلنا اختلاف الخطين في النسخة أعني الخط على الورقة الأولى وخط نص الكتاب، وأيضا عبارة علم الهدى على الورقة الأولى وهو: «استكتبت هذا الكتاب المستطاب يذكره لمن أهل الله للانتفاع له من مبتغي الحكمة وفصل الخطاب نفع الله به من نفع الله من أولي الألباب، وكتب هذه الأحرف من ثبت له فيه التصرف الفقير إلى الله في كل موقف و موطن محمد المدعو بعلم الهدى ابن محمد المحسن» يدل على مدعانا، وشاهدنا يكون عبارة «استكتبت»، وهذا يدل على أن علم الهدى طلب كتابة النسخة من كاتب.

(ب) قد وجدت من شرح شهاب الأخبار نسختان في مكتبة ملك ومكتبة المجلس الشورى الإسلامية، وفي فهرستها أنهما كتاب «ضوء الشهاب في شرح شهاب الأخبار» للسيد ضياء الدين فضل الله الراوندي، المخطوطتان ناقصتان وإن كان مخطوطة مكتبة ملك أكمل من مخطوطة الأخرى، إلا لم يذكر فيها اسم الكتاب ومؤلفه لا في ابتدائه ولا انتهائه؛

١. هدية العارفين: ٩٧/٢.

٢. هدية العارفين: ٥٥٢/٢-٥٥٣.

مقدمة التحقيق ق

وأشارتنا لهاتان النسختان لأنّ الملاً علي الخياباني التبريزي كانت عنده مخطوطة من كتاب ضياء الشهاب وقد نقل مراراً في المجلد الثالث من كتابه «وقايح الأيَّام» عبارات من كتاب ضياء الشهاب، ونحن بعد المراجعة إلى كتابه وملاحظة عباراته المنقولة فيه من ضياء الشهاب، رأينا تطابقها مع عبارات هاتين المخطوطتين المذكورتين؛ ومن جهة أخرى المخطوطتان ليستا كتاب ضوء الشهاب لأنّ عباراته المنقولة في بحار الأنوار لا تطابقهما.

(ج) لاحظنا بعد مطابقة نصّ هاتان المخطوطتان مع مخطوطة علم الهدى الكاشاني تطابقاً كثيراً في بعض النصوص، واحتملنا مع ملاحظة عبارة علم الهدى (... وكتب هذه الأحرف من ثبت له فيه التصرف ...) على الورقة الأولى أنّ علم الهدى تصرف زيادةً ونقصاناً في نصّ كتاب ضياء الشهاب، إلّا علمنا بعد تحقيق نصّ الكتاب في سائر الكتب أنّ هذا الاحتمال مردود، لأنّ قد نقل الشيخ البهائي في كشكوله (ج ٢، صص ٢٣ و ٤١ و ٧٤ و ٧٥) عبارات من كتاب الضياء وهي تطابق مخطوطة علم الهدى الكاشاني والحال أنّ علم الهدى مات بين سنين (١١١٢ إلى ١٢٣١) والشيخ البهائي مات سنة ١٠٣٠، وعلى هذا عبارة علم الهدى على الورقة الأولى تدلّ على أنّه أشرف على كتابة الناسخ وأيضاً يدلّ على اهتمامه في تصحيح أخطاء الكاتب وما في النسخة العتيقة التي نسخ منها الكاتب، وعلى هذا يعرف أهميّة النسخة من جهة صحّة عباراته، لأنّ علم الهدى كان عالماً أديباً محدّثاً وقد أحاط خبراً بالأخطاء الواردة في الكتاب.

وعلى هذا يوضح أنّ لنا أن نعتد على بيان الشيخ البهائي وكذا سائر الأمارات (منها: النسخة يشمل الكتاب كاملةً وأيضاً ذكر اسم الكتاب ومؤلفه على الورقة الأولى وأيضاً ذكر المؤلف اسمه في ابتداء الكتاب) ونقول: اسم هذا الكتاب «ضياء الشهاب»، ومؤلفه هو «القطب الراوندي».

منهج التحقيق

وصف النسخة الخطيّة: اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على النسخة الوحيدة التي

صِيَاءُ الشُّهُبِ

فِي سِرِّ سَهَابِ الْأَحْيَاءِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر ولا تعسّر

[ديباجة الكتاب]

قال الشيخ الإمام قطب الدين كافي الإسلام جمال العلماء أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي - أدام الله ظلّه على كافّة المسلمين - :
أمّا بعد حمد الله الذي جعلنا من أهل البراعة، وخصّنا من عموم فضله بأنواع ثمرات البلاغة، حتّى تَنَشَّيْتُ فينا^(١) عروقها و [أفنانها]^(٢)، وتهدّلت^(٣) علينا أوراقها وأغصانها، والصلاة على نبيّه محمّد قطب الشرع وعماد اليقين وعلى آله كهوف العلم وأساس الدين؛ فإنّي لَمَّا وجدتُ شروحاً كثيرةً حرّرها العلماء لكتاب «الشهاب» مشحونةً بالفوائد والعوائد على السداد والصواب، ولم يمكّنني أن أحصلها في ونعتي^(٤) مهيةً، ولم أطق أن أحيط بأقطار جميعها مهنةً، جمعتُ بعون الله زلالها، وسلبتها بيد الاختيار جريالها^(٥)، وشدّبت^(٦) الألفاظ، وهذبت^(٧) المعاني في ذلك - كما ترى - و«إنّ كلّ الصيد - كما قيل - في جوف الفراء»^(٨)، ومن الله العصمة والتوفيق.

١. تنشّب فيه: تعلق.

٢. في خ: أفنانها، والأفنان: الأغصان، جمع فَنَن.

٣. تدلّت واسترخت.

٤. الونّع: كلمة يشار بها إلى شيء يسير.

٥. الجيزيال: صيغ أحمر، لون الخمر، لون الدم؛ سنل الأعشى عن قوله: «سلبتها - أي الخمر - جريالها»؟ فقال: أي شربتها حمراء، قبلئها بيضاء فسلبتها لونها؛ راجع كتاب العين: ١٤٧/١؛ خزائن الأدب: ٢٤٦/٤.

٦. شدّب، شدّب: قطع، قشر وفرّق؛ شدّب الشجر: أسقط ما عليه من الأغصان.

٧. هذبه: نقّاه وأصلحه؛ وهذب الشعر: زينه وخلّصه ممّا يشينه عند الفصحاء.

٨. الفراء: الحمار الوحش، والمراد: من صاده فقد صاد جميع الصيد لقيامه مقامه لعظمته؛ راجع: مجمع الأمثال:

وأقول بعد ذلك وهو التحقيق:

حدّثنا السيّد الإمام أبو محمّد شميلة بن محمّد أبي هاشم الحسينيّ أمير مكّة^(١)، قال: قال القاضي أبو عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر القضاعيّ الفقيه الشافعيّ المدفون بمصره:

الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم، باعث نبيّه
محمّد بجوامع الكلم وبدايع الحكم، وجاعله للناس بشيراً ونذيراً
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلّى الله عليه وعلى آله
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

أمّا معناه: فإنّه جميع المحامد وكلّ ما هو من جنسها كائن ثابت لله الذي كان تحقّق له العبادة في الأزل، وهو تعالى الآن يستحقّها إلى ما لا يزال، قد صخّ منها كلّ فعل لا يستحيل، هو المتوحّد بصفة لا يشاركه فيها غيره، العالم بدقائق الأمور، المحكم لأفعاله، الخالق المبدئ، فطر العدم فأخرج منه الموجودات، السيّد المصمود الذي يقصد إليه بالحوائج؛ يكرم من عباده من يستحقّ الإكرام، الذي أرسل محمّداً الرفيع منزلته، ومعه القرآن الذي يجمع جميع ما كان في الكتب المنزلة، من الكلمات التي تمنع عن كثير من القبائح صاحبها؛ وجعله مبشراً للمؤمنين بالثواب، ومعلّماً بالتنخيف جميع الكافرين من العقاب، فاعل الدعوة إلى طاعة الله، سراجاً ذا نور يهتدي الناس به في ظلمة الكفر؛ فأدام الله وصول الصلاة والرحمة إليه وإلى أرفع أهله وأخصّ أهل بيته المعصومين، الذين باعدوا من أرجاس الذنوب بعصمة الله، وقربوا من طيّب

١. هو شميلة بن محمّد بن أبي هاشم العلويّ الحسينيّ المكيّ من أولاد أمراء مكّة؛ راجع: فهرست منتجب الدين: ٧٠؛ لسان الميزان: ١٥٤/٣؛ ميزان الاعتدال: ٢٨١/٢.

الطاعات وطاهاها من الشوائب بتوفيق الله.

وأما مشكلاته:

ف«الحمد» عام في الفضائل والفواضل^(١)، والشكر أخص منه؛ لأنه الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم، والحمد رضا فعل الفاعل، يقال: حمدته على شجاعته وسخاوته. ويستعمل في مواضع الشكر، فيقال: حمدته على نعمته. واللام في الحمد لاستغراق الجنس.

و«الله»، أصله إله، مصدر بمعنى المفعول، كالكتاب والحساب بمعنى المكتوب والمحسوب، فحذف فاء الفعل وأدخل عليه لام التخصيص التي يسمّى في غيره لام التعريف. و«الفرد» والفريد والمنفرد: المتفرد بالإلهية والقدم. و«الحكيم» فعيل بمعنى مُفَعِّل. و«فاطر» السماوات الذي شقّها من العدم وأخرجها منه، وهذا مجاز حسن. و«الصمد» فعيل بمعنى مفعول، يقال: صمده، أي قصده؛ ويكون المصمّد غير المجوّف. و«الكريم» فعيل بمعنى مُفَعِّل، وقيل: هو اسم جامع لجميع الفضائل، ويكون الكريم فعلاً بمعنى فاعل كالظريف والعظيم.

و«البعث»: الإرسال والإحياء والإيقاظ. و«محمّد» اسم علم لرسول الله، ومعناه: البليغ في كونه محموداً. و«الجوامع» فواعل و«البدائع» فعائل، وأحدهما^(٢) جامعة وبديعة، مثل كافرة وكوافر، وفضيلة وفضائل؛ والابتداء: وهو من الأبدال. و«الكلم»، عند سيبويه اسم واحد وضع للجمع، كالنفر والرّهط؛ وعند الخليل جمع كلمة. و«البشارة» كلّ خبر يظهر أثر مسرّته على بشرة الوجه، و«البشير» فعيل بمعنى مُفَعِّل. و«النذير» فعيل بمعنى مُفَعِّل.

١. جمع الفاضلة، والفاضلة اسم الفضيلة.

٢. في خ: واحدها.

و«إذهاب الرجس» عبارة عن إطفاف فعلها الله لهم، فامتنعوا عن سائر المعاصي اختياراً لا إجباراً، وإثباتاً حظّ اللطف التقريب دون الإلجاء، لا أنّ هناك رجساً فأذهبه الله عنهم، وهذا كما يقال للقيامة: معاد ومرجع؛ وكذلك معنى «التطهير»^(١) والصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، ومثلاً بمعنى الدعاء^(٢). وإذا قيل: صلى الله عليه، فالأولى أن يقال: وعلى آله، لأنّ الضمير المجرور مع الجارّ بمنزلة شيء واحد، فلو لم يعد الجارّ لكان بمنزلة العطف على بعض الكلمة؛ وإذا قيل: صلى الله على محمّد، فالأولى أن يقال: وآل محمّد، ولا يعاد الجارّ ليكون الكلام جملة واحدة؛ وإذا قلت: صلى الله على محمّد وعلى آل محمّد، صار الكلام جملتين ويقدر محذوفاً، أي: وصلى الله على آل محمّد؛ وعند بعضهم هذا أبلغ في علم البيان. و«الآل» أجل من الأهل في العرف، والهمزة بدل من الهاء، لكونها من الحلق.

أمّا بعد: فإنّ في الألفاظ النبويّة والآداب الشرعيّة جلاءً لقلوب العارفين، وشفاءً لأدواء الخائفين، لصدورها عن المؤيد بالعصمة والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعوا إلى الهدى، ويبصّر من العمى، ولا ينطق عن الهوى؛ صلى الله عليه وعلى آله أفضل ما صلى على أحد من عباده الذين اصطفى.

أمّا معناه: فإنّه ذكر تشبيهاً^(٣) قبل شروعه في المقصود، وقال: أخبر - بعد ما تقدّم

١. في مختصر الأحكام: ٤٦٠/٢: «وروي عن سفيان الثوري وغيره من أهل العلم قالوا: صلاة الربّ الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، وصلاة العباد الدعاء»؛ وراجع: الحاوي الكبير: ٣/٣٤٧؛ تفسير السمعاني: ٤٤/١.

٢. شَبَّ قَصِيدَتُهُ: حَسَنَهَا وَزَيَّنَهَا بَنَكر النساء، العادة أن يكون التشبيح في مبتدأ قصائد المدح، ثم سُمِّي ابتداء كلّ أمر تشبيهاً وإن لم يكن في ذكر الشباب.

من التسمية والتحميد والصلاة على محمد وآله - أن في كل لفظة لفظها الذي من فيه ورماء من لسانه، وفي كل خصلة حسنة من الشرع دعا الله إليها، تنقية لصدأ الذنب والشك عن فؤاد كل محصل معرفة الله ورسوله وحججه، وشفاء لكل داء يكون بالذين يخافون عقاب الله؛ لأن تلك اللفظة صدرت عن صدر موفق مقوى بالعصمة، قد خص بالفرق بين الحلال والحرام، فلا وجه لردّها. وكيف؟! أنّها جاءت من جهة النبي الموصوف بهذه الصفات، وهي أنه عليه السلام يدعو الناس إلى الإسلام، ويرشد عن الجهل والغفلة، ولا يجوز على من انتمنه الله من وحيه عليه أفضل صلاة صليت على أحد من الأنبياء.

وأما مشكلاته:

فإن «أما» للتخيير كما أن «إما» للتخيير، و«أما» كلمة يقال بعد تقدّم كلام، وهو متضمّن معنى الشرط، ولذلك يجاب بالقاء. و«بعد» مبني على الضمّ، بني لما حذف منه المضاف إليه.

و«اللفظ»: الرمي، إلا أنه اختصّ بالعرف بما يلفظ من الفم. و«النبوّة» منسوبة إلى النبي، وأصله من النباوة وهي الرفعة، ولا يهمز لقوله عليه السلام: «ولا تنبروا باسمي»^(١) ليكون اسم مدح، ولا يكون من النبا وهو الخبر.

و«الأدب»: ما يدعى إليه، فعّل بمعنى مفعول كالنفذ والقبض، ومنه المأدبة؛ فالأدب كل خصلة من خصال الخير جديرة بأن يدعى إليها. و«الشرع»: طريقة الإسلام، ومنه شريعة الماء: الطريق الذي يشرع إليه، فعيلة بمعنى مفعولة، يقال:

١. المحرّر الوجيز: ٤٦٢/٢؛ وراجع: الفائق في غريب الحديث: ٢٧٢/٣؛ «قال أعرابي لرسول الله ﷺ: السلام عليك يا نبي الله! قال: لستُ بنبي الله ولكنّي نبي الله». راجع: معاني الأخبار: ١٤٤، باب النبوة، ح ١؛ بحار الأنوار: ٢٩/١١، باب ١، ح ١٩؛ لا تنبروا؛ لا تهمزوا.

شرعت في الأمر شرعاً، إذا خضت فيه.

و«المجلاء» مصدر جلوت السيف إذا نقيته من الصدأ، وأصله الكشف والإظهار، وقيل: «ما سُمِّي القلب إلا من تقلبه».^(١) والمراد بـ«العارف» هو المحصل معرفة الله وجميع ما يجب عليه تحصيله من المعارف، والمعرفة علم يحصل بعد أن لم يكن، ولذلك يوصف القديم بأنه عالم ولا يقال له عارف؛ فالمعرفة أخص من العلم، وهو ما اقتضى سكون النفس.

وشفاه الله من مرضه أي خلّصه من جانبه، وشفاء البئر: حَرَفُه^(٢). و«الأدواء» جمع داء.

وروي: «لصدرها»، و«الصدور»: الرجوع عن الماء، والورود ضده؛ والورد الدخول، والصدْر الخروج.

و«البيان» مصدر بان الشيء، أي ظهر بمعنى التبيين، ويكون مصدر «بان زيد الشيء» بمعنى التبيين، ويكون البيان التمييز والفرقان. و«الهدى» هنا الدين. وقوله: «يبصر من العمى» استعارة عن الهداية بالتبصير عن الغفلة والجهل.

و«أفضل» أفعل التفضيل. و«ما صلي»، «ما» مصدرية، أي أفضل صلاة على رسول، ولو أتى بالشرح لقال: اصطفاهم^(٣)، فحذف ضمير المفعول تفضيماً.

١. «ما سُمِّي القلب إلا من تقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلاً»

و«ما سُمِّي القلب إلا من تقلبه» والرأي يصرف والإنسان أطواراً؛ راجع: الأغاني: ٢٤١/١ و٢٦٧/١٩؛ كتاب العين: ١٧١/٥؛ والبيت الأول قاله عمر بن أبي ربيعة (متوفى ٩٣ق)؛ والثاني قاله الأحموس الأنصاري (متوفى ١٠٥ق)؛ وأيضاً قال رسول الله: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيْشَةٍ مُّثَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهراً لِبَطْنٍ»؛ راجع: مسند أحمد: ٤٠٨/٤؛ كنز العمال: ٢٤١/١، ح ١٢١٠. ٢. حذّه وجانبه وشفيره.

٣. في خ: لصطفاهم.

وقد جمعتُ في كتابي هذا مما سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلف مبانها، وبَعَدْتُ عن التعسف^(١) معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدى النبوة عن بلاغة البلغاء؛ وجعلتها مسرودةً، يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، ميوّبةً أبواباً على حسب تقارب الألفاظ، ليقرّب تناولها، ويسهل حفظها

أما معناه فواضح؛ لأنه حكى أنه جمع في هذا الكتاب من أخبار النبي ﷺ ألفاً؛ منها ما يوعظ به الإنسان، ومنها ما يشبه به حال بحال لرغبة أو رهبة، لا شدة في معرفة لفظها، ولا مشقة في الاطلاع على معناها. ثم وصفها بالفصاحة؛ لأنّ منبعها من قليب^(٢) النبوة، يعجز كلّ بليغ عن إيراد مثلها.

ثم ذكر أنّه جعل نظمها متناسباً، وضمّ كلّ كلمة إلى اختها إرادة التيسير والتسهيل على الناظر في ذلك. وأما مشكلاته:

فإنّ «الحديث» صار بالعرف مختصاً بأحاديث النبي ﷺ، ولذلك سمّي حملة الأخبار أصحاب الحديث؛ ف«الحديث» صار بمنزلة اسم العلم لأخبار رسول الله. وحدّ «الكلمة»: كلّ لفظة دلّت على معنى بالوضع. و«الوصايا» جمع وصيّة، كمنيّة

١. تعسف في القول: حمل على معنى لا تكون دلالة عليه ظاهرة.

٢. البئر.

١٠ ضياء الشهاب

ومنايا؛ والوصية : الأمر بما يعمل به الغير مقترناً بوعظ. و«المواعظ» جمع موعظة، وهي مصدر، وإثنا جمع لاختلاف أنواعه. وقيل: إثنا جمع اسماً صريحاً ثم جمع، لأن المصادر لا يثنى ولا تجمع. و«المثل» والمثل كالشبه والشبه لفظاً ومعنى، وهو كل ما يمثل به الحال.

وقوله: «سلمت من التكلف» كناية عن كونها مطبوعة لا كلفة له في بنائها. و«المباني» جمع مَبْناء ومبنى. و«التعسف»: الأخذ على عسف، والعسوف: الظلوم. و«المعنى»: ما يقصد بالكلام.

و«بان»: ظهر وبَعْدَ. و«التأييد» تفعيل من الأيد، وهو القوة. و«الفصاحة»: الظهور والبيان. و«البلاغة»: إيصال المعنى إلى القلب في جنس صورة من اللفظ. والسرد: النظم، و«مسرودة»: منظومة مؤلفة. و«محدوفة الأسانيد» أي متروكة. و«الإسناد» مصدر جعله اسماً صريحاً ثم جمعه، وأسناد الأخبار: طرقه التي توصل الحديث إلى النبي ﷺ من أسماء الرواة.

وقال: أنه فصلها باباً باباً على مقتضى مقاربة الألفاظ؛ كما تراه في الكتاب من: باب الأمر والنهي، وباب ربّ، وباب نعم وبئس؛ ليسهل على من أراد حفظها، ولا يختلط عليه.^(١)

و«التناول»: الأخذ والإدراك.

ثم زدْتُ مأتي كلمة، فصارت ألف كلمة ومأتي كلمة، وختمتُ
الكتاب بأدعية مروية عنه ﷺ، وأفردت لأسانيد جميعها كتاباً

١. كتاب الشهاب يشتمل على سبعة عشر باباً، ولكن الشارح ﷺ زاد بابين؛ الباب العاشر والباب الثالث عشر؛ وعلى هذا، الكتاب يشتمل على تسعة عشر باباً.

يُرجع في معرفتها إليه؛ وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه ومقرباً من رحمته، بحوله وقوته.

كان أول مرة وضع الكتاب على ألف حديث، ثم ظهر له أخبار ولاح له أحاديث تليق بكل باب، فزاد على الألف مأتي حديث، فجعلها على هذا العدد؛ وختم الكتاب بالدعاء كما افتتح بالحمد والثناء، تبرّكاً بذلك وتيمناً.

ثم ذكر أنه صنّف كتاباً آخر لأسانيد هذه الأخبار^(١) على ما سمعته من طريقه، فإنّ الإسناد حجّة على صحّة الأخبار، وعلم الأخبار علم جليل، خاصّة معرفة الرجال وطبقاتهم والعلم بمرحهم وتعديلهم؛ فإنّ الشريعة تُعرف بها بعد كتاب الله والإجماع، إذ لا طريق للعقل إلى معرفتها، وما جاء من ذلك في كتاب الله مجمل، وبيانه يؤخذ من الأخبار؛ وخبر الواحد وإن لم يوجب العلم فهو موجب للعمل على الظنّ عند أكثر العلماء.

فصل

اعلم: أنّ كلّ خبر وحديث كان له سبب خاصّ، كما أنّ لكلّ آية من كتاب الله كان له سبب نزولٍ مفردٍ، إلّا أنّ الرواة لم ينقلوا على الأكثر إلّا ما لا يعلم إلّا بذكر سببه، وإن كان وُرد كلّ خبر في أمر خاصّ، ولا يجب قصره عليه، لأنّ لكلّ كلام حكم نفسه، فإذا أطلق الكلام إطلاقاً فهو على العموم يتناول كلّ ما يصحّ دخوله تحته؛ والأصل في الكلام الإطلاق، وإنّما يكون التقييد فرعاً والتخصيص فرعاً يُعلم بقرينة ودلالة منفصلة.

والمراد بقولنا: «سبب في الكلام»: الداعي إلى الخطاب به والباعث عليه؛ وليس

١. أراد بكتاب آخر «مسند الشهاب» الذي نقل فيها أسانيد الأخبار.

المراد به الأسباب المولدة للأفعال، وقد اتفقنا على أن الحكيم لا يجوز أن يزيد بخطابه إلا ما له داع إليه، فلا بد من خطابه من أن يكون مقصوداً على أسبابه، غير أنه لا يجيء منها أنه إذا سأله عليه السلام سائل عن مسألة حادثة، فأجابه بقول عام أنا نقصره^(١) على ذلك السؤال؛ لأنه إذا عمّ بخطابه سؤال^(٢) السائل وغيره، فلم يصف إلى بيان ما يُسأل عنه بيان حكم غيره إلا لسبب آخر وداع هو غير سؤال؛ لأنه لو لم يكن كذلك لأجاب بما يكون وفقاً للسؤال من غير أن يكون فاضلاً عليه.

وكلامه عليه السلام تنقسم إلى: مطابق السبب غير فاضلٍ عنه، وإلى ما يكون أعمّ منه؛ والأول لا خلاف فيه.

والثاني على ضربين:

إما أن يكون أعمّ منه في الحكم المسؤول، نحو قوله عليه السلام - وقد سئل عمّن ابتاع عبداً واستغله^(٣) ثم وجد به عيباً - : «الخراج بالضمان»^(٤).

وإما أن يكون أعمّ منه في غير ذلك الحكم المسؤول نحو قوله عليه السلام - وقد سئل عن الوضوء بماء البحر - : «هو الطهور ماؤه، الحلّ ميتته»^(٥)، فأجاب بما يقتضي شربه وإزالة النجاسة به وغير ذلك.

وأكثر أحاديثه عليه السلام متضمنة للأوامر والنواهي، وإنما لم يذكرها على لفظ «افعل» و«لا تفعل» لفوائد جمّة؛ ألا ترى أنه عليه السلام لو قال: «ألزموا جماعة الحقّ ترحموا» بدل

١. خ: بقصره.

٢. في خ: السؤال.

٣. انتفع منه.

٤. كتاب المسند: ٢٤٣؛ سنن ابن ماجه: ٧٥٤/٢، ح ٢٢٤٣.

٥. وسائل الشيعة: ١٣٦/١ - ١٣٧، كتاب الطهارة، باب أن ماء البحر طاهر مطهر، ح ٣٣٥؛ مسند أحمد:

٣٦١/٢؛ كنز العمال: ٣٩٨/٢، ح ٤٣٤٩.

قوله: «الجماعة رحمة» لظنّ المخاطبون أنّهم مخصوصون بذلك، على أنّ لفظ الإخبار أسهل على السامع، ويكون المخاطب به أقرب إلى تدبّره؛ ثمّ تقليل الكلام من غير إخلال محمود، وذلك لإيجاز الذي هو من أشرف مراتب البلاغة، وهو إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، وإذا أمكن المخاطب أن يستغنى بالقليل كان الإطناب هذراً؛ وحسن البيان البلاغيّ أخفّ مؤونةً على القائل والسامع.

فهذا ديباجة الكتاب وعنوان أنموذج الخطاب، ولا يُوجِسَنَّك إطناب الكلام هاهنا في صدر الكتاب، فأنا أوجز شرح الأحاديث من بعد ذلك إن شاء الله، والله سبحانه استمدّ المعونة فيما تحرّرتُ^(١)، وانتجز التسديد والتثبيت على الطريقة التي فيها جريتُ، وهو حسبي ونعم الوكيل.



١. اجتهدتُ في طلبه ودقّقتُ.

باب [٨]

الأعمال بالنيات

بيان الخبر معنى الخبر: أن الأعمال لا يقبل إلا بالنية، فأخلصوا الطاعات لله، ولا تشوبوها بغرض غير القربة إليه تعالى.

وسبب ذلك: لأن الفعل يكون ذا وجوه يصح أن يقع على كل وجه من وجوهه، ولا يختص بالوجه المقصود إلا بقصد وإرادة، وهو اقتران النية به.

ألا ترى أن من أراد أن يؤدي صلاة لا بد أن ينوي القربة والعبادة ليمتيز من الرياء والعادة، وينوي الفرض ليمتيز به من النفل، وينوي الظهر ليمتيز من غيرها، وينوي الأداء ليمتيز بها من القضاء؛ ولهذا تقول: وقوع الفعل على وجه دون وجه يدل على كون فاعله مريداً؛ و«النية» من باب الإرادة، فهي كل إرادة في القلب مفعولة به متعلقة بفعل فاعلها.

فكانه عليه السلام أراد أن الأحكام الشرعية إنما تثبت الأعمال بالنيات، ونفى تلك الأحكام عما لم يصاحبه النية من الأعمال؛ فلا ثواب ولا عقاب على أفعال الساهي والنائم وإن كانت من قبيل الحسن والقبیح.

وظاهر الخبر يفيد أمرين: إما أن الأعمال تصير أعمالاً بالنية؛ وهذا لا يصح، لأن النائم يقع منه أعمال ولا يكون له نية فيها؛ فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو: أنه عليه السلام أخبر أن الأحكام تثبت الأعمال في الشريعة بالنيات. وأما مشكلاته:

ف«العمل» كل فعل فيه بعض الأحكام، وتلحق فاعله المشقة في فعله، ولا يجري

على الله لهذا.

وللفعل أحوال يختلف عليه الأساء لاختلافها، أعمها «الفعل»، وهو ما وجد بعد أن كان مقدوراً؛ ثم «الصنع»، وهو الفعل المحكم؛ ويجري على الله كلاهما وعلينا؛ ثم «الخلق» وهو إخراج المقدور من العدم إلى الوجود على ضرب من التقدير، ولا يطلق إلا على الله لمنع سمعي، ويستعمل فينا مقيداً، يقال: خلقت الأديم، أي قدرته.

وكذلك يسمى الإرادة عزمًا وتوطيئاً للنفس إذا كانت متقدمة على الفعل، ويسمى قصداً وإنياراً^(١) واختياراً إذا كانت مقارنة للفعل بشرط أن يكون من فعل المرید.^(٢)

فإن قيل: لم لم يقل: الأفعال بالنيات؟

قلنا: الأعمال يختص بالمعالجات بالجوارح، والأفعال ينسب إلى القلوب وإلى الجوارح وإلى الله تعالى، فلو كان الخبر على الصيغة التي سئل عنها لكان فيه إثبات النية لله، وهي مستحيلة عليه تعالى في جميع أفعاله، ويلزم أن يكون لكل فعل من أفعال القلوب نية، حتى يجب لكل إرادة إرادة، فتؤدي إلى ما لا نهاية؛ على أن الحث منه ^{عليه السلام} لأمرته على أن يكون أعمالهم الظاهرة التي يدخل فيها الرياء والسمعة خالصة لله طالبين بها رضاه ورحمته، ولا يكون كذلك إلا من نية صحيحة.

و«الأعمال» رفع بالابتداء وخبره على التحقيق هو الذي تعلق حرف الجر به، وتقديره: الأعمال واقعة أو صحيحة بالنيات، والجواز والمجورور في موضع الرفع لوقوعه موقع خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون التقدير: وقوع الأعمال موقع الصحة والقبول بالنيات، أو الأعمال واقعة موقع الصحة بالنيات.

و سبب الخبر: أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، فهاجر بعضهم لرضا الله

١. الإحكام والإيرام.

٢. راجع: الرسائل العشر (للشيخ الطوسي): ٧٦ - ٧٧.

وبعضهم لغرض دنيوي من تجارة ونكاح ومال، فاطَّلعه الله عليه، فقال: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا كَانَ^(١) لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٢).

والأولى حملة على العموم، على أن العموم إذا خرج على سبب خاص لا يجب قصره عليه.

الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ معنى الخبر: النهي عن النسيئة، والأمر بأداء الأمانة في المجالس بحفظ ما يسمع فيها وصيائنه عن الإذاعة والإفشاء؛ لأن من أفشى ونقل ما جرى هنالك ربّما أدى إلى إهلاكه في الدنيا، وربّما كان يجري في مجلس أسرار يجب حفظها، فإن أفشيت أدى إلى تلف أموال وهلاك نفوس.

وقيل: حفظ السر من أعظم البرّ، وإفشاء السر من أقبح الشرّ، وصدور الأحرار قبور الأسرار.^(٣)

و«المجلس» موضع الجلوس، ويكون مصدراً. و«الأمان» و«الأمانة» واحد، والأمانة يستعمل في الشيء المودع عند أمين، و«الباء» يتعلّق بمحذوف؛ يعني قوام المجالس وصلاح المجالس يكون بالأمانة، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا كثير حيث لا يلتبس المعنى.

١. لم ترد «كان» في المصادر.

٢. مسند الطيالسي: ٩، ح ٣٧؛ سنن البيهقي: ٤١/١، ح ١٨١؛ مسند الشهاب: ٣٦/١، ح ١.

٣. نقل أبو نعيم فقرة الأخيرة من هذا الكلام عن ذو النون في حلية الأولياء: ٣٧٧/٩.

وروي في الخبر زيادة، وهي: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، أو مجلس استحل [فيه] فرج حرام، أو اقتطع مال»^(١).
وقال عليه السلام: «المجالس ثلاثة: غنائم، وساليم، وشاجب؛ والغنائم الذاكِر، والسَّالِمُ السَّاكِتُ»^(٢)، والشاجب المفشي من الشجب وهو الهلاك.^(٣)

المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يعني: إذا طلبت المشورة من أحد ينبغي أن يؤتمن فيما يشير إليه، فاعتمد عليه ولا تسيئ ظنك به.

وقيل: معناه: لا تطلب المشورة ولا تستشير إلا من كان أميناً عندك ويكون غالب ظنك أنه أمين، فإن ظننته خائباً فلا تستشيره.

وروي بعده: «والمستشير معان»^(٤).
والمعنى: أن الذي يطلب منك المشورة يجب عليك أن يعينه لرأي والإشارة إلى الصواب.

وفي خبر آخر: «المستشار بالخيار إن شاء قال؛ فإن قال، فلينصح»^(٥).

١. راجع: الأمالي (للشيخ الطوسي): ٥٣؛ بحار الأنوار: ٤٦٥/٧٢، باب ٩٥، ح ٧؛ سنن أبي داود: ٤٤٩/٢، ح ٤٨٦٩؛ كنز العمال: ١٣٦/٩، ح ٢٥٣٧٩؛ نص الحديث في المصادر يختلف يسيراً.

٢. كتاب المجرورين: ١٨١/٢؛ شعب الإيمان: ٤١٧/٧، ح ١٠٨١٥؛ كنز العمال: ١٤٧/٩-١٤٨، ح ٢٥٤٥١ و ٢٥٤٥٢؛ وفي بعض المصادر: «شاحب»، راجع: ميزان الاعتدال: ١٠٠/٣؛ الزهد (لابن حنبل): ٢٠٦.

٣. راجع: النهاية في غريب الحديث: ٤٤٤/٢.

٤. نهج السعادة: ٢٧٥/٧؛ في المصادر: المستشير معان والمستشار مؤتمن، راجع: الإعجاز والإيجاز: ٣٧؛ التمهيد: ٣٧٠/٨؛ كنز العمال: ٤١٠/٣، ح ٧١٨٧.

٥. كنز العمال: ٣٤/٩، ح ٢٤٧٩٨؛ السنن الكبرى للبيهقي: ١٢٥/١٠، ح ٢٠١٨٢؛ وردت في المصدر بهذا النص: «إذا شل الرجل عن أخيه فهو بالخيار، إن شاء سكّت وإن شاء قال فصّدق».

وقد أمر الله نبيّه بالمشورة، فقال: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^(١)، فاستشار عليّاً أصحابه في باب الأسارى، فأشار أبو بكر بالاستبقاء وعمر بالاستيصال، فصار عليّاً إلى رأي أبي بكر بعد ما نزل عليه الوحي بالاستبقاء^(٢)؛ وإنّما فعل ذلك لإدخال السرور عليهم، وليعلموا أنّهم في العداد؛ وإلاّ فما حاجته إلى استشارة أحد مع نزول الوحي عليه. ويقال: استشرت فلاناً، وشاورته، فأشار عليّ بما كان عنده من الرأي. وأصل الكلمة الاستخراج لشيء حسن، من قولهم: أشرت العسل، أي تناولته من موضعه. والسين في «الاستشار» للطلب. و«ائتمنته» أي وجدته أميناً واتخذته أميناً.

الْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ

يَنَالُ الْخَيْرَ معنى الخبر: أنّ من وعد أحداً شيئاً أدخل عليه سروراً، فإذا كان في عزمه الوفاء استحقّ عليه الثواب والمدح، كما أنّه إذا أعطاه سرّاً به واستحقّ الثواب عليه. ويجوز أن يكون المعنى: أنّ الوعد من الرجل الصادق باللهجة بمنزلة العطاء، من حيث أنّه علم أنّ خلف الوعد من خُلِقِ الوعد يوجب على نفسه الوفاء به، فإذا وعده على هذا الوجه فكأنّها أعطاه، لأنّ العرب تسمّى الأخذ في الشيء والمبتدئ به فاعلاً لذلك الفعل. ومثله قوله تعالى: «إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ»^(٣)، أي: أشتغل بذبحك وأخذ في مقدّماته وإعداد أسبابه.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وهو: إنّ سائلاً سأل رسول الله شيئاً، فقال: ما

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. راجع: صحيح مسلم: ١٣٨٥/٣؛ المستدرک: ٣٥٩/٢، ح ٣٢٧٠.

٣. الصافات: ١٠٢.

عندنا شيء. قال: عدني. فقال: إنَّ العدة عطية^(١).

ويروى: «الوأي مثل الدين أو هو أفضل»^(٢).

وقال عليه السلام: «إذا وعد أخاه شيئاً فلم يف له به وفي نيته الوفاء، فلا إثم عليه»^(٣).

و«العدة»: الوعد، كالزنة والوزن، والصفة والوصف. وأصلها وعدة ووزنة ووصفة.

ووعدتُ فلاناً، إذا كان هكذا مطلقاً كان الموعد به خيراً، وإذا كان مقيداً فهو

صالح للخير والشر، تقول: وعدته خيراً ووعدته شراً. فأما «أوعد» فهو من الوعيد لا

تستعمل إلا في الشر.

و«العطية» اسم للإعطاء، لأنَّ الفعل منه: أعطى يعطي.

فإن قيل: كيف يصح روايتكم: «الكريم إذا وعد وفي، وإذا أوعد عني»^(٤)، فإن كان

الله لا يخلف الميعاد، فهل يجوز أن يخلف الإيعاد ليكون في غاية الكرم - كما قلتم - ؟

قلنا: لا يجوز ذلك؛ لأنَّ الخلف كذب سواء كان للميعاد أو للإيعاد، إلا أننا نقول:

من عفا الله وغفر له فالوعد لم يتناوله في سابق علم الله، ولم يدخل في عموم قوله:

«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ»^(٥).

١. راجع: المراسيل لأبي داود: ٣٥٢، ح ٥٢٢؛ المطالب العالية: ٧٢٠/٥.

٢. روى ابن لهيعة عن رسول الله ﷺ، راجع: الصمت وآداب اللسان: ٢٣٠، ح ٤٥٤؛ الأموال لابن زنجويه: ٨٩/٥، و«الوأي»: الوعد.

٣. عن رسول الله ﷺ: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه»، راجع: سنن أبي داود: ٤٧٦/٢، ح ٤٩٩٥؛ المعجم الكبير: ١٩٩/٥، ح ٥٠٨٠.

٤. قاله عمرو بن عبيد؛ راجع: تاريخ العلماء النحويين: ١٤؛ التبصير في الدين: ١٨٧؛ التفسير الكبير: ١٤٦/٢٨؛ الفتوحات المكية: ٥٢٣/٢.

٥. النساء: ١٤.

الْعِدَّةُ دَيْنٌ

يَبَيِّنُ الْجَبْرُ معناه: إذا وعدت أخاك شيئاً فأوفٍ له بذلك، فإنَّ الوفاء بالوعد يجب كوجوب قضاء الدين في قضية العقل؛ والأظهر أنَّ هذا الخبر حثٌّ للواعد على الإنجاز والوفاء فقط.

والخبر له معنيان - كما ذكرنا - : أحدهما: الحثُّ على الوفاء بالمواعيد، وأنه يكره الخلف فيها كما يكره الرجوع في العطاء. والثاني: أنه بشارة للموعد إذا كان من كريم، وقد ذكرنا سببه المؤكّد لهذا الوجه.

والصيغة التي ذكرها في الخبرين بمنزلة قولهم: «أبو يوسف أبو حنيفة»^(١)، أي يتنزّل منزلته ويقوم مقامه؛ فالعدة كالدين [والعطية] لكانت دونها بدرجات. وقيل: ورد هذا الخبر في حقِّ الواعد، والأوّل في حقِّ الموعد، فحسب.

الْحَرْبُ خُدْعَةٌ

يَبَيِّنُ الْجَبْرُ معناه: أنَّ المماكرة في الحرب أبلغ وأنفع من المكابرة والإقدام عن غير علم. وقيل: معناه: إذا خدع المقاتل مرّة واحدة لم يكن لها إقالة. وفتح الحياء أفصح، وروي بضمّها. والمعنى: أنَّ بعض الحرب حيلة ليس كلّها بالقوة، أو أصل الحرب مكر؛ وبضمّ الحياء ونصب الدال بمعنى أنها تخدع الرجال وتمتّهم ثم لا تفي لهم، ونحو قوله: «الحرب سِجَالٌ مرّة لنا ومرّة علينا»^(٢).

١. يريد مثله في الفقه؛ راجع: فقه اللغة: ٨٤؛ المختص: ٤٦/٢.

٢. هذا قول أبي سفيان في غزوة أحد، وأجابه رسول الله ﷺ: «لا سواء لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار»؛ راجع: تفسير الطبري: ١٠٥/٤؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٧٧١/٣؛ وكذا راجع: سيرة ابن إسحاق: ٣١٢/٣؛ المغازي: ٢٥٤/١ - ٢٥٥.

وفائدة الخبر: أنَّ المحارب إذا خدع من يحاربه مرةً وانخدع له، ظفر به وهزمه؛ ومعناه على الخدعة أي يخدع فيها القرن. والخدعة نعت الحرب، أي أنها تخدع الرجال؛ وفيه دليل على جواز المماكرة في الحرب. وإِنَّمَا تَوَثَّت الحرب، لأنها اسم للمحاربة؛ وفي الأصل مصدر «حَرَبَهُ» إذا سلبه حرباً.

و«الْخُدَعَةُ» المرة من الخداع، و«الْخُدَعَةُ» ما يخدع به الصبي وغيره، كأنَّها مخدوع بها، و«الْخُدَعَةُ» الفاعل كالضُحَكَةِ للذي يضحك من الناس. وتحقيق الحديث: أنَّ الحرب لا يكون بالشدة والجلادة والقهر والشجاعة، وإنما هو بالحزم والرأي والعلم.

وقيل: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله في قتل عمرو بن عبدود^(١). وروي: أَنَّهُ قاله يوم الأحزاب لما بعث نعيم بن مسعود لتجدل بين قريش وغطفان واليهود^(٢).

النَّدَمُ تَوْبَةٌ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ أَي: معظم أركانها الندم، كما قال: «الْحُجُّ عَرَفَةُ»^(٣). واقتصر في التوبة على الندم دون العزم على أن لا يعود إلى مثل الذنب الذي فعله؛ لأنَّه إذا كان مصراً غير مقلع فإنه لا يكون نادماً على الحقيقة. وقال أبو جعفر الطوسي: «إذا تاب الرجل من بعض الكبائر مصراً على بعضها

١. راجع: الشرح الكبير لابن قدامة: ٤٤٦/١٠؛ تاريخ ابن خلدون: ٤٤٢/٢.

٢. راجع: السيرة النبوية: ١٨٨/٤-١٩٠؛ المغازي: ٤١٤/١-٤١٥.

٣. قاله رسول الله ﷺ؛ مسند الطيالسي: ١٨٥، ح ١٣٠٩؛ مسند ابن أبي شيبه: ٢٤١/٢، ح ٧٣١؛ مسند أحمد: ٣٠٩/٤، ح ١٨٧٩٦.

يصح توبته»^(١). «والصحيح أنها لا تصح»، قاله المرتضى^(٢).

وحدّ التوبة: أنه ندم على ما مضى وعزم على أن لا يعود إلى مثله، لقبحه أو لوجه قبحه.

والندم من باب الاعتقاد. وقيل: هو من باب العلم؛ لأنه إذا فعل فعلاً ثم بدا له بعد ذلك أن له فيه ضرراً أو فوت منفعة، ندم على ما فعله. وقيل: هو معنى برأسه. وقيل: هو التحسر فقط.

وعن النبي ﷺ «مَنْ أَخْطَأَ خَطِيئَةً، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْباً ثُمَّ نَدِمَ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ»^(٣)؛ رواه ابن مسعود.

«وقال له رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَجُلٌ مِقْرَافٌ لِلذُّنُوبِ؟ فَقَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَتُوبُ ثُمَّ أَعُودُ؟ قَالَ: كُلَّمَا أَذْنَبْتَ فَتُبْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا تَكَثَّرَ ذُنُوبِي، قَالَ: عَفْوُ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ ذُنُوبِكَ»^(٤).

وقال: «الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ»^(٥)، فَالسَّعِيدُ مَنْ مَاتَ مَلَى رَقْعِهِ»^(٦)، والتوبة الرجوع عن المعصية إلى الطاعة سرعاً.

١. لم أجده في كتبه الذي بين أيدينا، قال في (تفسير التبيان: ٢٤٤/٣) خلاف ذلك.

٢. لم أجده.

٣. شعب الإيمان: ٣٨٧/٥، ح ٧٠٣٣؛ الأمالي (ليحيى بن الحسين): ٢٥٧/١؛ جامع الأحاديث: ٤٩٠/٦، ح ٢٠١٥٤.

٤. نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٢١٧/١؛ المعجم الأوسط: ١٢٣/٥، ح ٤٨٥٤؛ كنز العمال: ١١٣/٤، ح ١٠٤٤١.

٥. في الفائق في غريب الحديث: ٨٥/٤: «الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ، أَي مَذْنِبٌ تَائِبٌ، شَبَّهَ بِهِ يَسَى تَوْبِهِ فَيَرْقَعُهُ، وَالْمَرَادُ بِالْوَاهِي ذُو الْوَهْيِ فِي تَوْبِهِ».

٦. غريب الحديث للحري: ١٠٣/٣؛ المعجم الأوسط: ٢٤٣/٢، ح ١٨٦٧؛ كنز العمال: ٨٦/١، ح ٦٩١.

الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ

يعني: كونوا مع جماعة الحقّ ترحموا، ولا تفارقوهم فإنّ في مفارقتهم عذاباً.
وقيل: أراد بالجماعة اجتماع المسلمين على شيء، وبالفرقة اختلافهم فيه.
و«الجماعة» بمعنى الاجتماع، و«الفرقة» بمعنى الافتراق. والمعنى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، يعني: الجماعة علامة الرحمة وسببها، والفرقة علامة العذاب أو سببه.

وقيل: المراد اجتماع المسلمين على كلمة واحدة وعلى رأي واحد سبب الرحمة، وافتراقهم واختلاف كلمتهم سبب العذاب وعلامته؛ لأنّ ذلك إنّما يكون بتوفيق من الله ولطفه، وإذا تفرقت جماعتهم واختلف كلمتهم وآراؤهم تنازعوا وتخالفوا، ولم يستقيم لهم أمر؛ وهذا إنّما يكون بمعنى اتفاق الآراء في الحروب والخروج إلى العدو؛ فسبب الرحمة الموافقة والمطابقة، وسبب العذاب المفارقة.

الْأَمَانَةُ غَنَى

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ معناه: كونوا أهل الأمانة لا الخيانة، فإنّ الأمانة ذريعة للغنى ومظنة لكثرة البيع والشراء؛ لأنّ الأمانة بعينها غنى.
وتحقيقها: الأمانة سبب الغنى على حذف المضاف، فإنّ من عُرف بالأمانة يرغب في معاملته، فقال: الأمانة هي عين الغنى، على سبيل المبالغة.

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ أي: انصحووا للخلق، فإنّ قوة الدين نصيحتهم.
والأصل في «النصيحة» التلقيق بين الناس من النصح وهو الخياطة.

وروي: لما قال ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قِيلَ: لِمَنْ [يَا رَسُولَ اللَّهِ]؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأُمَّةِ وَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

فأما النصيحة لله فأداء طاعته واجتناب معاصيه وإخلاص العمل، ونصيحة الرسول الاقتداء بأفعاله وأقواله والاستئذان بسننه، قال الله تعالى: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا»^(٢)، وأما نصيحة الأئمة فهي أن تطيعوهم في كل طاعة وصلاح، وأما نصيحة العامة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة عليهم والدعاء لهم وكف الأذى وأن تحب لهم ما تحب لنفسك.

وقال جرير بن عبد الله: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٣).

والمراد بالدين هنا ملة الإسلام؛ والنصيحة إخلاص القول والنية للخير، وهو الإصلاح أيضاً، ومنه الناصح للخطيأ.

الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرْمُ التَّقْوَى

يَبْنِي الْجَبَرُ يَقُولُ: لا تفاخروا بالمال والنسب الشريف، فَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقِيَكُمْ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ ذَا مَالٍ فِي الدُّنْيَا يُضَافُ إِلَيْهِ الْكِبَرُ وَالْعِظَمَةُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَبِيراً فِي نَفْسِهِ وَأَصْلِهِ؛ وَالْكَرْمُ لَا يَحْصُلُ فِي الْمَرْءِ إِلَّا إِذَا كَانَ حَذِراً عَنِ الشَّبَهَاتِ مُجَانِباً عَنِ الْمَحْظُورَاتِ.

و«الحسب»: ما يحسبه الرجل من مفاخره، ويستعمل في النسب لهذا المعنى.

١. مسند الحميدي: ٣٦٩/٢، ح ٨٣٧؛ الأمثال لابن سلام: ٣٤؛ مسند أحمد: ١٠٢/٤؛ وكذا راجع: روضة الواعظين: ٤٢٢٤.

٢. النور: ٥٤.

٣. المعجم الكبير: ٣٥٠/٢، ح ٢٤٧٢؛ الكامل في ضعفاء الرجال: ١٦٣/٢.

ولما غزا عليه السلام بني هوازن، وغنم أموالهم وأولادهم ونساءهم، وفدوا عليه عليه السلام، وكلموا في السبي، فخيرهم بين المال والسبي، فقالوا: أما إذا خيرتنا فإننا لا نختار على المحسب شيئاً؛ فردّ عليهم النساء والصبيان.^(١) فكأنهم قالوا: لا نؤثر المال، وأنا لو اخترنا المال لبطل حسبنا.

و«الكرم» مجمع المفاخر؛ و«التقوى»: اتقاء معاصي الله واتقاء عقابه، و«التناء» فيه بدل من الواو.

وسئل علي عليه السلام عن التقوى، فقال: «هو أن لو وضع عملك على طبق ولم يجعل عليه غطاء وطيف به على أهل الدنيا لما كان فيه شيء يستحي منه»^(٢).

وجعل المبتدأ والخبر معرفتين في الخبرين، فيه سرٌّ؛ وهو أنه يستفاد من موضوع هذا النظم الإثبات والنفي، فكأنه قصد إلى أن يجعل الدين النصيحة والحسب المال لا غير، على طريق المبالغة، فكأن قد جعل الدين بأسره النصيحة، كما تقول: زيد الرجل، يعني هو عين الرجل وكلّ الرجل، حتى كأنه لا رجل غيره، وكذا الخبران، يعني لا حسب إلا المال؛ ولو أدخل «هو» الذي يسمّى «الفصل» لكان أوضح، تقول: زيد هو الرجل.

الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لِحَاجَةٍ

بيان الخبر يريد: عود نفسك فعل الخير؛ فإن الإنسان إذا اعتاد فعل الخير وواظب عليه وفقه الله، وزاد في لطفه حتى استمرّ على الخير، فيصير عادةً له وسجيةً؛ وليس الشرّ كذلك، فإنه إذا كان شريعاً فذلك من سوء اختياره ولجاجة طبعه وغرور الشيطان؛

١. راجع: مصنف عبد الرزاق: ٣٨١/٥؛ جامع الأحاديث: ٢٧١/١٧.

٢. راجع: نهج السعادة: ٥٨/٧؛ وكذا راجع: تفسير الثعلبي: ١٤٤/١.

فجعل الخير عادةً، لعود الناس إليه وحرصها عليه إذا ألفت له لطيب ثمره وحسن أثره؛ وجعل الشرّ لجاجة، لما فيه من الاعوجاج ولاجتواء^(١) العقل إتياء. واشتقاق العادة من العود، واللجاج من لجة البحر؛ لأنّ من وقع فيه تحيّر.

السَّاحُ رَبَّاحٌ وَالْعُسْرُ سُومٌ

يُنَازِلُ الْخَبِيرَ أَي سَاحَوا وتسهّلوا في كلّ أمر تربّجوا، ولا تضيقوا في حال فهو سُوم يرجع إلى صاحبه.

و«الساح»: سهولة الخلق، فعناه: إذا كان الرجل سهل الجانب يساح الناس ويقاربهم كثير معاملوه، فيكثر ربحه؛ وإذا كان عسر الخلق نفروا عنه. «ودخل «أبو العيناء»^(٢) السوق، فقال لبعض أهلها: تعال، أقاربك، فقال: إن لم تقاربني باعدتك»^(٣). والزّباح بفتح الراء الريح، وبكسرهما مصدر زَابَعَ مُرَابَجَةً ورَبَاحاً.

الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ

يُنَازِلُ الْخَبِيرَ يَقُول: لا تثقوا بكلّ أحد، واحتاطوا بالحذر من الناس؛ فإنّه أسلم لكم؛ وكذلك يجب على العاقل أن يسيئ الظنّ بجميع أحوال نفسه، فإن عزم على ارتكاب فاحشة وأحسن ظنّه بأنّ عمره طويلاً وهو يتوب بعد ذلك، فليس هذا بحزم وكياسة؛

١. كراهة.

٢. هو محمّد بن القاسم بن خلاد، كان قصيحاً بليغاً حاضر الجواب سريع الإجابة شاعراً، توفي سنة نيف وثمانين ومائتين، وله من الكتب كتاب أخبار أبي العيناء؛ راجع: الفهرست (لمحمّد بن إسحاق)؛ ١٨١؛ سير أعلام النبلاء: ٣٠٨/١٣؛ الأعلام: ٣٣٤/٦؛ وفيات الأعيان: ٣٤٤/٤.

٣. راجع: أنساب الأشراف: ١٩٥/٣؛ التذكرة الحمدونية: ٣٣٢/٢.

وربما يخترم^(١) دون ذلك، وإننا الحزامة والاحتياط إساءة الظنون بعمره، ويقول: أموت فيما بين الأمر ولا أعيش إلى أن أتوب؛ والسارق لو أساء ظنه لم يقطع يمينه.
ولا شك أن الإنسان إذا كان سيئ الظن محتاط في الأمور، ولا يتكل إلى أحد ولا يثق به، بل يستوثق ويعمل الاحتياط من الشد والإغلاق والختم والتقيط؛ وإذا كان حسن الظن يعتمد على كل أحد يكون، فربما يكون على خلافه، ومن اتهم نفسه يتدبر في الأمور ويتأني.

وقيل: علامات الحمق ثلاثة: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثقة بكل أحد.^(٢)
وكان فيما مضى من الزمان حسن الظن من حسن العبادة، فأما في زماننا هذا فإن كل من أحسن الظن بأبناء الزمان أوقع نفسه في التلف والخسران.
و«الحزم»: الاحتياط، و«الحذر» أصله الجمع والشد، ومنه الحزمة من الخطب، وحزام الدابة، والحازم: الجامع الرأي السديدة.
وروي: «الحزم سوء الظن بالناس، وحسن الظن ورطة»^(٣).

الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَحَبَّةٌ مَحَزَنَةٌ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يعني: احتط لنفسك واستيقظ إذا كان لك أولاد، فإنهم يحملون الآباء على البخل بالمال والفرار من القتال والتأخر عن الحج، ويدعون إلى الحزن لفرح قلوبهم بجمع حطام الدنيا؛ فهم مواضع البخل والجبن والحزن؛ فإن أب الأولاد يبخل فلا يعطي شيئاً من الزكاة خوفاً عليهم من الفقر، ولا يرغب في الحج والجهاد خوفاً من

١. أهلك.

٢. راجع: الأمالي (للسيد المرتضى): ١٩٨/١؛ نثر الدرر: ١٣٥/٤؛ وفي معدن الجواهر: ٢٦ عن

المعصوم (عليه السلام): «لن يعدم الأحمق خلتين: كثرة الالتفات وسرعة الجواب».

٣. راجع: العقد الفريد: ٢٧١/١؛ مجمع الأمثال: ٢١٤/١؛ التنكرة الحمدوتية: ٤٠٩/٧.

ضياعهم، ويحزن طول الأيام إن جاعوا وإن عطشوا وإن عروا ومرضوا.
وروت خولة بنت حكيم: «إن رسول الله ﷺ خرج وهو مُحْتَضَنٌ^(١) حسناً وحسيناً، وهو يقول: «أَنْتُمْ^(٢) تُحَبِّتُونَ وَتُجْهَلُونَ وَتُبْخِلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ»^(٣)، يعني يدعون آباءكم على الجبن والبخل.
وقيل: المفعلة مدعاة إلى فعله، ويجوز أن يكون مصدراً كالمعدلة على تقدير حذف المضاف أي هم سبب البخل والجبن، ويجوز أن يكون بمعنى الموضع أي هم موضع البخل والجبن.
و«الولد» لفظ يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهو فَعَلٌ بمعنى المفعول، ويجمع أيضاً «أولاداً» و«وُلْدَاناً».



الْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ينهى عن قول الفحش وأن يكون الإنسان شتاماً لقائماً، فَإِنْ تَكَلَّمَ الْفَحْشُ فِي اللِّسَانِ نوع من الجفاء، والجفاء خلاف البر، وقبيح القول مع الناس يكون جفاء، وإن كان محسناً إليهم.

وقيل: معناه: لا تعمل سيئاً، ولا تتكلم بقبيح، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجَفَاءِ الذي يبعد العبد من الله تعالى.

وتام الخبر: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي

١. كذا في ص، وفي خ: محتضن.

٢. في المصادر: إنكم.

٣. المجازات النبوية: ٦٢، مناقب آل أبي طالب (ع): ١٥٤/٣؛ مسند الحميدي: ١/١٦٠، ح ٣٣٤؛ مسند أحمد: ٤/٦، ح ٢٧٣٥٥؛ غريب الحديث (لابن قتيبة): ٤٠٧/١.

النَّارِ»^(١).

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاجِرَ الْبَذِيَّ»^(٢)، «لَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا سَوْءًا»^(٣).

و«البذاء»: خبث اللسان، و«فلان بذى اللسان» إذا كان مؤذياً سبباً؛ و«الجفاء»: النبو والارتفاع.

وقال النبي ﷺ لعلِّي [وفاطمة] والحسن والحسين عليهما السلام: «كَيْفَ بِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرَعَى وَقُبُورُكُمْ شَتَّى»^(٤). ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَلَا تَحْجَفُونَا، فَقَدْ جُفِينَا أَحْيَاءَ وَلَا تَحْجَفُونَا أَمْوَاتًا.^(٥)

الْقُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ يَقُولُ: إِذَا كُنْتُمْ مَذْنُبِينَ أَوْ جَاهِلِينَ فَارْجِعُوا إِلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ وَأُأَمِّرُهُ وَتَدَبَّرُوهَا، فَإِنَّهُ دَوَاءٌ أَكْبَرُ الْأَدْوَاءِ الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ وَمَا دُونَهُ.

١. الجامع في الحديث: ٥٧١/٢، ح ٤٦٨؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٢١٣/٥، ح ٢٥٣٤٥؛ كنز العمال: ٥٢/٣، ح ٥٧٦٤؛ وكذا عن أبي عبد الله عليه السلام راجع: كتاب الزهد: ٧-٦، الكافي: ٣٢٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب البذاء، ح ٩.

٢. لم أقف عليه.

٣. عن رسول الله ﷺ الجامع في الحديث: ٤٩٨/٢، ح ٣٨٣، المعجم الأوسط: ١٠٧/١، ح ٣٣١.

٤. في المصادر: إذا.

٥. الإرشاد: ١٣١/٢؛ الخرائج والجوارح: ٤٩١/٢؛ بحار الأنوار: ١٢٠/١٨، باب ١١، ح ٣٤.

٦. لم أجده بهذا النص، نعم في تمام الحديث أشار إلى هذا المعنى، وهو: «فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: أُنْمِثْتُ مَوْتًا أَوْ نُقْتَلُ قَتْلًا؟ فَقَالَ: بَلْ تُقْتَلُ يَا بَنِي! ظَلَمًا، وَيُقْتَلُ أَخُوكَ ظَلَمًا، وَيُقْتَلُ أَبُوكَ ظَلَمًا، وَتُشْرَدُ ذُرَارِيكُمْ فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: وَمَنْ يَقْتُلُنَا؟ قَالَ: سِرَارُ النَّاسِ. قَالَ: فَهَلْ يَزُورُنَا أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُرِيدُونَ بِرِيزَانَتِكُمْ بِرِي وَصِلَتِي، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جِئْتُهُمْ وَأَخْلَصْتُهُمْ مِنْ أَهْوَالِهِ».

٣٠ ضياء الشهاب

وقيل: معناه: إذا كان بأحدكم داء لا دواء فعليكم بكتاب الله فإنه شفاء.
قال الله تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^(١). وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ»^(٢).

والقرآن دواء للعالم شفاء للخاص، إشارة إلى العينين.
وقال عليه السلام: «فاتحة الكتاب الشافية الكافية»^(٣)، «فاتحة الكتاب شفاء من كلِّ سَمٍّ»^(٤)، «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»^(٥)، «من لم يشفه الحمد فلا شفاه الله»^(٦).

وعن أبي سعيد الخدري: «كُنَّا فِي رُفْقِهِ فَمَرَرْنَا بِحَيٍّ، فَقَالُوا لَنَا: إِنَّ فَتًى مَّنَّا قَدْ صَرَعَ وَجَنًّا، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ دَوَاءٍ لَهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ مَصْرُوعٌ، فَجَعَلَ أَحَدُنَا يَقْرَأُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، فَقَامَ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا أُنْشِطَ مِنْ عَقَالٍ فَأَعْطَوْنَا طَعَامًا فَقُلْنَا: لَا نَأْكُلُ طَعَامًا حَتَّى نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَحِلُّ لَنَا، فَسَأَلَهُ أَحَدُنَا، فَقَالَ: نَعَمْ، مَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ

١. الإسراء: ٨٢.

٢. يونس: ٥٧.

٣. لم أجده نصه؛ نعم ورد الصفة الأولى في الحديث الآتي، وأشار إلى الصفة الثانية قوله عليه السلام: «أَمَّ الْقُرْآنَ عَوْضٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَيْسَ غَيْرُهَا عَوْضٌ عَنْهَا»؛ راجع: تفسير غرائب القرآن ١/٨٣؛ وأيضاً في رواية أخرى أشار إلى أنَّ قراءة الفاتحة تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها؛ راجع: تفسير الثعلبي: ١/١٢٨؛ تفسير الثعالبي: ١/١٢٨.

٤. تفسير الثعلبي: ١/١٢٨؛ جامع الأصول: ٧/٥٤١؛ التفسير الرازي: ١/١٤٧.

٥. مكارم الأخلاق (للطبري): ٣٦٣؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٨٩، باب ١٨، ح ١؛ تفسير الثعلبي: ٦/١٢٩؛ الكشف: ٢/٦٤٤؛ جامع الأحاديث: ٧/٢٣٨، ح ٢٣٠٨٢.

٦. بحار الأنوار: ٥٩/٧٥؛ وفي سائر المصادر: «من لم يشفه القرآن...»، راجع: طب الأئمة: ٤٨؛ معرفة الصحابة: ٢/١١٢٧؛ كنز العمال: ٥/١٠، ح ٢٨١٠٤.

بَاطِلٍ فَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٍ حَقٍّ»^(١).

وشكا رجل إلى الصادق عليه السلام الحمى، فقال: «اقرأ إذا أصبحت قبل أن تكلم أحداً فاتحة الكتاب سبع مرّات، فإن لم تشف فاجعلها سبعين مرّةً، وأنا ضامن بالشفاء، إلا يكون حتى الموت»^(٢).

الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ

يَبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ معناه: ادعوا الله في الشدة والرخاء، واستغيثوا به، واستغيثوا بإظهار التذلل له، فهو رأس العبوديّة. وقال تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(٣)، ومورده مورد الخبر الذي قبله، كأنه عليه السلام جعل الدعا أصل العبادة، أو العبادة نفسها، قال الله تعالى: «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»^(٤)، أي اعبدوا الله، وما من عبادة بعد الفرائض وقراءة القرآن أفضل من الدعاء.

وروي: «أن الرجل إذا صلى ركعتين ولم يسأل الله، قال الله تعالى للملائكة: كان عبدي استغنى عني، وإذا دعا لنفسه خاصّة يقول الله: يا ملائكتي! يظنّ عبدي أنه يسأل بخيلاً، وإذا دعا لنفسه وللمؤمنين قالت الملائكة: بدا الله بك فمن حقك إن تدعو

١. فضائل القرآن (للحاسم بن سلام): ٣٧٠/١؛ سنن أبي داود: ١٤/٤، ح ٣٩٠٠؛ وكذا عن الشعبي، راجع:

مسند أحمد: ٢١١/٥، ح ٢١٨٨٥.

٢. نقله مضموناً، ونصّه: «مَنْ نَالَتْهُ عِلَّةٌ فَلْيَقْرَأْ فِي جَنِّهِ الْمُتَمَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ ذَهَبَتِ الْعِلَّةُ؛ وَإِلَّا فَلْيَقْرَأْهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ الْعَافِيَةَ»؛ راجع: الأمالي (للطوسي): ٢٨٥، ح ٥٥٣؛ بحار الأنوار: ٢٣١/٨٩.

باب ٢٩، ح ١٣؛ الدعوات: ١٨٩.

٣. غافر: ٦٠.

٤. غافر: ١٤.

للمؤمنين، تدعو لك الملائكة، فإن دعائهم أقرب إلى الإجابة من دعائك»^(١).
و«الدعاء» أصله النداء أو الصياح، يقال: دعوته ودعوت به إذا ناديته وصحت به،
ودعوت له بالخير، وعليه بالشر.

و«العبادة» والتعبّد: التذلل، من قولهم: طريق معبّد موطوء بالأقدام^(٢). و«هو» هذه
يسمى فصلاً بين الصفة والخبر، فإنك إذا سمعت من يقول: زيد المنطلق، تجوز أن
يكون المنطلق صفة لزيد وتنتظر الخبر، فإذا قال: زيد هو المنطلق، علمت أنه خبر
لدخول الفاصلة.

الدِّينُ شَيْنُ الدِّينِ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ يَنْهَى عَنِ أَخْذَ الدِّينِ فَإِنَّهُ عَيْبُ الْإِسْلَامِ وَعَيْبُهُ^(٣)، لَأَنَّ لَصَاحِبَ الدِّينِ
أَنْ يَحْبِسَهُ وَيَمْنَعَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالْخَيْرَاتِ، وَرَبَّمَا يَكْذِبُ خَوْفًا مِنَ الْغَرِيمِ؛ وَفِيهِ تَحْذِيرٌ عَنِ
الْمَظَالِمِ.

وَقَالَ عَنِ : «مَا مِنْ خَطِيئَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ الْكِبَائِرِ مِنْ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ وَعَلَيْهِ
دِينٌ لَا يَوْجَدُ لَهُ قَضَاءٌ»^(٤).

١. لم يوجد بهذا النصّ في المصادر، لكن نقل في (بحار الأنوار: ٣٢٥/٨٢، باب ٣٦، ح ١٨) عن اختيار ابن
الباقي نصّه كذا: «رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا فَرَّغَ الْعَبْدُ مِنَ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ، يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي، فَقَدْ أَدَّى فَرِيضَتِي وَلَمْ يَسْأَلْ حَاجَتَهُ مِنِّي، كَأَنَّهُ قَدْ اسْتَعْنَى عَنِّي؛ خُذُوا
صَلَاتَهُ فَاضْرِبُوا بِهَا وَجْهَهُ»؛ وكذا راجع: تفسير أبي الفتوح الرازي: ٢٤١/٥؛ جامع أحاديث الشيعة:
٣٠٢/١٥، ح ٩٩٠.

٢. راجع: قوت القلوب: ٥١/٢؛ تفسير التعلبي: ١١٧/١.

٣. كذا في خ.

٤. مستدرک الوسائل: ٣٩٥/١٣، ح ١٥٧٠٤؛ مسند أحمد: ٣٩٢/٤، ح ٩٥١٣؛ جامع الأحاديث: ٢١٦/٢،
ح ٤٩٤٥.

ومات صحابيٍّ وعليه دين ثلاثة دراهم أو خمسة، فلم يصلَّ عليه النبي ﷺ حتى ضمن ذلك بعض الصحابة.^(١)

وقال: «الدينُ رَايَةُ الله في الأرض، فإذا أراد أن يذلَّ عبده ابتلاه بالدين»^(٢).
و«الدين» ما للرجل على غيره. و«الشين»: العار.
وأنشد^(٣):

أكثر من الدرهم والعين كما تعش حرّاً من الدين
فقوة العين بإنسانها وقوة الإنسان بالعين

التَّذْيِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ

يُنَادِي الْجَبَرُ يَقُولُ: احسن التدبير في عواقب الأمر، ولا تسرف النفقة، وراع القصد؛ فإنَّ من دبر فيما يكتسبه وينفقه، وجانب الإسراف والتقصير، فهو يحتاج إلى نصف ما ينفق من لم يفعل ذلك. والإفراط والتفريط مذمومان في جميع الأشياء و«خير الأمور أوساطها»^(٤).

١. راجع: الكافي: ٩٣/٥، كتاب المعيشة: باب الدين، ح ٢؛ علل الشرايع: ٥٩٠/٢، باب ٣٨٥، ح ٣٧.
٢. علل الشرايع: ٥٢٩/٢، باب ٣١٣، ح ١٠؛ المستدرک علی الصحیحین: ٢٩/٢، ح ٢٢١٠؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٢٧/٢.
٣. راجع: يتيمة الدهر: ٣٨٢/٤؛ نصّ البيتین فی المصدر کذا:

«أشفق على الدرهم والعين تسلم من العينة والدين
فقوة العين بإنسانها وقوة الإنسان بالعين»؛

البيتین لأبي الفتح البستيّ وهو عليّ بن محمّد بن الحسين بن يوسف البستيّ، توفّي في ٤٠٠ هـ، وله ديوان شعر صغير؛ راجع: وفيات الأعيان: ٣٧٦/٣، الوافي بالوفيات: ١٠٥/٢٢.

٤. راجع: البيان والتبيين: ١٤٠؛ العقد الفريد: ١٩٩/١؛ مروج الذهب: ٢٨٧/١ - ٢٨٨؛ الفائق: ٢١١/٢؛ والظاهر في بعض المصادر أوّل من قاله هو المطرّف لابنه لما اجتهد في العبادة.

٣٤ ضياء الشهاب

وليس المراد بالنصف هاهنا التحديد والتقدير، وإنما معناه: فإن التدبير حفظاً وافر في معيشته، وأراد بـ«العيش» المعيشة.

التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ يقول: تودّدوا وتحبّبوا إلى الناس وتكلّموا معهم بطلاقة الوجه، فإنه علامة لكمال العقل، ومن تحبّب إلى الناس فيما يعاشرهم ويعاملهم بها يودّونه كان كمن استعمل أوفر علوم عقله، ومن قضية العقل أن يكتسب المرء الأصدقاء والإخوان ما استطاع ليكونوا عوناً على نوائب الدهر.

و«التودّد» تفعل من الودّ، وفي هذا البناء نوع من التكلف كالتصنّع والتخلّق؛ وأدنى ما يورثه التودّد الثناء الحسن.

قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ هذا إشارة إلى قوله تعالى: «وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(١)، وذلك أن من قلّ عياله وأهله قلّ إنفاقه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه من يكثر عياله في النفقة، فيبقى ذات يده في يده، وذلك أحد يساريه، وهما: كثرة المال وقلة المخرج لقلة العيال.

بيانه: أن كثرة العيال أحد الفقيرين. وفيه حثّ على العزلة والعزوبة في آخر الزمان. و«اليسار»: اليسر، وهو عبارة عن كثرة المال وحسن الحال.

الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ يَقُولُ: لَا تَهْتَمُّ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مِنْ كَثَرِ غَمِّهِ يَسْرِعُ الشَّيْبُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشَيْبَ أَقْرَانَهُ بِنِصْفِ تِلْكَ الْمُدَّةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخْوَأَتْهَا، قِيلَ: وَمَا شَيَّبَكَ مِنْهَا؟ قَالَ: قَوْلُهُ: «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ»^(١). فَإِنَّهُ كَانَ يَهْتَمُّ هَلْ يَسْتَقِمُّ أَمَّتَهُ كَمَا أَمَرُوا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يَغْلِبَنَّكَ الْهَمُّ، فَتُضْعَفَ عُلُومُكُمْ وَأَبْدَانُكُمْ كَضَعْفِهَا فَيَمُنُ بِصِيرِ هَرَمًا.

و«الْهَمُّ» وَالْغَمُّ وَاحِدٌ مَعْنَى وَبْنَاءٌ، وَكَأَنَّ بَدَلَ مِنَ الْغَيْنِ، فَإِنَّهُمَا مِنَ الْحَلْقِ، كـ «المدح» و«المدد».



حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ يَرِيدُ: اطْلُبُوا الْحَقَّ وَاتَّمَسُّوا بَيَانَ الشَّرْعِ وَاسْأَلُوا عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَإِنَّ إِبَانَتَهَا يَتَحَصَّلُ لَكُمْ مِنْ طَرِيقِ السُّؤَالِ، وَمَنْ يَعْرِفْهُ يَصِيرُ عَارِفًا بِجَوَابِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَحْسَنِ السُّؤَالِ وَأَتَقْنَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ أَجْنَبِيٍّ مِنْ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، فَإِذَا أَجِيبَ عَنْهَا أَسْرَعَ ذَلِكَ إِلَى فَهْمِهِ، فَكَأَنَّهُ عِلْمُ نِصْفِ الْجَوَابِ.

وَأَرَادَ بِالسُّؤَالِ مَسْأَلَةَ الرَّجُلِ لِلِاسْتِفَادَةِ^(٢) لَا لِلتَّعَنُّتِ، وَأَرَادَ بِالْعِلْمِ هُنَا الْعِلْمُ بِجَوَابِ السُّؤَالِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعِلْمُ مَحْزُونٌ وَمِفْتَاحُهُ السُّؤَالُ، فَاسْأَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يُؤْجِرُ فِيهِ

١. راجع: شعب الإيمان: ٤٧٢/٢، ح ٢٤٣٩؛ محاضرات الأدباء: ٤١٥/٢؛ المفردات في غريب القرآن: ١٢٢؛

والآية في: هود: ١١٢.

٢. في: خ: الاستفادة.

أربعة : السائل والمسؤول والمتكلم والمستمع»^(١).

السَّلَامُ قَبْلَ الْكَلَامِ

يَبْنِي الْخَبَرُ يَقُول: إذا أردتم مكالمه إنسان فسلموا عليه أولاً، فإن الكلام بعد التحية من آداب الشرع، ومن فعل ذلك فإن كان له عند المخاطب حاجة كان أقرب إلى إنجازها. قال الله تعالى: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^(٢)، وقال: «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا»^(٣).

وبيانه في الخبر الآخر، وقال عليه السلام: «مَنْ بَدَأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُحِبُّوهُ»^(٤). ومن حسن الأدب إنك إذا دخلت منزلاً وفيه جماعة فيهم عالم أن تعتمهم بالسلام، وتخصه بالتحية^(٥).



١. نصه في المصادر: «الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَالْمَقَاتِيحُ السُّؤَالُ، فَاسْأَلُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يُؤْجِرُ فِي الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ وَالْمُتَكَلِّمُ وَالْمُسْتَمِعُ وَالْمُحِبُّ لَهُمْ» وفي بعضها: «... والجيب لهم»؛ قاله الصادق عليه السلام؛ راجع: الخصال: ٢٤٥؛ روضة الواعظين: ٧؛ بحار الأنوار: ١٩٦/١، باب ٣، ح ١؛ وكذا من طريق أهل البيت عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله؛ راجع: حلية الأولياء: ١٩٢/٣؛ قوت القلوب: ٢٦٤-٢٦٥؛ كنز العمال: ١٠/١٣٣، ح ٢٨٦٦٢.

٢. النور: ٦١.

٣. النور: ٢٧.

٤. الكافي: ٦٤٤/٢، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٢.

٥. أشار إلى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا نصه: «مَنْ حَقَّى الْعَالِمُ أَنْ لَا تُكْثَرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، وَلَا تَسْقِطَ فِي الْجَوَابِ، وَلَا تُلَحَّ إِذَا أَعْرَضَ، وَلَا تَأْخُذَ بِتَوْبِهِ إِذَا كَسِلَ، وَلَا تُشِيرَ إِلَيْهِ بِيَدِكَ، وَلَا تُعِزَّهُ بِعَيْنِكَ، وَلَا تُسَارَّهُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا تَطْلُبَ عَوْرَاتِهِ، وَأَنْ لَا تَقُولَ: قَالَ فَلَانٌ خِلَافَ قَوْلِكَ، وَلَا تُغْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تُغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَأَنْ تُحَفِّظَ لَهُ شَاهِدًا وَغَائِبًا، وَأَنْ تَعْمَ الْقَوْمَ بِالسَّلَامِ وَتُخَصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ...»؛ راجع: الخصال: ٥٠٤؛ الإرشاد: ٢٣١/١؛ بحار الأنوار: ٤٤/٢، باب ١٠، ح ١٢؛ وكذا كنز العمال: ١٠/١٣٤، ح ٢٩٥٢٠.

الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ وتأويله في الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام: «لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَاءَ وَلَا الْعَمَشَاءَ فَإِنَّ اللَّبَنَ يُعْدِي»^(١).

وقيل: معناه: إذا كانت المرضعة تقرب من الفساد وتبعد من السداد فلا تتخذوها ظئراً لأولادكم، فإن رضاعها ولبنها يغيران أخلاقهم، والولد وإن كان أبواه على الاستقامة فإن أرضعه من لها عادة قبيحة يتخلق بأخلاقها دون خلق الأبوين؛ هذا حكم الرضاع من جهة العرف، والطبع يكون كذلك على الأغلب.

وله حكم آخر من الشرع وهو انتشار الحرمة بين الصبي والرضيع وبين من يتقرب إليه من جهة النسب عندنا، حتى تصير المرضعة أم الصبي الرضيع، ويصير الفحل الذي هو صاحب اللبن أباه، وأقرباؤها أقرباؤه.

يدل عليه ما روي من: «أَنَّ عَلِيّاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ لَكَ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ حَمْرَةٌ، فَإِنَّهَا أَجْمَلُ فَتَاةٍ [فِي] قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ حَمْرَةَ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا حَرَّمَ مِنَ النَّسَبِ»^(٢).

وصفة الرضاع المحرم: خمس عشرة رضة متوالية لا يفصل بينها برضاع امرأة أخرى، أو يكون بمحد أنبت اللحم وسد العظم على الولاء أيضاً، أو رضاع يوم [و]ليلة لا يتخللها رضاع امرأة أخرى، فإذا ارتضع عشر رضعات يكره التناكح بينها. وحدّ الرضعة ما يرويه دون المصّة. يدل عليه قوله عليه السلام: «الرضاع من المجاعة»^(٣).

١. عيون أخبار اللرضا عليه السلام: ٣٧/١، باب ٣١، ح ٦٧؛ بحار الأنوار: ٣٢٣/١٠٠، باب ١١، ح ١٣؛ وامرأة عمشاء، أي: لا تزال عينها تسيل ولا تكاد تبصر بها.

٢. عوالي اللئالي: ٣٢٣/٣؛ مسند الشافعي: ٣٠٦؛ وكذا راجع: من لا يحضره الفقيه: ٤١١/٣، ح ٤٤٣٦.

٣. في المصادر الحديثية: الرضاعة؛ راجع: مسند الطيالسي: ٢٠٠، ح ١٤١٢؛ مسند الشهاب: ١٩٨/٢، ح ١١٧٦؛ كنز العمال: ١١٥/٦، ح ١٥٦٥٩.

أي ما سدّ الجوع. والمعنى: أنّ الرضاع إنّما يعتبر إذا لم يشبع الرضع إلا اللبن وذلك في الحولين، فأما رضاع من يشبعه الطعام فلا.
وقوله: «لَا تُحَرِّمُ الْمُصَّةُ وَلَا الْمُصَّتَانِ وَلَا الرَّضْعَةُ وَلَا الرَّضْعَتَانِ»^(١).

الْبَرَكَةُ مَعَ أَكْبَارِكُمْ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَي: عَظَّمُوا أَكْبَارَ السَّنِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَكْبَارَ الْحَالِ، فَإِنَّ مَعَ مَشَائِخِهِمُ التَّمَاءَ وَالزِّيَادَةَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَبِاتْقَرِاضِهِمْ ذَهَابَ الْبَرَكَةُ.
وفي الحديث: وَقَرُّوا شَبُوحَكُمْ فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَهُمْ.^(٢)

و«البركة»: الثبات والبقاء، واشتقاقها من «بروك البعير». و«الأكابر» جمع أكبر أفعل للتفضيل، ولو كان جمع كبير القدر كثير المال لكان «مع كبرائكم»^(٣)، أراد مع شيوخكم. والكاف خطاب للمؤمنين.
وروى النصحي^(٤): أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْبَرَكَةُ مَعَ عِلْمَانِكُمْ.^(٥)

١. مختصر المزني: ٢٢٧؛ مسند الشافعي: ٣٠٧؛ المعجم الكبير: ٢٣/٢٥، ح ٣٠؛ جامع الأحاديث: ٢٠٤/٨، ح ٢٥٤٦٧.

٢. في المصادر: «وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ»؛ راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٦٥/٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٧/٩٣، باب ٧٦، ح ٢٥.

٣. البركة مع كبرائكم.

٤. كذا في خ.

٥. روي في الفردوس بمأثور الخطاب: ٣١/٢، ح ٢١٩٣: «البركة مع أكابرهم أهل العلم»؛ وأيضاً شرح أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري في بحر الفوائد: ١٠٠، قال - بعد ذكر الحديث - : «وقد أمر بتوقيرهم بقوله: «من لم يوقر كبيرنا فليس منا». ويجوز أن يريد بقوله: «جالس الكبراء» أي: الكبراء في الحال، ومن له رتبة في الدين، ومنزلة عند الله، وإن لم يكن كبير في السن، والكبير في الحال هو جميع علم الورثة إلى علم الدراسة»؛ وكذا راجع: التدوين في أخبار قزوين: ١٠٩/٤؛ وكنز العمال: ٧٦/١٠، ح ٢٨٩٠٥.

مَلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ معناه: إذا ابتدأت بعمل صالح وفعل خير فاجتهد أن تتمه، فلم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام.

و«ملاك الأمر» قوامه وما يملك به، أي يشتد، من «ملكت العجين» إذا شددته.
و«الخواتم» جمع خاتم، وهو ما يختم به الشيء. أراد عواقبه وأواخره؛ لأن الشيء إنما يختم في آخره عند الفراغ منه بتمامه. ومنه: «الأمور بخواتيمها»^(١).

كَرَمُ الْكِتَابِ خَتْمُهُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ فشرف كتابك إليه بوضع الختم عليه لئلا يطلع فيه أحد، ولا يفسد الحال المودعة فيه، وإن الكتاب إذا ختم دل على أن فيه شيئاً من المهمات العظام والأمور الكبار، وإذا لم يختم يرى أنه لا شيء فيه مما يعتنى به، وإذا كان فيه سر فلا ينكتم عليه. فسر قوله: «أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ»^(٢) أي مختوم.

وكان فيما مضى يختم الكتاب بالطين أو يشد عليه سحاً وهو خيط، ثم ترك ذلك إلى الإلصاق.

وقيل: معناه: إذا قرأت القرآن فإن إكرامه أن تختمه وتقرأه إلى آخره؛ والعموم يتناولهما، وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون المراد بالكتاب الجنس، أعني كل كتاب علم.

مَلَاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يقول: إذا كنت متديناً فزِن نفسك بالورع، فالإنسان إذا اتقى محارم الشرع

١. شرح كتاب السير الكبير: ٢٢٦/١.

٢. النمل: ٢٩.

٤٠ ضياء الشهاب

والعقل وترك الواجبات فقد أتى بكل ما يجب عليه في الدين، والمرجع بهذه اللفظة إلى الترك و«أتى»^(١) على أن الترك فعل الورع: الكف عن المعاصي.
و«الملاك»: القوام وما يستمسك به الشيء، لأن الملك في اللغة الشدة.

خَشْيَةُ اللَّهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ

يُنَازِلُ الْجَبَرُ أَي: خَفَّ عقاب الله بترك معاصيه، فإن الخوف من عقوبة الله أصل العلوم، والحكيم إذا رأى مضرّة صغيرة دفعها عن نفسه بمقتضى حكمته.
و«الحكمة» مصدر «حكم» فهو حكيم، والحكيم المحكم لأفعاله، كالأليم بمعنى المؤلم.

وقيل: الحكيم العالم بدقائق الأمور، وأصله من حكمة اللجام. ولأن خوف عقابه تعالى يمنع من ارتكاب المعاصي وترك الواجبات.
وقيل: المراد بالخشية ههنا العلم بثواب الله وعقابه إلى كلّ علم.
وقيل: العلم بالله ابتداء كلّ علم، فلو لم يوجب علينا علوماً شرعيةً لكان الواجب علينا أن نعرفه.

و«الخشية» بمعنى العلم معروفة، قال الله تعالى: «فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا»^(٢)، أي علمنا أنه يؤذيها أذى عظيماً لطغيانه وكفره.

الْوَرَعُ سَيِّدُ الْعَمَلِ

يُنَازِلُ الْجَبَرُ يَقُول: امسكوا عن المحرمات والمحظورات، وكفوا عن الشبهات والشهوات، فإن

١. في خ: والتقى.

٢. الكهف: ٨٠.

الثواب على ترك المناهي أعظم من الثواب على الأوامر، فكأنَّ الورع الذي هو الكفُّ عن السيئات سيّد الأعمال؛ و«اللام» في العمل تعريف الجنس؛ وإذا رضى السيّد فالرعيّة تابعة له.

مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَمَسْأَلَةُ الْغَنِيِّ نَارٌ

يَا أَيُّهَا الْجَبَرُ يعني: إذا كان لأحد عليك دين حال أو مؤجل وقد حضر وقته وكنت قادراً على قضاؤه وهو يطالبك به فإن دافعته من اليوم إلى غدٍ كنت ظالماً، وإذا كنت غنياً غير محتاج وتطلب من الناس شيئاً وتسألهم مالاً لتكثر أموالك فكلّ ما تجتمع عندك بالسؤال فهو نار جهنّم، وذلك السؤال سبب النار.

وقيل: في الخبر دلالة أنّ من ليس بواجب للوفاء بقضاء الدين لم يكن ظالماً، وإن كان مطل الغنيّ عدولاً عن الحقّ، وإنّ المسألة وإن حرمت من جانب الغنيّ فغير حرام من جانب الفقير في أمر لا بدّ منه.

و«المطل» مدافعة الرجل غريمه من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر، و«الظلم» في اللغة النقصان من قوله: «أَتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً»^(١).

وقولهم: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فهو استعارة؛ وفي اصطلاح المتكلّمين هو: كلّ ضرر يوصل إلى أحد عارٍ من كلّ منفعة، أو دفع مضرة معلومة أو مظنونة عاجل أو آجل، ولا يكون مستحقاً ولا على سبيل المدافعة ولا يكون في الحكم كافّة من فعل المضرور أو من جهة غير فاعل الضرر؛ واحتراز بكلّ واحد من هذه الشروط من نقض على الحدّ؛ فقوله: «ظلم» يطرد في الطرفين - أعني طرفي الغريم وصاحب المال -، لأنّ الماثل الغنيّ يظلم صاحب المال بإصراره من احتباس حقّه ويظلم نفسه

من حيث أنه ارتكب معصية بمداغة الغريم مع تمكّنه من أداء حقّه فهو مستحقّ الذمّ والعقاب.

والسؤال محرمّ إلا عند الضرورة إليه، ومن سأل مستغنياً^(١) فهو مستحقّ للذمّ والعقاب؛ والسؤال والمسألة كلاهما مصدر «سأل»، ويستعملان في الاستعطاء والاستعلام حقيقة لا مجازاً.

التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرُهُ

بَيِّنُ الْجَبَرِّ يقول: حدّث بفضل الله عليك نفسك، واثنّ عليه، ولا تستر نعم الله عليك بالكفر والكفران عند أحد؛ فإذا كنت ذاكرًا لنعمائه على كلّ حال فقد أدّيت شكره. وقال تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٢)، ولذلك إذا أنعم عليك مخلوق فاقراء الشاء عليه عند الناس ليكون ذكر إحسانه أداءً لشكره.

وسأل ابن الكوّاء عليّاً عليه السلام عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: عن أيّ الأصحاب تسألني؟ قال: أخبرني عن عبد الله بن مسعود. قال: قرأ القرآن، ثمّ وقف عنده. فقال: أخبرني عن أبي ذر؟ قال: عالم شحيح على علمه، - يعني: لا يعلمه إلا من كان أهله، ولو أراد أنّه كان بخيلاً بعلمه لكان ذمّاً - فقال: أخبرني عن سلمان؟ قال: أدرك علم الأولين والآخرين، وهو بحر لا ينزح، وهو منّا أهل البيت. فقال: أخبرني عن حذيفة بن اليمان؟ قال: كان عرافاً بالمنافقين، وسأل رسول الله ﷺ عن المعضلات وإن سألتهم وجدتموه بها خبيراً. فقال: أخبرني عن عمار بن ياسر؟ قال: خالط الإيمان لحمه ودمه، وهو محرمّ على النار، كيف ما زال زال الحقّ معه. أخبرني عن نفسك؟ قال:

١. في خ: مستغني.

٢. الضحى: ١١.

قال الله تعالى: «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ»^(١)، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى [قال]: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٢)، كُنْتُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرِ خَارِجٍ، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ، وَإِذَا سَكَتُ ابْتَدَيْتُ، وَبَيْنَ جَوَانِحِي عِلْمٌ جَمٌّ. فقال: ما ترك فيك؟ قال: أَلَمْ تَقْرَأْ فِي سُورَةِ هُودٍ: «أَفَنُنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^(٣)، فَرَسُولُ اللَّهِ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَأَنَا أَتْلُوهُ شَاهِدًا لَهُ، وَأَنَا مِنْهُ»^(٤).

اِنْتَظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةً

يَا أَيُّهَا الْخَبِيرُ يقول: إِذَا كُنْتُ فِي مَكْرُوهٍ فَرَأَيْتُ اللَّهَ فِي كَشْفِهِ، فَإِنْ تَرَقَّبَ الْإِنْكَشَافَ وَحَبَسَ النَّفْسَ عَلَى اِحْتِمَالِ الْبَلَاءِ عِبَادَةً وَانْقِيَادَ وَخُضُوعَ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ عِبَادَةً بِكَوْنِكَ مُنْتَظِرًا لَهُ، وَالصَّبْرُ بِاِنْتَظَارِ الْفَرَجِ عَلَى مَكَارِهِ التَّكْلِيفِ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَ«الْفَرَجُ» ذَهَابُ الْغَمِّ، وَ«الصَّبْرُ» حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَ«الْعِبَادَةُ» مِنَ الْعِبَادِيَّةِ.

الصَّوْمُ جُنَّةٌ

يَا أَيُّهَا الْخَبِيرُ يقول: صُومُوا كَثِيرًا، فَإِنَّ الصَّوْمَ وَقَايَةُ مِنَ النَّارِ. يقول: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٥).

١. النجم: ٣٢.

٢. الضحى: ١١.

٣. هود: ١٧.

٤. راجع: المعيار والموازنة: ٣٠٠؛ وكذا راجع: فضائل الصحابة (لابن حنبل): ٦٤٧/٢، ح ١٠٩٩؛ وكذا فقرة الأخيرة منه ورد في: بصائر الدرجات ١٥٣؛ الأمالى (للشيخ المفيد): ١٤٦.

٥. الكافي: ٦٣/٤، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصوم والصائم، ح ٦؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٢٧٢/٢، ح ٨٨٩٣؛ جامع الأحاديث: ٥٨/١٦، ح ٦٩٦٧.

ومن صام كثيراً حافظاً بشرائطه انكسرت شهواته فكأنه وقاية للصائم دون المعاصي؛ لأنه كسر شهوته عنها.

وقال عليه السلام: «الصومُ وَجَاءٌ»^(١)، أي خصاء؛ والصوم يكسر الباه^(٢).

و«الصوم» إمساك لغةً، وهو في الشرع من الأسماء المخصوصة. و«الجنة»: الواسع، وأصل الكلمة الستر، وإِنَّمَا شبه الصوم بالجنة لأنه يحجّ صاحبه من العقاب، كما أَنَّمَا نقي من الطعان والضراب. وللصوم^(٣) مزية على سائر العبادات لأن أثره لا يظهر بقول ولا فعل، وإِنَّمَا هو نية في الجنان مع إمساك، فهو يقع بين الإنسان وبين الله خالصاً.

الزَّعِيمُ غَارِمٌ

بَيَّنَّ النَّبِيُّ يَقُولُ: إِنَّ الضَّامِنَ وَالضَّمِينَ يَغْرَمُ إِذَا ضَمِنَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ الْمَضْمُونِ عَنْهُ، فَأَمَّا إِذَا ضَمِنَ بِأَمْرِهِ لَا يَغْرَمُ وَإِنْ غَرِمَ يَرْجِعُ عَنْهُ؛ وَ«الزَّعَامَةُ»: الْكَفَالَةُ وَ«الغَرَمُ»: مَا يُلْزَمُ أَدَاؤُهُ.

وقيل: معناه: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَفَّلَ الدِّينَ عَنِ الْمَدْيُونِ لِلدَّائِنِ فَلَمْ يَفِ الْمَدْيُونُ أَوْ هَرَبَ أَوْ مَاتَ كَانَ غَارِماً لَهَا صَحَّ لَهُ عَلَيْهِ وَثَبَتْ وَهُوَ غَارِمٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ غَرَامَةٌ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ نَهَى عَنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ لِكِفَالَةِ غَيْرِهِ إِلَّا مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يَغْرَمُ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ تِلْكَ الْمَشَقَّةَ عَنْهُ، فَإِنْ ضَمِنَ كَذَلِكَ وَهُوَ يَرَى أَنَّ الْمَدْيُونِ لَا يُوَقِّعُهُ وَرَطَطَهُ، ثُمَّ يَتَوَارَى أَوْ

١. مسند الحميدي: ٦٣/١، ح ١١٥؛ مسند أحمد: ٤٢٤/١، ح ٤٠٢٣؛ كنز العمال: ٤٨٨/١٦، ح ٤٥٥٩٢؛ ونصّه في المصادر: «... قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَبَاباً لَيْسَ لَنَا شَيْئاً. فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ».

٢. النكاح، الجماع.

٣. في خ: والصوم.

يهرب فيبتلي الضامن.

الرَّفْقُ رَأْسُ الْحِكْمَةِ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ أَي: ارفقوا في الأمور كلها واتركوا العجلة، فإن من عاشر الناس بالأناة والسكون وعایشهم بخلق حسن ورافقهم بتطلف وسهولة جانب كان عين الحكيم. وفيه: كل الحكمة والرفق المداراة والملاينة وحسن المعاشرة مع الناس. يقال: رفق فهو رفيق أي لطيف، فعيل بمعنى فاعل، ورافقه مرافقةً فهو رفيقه فعيل بمعنى مفاعل كالأكيل والجليل؛ والرفق أيضاً مصدر رفق، وهو ضدّ العنف.

كَلِمَةُ الْحِكْمَةِ ضَالَّةٌ كُلُّ حَكِيمٍ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ يقول: إذا سمعت كلمة الحكمة من غير حكيم فلا تظنّها من عنده، وإنّما كانت عند حكيم فضلت عنده، وجدها الجاهل وأخذها كمن وجد ضالّةً. وقيل: إنّ معناه: أنّ كلمة الحكمة إذا سمعها الحكيم تعلّق بها وكتبها وحفظها واحتفظ بها، كانت ضالّته؛ لأنّه كان طالباً له كطالب الضالّة؛ يعني: أنّ المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها.

وقال سيبويه: الكلم اسم صيغ للجمع وليس بجمع الكلمة، وإنّما جمعها «الكلمات»؛ ولو قلنا أنّه من باب ثمره وثمر لم يبعد. و«الضالّة» ما ضلّ الناس، والهاء للمبالغة، ويجوز أن يكون صفة موصوف مؤنث كالنفيسة.

قال ابن دريد: «الحكمة كلمة وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك

عن قبيح»^(١).

وعن مكحولٍ سمع ابن جريج كلمة حكمة، فقال: ضالّتي^(٢) وربّ الكعبة.^(٣)
وفي رواية: «الحكمة ضالّة المؤمن حيث وجدها قيّدها، ثمّ ابتغى إليها ضالّةً أخرى»^(٤).

الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ يقول: إن شئت أن تكون بارّاً جامعاً للخير كلّهُ، فكن^(٥) حسن الخلق؛ فإنّ البارّ هو الذي حسن خلقه مع الخلق وسرّه مع الحقّ.
وقيل: معناه: إذا لم تصل يدك إلى الإحسان والمبرّة بالغير فخالقه بخلق حسن، وإذا كانت شيمتك مع الناس حسنة فكأنّهم برّرتهم ووصلتهم.
و«البرّ والمبرّة»: الصلة والإحسان، ورجل بارّ وبرّ بوالديه: إذا كان حسن الخدمة لهما، وحجّ مبرور أي مقبول، وبرّ في يمينه: صدق فيها ولم يحنث. و«الخلق»: الطبيعة.

الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ معناه: إذا كنت شابّاً، فإنّك أن تكون طليق العنان، فإنّ الشباب طائفة من

١. راجع: جمهرة اللغة: ٥٦٤/١؛ تفسير الثعلبي: ٢٧٦/١ - ٢٧٧.

٢. في خ غير واضحة.

٣. لم أقف عليه.

٤. راجع: محاضرات الأدباء: ٧١/١؛ لباب الآداب: ١١٥؛ وكذا راجع: كتاب العلم (لأبي خزيمة النسائي):

٣٦، ح ١٥٧.

٥. في خ: وكن.

الجنون، والمجنون ينبغي أن يكون مقيداً حتى لا يُعبث، وإنّا قال ذلك لأنّ^(١) الأغلب في حال الشباب أنّه لا يركب أمراً يُستحسنُ في المقال والفعال بل ينسب ذلك إلى الجنون والمجنون.

وقيل: معناه: إذا كان لك ولد شابّ فاحفظه، وكن قائداً بلجام القهر له إلى الطاعة ودافعاً إيّاه بزمام التسخير عن المعصية، فإنّ الشابّ الغرّ الذي لم يجرب الأمور ولم يحنّكه^(٢) التجارب؛ يكون في الأغلب سادراً في جماعة^(٣) متسكّعا في غلوائه^(٤)، لا يتعظ بمواعظ العقل ولا يتأدّب بآداب الشرع طوعاً ورغبةً إلّا من عصمه الله؛ فهو كالمجنون وإن كان عاقلاً، إذ لا يعمل عقله ولا يعمل به، فكأنّه ليس له عقل.

يقال: شبّ الصبي شباباً إذا ترعرع^(٥)، فهو شابّ؛ والمجنون مصدر جنّ الرجل فهو مجنون إذا كان مغلوباً على عقله، كأنّه قال: الشباب جزء من الجنون وطرف منه؛ و«من» للتبيين؛ و«الشعبة» غصن من أغصان الشجر ثم استعمل في كلّ جزء من غيرها.

النساء حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ

يُنَادِي الْخَبَرَ يقول: إياك والنساء الصالحات، وكن على حذر من الصالحات، فإنّ الشيطان إذا أراد أن يصيد رجلاً من الصلحاء جعل واحدةً منهنّ شبكةً وأحبولةً فينصبها ويصطاده بها.

١. في خ: أن.

٢. لم يحكه ولم يهذبه.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: سادراً في فكاهاة أو سادراً في ضلّالة، والصادر هو الذي لم يهتّم ولم يُبال ما صنع.

٤. متسكّعا: متبادياً في الباطل، غلواء الشباب: أوّله وحدّته.

٥. تحرك ونشأ وشبّ واستوت قامتة.

وقال عليه السلام: «النساء شر كلهن، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تُطِيعُوا النِّسَاءَ عَلَى حَالٍ، وَلَا تَأْمَنُوهُنَّ عَلَى مَالٍ إِنْ تُرْكُنَ وَمَا يَرُدُّنَ أَوْزَدَنَّ الْمُتَهَالِكَ وَأَزَلْنَ الْمَالِكَ، لَا دِينَ لَهُنَّ عِنْدَ لَذَّتِهِنَّ، وَلَا وَرَعَ لَهُنَّ عِنْدَ شَهْوَتِهِنَّ، يَنْسِينَ الْخَيْرَ وَيَحْفَظْنَ الشَّرَّ، يَتَهَايَيْنَ بِالْبُهْتَانِ وَيَتَمَادَيْنَ لِلطُّغْيَانِ، وَيَتَصَدَّقْنَ لِلشَّيْطَانِ»^(٢).

و«الحبائل» جمع حبالة وهي شبكة الطباء، وإنما ذكر بلفظ الحبائل إشارة إلى أن الحسان من النساء يشبهن بالطبباء^(٣) والنعاج عند العرب، يعني: أثنى آله من آلات الشيطان وشبكة من شبكاته.

قال أبو عبيد: جعل الحبالة تنصب للصيد مثلاً للنساء مع الشيطان، وأراد أنه يلعب بهن كيف يشاء ويجعلهن سبباً لكل فساد، جعلهن من أقوى ما يصيد به الشيطان الرجال فهن له كالحبائل المبتوتة، ولأئهن مظان الشهوات.^(٤)

الْحُمْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ وَأُمُّ الْحُسْبَانِ

يُنَالُ الْجَبَرُ يقول: لا تشربوا الخمر، فإنها تستر العقل، وجماع الإثم حيث لا عقل يردع، وهي مرجع كل خصلة قبيحة وخُطّة^(٥) خبيثة وأمّها، لأنها سبب لتوالد المعاصي

١. نقل في بعض المصادر: عن حكيم، وفي بعضها عن علي عليه السلام، وفي بعضها عن مأمون؛ راجع: نثر الدرر: ١٣٤/١؛ الإعجاز والإيجاز: ٨٢؛ محاضرات الأدباء: ٢٣٩/٢؛ ربيع الأبرار: ٤٦٤/١.

٢. راجع: محاضرات الأدباء: ٢٣٨/٢؛ وكذا راجع: الأمالي (للصدوق): ٢٧٥، مجلس ٣٧، ح ٦؛ بحار الأنوار: ٢٢٣/١٠٠، باب ٢، ح ١.

٣. جمع الظبي، وهو جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمخوفات القرون.

٤. راجع: المجازات النبوية: ٢٠٢.

٥. حالة.

وركوب الفواحش؛ ألا ترى^(١) أن المرء إذا ارتكب معصيةً قريباً اقتصر عليها ولم يتجاوز إلى غيرها، سوى شرب الخمر فإنه إذا شربها سكر وزال عقله وارتكب كل عزيمة وأتى بكل كبيرة ولا يستحي.

وقال **إِبْنُ عَبَّاسٍ** : «جَعَلَ الشَّرَّ كُلَّهُ فِي بَيْتٍ وَجَعَلَ مِفْتَاحَهُ الْخَمْرَ»^(٢).

وسمى «الخمر» خمراً لمخامرتها العقول، أي مخالطتها وسترها عليها، والخمار ما يأخذ الشارب من أذى الخمر من الصداع والدوار^(٣).

و«الجماع» ههنا: الجمع، وفي غير هذا الموضع بمعنى المفاعلة. و«الأم»: الوالدة، لأن مرجع الولد إليها ومفرعه نحوها، وأم القرى مكة لأنها أصل الأرض، وأصل الكلمة من الأم وهو القصد. و«الخبائث» جمع خبيثة، وإنما سبها أم الخبائث استعارة على تغليظ النهي عن شربها، فالأم جامعة لأولادها.

والفائدة في تقديمها على جميع المعاصي: أن الأغلب في شربها أن يكون طريقاً إلى ارتكاب الكبائر، فالسكر يحمل صاحبه على القذف [و] الافتراء وإراقة الدماء واستحلال الأموال.

وروي: أن ملكاً دعا زاهداً إلى وطئ امرأة حسناء وغلام وقتل طفل وإلى شرب الخمر، وقال: إن لم تفعل واحداً قتلتك؛ فاستهن أمر الخمر، وقال: أشرب الخمر، فسقوه، فلما سكر قتل الصبي، وأتى الغلام، ووقع عليها؛ فجمع بين الكبائر كلها لفساد العقل، ولو اختار غير الخمر لما فعل إلا واحدة^(٤).

١. خ: لا ترى.

٢. مستدرک الوسائل: ٥٥/١٧، ح ٢٠٧٢٤.

٣. الصداع: وجع في الرأس، والدوار والدوار: شبه الدوران يأخذ بالرأس.

٤. راجع: ذم المسكر: ٥١؛ سنن البيهقي: ٢٨٨/٨، ح ١٧١١٧؛ في المصادر نقل عن عثمان.

و«الإثم»: الذنب العظيم، ويسمى الخمر إثماً.

الْغُلُولُ مِنْ جَمْرٍ جَهَنَّمَ

يَبَازِلُ الْجَبَرُ يَقُولُ: لَا تَخُونُوا الْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّ مِنْ خَانَ أَحَدًا بِاِقْتِطَاعِ مَالٍ لَهُ فَكَأَنَّمَا يَجْزُ نَفْسَهُ جَمْرَةً مِنْ جَمَرَاتِ نَارِ اللَّهِ.

وقال: الخبر مخصوص بمن خان في الغنيمة وأخفاها ولا يردّها إلى القسم. معناه: من خان في مال الغنيمة استحقّ نار جهنّم؛ وإنّما سمّيت غلولاً، لأنّ الأيدي مغلولة منها أي ممنوعة.

و«الغلول»: الخيانة، يقال: غلّ الرجل إذا خان، ومنه قوله: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ»^(١)، وقرئ: «يُغَلَّ»^(٢) أي يخان. و«الجمر» القطعة من النار غير الملتهبة. و«جهنّم» اسم للنار علّم، أعني النار المعدة للكفار. وقيل: هو اسم دركة من دركاته.

وروي: «أَنَّ أَصْحَابَنَا مَاتَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، فَقَالَ ﷺ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا تَصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، لِأَنَّهُ غَلَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَفَتَشُوا رَحْلَهُ فَوَجَدُوا فِيهِ خَرْزاً لِيَهُودِيٍّ مَا كَانَ يَسَاوِي دَرَاهِمِينَ، وَأَصَابَ سَهْمُ رَجُلٍ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هُوَ فِي النَّارِ، فَانْظُرُوا، فَإِذَا عَلَيْهِ كِسَاءٌ قَدْ غَلَّهُ. وَقَالَ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُولُ! فَإِنَّ الْغُلُولَ خَزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ»^(٣).

١. آل عمران: ١٦١.

٢. راجع: المجازات النبوية: ١٣٧؛ تفسير السمرقندي: ٢٨٦/١؛ تفسير الثعلبي: ١٩٦/٣.

٣. مسند أحمد: ٣٣٠/٥، ح ٢٢٨٤٧؛ المعجم الأوسط: ١٥/٦، ح ٥٦٦٠؛ وراجع: مصنف ابن أبي شيبة: ٥٢٥/٦، ح ٣٣٥٢٧.

النِّبَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ

يُنَادِي الْجَبَرُ يَقُولُ: لا تتركوا نسائكم يتناوحن عند وفاة أحد ويرجعن الكلمات المنظومة تشبه الشعر، فإن ذلك من أعمال الجاهلية وليس من سيرة المسلمين، وكان أهل زمان الجاهل ينوحون على موتاهم ولا يرون بعثاً ولا نشوراً، والمسلمون إذا كانوا آمنوا بالقيامة من حقهم أن يصطبروا.

وقال عليه السلام: «يحشر النوائح يوم القيامة ينبحن كما تنبح الكلاب»^(١)، ويخرج النائحة من قبرها شعثناء غبراء واضعة يدها على رأسها، تقول: واويلاه! وملك يقول: آمين»^(٢). و«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ»^(٣). والفعالة من أبنية الصناعة كالنساجة والخياطة، والفعالة - بالفتح - للمصدر كالسباحة والظرافة، كأنه قال: من يصنع بهذه الصناعة التي هي النباحة لم يكن على سنتي.

و«الجاهلية»: زمان الفترة قبل الإسلام، أي الأتيام الجاهلية والسنون والأزمنة المنسوبة إلى الجاهل، وهي في العرف عبارة عما كان قبل مبعث النبي ﷺ. و«النوح»: اجتماع النساء، وأصله من التقابل؛ وإتباعاً حرّم ذلك لما فيه من منع الصبر وعظم الإثم.

١. نصّه في المصادر: «إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّوَائِحَ يُجْعَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَّيْنِ فِي جَهَنَّمَ: صَفٌّ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَصَفٌّ عَنْ يَسَارِهِمْ، فَيَنْبَحْنَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ كَمَا تَنْبَحُ الْكِلَابُ»؛ راجع: المعجم الأوسط: ٢٥١/٥، ح ٥٢٢٩؛ جامع الأحاديث: ١٧٣/٣، ح ٧٩٧٣.

٢. نصّه في المصادر: «تَخْرُجُ النَّائِحَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهَا شَعْنَاءَ غَبْرَاءَ عَلَيْهِا دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ، وَجِلْبَابٌ مِنْ لُصْنَةٍ، وَاضِعَةً يَدَيْهَا عَلَى رَأْسِهَا تَقُولُ يَا وَيْلَتَاهُ، وَمَالِكٌ يَقُولُ: آمِينَ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ حَظُّهَا النَّارُ»؛ تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٢؛ جامع الأحاديث: ٧٣/٤، ح ١٠٢٥٣.

٣. مستدرک الوسائل: ٤٥٣/٢٢، ح ٢٤٤٧؛ مسکن القواد: ١٠٤؛ مسند أحمد: ٦٥/٣، ح ١١٦٤٠؛ سنن أبي داود: ١٩٣/٣٠، ح ٣١٢٨.

الحُمَى زَائِدُ الْمَوْتِ

يُنَاقِلُ الْحَبْرُ يَقُولُ: الحُمَى مقدّمة الموت وطليعته لشدة أمرها، ورسوله الذي يرتاد له؛ فإذا حمّ أحدكم فليوصّ، فالحمى رسول الموت ونموذج من شدائده؛ وأنها تنذر وتؤذن بالموت، فمن أتته الحمى ينبغي أن يتوب وينظر في أمور نفسه فيما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس، فإنه لا يأمن أن لا يمهّل. فهو من باب الوعظ والوصيّة بإعداد الأهبة لسفر القيامة. فإنّ من مات فقد قامت قيامته.

«الرائد»: مقدّم القوم إلى الماء والكلاء، من راد يرود إذا جاء وذهب.

الحُمَى مِنْ قَيْحِ جَهَنَّمَ

يُنَاقِلُ الْحَبْرُ يَقُولُ: الحمى من روائح جهنّم، وله معنيان:

أحدهما: الإخبار عن شدة حرارتها وإنذارها صاحبها من حرارة جهنّم.
والثاني: من أخذته، فكأنها أصابه بعض عذاب النار؛ فإنّ الحمى نار تجيء من القلب وتحرق البدن، قال الله تعالى في صفة جهنّم: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ»^(١).

و«الحمى» فعلى من حمّ الشيء إذا قُدِّرَ أو من حمّ الشيء إذا حمّ واحترق، وفعل تأنّيت أفعل التفضيل كالأحسن والحسن والأعلى والعليا، وهو في العرف لما يَنْتَابُ^(٢) من العلة في كلّ يوم أو يومين.

و«القَيْحُ» من قولهم: قاحت الرائحة تفوح، إذا علت وظهرت.
خرج هذا الكلام مخرج التقريب، أي كأنه نار جهنّم في الحرّ. والقَيْح: انتشار الحرّ

١. الهمة: ٦ و ٧.

٢. أصاب.

وسُطوعه.

الْحُمَى حَظٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ

يُنَالِ الْخَيْرَ يشير بهذا إلى أن ألم الحمى وشدائدها وحرارتها تصير كفارة لصاحبها المؤمن، فكان الله يكفر بها من خطاياها، يعني: أن المؤمن إذا حمّ وكان مستحقاً للعقاب جعل الله ذلك نصيبه من النار.

وعن مجاهد في قوله: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا»^(١)، قال: «من حمّ من المسلمين فقد وردها وهو حظّ المؤمن من النار»^(٢). والحمى في الدنيا هي الورود في الآخرة. وهذا محمول على تخفيف الشدة لصاحبها في المآب وزيادة الفضل عليه بسببها والثواب والخبر الأول قريب من هذا في إحدى المعنيين.

ولما فتح خيبر أقبل الناس على الفواكه، فأخذتهم الحمى فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْحُمَى زَائِدُ الْمَوْتِ وَسَجُنُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَقَطْعَةُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

ولما بعث رسول الله قالوا لبعض المتطهين: إن رجلاً في الحجاز يدّعي النبوة. فقال: وهل يحفظون شيئاً من كلامه؟ قالوا: نعم، سمعناه يقول: «حمى ليلة كفارة سنة»^(٤). قال: أشهد أنه نبي، فإنا نقرأ في كتبنا أن حمى يوم تذهب بقوة سنة، فليس هذا باتفاق، إنما هو بوحي من الله؛ وصار هذا سبباً لإسلامه.

وشكى رجل إلى النبي ﷺ الحمى، فقال: اغتسل ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس

١. مريم: ٧١.

٢. راجع: تفسير التعلبي: ٢٢٨/٦؛ شعب الإيهان: ٣٣٩/١، ح ٣٧٤؛ مجمع البيان: ٤٤٣/٦.

٣. نهار القلوب: ٣٧، ح ٣٧؛ معرفة الصحابة: ١٧٩٠/٤، ح ٤٥٣٨؛ مسند الشهاب: ٦٩/١، ح ٥٩.

٤. لم أقف على مصدر الحكاية؛ راجع: محاضرات الأدباء: ٥٠٨/١؛ كتاب التمهيد: ٤٢، ح ٤٥.

وقل: اذهبي يا أم ملدم؛ فإن لم تذهب فاغسل سبعاً^(١).
وقال عليه السلام: من حمّ ثلاث ساعات فصبر فيها شاكراً لله حامداً له باهياً لله به ملائكته، وقال: يا ملائكتي! انظروا إلى عبيدي صبر على بلائي، اكتبوا له براءة من النار، وكُتِبَ له: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان أدخلوه جنّة عاليةً قطوفها دانية^(٢).

القناعة مال لا ينفد

يُنَالُ الْخَيْرُ يقول: من أراد أن يعيش غنياً طول عمره فليجعل القناعة في معيشته دأبه وعادته^(٣)، فإنه إذا فعل ذلك لم يباشر الفقر والقلّة.
و«القناعة» الرضا بما^(٤) تيسّر له من الرزق والحظ؛ وإنما قيل هي مال لا ينفد، لأنّ مرجعها إلى النفي وهو ترك الحرص والطلب وما يرجع إلى النفي لا نهاية له، ومن استغنى بالله لم يحتج إلى خلقه ويحتج إليه الناس.
وقيل: القناعة المعرفة بالقسمة والرضا بها.

١. في الحديث سقطه، وهذا نصّه: «قال لرجل شكاً إليه الحمى: اغتسل ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس كلّ يوم، وقل: بسم الله وبالله، اذهبي يا أم ملدم، وإن لم تذهب فاغسل سبعاً»؛ راجع: الاستنكار: ٤١٩/٨؛ التمهيد: ٢٢٨/٢٢.

٢. الفردوس بمأثور الخطاب: ٦٣٥/٣، ح ٥٩٨٨؛ نزّهة المجالس: ٨٥/١؛ وكذا نقل فقرة الأخيرة من الرواية في المعجم الكبير: ٢٧٢/٦؛ كنز العمال: ٤٨٢/١٤، ح ٣٩٣٥٣.

٣. في خ: علاته.

٤. في خ: ما.

الْأَمَانَةُ تَجْبِرُ الرِّزْقَ وَالْخِيَانَةُ تَجْبِرُ الْفَقْرَ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وقد ذكرنا بعد الخطبة أن هذه الكلمات النبوية أكثرها متضمنة للأوامر والنواهي.

يقول: لا تخونوا المسلمين واستعملوا الأمانة معهم، فإنها أصل البركة، والبركة يستجلب الرزق. وشؤم الخيانة يورث الفقر في الدنيا والخزي في العقبى، والثبات على الأمانة يفتح أبواب الرزق.

وهذا أمر من جهة الطبيعة؛ والتجربة ظاهر، وهو أن الرجل إذا كان أميناً مأمون الجانب من الخيانة ازدحم الناس عليه وفشا ذكره بين الناس بالأمانة وكثر معاملوه، فكان أمانته سبباً لرزقه؛ وإذا كان خائناً وعرف بالخيانة نفر الناس عنه واجتنبوه معاملته، كان ذلك سبباً لحرمانه وقتره. والمعنيان يحتملها عموم اللفظ وظاهره.

الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يقول: لا تناموا بعد صلاة الصبح، فإن النوم في هذا الوقت يمنع الرزق ويوجب حرمان البركة فيه.

وروي في الأخبار كراهة النوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإنه وقت قسمة الأرزاق؛^(١) فمن كان مشغولاً في ذلك الوقت بالصلاة وذكر الله وقراءة القرآن وسع الله عليه رزقه، ومن نام في ذلك الوقت فإنها كان ذلك سبباً لحرمانه وكأنه مانع للرزق.

١. قال الصادق (عليه السلام): «نَوْمَةُ الْعِدَاةِ مَشُومَةٌ تَطْرُدُ الرِّزْقَ وَتُصْفِرُ اللَّوْنَ وَتَقْبَحُهُ وَتَغْيِرُهُ وَهُوَ نَوْمٌ كُلُّ مَشُومٍ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْسِمُ الْأَرْزَاقَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَلْيَأْكُمِ وَلْيَلِكُ النَّوْمَةُ»، راجع: من لا يحضره الفقيه: ٥٠٢/١، ح ١٤٤١؛ تهذيب الأحكام: ١٣٩/٢، ح ٥٤٠.

وعن ابن عباس أنه رأى بعض أولاده نائماً نومة الغداة، فقال: قم، لا أنام الله عينك! أما علمت أن نوم النهار ثلاثة: خلق وخرق وحمق! فالخلق نوم الهاجرة وهو نوم رسول الله وهو عادته وخلقه، والخرق نومة الضحى، والحمق نومة العصر تورث الخبل.^(١)

و«الصبحة» بالضم الاسم، وهو نوم الغداة؛ وبالفتح الفعلة الواحدة. وقيل: نومة الغداة مَنخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَجْعَرَةٌ؛^(٢) ينتن الفم ويقطع الباه^(٣) ويبس^(٤) الطبيعة. وقيل: المراد بالصبحة النوم بعد ارتفاع النهار، لأنه وقت المعاملة وطلب الرزق بالكسب، فمن نام بالضحى حرم الرزق.

الرِّزَا يُورِثُ الْفَقْرَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزْنُوا زَنَاتِكُمْ يُرْسِلُ عَلَيْهَا حَرْشٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَبِيرٌ. يَحْذَرُ عَنْ هَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ فِي الدُّنْيَا بَلَاءٌ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ، يَقُولُ: لَا تَزْنُوا تَفْتَقَرُوا.

وقال النبي ﷺ: «لِلزَّانِي سِتُّ خِصَالٍ ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا: فَالْفَقْرُ، وَذَهَابُ مَاءِ الْوَجْهِ فِي النَّاسِ، وَقَصْرُ الْعُمُرِ؛ فَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ: فَسَخَطُ الرَّبِّ وَسُوءُ الْحِسَابِ وَالْدُّخُولُ فِي النَّارِ»^(٥).

و«الزنا» - مقصوفاً - مصدر «زنا»، وبالمدة مصدر «زأنى». والزنا في اللغة: الارتفاع، لأنَّ

١. راجع: الطب النبوي: ١٨٨؛ زاد المعاد: ٢٤٢/٤.

٢. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٢١٩/١؛ غريب الحديث (لابن جوزي): ١٥٨/١.

٣. من الباء بمعنى الجماع.

٤. في خ: يكبس.

٥. مساوي الأخلاق: ٤٨٤/١؛ حلية الأولياء: ١١١/٤؛ شعب الإيمان: ٣٧٩/٤، ح ٥٤٧٥؛ وكذا عن

الصادق عليه السلام، راجع: الكافي: ٥٤٢/٥، كتاب النكاح، باب الزاني، ح ٣؛ في المصادر: «والخلود في النار».

الزاني يعلو من يفعل به، وفي الشرع عبارة عن واقعة الرجل من لا يحل له من النساء. وأورثه كذا إذا خلفه ميراثاً له، وورثه إذا أخذ ميراثه، ثم يستعمل في كل شيء يعقب شيئاً، خيراً أو شراً؛ يقال: أورثه أكل الطين صفرة اللون، وأورثه صلاة الليل حسن الوجه.

و«الفقر»: الحاجة، وهو فعل بمعنى مفعول، كأنه مكسور فقار الظهر، يقال: فقره إذا ضرب فقاره وأصابه.

زَنَا الْعُيُونِ النَّظْرَةُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ معنى الخبر الوعظ والتحذير عن النظر إلى ما ليس للإنسان^(١) النظر إليه من النساء، يقول: لا تنظروا إلى المحرمات من النساء، فَإِنَّ الْعُيُونَ إذا نظرت إليهن يعاقب صاحبها عقوبة الزناة، وصار ذلك النظر منزلة الزنا، لأنه يكون في الأكثر سبب الزنا، وإذا عوقب كان استحقاقاً لا إيجاباً وحكماً، فزنا العين مجاز في الكلام، لأنه لفظ مستعمل في غير ما وضع له من لغة وعرف وشرع، إِلَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ جَعَلَهَا زَانِيَةً إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهَا النَّظَرُ إِلَيْهِ.

وقال عَلَيْهِ: «إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ، وَكَفَى بِهَا لِصَاحِبِهَا فِتْنَةً»^(٢).

١. خ. الإنسان.

٢. قاله عيسى عَلَيْهِ. راجع: المحاسن: ١/١١٠؛ الزهد وصفة الزاهدين: ٧٢، ح ١٣٦؛ أدب الدين والدنيا:

الْعِمَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ لَهُ مَعْنِيَانِ:

أحدهما: أَنَّ الْعِمَائِمَ تَيْجَانُ مِنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَلَمْ يَرِدْ بِهِ الْعَرَبُ خَاصَّةً، لِأَنَّ تَيْجَانُ الْمَلَائِكَةُ هِيَ الْعِمَائِمُ، وَمَنْ عَمَّمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ شَبِيهَ بِالْمَلَائِكَةِ.

وَيُرَوَّى خَبَرٌ فِي سَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَصْلُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْبَيَانِ وَالتَّأْوِيلِ مَعَ ذَلِكَ، وَهُوَ: «الْعِمَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ إِذَا وَضَعُوهَا وَضَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^(١).
وَقَالَ: «مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْعِمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ»^(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ تَسْمَى السَّحَابَ، فَأَهْدَاهَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ النَّاسُ: مَا أَحْسَنَ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ»^(٣).
«وَعَمَّمْ عَلِيًّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَأَرْخَى طَرَفِيهَا مِنْ وَرَائِهِ وَخَلْفَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ادْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْبَلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا يَكُونُ تَيْجَانُ الْمَلَائِكَةِ»^(٤).

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُهُمْ أَنْ لَا يَغْيُرُوا زِيَّهِمْ وَطَرِيقَتَهُمْ، وَأَنْ يَعْصُوا، وَلَا يَضَعُوا مِنْ اسْتَأْهَلِ الْمَلِكُ مِنَ الْعَرَبِ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ كَمَا يَفْعَلُ الْعَجَمُ، فَإِنَّ مَلِكَهُمْ كَانَ إِذَا قَعَدُوا عَلَى السَّرِيرِ يَتَوَجَّج. وَالْعِمَامَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْزِلَةُ التَّاجِ لِلْمَلِكِ.

١. تبار القلوب: ١٥٩، ح ٢٢٢؛ جامع الأحاديث: ٢٣٦/٥، ح ١٤٥٩٨؛ في المصادر: وضع الله عزهم.
٢. الطبقات الكبرى: ٣٧٤/١؛ سنن أبي داود: ٥٥/٤، ح ٤٠٧٨؛ جامع الأحاديث: ٢٦٥/٥، ح ١٤٧٥٥؛
و«القلانس» جمع القلنسوة، وهي لباس الرأس مختلف الأنواع والأشكال.
٣. راجع: مستدرک سفينة البحار: ٤٤٤/٧.
٤. راجع: الكافي: ٤٦١/٦، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب القلانس، ح ٤؛ مشيخة ابن شاذان الصغرى: ٢٨؛ كنز العمال: ٢٠٥/١٥، ح ٤١٩١٣.

وإنما دعاهم **إِثْلًا** إلى ذلك لئلا يجمعوا إلى ختر وأثبتهم ^(١) خيلاء العجم أيضاً.
وقال الخليل بن أحمد: عمم الرجل اذا سوّد، لأنّ عامتهم التاج. ^(٢) و«العمامة»
سميت بها، لأنّها تعمّ جميع الناس ويسمّى طويله أيضاً.

الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ أي: تحلّوا بهذا الخصلة الحميدة، فإنّها من علامة الخير وأماراته، وهي أشرف
خلائق الإنسان؛ لأنّها سبب لامتناع صاحبه من كبير من المقبحات.
و«الحياء» أجلّ خصال الخير، وهو من الخصال العزيزة التي لا يحصل بالاكتساب،
وضدّه الوقاحة، وهو في الأصل مصدر حيي يحى حياءً فهو حييٌّ، وحيي حياءً فهو
حييٌّ.

والخير والشرّ يستعملان على معنيين: **مُتَعَبِّينَ** **مُتَعَبِّينَ** **مُتَعَبِّينَ**
أحدهما: إثبات النفع والضّر من غير زيادة ولا تفضيل لشيء على شيء، كقولك:
هذا خير من الخيرات أي نفع من جملة المنافع.
والثاني: أن يجيء بمعنى التفضيل والزيادة، تقول: هذا خير من ذلك أي أجود منه،
وزيد خير من عمرو أي أفضل منه؛ والخير في هذا الحديث بمعنى القسم الأوّل، أي
الحياء كلّ خير ونفع.

المُسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يقول: إذا كنت تقيّاً فأكثر الجلوس في المسجد، لأنّ بيت الله لا يصلح أن

١. كذا في خ.

٢. راجع: المختص: ٢٣٨/١.

٦٠ ضياء الشهاب

يكون مجلساً للهاجن^(١)، ولا يجوز أن يجري فيه اللغو والأباطيل؛ فالخبر تسلية للمؤمن الذي لا بيت له فهو يأوي إلى المساجد، أو كان له دار فيكون حثاً له على كثرة الاختلاف إليها والقيود فيها؛ وإما أن يكون إشارة إلى تعظيم المسجد، فإذا لم يكن المرء تقياً لا يمكن من جلوسه، فهو على الدوام وإن قعد فليكن على سيرة المتقين. وقال النبي ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»^(٢).

والمفعول للموضع قياس مطرد كالمجلس، واللام في المسجد لتعريف العهد الذي يقع عليه هذا الاسم عرفاً وشرعاً دون الوضع والاشتقاق الذي هو موضع السجود، ف«المسجد» من الأسماء العالية؛ و«البيت» موضع البيات؛ و«التقي» فعيل وهو بناء مبالغة في الفاعل؛ ولا يجوز أن يتخذ مبيتاً أو مقبلاً^(٣)، ولا بأس بالاستراحة فيه.

آفَةُ الْحَدِيثِ الْكَذِبُ * وَآفَةُ الْعِلْمِ التَّسْيَانُ * وَآفَةُ الْحِلْمِ السَّفَهُ
* وَآفَةُ الْعِبَادَةِ الْفُتْرَةُ * وَآفَةُ الشَّجَاعَةِ الْبَغْيُ * وَآفَةُ
السَّهَابَةِ^(٤) الْمُنُّ * وَآفَةُ الْجَهْلِ الْخِيَلَاءُ * وَآفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ *
وَآفَةُ الظَّرْفِ الصِّلَفُ * وَآفَةُ الْجُودِ السَّرْفُ * وَآفَةُ الدِّينِ الْهُوَى

١. من قل حياؤه.

٢. الزهد لابن المبارك: ١٣٩/١، ح ٤١٠؛ مسند أحمد: ١٥٧/٤، ح ١٧٤٧٦؛ جامع الأحاديث: ٢٠٥/٧، ح ٢١٩١٢.

٣. موضع القيلولة.

٤. في خ: السخاء، ولكن في الشهاب وأيضاً في بيان الخبر هنا جاء بلفظة السباحة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يقول: نعم الشيء الحديث الذي يتحدث به الناس، لأنه فائدة مستطرفة إلا إذا دخل الكذب فيه، ولا يؤمن أن يكون المخبر بخلاف ما ينكره المخبر فيذهب بهائوه وروثقه، والسامع لا يطمئن إليه ولا يسكن نفسه إلى قبوله؛ وهذا نهى عن الكذب، فإنه آفة وفساد في الحديث الذي هو زينة للقاتل، وعيب في كلامه الذي يتميز به من الحيوانات.

و«الآفة»: الفساد، من قولهم: فلان مؤوف، إذا كان فاسد الرأي والعقل. و«الحديث» هنا فاعيل بمعنى مفعول، أي المحدث به. و«الكذب» خبر يكون مخبره بخلاف الخبر؛ وكذلك النسيان والسفه والهوى عيور^(١) للعلم والحلم والدين وفساد لها، وكذا كل ما اتصل بأخواتها آفة تفسدها. وهذه أحد عشر حديثاً لعلها قالاها في مجلس واحد.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الثاني: أنه أراد: إذا علمتم مسائل شرعية في العبادات ونحوه فاعملوا عليها وداوموا على العمل بها والمواظبة على قرائتها وتدرسها، فإن ترك الشيء منها والإعراض عن تحفظها عيب للعلم ومفسدة له.

و«العلم»: ما اقتضى سكون النفس وهو معنى، والنسيان انتفاء العلم وليس بمعنى، ولو كان معنى لكان ضدّاً للعلم كالجهل، وكذا السهو؛ ولا يجوز البقاء على العلم؛ فما كان من فعلنا نفعله حالاً بعد حال فإذا لم يفعل كان نسياناً وسهواً، وما كان من فعل الله فينا فهو بفعله حالاً بعد حال. و«النسيان»: الترك أيضاً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وأما «الحلم» فهو وقار الرجل وهديّه^(٢) وسكونه وكظمه الغيظ. وأما «السفه»

١. كذا في خ.

٢. كذا في خ.

فهو الخفة وقلة العقل، قال الله تعالى: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ»^(١)، يعني النساء والصبيان؛ وإنما جعل السفه آفةً للحلم من حيث أنه ضده، لأنه لا يجتمع الخفة والوقار، وعيب الحلم السفه وهو عرفاً الجهل، والتكلم به ضعف الرأي.

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ وَأَمَّا «العبادة» فهي التعبد، و«الفترة»: الضعف، وربما كان من التواني والتقصير، فإذا ضعف المتعبد أو تواني وتكاسل في العبادة فهو كآفة لها. والفعالة من أبنية الصناعة، كأنه قال: من جعلها عادةً له وكالصناعة التي اشتغل بها في أغلب الأحوال.

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ و«الشجاعة» مصدر؛ و«البغي» في اللغة الطلب، وصار بالعرف مخصوصاً بطلب ما ليس له أن يطلبه، والبغي في الشرع هو الخروج على الإمام العادل، قال الله تعالى: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي»^(٢)، والمراد بالبغي في الخبر ما ذكرناه، ويدخل فيه طلب ما ليس له من قطع الطريق؛ والشجاع إذا تطاول من دونه، تجبراً أو استكباراً، قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، على مذهب الكبر دون التحدث بالشكر، فذلك العمل منه آفة لشجاعته.

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ وَأَمَّا الخبر الآخر فعناه: آفة الجود أن يجود الرجل بهاله ثم يمين على الآخذ، فيكون كما قال: «لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ»^(٣)؛ و«السباحة» في غير هذا الموضع سهولة الجانب، والمراد بالسباحة هنا السخاوة والعطية، يقول: إن من يمين بصنيعته على الغير ومعروفه ويخبر الناس عن فعله طالباً للثناء، فذلك عيب وفساد لفعله.

١. النساء: ٥.

٢. الحجرات: ٩.

٣. البقرة: ٢٦٤.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ وَأَمَّا «الجمال» فحسن الصورة واستواء الخلقة؛ و«الخيلاء»: الكبر، أي: إذا كان لك زينة وحسن هيئة باللباس فلا تفسدها بزهو وتكبر.

واختال أبو دجانة في الحرب وافتخر، فقاتل بين يدي رسول الله، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنها لخصلة يبغضها الله إلا في هذا الموضع»^(١).

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ وَأَمَّا «الحسب» فهو الذي يُعَدُّ المرء من مفاخر آبائه ومآثر نفسه، وآفته أن يفتخر به، نهى أن يفخر بحسن الفعال المحمودة^(٢) من الخصال.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ و«الظرف» عند العرب الكياسة والعقل وفصاحة اللسان؛ و«الصلف»: قلة الخير. ومعنى الخبر: أن العقل والحظ لا يجتمعان، فالأكثر في أحوال المرء أن لا تجتمع له العلم والمال، فإنه الكمال.

وقيل: معناه: أنه فصاحة اللسان، أن يتكلم بها لا خير فيه ولا فائدة في الدين.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ و«الجود»: السخاء، و«السرف»: الإخطاء، قال: «مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ»^(٣)، أي: إخطاء ووضع في غير موضعه. وهذا دليل على أن السرف ليس من الإسراف.

ومعنى الخبر: أن آفة الجود أن يضع العطية في غير موضعها ويصنعها مع غير أهلها.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ و«الدين»: الإسلام، أي: آفته اتباع الهوى، على حذف المضاف وإقامة

١. في المصادر: «إنها لمشيتة»، راجع: الاختصاص: ١٥٠؛ غريب الحديث (لابن سلام): ١٢٠/٢؛ المعجم الكبير: ١٠٤/٧، ح ٦٥٠٨؛ جامع الأحاديث: ٢٢٥/٣، ح ٨٣٠١.

٢. في خ: المحمود.

٣. «أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةُ مَآ فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ» أنشده جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي في بحر بسيط في مديحة يزيد بن عبد الملك؛ راجع: ديوان جرير: ٢٨٩؛ غريب الحديث لابن سلام: ٣١٦/٤؛ طبقات فحول الشعراء: ٤٣٠/٢؛ الأغاني: ٧٣/٨.

المضاف إليه مقامه. و«الهُوى» المراد به الشهوة، وهي من أصول النعم، فلا يكون آفة للدين، ولا بدّ من تقدير الحذف؛ قال الله تعالى: «وَتَمْنَى النَّفْسُ عَنِ الْهُوى»^(١).

السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ * وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بطنِ أُمِّهِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ تقول: اتَّعَظَ بغيرك مِمَّنْ كان قبلك أو معك، فإنَّ السعيد من نظر إلى أحوال غيره واعتبر به؛ لأنَّه إن اتَّعَظَ بغيره انتفع باتِّعاظه ولا يُمْكِنُه أن يتَّعَظَ بنفسه.

مثاله: إذا رأيت إنساناً قتل نفساً ظلماً فاقتص منه وقتل بالمقتول قوداً، صار ذلك لطفاً لك تتَّعَظَ به وتردجر عن مثل ذلك، لئلا يفعل بك ما فعل به بعد القتل.

و«السعادة» يستعمل عرفاً في الحظِّ والبخت يقال: سعد جدّه.

وروي: «السَّعِيدُ مَنْ اتَّعَظَ بِغيرِهِ»^(٢)، أي: من يعتبر بفعل الأغيار بها يجري عليهم من الحدود والأحكام عند اكتساب الآثام، فيمسك عن مثل ذلك سرّاً وعلانية، فلا يوقع نفسه في الهوان؛ فهو السعيد حقّاً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ والقرينة الأخرى له معنيان:

إحداهما: أنَّ الشَّقِيَّ حقَّ الشَّقِيَّ من علم الله أَنَّهُ يُشَقِي بفعله من اختيار الكفر والمعصية وهو في بطن أُمِّهِ، لا من يكون فقيراً مسكيناً يشقى لاحتياجه في الدنيا.

والوجه الآخر: أَنَّهُ ^(٣)إِنَّمَا: أراد به «الأم»: جهنّم، من قوله: «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ»^(٤)، أي: الشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِيَّ من شَقِيَ في نار جهنّم، وهي شقاوة لا شقاوة مثلها، ومن كان في الدنيا في شدّة وشقاوة إنّها يكون ذلك سبب السعادة.

١. أي نهى النفس عن اتباع الهوى؛ النازعات: ٤٠.

٢. عن أمير المؤمنين ^(٥)عليه السلام في كتاب له إلى عمرو بن العاص؛ راجع: الأخبار الطوال: ٢٣٩؛ وكذا راجع: التمثيل والمحاضرة: ٨؛ وكذا نقل بلفظة «العاقل» في: عيون الحكم والمواعظ: ٤٧.

٣. القارعة: ٩.

وقيل: المراد ببطن الأم: القبر الذي مرجعنا إليه، وتسميته في بطن أمه شقياً على الوجه الأول نوع من المبالغة، أي سيصير كذلك لا محالة؛ كقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ»^(١)، أي ستموت. وإن الله تعالى إذا كان عبد في بطن أمه يكتب على اللوح المحفوظ: أنه يصير شقياً لاختياره الكفر لطفاً للملائكة.

كفارة الذنب التَّدَامَةُ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَقُولُ: إِذَا أَذْنِبْتَ ذَنْباً ثُمَّ نَدِمْتَ عَلَيْهِ وَتَبْتَ مِنْهُ وَقَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ كَفَّارَةٌ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا لِفَقْرِكَ بِكَ فَإِنَّ نَدَامَتَكَ كَافِيَةٌ وَمَجْزِيَةٌ عَنِ الْكَفَّارَةِ، وَيَقُومُ مَقَامَهَا؛ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى. و«الكفارة» ما يستر به الذنب.

الْجُمُعَةُ حَجُّ الْمَسَاكِينِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَرَادَ بِهِ تَطْيِيبَ قُلُوبِ الْفُقَرَاءِ وَتَسْلِيمَهُمْ، يَقُولُ: إِنْ لَمْ يُمْكِنْهُمْ الْحَجُّ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلُ ثَوَابِ الْحَجِّ فَسَلِّمَهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا الْجَامِعَ لِأَدَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مَعَ الْإِمَامِ. وَهَذَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، يَعْنِي ثَوَابَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ لِلْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا اسْتَطَاعَةَ لَهُمْ بِالْحَجِّ كَثَوَابِ الْحَجِّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَبَسَ أَطْهَرَ ثِيَابِهِ وَتَطَيَّبَ بِطَيِّبٍ كَانَ عِنْدَهُ وَحُضَرَ الْجَامِعَ، وَاسْتَمَعَ إِلَى خُطْبَةِ الْإِمَامِ، وَصَلَّى صَلَاةَ الْجُمُعَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ.^(٢)

١. الزمر: ٣٠.

٢. نصه في المصادر: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَفَسَلِهِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَمَسَّ مِنْ دُهْنٍ أَوْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الثِّيَابِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَأَنْصَتَ لِلْإِمَامِ إِذَا جَاءَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»؛ راجع: مصنف عبد الرزاق: ٢٦٧/٣، ح ٥٥٨٩؛ مسند الحميدي: ٧٦/١، ح ١٣٨؛ كنز العمال: ٣١٣/٧، ح ٢١٢٩٠-٢١٢٩٣.

وقال: «هممتُ أن أحرق على قوم منازلهم تركوا الجمعة بغير عذر»^(١).

وسمّي هذا اليوم الجمعة لاجتماع الناس لصلاة الجماعة.

وقيل: إنّ الله نسب الحجّ إلى الأغنياء في الأصل فيدخل فيه الفقر^(٢)، ونسب

رسول الله ﷺ الجمعة إلى المساكين ليدخل الأغنياء فيها تبعاً.

الحجُّ جهادٌ كُلٌّ ضَعِيفٌ * جهادُ المرأةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ أَظْهَرَ عَلَيْهِ ههنا وفي الخبر الأول عذر من كان ضعيفاً عن بعض العبادة الشاقّة بما هو أسهل منها، فقال أولاً: إنّ المسكين لما لم يمكنه الحجّ فإذا تمّ ثواب الحاجّ جعل له عبادة يقوم مقام الحجّ في حصول الثواب، لا في سقوطه عنه إذا وجد الاستطاعة، وهو صلاة الجمعة مع الإمام العدل ومن يقوم مقامه في الجامع؛ وكذلك من كان عاجزاً عن الجهاد لضعفه وأراد أن يدرك ثواب المجاهدين فأمره بالحجّ، ويبيّن أنّ له في حجّه ثواب من جاهد في سبيل الله إذا كان معذوراً في قعوده عن الجهاد.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ وكذلك المرأة إذا سمعت ثواب المجاهدين فكأتمّها تمّت ذلك، فقليل لها: جهادك حسن خدمتك لبعلك، وحسن معاشرته وترك العبرة على ضرائرك.

وروي: «أنّ امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: أنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن استشهدوا كانوا أحياء مرزوقين، ونحن نساء نقوم على المرضى ونداوي الجرحى، فما لنا من الآخرة^(٣)؟ فقال: يا وافدة النساء! إنّ طاعة

١. نصّه في المصادر: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحْرِقُ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بَيُوتَهُمْ»؛ راجع: مسند ابن أبي شيبة: ٢٢٠/١، ح ٣٢٥؛ مسند أحمد: ٤٠٢/١، ح ٣٨١٦؛ جامع الأحاديث:

٥٦/٦، ح ١٧١٦٨؛ وكذا راجع: سنن أبي داود: ١٥٠/١، ح ٥٤٩؛ سنن البيهقي: ٥٦/٣، ح ٤٧١٥.

٢. كذا في خ.

٣. في المصادر: الأجر.

الزوج والاعتراف بحقه يعدل ذلك كله»^(١).

وقال: «المرأة إذا صلت خمسه، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلمها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «الضعفاء شيعتنا والحجج جهادهم»^(٣).

وهذا إشارة إلى أن الجهاد من شرطه حضور الإمام، فإذا لم يمكنهم مجاهدة العدو في حال الغيبة فالحجج هو الجهاد.

و«الحجج»: القصد إلى بيت الله شرعاً، و«الجهاد» قتال من يجب قتاله، وهما من الأسماء المخصوصة؛ و«الضعيف» في اللغة ضد القوي، ومرجعه إلى انتفاء القدرة^(٤) أو نقصانها، أي: من لم تقو على جهاد الكفار مستطيعاً للحجج فإنه منه كالجهاد.

وفسر التبعل القاضي بملاعبة المرأة بعلمها زوجها وحسن عشرتها معه، والمرأة إذا جاهدت نفسها في خدمة الزوج فهو الجهاد الأكبر.

طَلَبُ الْحَلَالِ جَهَادٌ

يَنَالُ الْجَبَرُ يَقُولُ: اطلب الحلال، وجاهد نفسك والشیطان في طلبه^(٥) واجتناب الحرام؛

١. راجع: كنز العمال: ٦٠٩/١٦ - ٦١٠، ح ٤٦٠٤٢؛ الترغيب والترهيب: ٣/٣٤، ح ٢٩٧٤؛ مجمع الزوائد: ٣٠٥/٤.

٢. قاله رسول الله ﷺ راجع: تفسير النعلبي: ١٧٣/٢؛ مكارم الأخلاق (للطبرسي): ٢٠١؛ حلية الأولياء: ٣٠٨/٦؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٤/٢٣٤؛ وكذا عن الصادق مع اختلاف يسير في النص، راجع: من لا يحضره الفقيه: ٤٤١/٣، ح ٤٥٣١.

٣. في المصدر: «الحجج جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء»، من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٢٦، ح ٢٢٥٦؛ وكذا راجع: الكافي: ٢٥٣/٤، كتاب الحج، باب فضل الحج، ح ٧؛ وكذا عن موسى الكاظم عليه السلام، راجع: ثواب الأعمال: ٤٩.

٤. في خ: القدر.

٥. أي طلب الحلال.

وإنما قال ذلك لأنّ نفس بني آدم تميل إلى الحرام، فإذا خالفها لرضا الله يكون ذلك من أكبر الجهاد.

ولذلك سمّاه رسول الله الجهاد الأكبر حين رجع عن بعض الغزوات، فقال: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، قِيلَ: مَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: طَلَبُ الْحَلَالِ»^(١).
وروي: «طلب كسب الحلال»^(٢).
و«الكسب» فعل يجزّ به المنفعة.

الْعِلْمُ لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ معناه: إذا أتاك المتعلّم وأنت عالم مقتبساً علم الدين مستفيداً، فلا تبخل عليه؛ لأنّ من لم يعلمه فقد ارتكب محظوراً بمنعه العلم عن طالبه، إلا إذا كان الطالب غير أهل لذلك.

وقد روي عن الصادق عليه السلام: «من منع العلم أهله فقد ظلمه - يعني الطالب -، ومن بذله غير أهله فقد ظلمه - يعني العلم -»^(٣).

مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ يقول: إذا فارق مؤمن بلده ومسقط رأسه في طاعة أو مباح أو ضرورة ومات

١. في المصادر: بدل «طلب الحلال» «جهاد النفس»؛ راجع: الكافي: ١٣/٥، كتاب الجهاد، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب، ح ٣؛ وفي مبسوط السرخسي: ٢٥٢/٣٠: «الجهاد عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال».

٢. شعب الإيمان: ٤٢٠/٦، ح ٨٧٤١؛ كنز العمال: ٦/٤، ح ٩٢٣١.

٣. لم أقف عليه، نعم ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تمنع العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل»، راجع: سنن الدارمي: ١٠٦/١؛ جامع بيان العلم وفضله: ١١٠/١.

في غربته بعيداً عن الأموال والولد والأحباء والأقرباء مشتاقاً إلى لقائهم غير عالم بأحوالهم، يحصل له من الغمّ والحسرة ما لا يعلم كنهه إلا الله؛ فهو مستحقّ من الأجر بالصبر على ذلك ومن الإعراض ما يقابل أو يقارب أجر شهيد.

وقيل له معنى آخر، وهو أنّه عليه السلام أراد: من مات في غربة الإسلام مات شهيداً، يعني من مات في آخر الزمان مؤمناً، لأنّه ^(١) وأنّ غربة الإسلام يجور ثواب شهادة القتيل في سبيل الله.

وقيل: المراد بـ «الغربة» التي في الخبر في زمان النبي عليه السلام لأنّ أكثرها في الهجرة والغزو ونحوهما.

والعموم يتناول جميع ذلك.



الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ

يُنَازِلُ الْخَبَرَ معنى الخبر مثل يضرب في موضع يريد الرجل أن يعمل على ظنّه، ^(٢) فيقال: فَتَشَّ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَتَبَيَّنَ وأشهده بنفسك أو برأيك، فإنّ الحاضر يرى ما لا يراه الغائب عنه.

والسبب في ذلك ما روي: «أنّ مارية القبطيّة كان لها ابن عمّ يكثر الدخول عليها، فطعن بعض المنافقين في ذلك، فقال رسول الله عليه السلام: اذهب، فإن وجدته عندها فاقتله، فقال عليّ: يا رسول الله! أَكُونُ [في] أمرك كالسكّة المحمّاة؟ أقتله أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: لا، بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؛ فخرج، ودخل عليها،

١. كذا في خ.

٢. راجع: الأمثال في الحديث النبوي: ١٩٠؛ مجمع الأمثال: ٤٢٩/٢؛ وفي جمهرة الأمثال: ١٨٩/١: «قول

معقل بن خويلد الجاهلي:

الأمر ما لا يرى الغائب».

يرى الشاهد الوداع المطمئن من

فوجد عندها، فأخرط السيف وقصده، فهرب الغلام ورقى نخلة كانت هناك، وألقى نفسه وكشف عن عورته، فإذا هو أمسح أجب، فرجع عليّ إلى رسول الله وأخبره بالحال؛ فقال: الحمد لله الذي يذب^(١) عتاً أهل البيت^(٢).

وقيل: معناه: الشاهد في حضرة الله - التي هي السماوات وما فوقها - يرى من فرط لفظه^(٣) تعالى ما لا يرى الغائب عنها.

الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ

بيّن الخبر يقول: إن لم تقدر على فعل الإحسان إلى غيرك وهو محتاج فذلّه على من يصطنع إليه معروفاً، فإنّ الدالّ على الخير شريك له في الأجر وإن لم يكن له شريك في الفعل؛ وإنّ من دلّ إنساناً على خير فكأنما فعل ذلك الخير بنفسه، لأنّه ربّما لم يوصل إلى ذلك الخير إلّا بدلالته، فكما أنّ فاعل الخير يستحقّ المدح والذمّ وكذلك الدالّ عليه.

فهذا حتّ لمن يقدر أن يدلّ إنساناً إلى الخير على الدلالة، وحتّ للمدلول على شكر الدالّ كما يشكر فاعل الخير.

وقيل: الخبر ورد على سبب، وهو: أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله فاستحمله، فقال له: لا أجد ما أحملك عليه، ولكن انت فلاناً فلعلّه يحملك، فأتاه فحمله، فقال عليه السلام: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٤).

١. في ص: يصرف.

٢. راجع: الأمالي (المرتضى): ٥٤/١ - ٥٥؛ حلية الأولياء: ١٧٨/٣؛ صفة الصفوة: ٧٩/٢.

٣. كذا في خ.

٤. مصتّف عبد الرزاق: ١٠٧/١١، ح ٢٠٠٤؛ مسند أحمد: ١٢٠/٤، ح ١٧١٢٥؛ سنن أبي داود: ٣٣٣/٤.

سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرْباً

يُنَاقِزُ الْجَبْرُ هذا الخبر من باب الأدب، واللفظ خبر ومعناه أمر. يقول: إذا كان جماعة في سفر وقلّة ماء وكان الماء في يد واحد يسقيهم جميعاً، فينبغي أن يكون شفقتهم عليهم كشفقته على نفسه بل أعظم، بأن يكون آخرهم شرباً، فلو لم يكن لأحد منهم شرب ونصيب لكان ذلك الساقى.

وقيل: لأنّه إذا نصب نفسه للسقي كان كخادم القوم، فيجب أن يكون آخرهم شرباً. ثمّ أنّه سقاهاهم من إناء واحد، ربّما يتغنّى^(١) طبع من يسقيه بعد شربه. وروى: أنّه عليه السلام قاله لما نزل بأمّ معبد واستأذنها في حلب شاة عجفاء لها، فحلب لبناً كثيراً، وجعل بسقيهم واحداً واحداً، فقيل: يا رسول الله! ألا تشربه؟ فقال هذه الكلمة.^(٢)

وهي حثّ على حسن الآداب في المشرب كما في المطعم.

كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ

يُنَاقِزُ الْجَبْرُ معناه: أن كلّ من أعطى إنساناً شيئاً وقصد به وجه الله فهو صدقة يؤجر عليها، وما أعطاه وأخرجه في معصية لا يدخل في هذا الباب، لأنّه منكر، والمنكر ضدّ المعروف.

بيّن بهذا الحديث أنّ المعروف ليس هو الإعطاء فحسب، وإنّما هو على الأنواع، والله تعالى ليس بغافل عن صغيرة وكبيرة.

١. تغنى النفس: تضطرب حتّى تكاد تنقيا.

٢. التقات: ١٢٥/١؛ أسد الغابة: ٤٩٨/٥؛ كشف الغمّة: ٢٤/١.

وتام الخبر: «إِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(١).
وقال عليه السلام: «وإنَّ المعروف باب من أبواب الجنة فإنه يمنع من مصارع السوء»^(٢).
و«المعروف» كل امرئ عرف في الشرع، والعرف جوازه أو وجوبه، ويستعمل بمعنى العطية، وكذلك العرف.
و«الصدقة» ما يُعطى الفقير على وجه التطوع، والزكاة للواجب، ثم تتداخلان.

مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ

يُنَالِ الْجَبَرُّ يَقُولُ: دَارِ النَّاسِ وَلَا طِفْهَم وَلَا ثَنِيهِمْ، فَإِنَّ مِنْ يَدَارِهِمْ وَيُسَاهِلُهُمْ فِي مَعَامَلَاتِهِمْ وَمُبَايَعَتِهِمْ وَمَشَارَاتِهِمْ فَهُوَ كَالْمَصْدُقِ، وَثَوَابُهُ ثَوَابُ الْمُتَصَدِّقِينَ.
و«المداراة»: المدافعة من «الدري» وهو الدفع، والمراد بها ههنا الملاينة، وإذا سكت الإنسان عن طلب حَقِّه وسامح لسلامة دينه ودنياه فهو مداراة، يكتب له بها ثواب الصدقة وأجرها.

الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ

يُنَالِ الْجَبَرُّ يَقُولُ: احْسِنُ الْكَلَامَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْفَضَائِلِ، وَأَنَّهُ يَقَعُ مَوْقِعَ الصَّدَقَةِ.
ومعناه: أَنْ مَنْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُعْطِي الْفَقِيرَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّهُ رَدًّا جَمِيلًا، وَيَكَلِّمَهُ بِكَلِمَةٍ يَطِيبُ بِهَا قَلْبَهُ، مِثْلَ قَوْلِهِ: وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَأَعْطَاكَ اللَّهُ، وَأَغْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ؛ فَإِذَا رَدَّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ يَكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ صَدَقَةٌ.

١. مسند أحمد: ٣/٣٤٤، ح ١٤٧٥١ مسند عبد بن حميد: ٣٢٩، ح ١٠٩٠.

٢. الفردوس بمأثور الخطاب: ٤/٢١٤؛ كنز العمال: ٦/٣٤٤، ح ١٥٩٧١.

قال تعالى : «قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى»^(١).
وقال: «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ»^(٢).

مَا وَفَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ

يَا أَيُّهَا الْجَبَرُ يقول: إذا خفت شرَّ ظالم أو أذى حاسد أو هجو شاعر، فكلَّ ما أعطيته على سبيل الرشوة يكتب لك به صدقة.

يريد: ما حفظ المرء به نفسه من أصحاب السوء بإعطاء هبة يكن بمنزلة الصدقة؛ وهذا على سبيل التسلية له، لئلا يظنَّ أنَّ ما أنفق من ماله في أمثال هذا ضائع، بل هو بمنزلة ما تصدَّق به، و«وقاه الله الشرَّ» أي: حفظه منه ودفعه عنه، والغرض ههنا.

الصَّدَقَةُ عَلَى الْقَرَابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ

يَا أَيُّهَا الْجَبَرُ معناه: إذا كان لك فضل مال تهبه للمسلمين فعليك أن تعطي قرابتك وتتصدَّق به عليهم؛ فيجمع له به أجران: حيازة فضيلة الصدقة، وحيازة فضيلة الصلة مع الرحم.

وأراد بـ«القرابة» ذا القرابة، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي الصدقة على من كان بينك وبينه قرابة النسب لها وجهان وثوابان، فإتيها صدقة وصلة رحم؛ الصدقة على ذوي القربى على ضعف ما يكون على الأجانب، قال تعالى : «وَأَتَى النَّهَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى»^(٣)، فقدّمهم على من سواهم للمعنى الذي أشار إليه عليه السلام.

١. البقرة: ٢٦٣.

٢. الضحى: ١٠.

٣. البقرة: ١٧٧.

الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ

يُنَالُ الْجَبَرُ يعني: تصدق في كل حال بقليل كان أو كثير، فإنها تمنع موت الفجأة؛ وسمي مِيتَةَ السَّوْءِ، لأنه أسوء الموت من حيث إن صاحبه لا يصل إلى التوبة والوصية وإصلاح ما بينه وبين الناس. والفِعلَةُ بالكسرة الهياة، وبالفَتْح المَرَّة الواحدة. و«السوء»: ضد الحسن، والإساءة ضد الإحسان.

وروي: «أن عيسى عليه السلام كان جبرئيل عليه السلام عنده يوماً، فمرَّ بهما رجل على ظهره حزمة حطب وبيده رغيف يأكله وهو يلعب ويضحك، فقال جبرئيل: عجباً لهذا الرجل يفعل وما بقي من عمره ساعة أو ساعتان، فلما كان في اليوم الآنف مرَّ الرجل وعلى عاتقه^(١) حبل يخرج للاحتطاب، فسأل الله عيسى أن يبين تلك الحالة، فأتاه جبرئيل، وقال: قل لهذا الرجل ليأتي بالحزمة التي كانت معه أمس، فجاء بها ففتحها عيسى، فإذا في وسطها أفعي، فقال جبرئيل عليه السلام: رأيت في اللوح أن هذا الرجل يقتله هذا الحية، ولكن سله: هل فعل خيراً مذ فارقنا؟ فسأل، فقال: ما فعلتُ شيئاً إلا أتي كنت آكل رغيفاً وبقيت منه بقيةً فسألني رجل فأعطيته إياها، فقال جبرئيل عليه السلام: إن الله قد دفع عنه ذلك البلاء بتلك الصدقة، وزاد في عمره كذي سنة»^(٢)؛ وذلك قوله: «يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٣).

١. في مخ: عاتق.

٢. راجع: عدة الداعي: ٦١؛ بحار الأنوار: ١٣٤/٩٣، باب ١٣، ح ٦٨؛ المعجم الأوسط: ٣٥٢/٧، ح ٧٧٠٤؛ أمالي ابن سميون: ٢٤/١؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ١٧١/٤، ح ٦٥٣٢.

٣. الرعد: ٣٩.

صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ

نَيَّانُ الْجَبْرِ يَقُولُ: إِذَا تَصَدَّقْتَ بِشَيْءٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ سِرًّا خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِي السِّرِّ يَدْفَعُ عَنْكَ عِقَابَ اللَّهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

و«الغضب» من الله عذابه؛ وفي الواحد منّا تغَيَّرَ يقتضي تعذيباً لغيره، كما أَنَّ الرَّحْمَةَ فِينَا رَقَّةٌ فِي الْقَلْبِ يَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْغَيْرِ، وَالرَّحْمَةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْإِحْسَانُ. وَقِيلَ: الْغَضَبُ إِرَادَةُ الشَّرِّ وَالْمُضَرَّةُ بِالْغَيْرِ، وَغَضَبَ اللَّهُ إِرَادَتَهُ الْعِقَابَ لِمُسْتَحِقِّهِ.

وَرَوَى: «أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْجِبَالَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِهْنَا! هَلْ خَلَقْتَ أَشَدَّ مِنَ الْحَجَرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْحَدِيدُ؛ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ الْحَجَرَ. فَسَأَلُوهُ عَمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ فَقَالَ: النَّارُ. فَسَأَلُوهُ عَمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: الْمَاءُ. فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: التُّرَابُ، فَإِنَّهُ يَغْلِبُ الْمَاءَ. فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشَدَّ مِنْهُ؟ فَقَالَ: الرِّيحُ. فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشَدَّ مِنْهَا؟ قَالَ: عَبْدٌ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ صَدَقَةً لَا تَشْعُرُ بِهَا شِمَالُهُ، هُوَ أَشَدُّ عِنْدِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ»^(١).

صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ

نَيَّانُ الْجَبْرِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ فِي عُمُرِ مَنْ يَصِلُ رَحِمَهُ؛ وَ«صِلَةُ الرَّحِمِ»: أَنْ يَفْعَلَ بِأَقْرَبَائِهِ وَذَوِي أَرْحَامِهِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ وَالزِّيَادَةِ وَالْقِيَامِ بِأَوْدِهِمْ وَإِعَانَتِهِمْ عَلَى حَوَادِثِ الدَّهْرِ بِمَا يُمْكِنُهُ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَتَعَهَّدَهُمْ بِالسَّلَامِ وَالْإِلْهَامِ. وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَجَدْتُ فِي قَائِمِ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ رَقْعَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: صِلْ مَنْ

١. نقل عن الإمام الحسن عليه السلام - وهو صحيح - في جواب سؤال بطل شامي؛ راجع: الخصال: ٤٤١ - ٤٤٢؛

بحار الأنوار: ١٣١/١٠، باب ٩، ح ١.

قَطَعَكَ وَأَحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَقُلِ الْحَقُّ وَإِنْ عَلَيَّ»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّحِمَ إِذَا قُطِعَتْ، فَوُصِلَتْ، فَقُطِعَتْ، قَطَعَهَا اللَّهُ»^(٢).
وقال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ اللَّهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ - أَيِ أَجَلِهِ»^(٣) - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٤).

صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ

يَنَالُ الْخَيْرَ مَعْنَاهُ: مِنْ اعْتَادَ فَعَلَ الْخَيْرَ وَاصْطَنَعَ الْمَعْرُوفَ لَا يَمُوتُ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ.
و«الصَّنَائِعُ» جَمْعُ صَنِيعَةٍ، وَهِيَ النِّعْمَةُ الْمَصْنُوعَةُ الْمَرْبُوبَةُ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ. وَالْمُرَادُ بِ«الْمَعْرُوفِ» الْعَطِيَّةُ وَمَا يَعْرِفُ فِي الشَّرْعِ مِنَ الزُّكُوتِ وَالصَّدَقَةِ. وَإِضَافَةُ الصَّنَائِعِ إِلَى الْمَعْرُوفِ كإِضَافَةِ الْحِنْدُسِ إِلَى الظُّلْمِ فِي قَوْلِهِ: «وَلَمْ أَقَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدُسِ الظُّلْمِ»^(٥) وَهِيَ بِمَعْنَى: فَأَجَازُوا ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ. وَ«الْمَصْرَعُ» مَوْضِعُ الْمَصْرَعِ.
يَقُولُ: إِنَّ اتِّخَاذَ الْمَعْرُوفِ صَنْعَةً وَبَذْلَ الْأَمْوَالِ عَلَى مَقْتَضَى الشَّرْعِ يَحْفَظُ صَاحِبَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي مَصْرَعٍ.

١. راجع: نثر الدرر: ١٣٤/١؛ البدر المنير: ٧٤١/٦؛ كنز العمال: ٩٩/١٦، ح ٤٤٢٩٨؛ وكذا راجع: كنز الفوائد: ١٩٤؛ بحار الأنوار: ١٧١/٧٤.
٢. الإرشاد: ٢٣٨/٢؛ الغيبة: ٢٨؛ بحار الأنوار: ٢٣٢/٤٨، باب ٩، ح ٣٨.
٣. راجع: تهذيب اللغة: ٨٩/١٥.
٤. صحيح البخاري: ٨/٣؛ صحيح مسلم: ٨/٨؛ سنن أبي داود: ٣٨٢/١، ح ١٦٩٣؛ وكذا راجع: الكافي: ١٥٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم، ح ٢٩.
٥. قال إسحاق بن خُلف: «لَوْ لَا أُمَيَّةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْقَدَمِ وَلَمْ أَقَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدُسِ الظُّلْمِ»؛ «العدم: الفقر، والهندس: شدة الظلمة؛ يقول: لو لا ابنتي أميمة لم أخف من الفقر ولم أرحل في طلب المال»؛ راجع: عيون الأخبار (لابن قتيبة): ٣١٢؛ الزهرة: ١٩٥؛ ديوان الحماسة: ١٠٠/١.

وروي: «اصطناع [المعروف] يقي»^(١)، و«فعل المعروف»^(٢)؛ وكلاهما واحد.
يقال: صنع معروفاً واصطنعه، والمعنى: أن فعل المعروف في أهله يقي فاعله الوقوع
في الأسواء.

وروي: «أن الصدقة الواحدة تدفع سبعين باباً من البلاء وأنها تفكّ لَحْصِي
الشيطان»^(٣).

الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ المعنى: أن المؤمن إذا كان مؤدياً للزكاة متبرعاً بالصدقات جعل الله له يوم
القيامة بجزاء ذلك ما يقيه من المكاره حرّ ذلك اليوم؛ وجعل نفس الصدقة ظلاً،
والمراد جزاؤها على طريق المبالغة من حيث أنه كان بسببها. ولا يمتنع أن يقال: إن الله
جعل ما تصدّق به المؤمن جسماً كثيفاً ساتراً مظللاً على صاحبه، كما جاء في تفسير^(٤):
«يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ»^(٥): إن الله يربي الصدقة حتى يجعلها كأعظم جبل

١. دعائم الإسلام: ٣٢١/٢؛ مستدرک الوسائل: ٣٥٤/١٢، ح ١٤٢٧٢؛ وراجع: الأمثال (لابن سلام): ٣٠؛
تعليق من أمالي ابن دريد: ٣.

٢. مسند الشهاب: ٩٣/١، ح ١٠١؛ الجامع الصغير: ٢١٨/٢؛ شعب الإيمان: ٢٤٥/٣، ح ٣٤٤٢؛ جامع
الأحاديث: ٧٤/٥، ح ١٣٤٧٤.

٣. في الكافي: «الصَّدَقَةُ بِأَيْدِي تَقِي مِيتَةَ السُّوءِ وَتَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَتَفُكُّ عَنْ لَحْصِي
سَبْعِينَ شَيْطَاناً كُلُّهُمْ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ»؛ راجع: الكافي: ٣/٤، أبواب الصدقة، باب فضل
الصدقة، ح ٧.

٤. في خ: نفسه.

٥. البقرة: ٢٧٦.

في الأرض.^(١)

فهو ههنا يجعل الشيء المتصدق به ظلاً على صاحبه حتى يحكم الله بين الناس، يعني طول يوم القيامة؛ فيكون هو في راحة حيث كان غيره في حرّ يوم القيامة. يقول: إن الله يجعل ثواب صدقته وقايةً عن حرّ يوم القيامة، وإنّا قال: «حتى يقضي»^(٢) بين الناس»، لأنّ الخوف في القيامة أكثره قبل الحكم، فأما بعده فقد تبين الرشد من الغي.

الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ مفهومه: كما لا بقاء للنار مع الماء فكذلك لا بقاء للخطيئة مع بذل الصدقة للمؤمن، يعني أنّ الله بفضله يتجاوز عنها عند بذله لها لبركتها؛ وإطفاء الصدقة الخطيئة تشبيه لها بالماء والنار، وإنّا جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث أنّها تؤدي إلى النار، ومثله قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّا نَأْكُلُونَهَا فِي بُطُونِهِمْ نَاراً»^(٣)، فجعل ما يأكلونه ناراً من حيث يؤدي إلى النار؛ وجعل الصدقة التي تدفع حرّها بمنزلة الماء المطفئ للنار. والمطفئ في الحقيقة هو الله تعالى، ولكنه لما كان بسببها^(٤) أضاف الفعل إلى مسببه. ثم شبه ذلك تشبيهاً حقيقياً، كما يطفئ الماء النار

١. «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِمِيزَانِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَى أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»، وفي بعض الروايات: «مثل أخذ»؛ راجع: تفسير ابن أبي حاتم: ٥٤٧/٢؛ تفسير الثعلبي: ٩١/٥؛ وراجع: مسند الحميدي: ٤٨٨/٢، ح ١١٥٤.

٢. في خ: تقضي.

٣. النساء: ١٠.

٤. بسبب الصدقة.

ليتحقق ما ذكره من إطفاء الصدقة الخطيئة. و«الكاف» للتشبيه، ومحله النصب، لكونه صفة لمصدر منصوب، والتقدير: إطفاءً مثل إطفاء الماء النار.

المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَا نَعِيهَا

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ لَهُ ثَلَاثُ مَعَانٍ:

أحدها: أَنْ مَنْ أَسْرَفَ فِي الصَّدَقَةِ حَتَّى جَعَلَ نَفْسَهُ فَقِيرًا وَعِيَالَهُ مُحْتَاجًا فَهُوَ كَمَا نَعِي الصَّدَقَةَ، وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ: أَنَّهَا جَمِيعًا - أَعْنِي الْإِسْرَافَ وَالتَّقْصِيرَ - مَمْنُوعَانِ مُحَرَّمَانِ عَقْلًا وَشَرْعًا، وَالْمَحْمُودُ الْمَرْضِيُّ الْقَصْدُ الَّذِي هُوَ وَاسِطَةُ الْأُمُورِ.

والثاني: أَنْ مَنْ تَعَدَّى بِهَذِهِ الصَّدَقَةِ إِلَى غَيْرِ مُسْتَحَقِّهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْمَانِعِ. والثالث: مَعْنَاهُ: مَنْ تَعَدَّى فِي اخْتِذَاصِ الصَّدَقَةِ بِأَنْ يَأْخُذَ خِيَارَهَا الْمَنْهِيَّ عَنْ اخْتِذَاصِهَا فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَذَى إِلَى أَنْ يَمْنَعَ صَاحِبَ الْهَالِ الصَّدَقَةَ فِي الْعَامِّ الْقَابِلِ، فَهُوَ كَالْمَانِعِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ سَبَبُ الْمَنْعِ؛ وَفِي هَذَا تَعَسَّفَ.

التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يَقُولُ: مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ التَّوْبَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيَطَهِّرُهُ مِنَ الذَّنُوبِ، فَيَصِيرُ كَمَنْ لَمْ يَذْنِبْ قَطًّا.

و«التوبة» هي الندم على ما مضى والعزم على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل لقبحه، وهذا توبة أجمعت الأمة^(١) على إسقاط العقاب عندها، فالمعتزلة يقول: التوبة يسقطها، ونحن نقول: إِنَّ اللَّهَ يَتَفَضَّلُ بِإِسْقَاطِ الْعِقَابِ عِنْدَ التَّوْبَةِ؛ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ وَعْدُ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ»

عِبَادِهِ»^(١)، وخلف الوعد لا يجوز عليه تعالى.

الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ معناه: أَنَّ الظالم يكون يوم القيامة في ظلمة تَحْيَرُهُ، كما يقال للمتحيِّر^(٢): هو في ظلمة من أمره؛ وبالظلمة يعاقب الظلمة يوم القيامة، وهو قوله: «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَاتَمِسُوا نُورًا»^(٣).

وتحقيقه: أَنَّ جزاء الظلم يكون ظلمات يوم القيامة؛ وإنَّما جمع الظلمات، لأنَّ الظلمة يكون مشتملة عليه في الموقف وعلى الصراط في دركات النار؛ فقد جاء في الأخبار: «إِنَّ نار جهنم أسود»^(٤).

وقد طابق في اللفظ بين الظلمة والظلم، وقيل: أقلَّ الظلمة في أمة محمد قول أحدهم الآخر: «تَنَحَّ عَنِ الطَّرِيقِ»^(٥).

كَثْرَةُ الضَّحِكِ ثَمِيْتُ الْقَلْبِ

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ معناه: لا تفعلوا الأفعال المضحكة، ولا تضحكوا في غير أعجوبة ساهين لاهين، فتكونوا كأنَّ لا قلوب لكم؛ ومن كان ضحكه كثيراً يغفل عن الحق، وعلامة

١. الشورى: ٢٥.

٢. في غ: للتحير.

٣. الحديد: ١٣.

٤. قال رسول الله ﷺ في صفة نار جهنم: «أَتُرَوْنَهَا حُمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ هِيَ أَسْوَدُ مِنَ الْقَارِ، وَالْقَارُ الرَّفْتُ»؛ راجع: الموطأ: ٩٩٤/٢؛ الاستنكار: ٥٩٣/٨.

٥. قاله الثعالبي في كتاب لطائف المعارف، راجع: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٩/٦؛ مآثر الإنافة: ٣٤١/٣.

موت القلب غفلته، وعلامة حياته سهوده^(١).

و«الضحك»: تفتح يظهر الوجه لمسرة في القلب ولحدوث عجب، وهو في الحقيقة لا يكون من فعلنا، وكذلك البكاء، وكذلك من فعل الله فينا على سبيل العادة عند أسباب يفعلها وأحوال منا يقتضيها في أكثر الأحوال، وربنا يحصلان من غير دواعينا. وموت القلب أنه يحصل غافلاً ساهياً عما يجب عليه التفكر فيه، فإذا صار القلب بحيث لا ينتفع به فهو كالميت، ومثله قوله: «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى»^(٢).

فِي كُلِّ كَبِدٍ حَرَىٰ أَجْرٌ

يُنَالُ الْخَبَرَ لِلْخَبَرِ مَعْنِيَانِ:

أحدهما: أن في كل قلب حزين بالمصيبة والمساءة أجراً وعوضاً مستحقاً على الآلام التي أصابته والمصيبات، وسمى العوض أجراً على سبيل التوسع. والثاني: أنه أراد في إشباع كل كبد جائعة وإرواء كل كبد عطشى أجر على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

والمراد بالأجر في هذا الوجه الثواب، وهو حقيقة في الثواب، وإنما قال: «حري» على «فعل» التي هي للمؤنث لأن الكبد مؤنث، يقال: رجل غرثان وعطشان وامرأة غرثى وعطشى؛ والعرب تعبر بالكبد عن القلب.

ومفهوم الخبر: من أتى معروفاً مع كل من كان ينال أجراً جزيلاً من الله. وكان في بني إسرائيل رجل عاصٍ فمرّ على بئر وإذا كلب قد هت من العطش، فأخذ عمامته وشدّ على خفه وأسقى به الماء وأرواه، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان:

١. حذره ويقاظته.

٢. النمل: ٨٠.

إني شكرت سعي فلان لشفقته على خلق من خلقي، فسمع الرجل ذلك وتاب من المعاصي، وصار ذلك سبباً لتوبته.^(١)
ومن أبين علامات الإيمان الشفقة على خلق الله.

الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

يَبْنِي الْجَبَرُ يَقُول: إن الله ائتمن العالمين على أمانته التي هي الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ليفتوا للخلق بالأمانة والحق فيما بينهم وبين الله بها علموه وتحققوه بآية محكمة أو سنة مقطوع بها.

ومعنى الخبر في تمامه، وهو: «مَا لَمْ يُخَالِطُوا الشَّيْطَانَ»^(٢)، يعني: إذا خالطوا الشيطان فقد خرجوا من الأمانة إلى الخيانة.
وقيل: هذه الأمانة عبارة عن الشرائع والأحكام دون المعقولات والعلوم العقلية. وأمانة العالم في شيئين: أحدهما: أن لا يفتي بما لا يعلم، والثاني: أن لا يكتم الحق فيما يعلم؛ فإذا كان كذلك كان أميناً عند الله، وأعظم الخيانات الخيانة في الدين.

رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ

يَبْنِي الْجَبَرُ أَي أصل كل علم معرفة الله، والخشية والحكمة نوعان من العلم، والظاهر في معناه أن الرجل إنما يكون حكيماً كل الحكيم إذا خاف الله، بأن لم يخف عقاب الله،

١. «عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: بَيْنَمَا كُلُّبٌ يُطِيفُ بِرُكْبَةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْقَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَتِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَزَعَّتْ مُوقَهَا فَاسْتَمَتَّ لَهُ بِهِ، فَسَفَتَهُ إِثْنَاءُ فُغْفَرَ لَهَا بِهِ»؛ راجع: صحيح البخاري: ١٤٨/٤ - ١٤٩، ح ٣٢٨٠؛ صحيح مسلم: ٤٥/٧، ح ٢٢٤٥؛ كنز العمال: ٤٢٠/٦، ح ١٦٣٥٣.

٢. في المصادر الحديثية: «ما لم يخالطوا السلطان»؛ راجع: الفردوس بمأثور الخطاب: ٧٥/٣؛ ربيع الأبرار: ٣٢٤/١؛ جامع الأحاديث: ٢٢٨/٥، ح ١٤٥٢٩.

وتسمى بالحكمة كأن ذلك الاسم زوراً عليه، فإن الحكيم من في فيه حكمة كحكمة اللجام تمنعه من المقبحات، ومثله التقي لجم كالمحرم في الحرم، وقال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(١).

الْجَنَّةُ دَارُ الْأَسْحِيَاءِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَعَلَ الْجَنَّةَ بِأَجْمَعِهَا دَارَ مَنْ يَجُودُ بِمَالِهِ، وَلَا يَبْخُلُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ. وتام الخبر: فعلى هذا ينبغي للعبد أن لا يخلو عن السخاء في حالتي الشدة والرخاء مع الأعداء وذوي الآخاء.

و«السخي» الذي يبذل ماله في الواجبات والمندوبات، والمدح يستحق بفعلها؛ ونقيضه البخل، وحقيقة ويمنع^(٢) الواجبات، لأن الذم يستحق بتركها. وفي الشرع هو من يمنع الزكاة.

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلِّ السُّيُوفِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ هَذَا حَتٌّ عَلَى الْجِهَادِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ طَلَبَ الْجَنَّةَ فَإِنَّهَا تَوْجَدُ تَحْتَ ظِلِّ السُّيُوفِ.

والمعنى: أن من صبر وثبت ولم يفرّ حيث تعلّى بالسيف على رأسه، وتظلّ على شخصه، وتيقن بالقتل والشهادة، فهو ممن ظفر بمطلوبه، وأدرك طلبته، وفاز بمراه. وقال الصادق عليه السلام: «السَّيْفُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»^(٣).

١. فاطر: ٢٨.

٢. كذا في خ؛ ولعلّ صحيح العبارة: وحقيقة هو من يمنع.

٣. محاضرات الأدباء: ١٧٠/٢؛ وفي الأملاني للشيخ الصدوق عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ: «الْحَبِيرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ، وَتَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ، وَلَا يُقِيمُ النَّاسُ إِلَّا السَّيْفَ، وَالسُّيُوفُ مَقَالِيدُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»؛ راجع: الأملاني: ٦٧٤، مجلس ٨٥، ح ١١؛ الكافي: ٢/٥، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح ١.

ومفهوم الخبر: أنَّ الجنة تنال بالدين، ودرجات الجنة يدرك بالطاعات، ومن أعظمها الجهاد، فإنه يؤدي إلى الدرجة العظيمة في الجنة، فكانَّ الجنة تحته وتحت الآية التي منها السيوف.

ومعنى «الظلال» الدنو من القرن حتى يعلوه ظل سيفه، لا يفر منه، وكل شيء دنا منك يقال: إنه أظلك.^(١)

الجنة تحت أقدام الأمهات

بَيِّنُ الْخَبَرُ معناه: أنَّ البرَّ مع الأمهات ثوابه الجنة، فمن اشتاق إلى الجنة وطلبها فإنها توجد تحت أقدام الأمهات. وهذا عبارة عن التواضع والخشوع لهنَّ، والانقياد لأوامرهنَّ على جميع الأحوال، وتقبيل أرجلهنَّ. وروي: أنَّ النبي ﷺ أتته خالته له من الرضاع، فبسط رداؤه لها، وقال: «مرحباً بأمِّي»^(٢).

الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردُّ

بَيِّنُ الْخَبَرُ يعني: أنَّ الدعاء في هذه الساعة يقرن بالإجابة، فادعوا فيها، فإنها مظنة لاستجابة الدعوات من المؤمنين لأنفسهم ولإخوانهم على من يظلمهم ويؤذيهم؛ وشرف هذا الوقت، لأنه بين فصول من التكبيرات والتهليلات ونحوها. و«الأذان»: التأذين بالصلاة مختص بها شرعاً، والإيذان: الإعلان بإيقاع في أذن

١. قاله الخطابي، راجع؛ شرح السنة: ٣٩/١١؛ عون العبود: ٢١٢/٧.

٢. مسند ابن المبارك: ١٣٦، ح ٨١؛ مكارم الأخلاق (لابن أبي الدنيا): ٧٣، ح ٢١٤؛ وكذا راجع؛ سنن أبي داود: ٣٣٧/٤، ح ٥١٤٤.

المخاطب.

و«الإقامة»: نصب الشيء قائماً، ويكون بمعنى الإظهار، ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق، ويقوم القيامة وأقيمت الحجة؛ فكأنه إقامة المأمومين للصلاة، لأن عند قول الإمام: «قد قامت الصلاة» يجب القيام للصلاة على المأمومين، وهو من باب «ليله قائم ونهاره صائم»^(١) على الإسناد المجازي.

و«الردة»: ضدّ القبول، وههنا ضدّ الإجابة.

طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةً بَعْدَ الْفَرِيضَةِ

يُنَالُ الْجَزْرُ أَي: اطلبوا الرزق من الوجه المأذون في طلبه شرعاً فريضة بعد فرائض الله تعالى أداها نحو الصلاة بالغداة والظهيرة، فإنه يجب عليه طلب الرزق الحلال لقوت نفسه ومصلحة العيال. وهذا أولى من أداء التطوع، لأن العقل والشرع يوجبان عليه ذلك، كأنه يقول: إذا فرغت من الصلاة المفروضة فليس شيء أكدّ عليك فرضاً ووجوباً من طلب الأرزاق لخاصك ولعمالك. وجعله في الخبر المتقدم بمنزلة الجهاد.

وسأل سدير الصيرفي الصادق عليه السلام: «ما حدّ طلب الرزق؟ قال: عليك أن تفتح باب حانوتك، وتفرش بساطك، وتجلس هناك، والباقي على الله»^(٢).

وقال علي عليه السلام: «الرِّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ»^(٣)، فالذي يطلبك يصل إليك وإن لم تطلبه، والذي تطلبه ربّما تصل إليه وربّما لا تصل إليه بحسب المصلحة.

يقول: طلب كسب الحلال فريضه بعد كلّ فريضة وبعد أدائها.

١. راجع: مجاز القرآن: ٩١؛ الهم والحزن: ٨٤.

٢. «قال سدير الصيرفي: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء على الرجل في طلب الرزق؟ فقال: يا سدير! إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك»؛ راجع: من لا يحضره الفقيه: ١٦٥/٣، ح ٣٦٠٧.

٣. نهج البلاغة: ٥٥٢، كلمة ٤٣١؛ بحار الأنوار: ٣٨/١٠٠، أبواب المكاسب، باب ٢، ح ٨٦.

أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَقْلُهُنَّ مَوْوَنَةً

يَبْلُغُ الْخَبَرَ هَذَا أَمْرٌ لِلنَّاسِ أَنْ يَرْضَوْا مِنَ الْأَزْوَاجِ بِاللَّوَاتِي لَا يَطْلُبْنَ الْمَهْوَورَ الْغَالِيَةَ وَالنَّفَقَاتِ الْكَثِيرَةَ الْغَالِيَةَ، وَلِيَتَزَوَّجَ كُلُّ مُؤْمِنٍ امْرَأَةً خَفِيفَةَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ وَالْكَسُوءِ، فَإِنَّهَا هِيَ الْمُبَارَكَةُ الْمِيمُونَةُ، تَحْسِنُ مَعَاشِرَةَ زَوْجِهَا فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ؛ وَإِلَّا فَظَاهِرُ الْخَبَرِ يَعْلَمُ ضَرُورَةَ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُبَارَكَةَ إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةَ الْمَوْوَنَةِ كَانَتْ عَظِيمَةَ الْبَرَكَةِ، وَكُلَّمَا كَانَتْ أَقَلَّ مَوْوَنَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً.

و«البركة»: ثبات الشيء، و«المؤونة»: ما يلزم الرجل من القيام بحمله.
حَتَّى إِذَا أُمَّتْهُ عَلَى طَلَبِ امْرَأَةٍ قَانَعَةً بِمَا تَكُونُ لَزَوْجِهَا غَيْرَ مُتَحَكِّمَةٍ عَلَيْهِ بِمَا يَتَقَلُّهُ.
وروي: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَصْبَحْنَ وَجْهًا وَأَقْلَهُنَّ مَهْرًا»^(١).
«تَزَوَّجُوا الزَّرَقَ، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِهِنَّ مِثْنًا»^(٢)، «وَلَا تَزَوَّجُوا عَجُوزًا وَلَا عَاقِرًا، فَإِنَّ فِي مَكَائِرِ بَكْمٍ حَتَّى بِالسَّقَطِ»^(٣).
وقال: «إِنَّ مِنْ يُنِ الْمَرْأَةَ بِكَرْهٍهَا بِالْأُنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ»^(٤).
قال الله تعالى: «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ»^(٥).

١. البصائر والذخائر: ٢١/٩، مسند الشهاب: ١٨٣/٢، ح ٧٢٥؛ كنز العمال: ١٢٦/١٦، ح ٤٤٥٦٨؛ وفي الكافي: ٣٢٤/٥، كتاب النكاح، باب خير النساء...، ح ٤: «أفضل نساء أمتي...».
٢. دعائم الإسلام: ١٩٦/٢، الكافي: ٢٣٥/٥، كتاب النكاح، باب ما يستدل...، ح ٦؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٥١/٢.

٣. «لَا تَزَوَّجَنَّ عَجُوزًا وَلَا عَاقِرًا، فَإِنَّ فِي مَكَائِرِ بَكْمٍ الْأَمَمَ»؛ المعجم الكبير: ٣٦٨/١٧، ح ١٠٠٨؛ المستدرک على الصحيحين: ٣٢٩/٣، ح ٥٢٧٠؛ «سَوَدَاءٌ وَلَوْ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاءَ لَا تَلِدُ لِي مَكَائِرَ بَكْمٍ الْأَمَمَ حَتَّى بِالسَّقَطِ»؛ راجع: المعجم الكبير: ٤١٦/١٩، ح ١٠٠٤.

٤. راجع: دعائم الإسلام: ١٩٦/٢؛ الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٠٢/٦؛ تفسير الثعلبي: ٣٢٤/٨.

٥. الشورى: ٤٩.

وقال: «التمسوا الرزق بالنكاح»^(١).

قال تعالى: «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٢).

وجاء امرأة إلى النبي ﷺ فشكت الإعسار، فقال لمن بحضرتها: تزوج بهذه. فقال: يا رسول الله! ليس معي صداقها، وكان في يده خاتم من حديد. قال: فتزوجها على هذا الخاتم؛ فتزوجها.^(٣)

ودخلت امرأة أخرى ليزوجها، فقال لرجل من أصحابه: ألك زوجة؟ قال: لا، فقال: تزوجها، فقال: ليس معي صداقها، قال: هل معك شيء من القرآن؟ قال: نعم، قال: زوجتكها على ما معك من القرآن، فعلمها. فتزوجها على ذلك.^(٤) وهذا يدل على أن المهر ما تراضي به الزوجان مما يحل في الشرع.



المؤمن مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ لَهُ مَعْنِيَانِ:

أحدهما: أنه إذا نظر إلى أخيه المؤمن يرى منه نفسه، يفرح بفرحه ويحزن بحزنه، كمن ينظر في المرآة يرى نفسه فيظن به من الخير ما يظن بنفسه، ويريد به الخير والنفع ما يريد بنفسه، ويكون مشفقاً عليه يكفه أن تقع في هلكة. وهذا معنى لطيف. والوجه الآخر: أن الرجل إذا نظر إلى أخيه المؤمن فرأى عليه شيئاً يعاب به يعلمه

١. نثر الدرر: ٢٩٣/١؛ تفسير الشعلي: ٩٥/٧؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٨٨/١، ح ٢٨٢؛ مستدرک الوسائل: ١٧٣/١٤، ح ١٦٤١٩.

٢. النور: ٣٢.

٣. لم أقف عليه.

٤. راجع: مسند ابن أبي شيبه: ٨٩/١، ح ١٠٢؛ المعجم الكبير: ١٨٨/٦، ح ٥٩٥١؛ سنن الكبرى: ١٤٧/٧، ح ١٣٦١٢.

ذلك ليغيّره ويزيله، كما أنّه إذا رأى نقطة سوادٍ وتشويش عمامة في المرأة أصلحه، ويعينه على ما فيه حظّه من أمر آخرته ودنياه.

المؤمن أخو المؤمن

يُنَالِ الْجَبَرُ يريد: من حقّ المؤمن أن يرضى لأخيه المؤمن ما يرضى لنفسه، ويكره [له ما يكره] لنفسه، يعينه على ما فيه حظّ آخرته ودنياه.

وفي خبر آخر: «المؤمن أخ المؤمن من أبيه وأمه، إن جاع أطعمه، وإن عرى كساه، وإن خاف أمنّه، وإن مرض عاده، وإن مات شيع جنازته؛ وأخوته في الدين أكد من أخوة النسب»^(١).

وكان عليّ عليه السلام يحبّ عقيلًا في حال صغره أشدّ حبّ، فلما عرض عليه الإسلام وأبى جرّد عليّ سيفه، فقال عقيل: إنك لقاتلي؟ قال: نعم، وإن لم يؤمن. فأسلم عقيل، وقال: تأملتُ في حدّك في قتلي لامتناعي من الإسلام مع فرط محبتك لي، فعلمتُ أنّه لو لم يكن هذا الدين حقًّا لما قتل مثلك أخًا مثلي، فصار هذا سبب إسلامي؛ فاعتنقه عليّ، وقال: أنت الآن أخي، لأنّ الأخوة أخوة الدين لا أخوة النسب.^(٢)

المؤمن يسيّر المؤمنة

يُنَالِ الْجَبَرُ هذا أمر بأن يزجّي^(٣) كلّ مؤمن أيامه بالقناعة، فإنّها يكفيه بلغة من العيش، وإنّ المؤمن الحقيقيّ إذا علم أنّ ما آتاه الله من الرزق هو أصلح له في الدين قنع بذلك

١. لم أجد بهذا النصّ؛ راجع: كتاب المؤمن: ٤٣؛ مستدرک الوسائل: ٤١/٩، ح ١٠١٥٠؛ وكذا راجع: المعجم الأوسط: ٢٦٠/٤ - ٢٦١، ح ٤١٤١.

٢. لم أجده.

٣. زجّي أيامه: دافعها بقوت قليل.

ورضى به، ولا يتكلف طلب ما يكون وبالاً عليه في الآخرة ومشقة في الدنيا.
ألا ترى إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «وإن إمامكم قد اكتفى من الدنيا بطمريه
ومن طعمه بقرصيه»^(١). «ولو شئت للبت العبري من ديباجكم ولأكلت لباب البر
بصدور دجاجكم»^(٢).

وما لعل والدنيا! وقد سمع الله يقول: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»^(٣).
وكان يصوم معظم نهاره ويفطر على قدر من سويق، ويقول: حسبي من الطعام ما
يقيم ظهري ولا يمنعني من عبادة ربي»^(٤).



المؤمن كَيْسُ فِطْنٍ حَذِرُ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَمْرُ بِهِذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّ حَلِيَةَ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ حَازِقاً فِي أُمُورِ الدُّنْيَا،
عَالِماً بِمَوْجِبَاتِ الْفُرَاقِ، حَذِراً عَنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
و«الكياسة» علم مستخرج بالفكر، ويستعمل أيضاً في علوم يخلقها الله عند
الممارسة والمدارسة كالعلم بالصنائع والحرف^(٥).
وأما «الفطنة» فهي أيضاً علم واقع على وجه يقال: فطن لكذا إذا أدركه وعلمه.
فهما علمان مستطرفان، ولذلك لا تجريان على الله.

١. نهج البلاغة: ٤١٦.

٢. «وَلَوْ شِئْتُ لَتَسَرَّبْتُ بِالْعَبْرِيِّ الْمُتَقَوِّسِ مِنْ دِيْبَاجِكُمْ، وَلَأَكَلْتُ لُبَابَ هَذَا الْبَرِّ بِصُدُورِ دَجَاجِكُمْ»؛
الأمالى للشيخ الصدوق: ٦٢٠؛ بحار الأنوار: ٤٦٠/٦٣.

٣. القصص: ٨٣.

٤. «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي جَبْرَيْلُ فَأَمَرَنِي بِأَكْلِ الْهَرِيسَةِ لِيَسْتَدَّ ظَهْرِي، وَأَقْوَى بِهَا عَلَى عِبَادَةِ
رَبِّي»؛ راجع: المحاسن: ٤٠٤/٢؛ مكارم الأخلاق: ١٦٣؛ بحار الأنوار: ٨٦/٦٣، باب ١٧، ح ٢.

٥. في خ: والحفظ.

و«الحذر» من كان الحذر عادته وخلقه، والمحاذر من أحدث حذراً وإن لم يكن من أخلاقه، ومثله فاكه وفكه وجازع وجذع وقانع وقنع؛ أي: المؤمن يتفكر ويعلم ما يحتاج إليه في دينه ودنياه، ويحذر مما يوبقه.

وسئل عن معنى الكيس الفطن الحذر؟ يقال: من يهدم دنياه فيبني بها آخرته، ولا يهدم آخرته فيبني بها دنياه.^(١)

الْمُؤْمِنُ أَلْفُ مَالُوفٍ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ هذا حث على حسن الخلق، فإن المؤمن يحب الناس في الله ويحبونه، يعني: أن المؤمن من أخلاقه الكريمة أن يألف كل أحد ويستأنس به، ويؤلف الناس، ولا ينفرهم بغلظة طبعه وفظاظته خلقه كما كان عليه السلام، وهذه من نعم الله على عبد يكون بهذه الصفة، ومن كان كذلك كان محبوباً إلى الناس.

الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يعني: أن المؤمن مؤمن، يأمنه الناس، يعلمون أنه لا يقصدهم بسوء ولا غائلة في أنفسهم، فلا يستحل أموالهم ولا يأخذها إلا بحقها، فهو مأمون الجانب.

ودعا علي عليه السلام غلامه فأبطأ عليه، فقام إليه، وقال: أما سمعت ندائي؟ قال: نعم، إلا أنني أمنتك في الكسالة عن إجابتك. فقال: أعتقتك شكراً لأمان عباده مني.^(٢)
وهذه الخصلة من كمال زينة الإيمان.

١. راجع: محاسبة النفس: (للكفعمي): ١٨٤؛ بحار الأنوار: ٣٠٨/٦٤؛ فيض القدير: ٣٣٤/٦.

٢. راجع: الأمالي (للمرتضى): ١٦٢/٢؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٣٧٩/١؛ الفخري في الآداب

السلطانية: ٢؛ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٦/٢.

المُؤْمِنُ غَيْرُ كَرِيمٍ وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَثِيمٌ

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ هَذَا الْخَبْرَ أَمْرَ بِخَصْلَتَيْنِ وَنَهَى عَنِ الْخَصْلَتَيْنِ، أَي: كُنْ كَرِيمًا جَامِعًا لِمُحَمَّدٍ الْأَخْلَاقَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالشَّرِّ غَافِلًا عَنِ الْفَعَالِ الْقَبِيحِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ يَكُونُ عَادَتَهُ الْوُغُولُ فِي الشَّرِّ وَالْإِحْتِيَالِ.

بَيِّنُ الْإِسْلَامُ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ كَمَا كَانَ مُخَالَفًا مُضَادًّا لِلْكَافِرِ، فَكَذَلِكَ أَخْلَاقُهَا وَصِفَاتُهَا مُتَنَاقِضَةٌ.

و«الغَرَّ» فِي اللَّغَةِ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ، وَالْمُرَادُ بِهِ «الْفَاجِرُ»: الْكَافِرُ، لَوُقُوعِهِ فِي مُقَابَلَةِ الْمُؤْمِنِ؛ وَ«الْحَبْرُ»: الْجُرَيْرُ الْمَكَارُ، وَهُوَ نَقِيضُ الْغَرِّ؛ وَ«الْثِيمُ»: خِلَافُ الْكَرِيمِ؛ وَاللُّؤْمُ اسْمُ جَامِعٍ لِمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ.

الْمُؤْمِنُونَ كَالْبُنْيَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ ظَاهِرَهُ الْخَبْرَ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ، أَي: لِيَكُنِ الْمُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ، تَنْبِيهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَنَاصُرِهِمْ وَتَوَازُرِهِمْ بِالْبِنَاءِ الْمَبْنِيِّ بِالْجِصِّ وَالْأَجْرِ وَالْحَجَرِ فِي الْإِسْتِحْكَامِ بَعْضُهُ بِالْبَعْضِ وَالتَّأْلِيفِ الَّذِي فِيهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَمِدَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِ لَا يَنْتَظِمُ إِلَّا بِعُنَايَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا، كَمَا أَنَّ الْبُنْيَانَ لَا يَقُومُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَ«الْبُنْيَانُ»: الْبِنَاءُ، وَ«الشَّدُّ»: الْعَقْدُ وَالْإِحْكَامُ.

وَفِي الْخَبْرِ دَلَالَةٌ أَنَّ مِنْ شُعَارِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَشِيرَ أَخَاهُ وَيُعِينَهُ عَلَى النَّوَائِبِ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُ.

المُؤْمِنُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ لَهُ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ:

أحدها: أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَعْلَمُ كَوْنَهُ مُؤْمِنًا وَهُوَ الْمَعْصُومُ [مِنْ] أَهْلِ الْإِيمَانِ هُوَ لَهُمُ كَالرَّأْسِ لِلْجَسَدِ، وَلَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِمْ وَمُدَافَعُهُمْ بِهِ وَمَصَالِحُهُمْ مِنْ جِهَتِهِ؛ وَاللَّامُ عَلَى هَذَا لِتَعْرِيفِ الْعَهْدِ، وَعَلَى الْوَجْهِينِ الْآخَرَيْنِ لِلْجَنَسِ كَمَا فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ.

والثاني: أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ لَا يَكُونُ غَرِيبًا وَلَا أَجْنَبِيًّا مِنْ مِثْلِهِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ؛ فَكَمَا أَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْآخَرِ، فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَسْتَغْنِي بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.

والثالث: أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَلَا يَنْظُرُ [إِلَّا] إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ غَيْبَتِهِمْ، وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَهُمْ زِينَةً فِي الْأَحْوَالِ، يَتَقَدَّمُهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ وَالِدْفَعِ لَهُمْ.

المُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ أَيُّ: كُونُوا مُشْفِقِينَ بِإِعْطَاءِ الصَّدَقَةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ لِيَكُونُوا فِي ظِلِّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ رَاحَةٌ لِمَنْ دَفَعَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَظِلُّ بِهَا.

المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أُمْعَاءَ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَالْمَرَادُ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقْنَعُ مِنْ مَطْعَمِهِ بِالْبَلْعِ الَّتِي تُمْسِكُ الرَّمَقَ وَيَقِيمُ الْأَوَدَ دُونَ الْمَآكِلِ الَّتِي يَقْصِدُهَا وَجْهُ اللَّذَّةِ، فَكَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ يَطْلُبُ عَاجِلَ الدُّنْيَا، عَبْدٌ فِيهَا لِلذَّاتِ، وَكَادَحٌ فِيهَا لَطَاعَةِ شَهْوَتِهِ، فَكَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أُمْعَاءَ.

ولهذا الخبر ثلاثة معانٍ آخر:

أحدها يكون مخصوصاً بعمر بن معد يكرب، فإنه كان أكلوا في حال كفره، يأكل حواراً مشوباً مع كثير، ورزق من اللبن، فلما سرّه عليّ عليه السلام وجاء به إلى رسول الله ﷺ قدم إليه قليلاً من الطعام، فلما أكل بعضه شبع، وصار سبب سلامه^(١)؛ فكان بعد ذلك يقلّ أكله.^(٢)

والثاني: أنه حثّ إلى قلة الأكل؛ لأنّ الخبر وارد مورد الذمّ لمكثر الأكل، فإن كثرة الأكل تولّد كثير من الأسقام والآلام، قال: «وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^(٣).
والثالث: أن يكون حقيقةً ومجازاً معاً، والمعنى: أن المؤمن لا يتناول إلّا دون سبعة لنفسه ويترك أكثر زاده لغيره إبقاءً عليه وشفقةً، وأنّه يرضى من الدنيا بالقليل من اللباس والمعاش والطرح والفرش إلّا يبالغ في زينة الدنيا، كأنه يأكل في معاً واحد. وفي طعام المؤمن بركة، وفي الكافر على خلافه، لا يشبعه إلّا الكثير، فإنه يكون طول الأمل، لا يشبع من الدنيا، ولا يكفيه ما يسدّ به بطنه ويستتر به عورته، ولا يتنزّه عنها ليس له، فهو أبداً في همّة الأكل واللذة كالذي يأكل في سبعة أمعاء. والوجهان الأخيران على العموم.

المؤمنون هينون لينون

بيان الخبر المعنى: أنهم يكونون كذلك مع إخوانهم المؤمنين، فأما مع الكفار فيكونون

١. أي إسلامه.

٢. راجع: مسند الحميدي: ٢/٢٩٥، ح ٦٦٩؛ غريب الحديث ابن سلام: ٣/٢٢-٢٣؛ تهذيب اللغة:

٣/١٥٨؛ السيرة الحلبية: ٢/٥٩٥.

٣. الأعراف: ٣١.

أشدَّ من الحديد والحجر، قال تعالى: «أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(١)، «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(٢).

والتخفيف والتثقيل في الهين واللين لغتان كالميت والميت، وقال ابن الأعرابي: التخفيف في المدح، والتثقيل في الذم، يعني أن المؤمن لين المطلب غير شديد فيه، هين الأمر لا يستصعب، يصفح عن الزلل ويقبل العذر؛ فقله لين وفعله هين. والمخفوف من ياء «هين» و«لين» الأولى، وقيل: الثانية.

وتام الخبر: «كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ - أي المذلول - إِنْ قِيدَ انْقَادًا، وَإِنْ أُبَيِّحَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتِنَاحَ»^(٣).

والكاف محله رفع أو نصب، فالرفع على أنه خبر ثالث. والمعنى: أن كل واحد منهم مثل الجمل. والنصب على أنها صفة مصدر محذوف، لينون ليناً مثل لين الأنف.

الشِّتَاءُ رِبْعُ الْمُؤْمِنِ تَحْتِ تَكْوِينِهِ

بَيَانُ الْخَبَرِ فِي تَامِهِ وَهُوَ: «طَالَ لَيْلُهُ وَقَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَ»^(٤).

وإنما خصَّ الربيع أحمد الفصول عند العرب، والربيع وقت الخصب والخير والسعة والدعة، وبخلافه الشتاء فهو وقت الجذب والقحط وقلة الخير خصوصاً للعرب في بواديهم.

١. الهائدة: ٤.

٢. الفتح: ٢٩.

٣. الكافي: ٢/٢٣٤، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح ١٤؛ مسند الشهاب: ١/١١٥.

٤. شعب الإيمان: ٣/٤١٦، ح ٣٩٤٠؛ سنن الكبرى: ٤/٢٩٧، ح ٨٢٣٩؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢/٣٧٥؛ وفي الأمالي (للصديق): ٣٠٨ - ٣٠٩، مجلس ٤٢، ح ٢ عن الصادق عليه السلام: «الشِّتَاءُ رِبْعُ الْمُؤْمِنِ، يَطُولُ فِيهِ لَيْلُهُ، فَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قِيَامِهِ، وَيَقْصُرُ فِيهِ نَهَارُهُ، فَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى صِيَامِهِ».

وللخبر معنيان:

أحدهما: أَنَّ المؤمن يقوم بالليل ويصوم بالنهار، فإذا كان الشتاء طال الليل وقصر النهار فيحصل مقصوده من الصيام والقيام على رفاهية، ينام بعض الليل ويقوم بعضه فلا يشقّ عليه لغلبة النوم، وكذلك يصوم في اليوم القصير فيسهل عليه الصوم.
والمعنى الآخر: أَنَّ البرد مانع من القيام بالليل فيشقّ على المصلّي بجانب الفراش والوضوء بالماء البارد، فيكون أعظم لثوابه وأكثر كالربيع له فإنه أيام الخصب والسعة، وعلى هذا قوله: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا»^(١).

الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَقُولُ: إذا لم يمكنكم^(٢) مقاومة عدوّ فعليكم أن ترموه في الليلة الظلماء بسهام الدعاء عن قول الإخلاص بلا رياء، فإنَّ المؤمن إذا عجز من العدو دعا إليه وحاربه بالدعاء، فإنه سلاح عند الحوادث والنوازل وعلى الشيطان وجميع أهل العدوان.
وكان الناس ليلة البدر قد ناموا كلّهم، ورسول الله قائم في أصل شجرة يصلي ويدعو إلى الصباح، فأمدّه الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين لهم^(٣) عتياً الصفوف^(٤).

وكتب عليّ عليه السلام إلى معاوية :

«أتلعب بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما فعل الدعاء

١. المزمّل: ٦.

٢. في خ: يمكنهم.

٣. جمعاً شديداً.

٤. أشار إلى كريمة: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» آل عمران: ١٢٥.

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أجل وللأجل^(١) القضاء^(٢)

الصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ معناه: أَنَّ الصلاة تنور المؤمن ظاهره وباطنه، تنور قلبه ويكون نوراً على جبينه يعرف به، وكذا يكون نوراً له يوم القيامة، فهذا على العموم.

وقيل: إِنَّ اللام لتعريف العهد، على ما روي: «أَنَّ المصلِّي صلاة الليل يجيء يوم القيامة، ونوره يمشي بين يديه مسيرة غلوة»^(٣).

قال تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ»^(٤).

ومن سبَّح تسبيح الزهراء وعدّها بأصابعه، جاء يوم القيامة ويضيء من كلّ إصبع أصابعه نور مثل مشعلة.

مركز تحقيقات فقهية وعلوم إسلامية

أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ معناه: أَنَّ المؤمن في الدنيا بمنزلة المسجون في السجن، كلّ ساعة يرجو أو ينتظر خلاصه منها وخروجه إلى رحمة الله، فهو مستعجل لفراق الدنيا؛ والكافر بالعكس من ذلك، يثقل عليه ذكر الموت، فإذا دنا أجله كان كمن ينقل من بستان إلى وحش مكان.

وقيل: معناه الأمر والنهي وإن كان بصورة الخبر، يعني: كونوا في الدنيا كالمسجونين

١. في خ: والأجل.

٢. راجع: المجتبی من دعاء المجتبی: ٧٧؛ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٩٠/١.

٣. راجع: حلية الأولياء: ٤٠/٦.

٤. الحديد: ١٢.

في السجن المقيدين بقيد التكليف، ولا يكونوا كمن هو في الجنة متنعمين فرحين^(١) بطرين.

ورأى يهودي الحسن بن علي^(عليه السلام) في أبيه زي، يقال: أليس قال رسولكم: الدنيا سجن المؤمن؟ فقال: نعم، قال: هذا حالي وكان في أسوأ حال، وهذا حالك؟ فقال^(عليه السلام): غلطت يا أخا اليهود! لو رأيت ما وعدني الله من الثواب وما وعدك من العقاب لعلمت أنك في الجنة وأنا في السجن»^(٢).

الحكمة ضالة المؤمن

بيان الخبر وتمام الخبر بيانه؛ وهو: «حيث وجدها قيدها»^(٣)، أي كتبها. فالمؤمن يطلب الحكمة أبداً، فهو بمنزلة المضلّ ماقتها^(٤) يطلبها. وفي رواية أخرى: «الكلمة الحكمة ضالة الحكيم، حيثما وجدها فهو أحقُّ بها»^(٥)؛ جعل الحكمة للحكيم بمنزلة الضالة التي ناشدها وساع في طلبها، لأنه^(٦) أشبه بحكمته، فحيث سمعها من غير حكيم فهو أحقُّ بالحيازة لها. ونحوه الخبر الآخر: «إن الكلمة الحكيمة تكون في قلب المنافق، فلا تزال تنزع حتى تلحق بصواحباتها في قلب المؤمن»^(٧).

١. في خ: مرهضين.

٢. راجع: آثار البلاد وأخبار العباد: ١٢٧؛ طبقات الحنفية: ٢٣٥/١؛ الكشكول: ٧٥/٢.

٣. محاضرات الأدباء: ٧١/١؛ لباب الآداب (لأسامة بن منقذ): ١١٥.

٤. كذا في خ.

٥. المجازات النبوية: ١٩٨؛ سنن ابن ماجه: ١٣٩٥/٢، ح ٤١٦٩؛ مسند الشهاب: ٦٦/١، ح ٥٢.

٦. في خ غير واضحة.

٧. المجازات النبوية: ١٩٨.

نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ معناه: نية المؤمن منفردة عن العمل خير له من عمل خالٍ من النية، بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ عظم شأن النية وأنها أبلغ من الأعمال من حيث إن الأعمال لا تقبل بدونها ولا تقع موقع القبول إلا بها.

والنية عبادة مستقلة بنفسها وإن لم تكن معها عمل، فالعمل يحتاج إلى النية، ولا تحتاج النية إلى العمل.

وروى النّوّاس بن سَمْعَانَ الكلابيّ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»^(١).

وقد فسّر «الخير» فعله، على أنه ليس التفضيل، والمراد: نية المؤمن خير من خيرات عمله، أي من جملة عمله، ومن للتبويض؛ وإذا حمل «خير» على التفضيل كان المعنى على ما ذكرناه في الرواية الأخرى. ولا يلزم أن يكون نية الصلاة خيراً من الصلاة، ولا نية الحج خيراً من الحج، وكذا في سائر العبادات؛ لأن نية الصلاة والحج وكل عبادة إنما تكون خيراً من عملها إذا كان العمل خالياً عن النية، لأن صورة الصلاة ونحوها لا يكون شيئاً بدون النية.

وروي سبب في هذا الخبر، وهو: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِمَاءٍ وَعَلَيْهِ جَسْرٌ قَدْ خَرِبَ، فَقَالَ: مَنْ عَمَرَهُ فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَذَا، فَقَالَ صَحَابِيٌّ: أَنَا أَعْمَرُهُ، فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ يَهُودِيٌّ فَعْمَرَهُ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، فَقَالَ: نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ - أي هذا المؤمن - خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ ذَلِكَ الْيَهُودِيِّ»^(٢).

١. الكافي: ٨٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب النية، ح ٢؛ المعجم الكبير: ١٨٥/٦، ح ٥٩٤٢؛ مسند الشهاب:

١١٩/١، ح ١٤٨؛ جامع الأحاديث: ٥٠٦/٧، ح ٢٣٩٦٢.

٢. لم أقف على مصدره.

هَدِيَّةُ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِ السَّائِلِ عَلَى بَابِهِ

يَنَالُ الْحَبْرَ يَقُولُ: اغْتَنِمُوا سَائِلًا يَقُومُ عَلَى بَابِ دَارِكُمْ، فَإِنَّهُ هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ فَاقْبَلُوهَا وَلَا تَرُدُّوهَا، فَإِنْ رَدَّ هَدِيَّةَ الْكَرَامِ لَوْمْ.

وَرَأَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي سَائِلٍ يَسْأَلُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: يَقُولُ: هَلْ مِنْ أَحَدٍ يَحْمِلُنِي شَيْئًا أَحْمِلُهُ عَنْهُ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَأُرَدَّهُ إِلَيْهِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَأَكْفِيهِ مَوْنَةَ حَمْلِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا بَنَ آدَمَ! أَنْتَ عَبْدِي، وَالْهَالُ مَالِي، وَقَدْ أَعْطَيْتَكَ جَمَلَةً مِنْهُ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنِّي بِبَعْضِهَا.^(١)

وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ لَهُ: «قَدَّمَ مَالَكَ، فَإِنَّ قَلْبَ كُلِّ أَمْرٍ عِنْدَ مَالِهِ»^(٢).

و«الْهَدِيَّةُ» فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، أَيْ مَهْدَاةٌ.
و«السَّائِلُ» هُنَا الْمُسْتَطْعِمُ؛ وَإِنَّمَا كَانَ السَّائِلُ هَدِيَّةً، لِأَنَّهُ إِذَا أَخَذَ الصَّدَقَةَ يَسْتَحِقُّ مَعْطِيَهَا الثَّوَابَ، فَكَانَ هُوَ سَبَبًا لِثَوَابِهِ، فَنِعْمَةُ الْهَدِيَّةِ^(٣) مَا يَجْلِبُ الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ الْعَظِيمَ.

١. لم أقف عليه.

٢. دعائم الإسلام: ٣٢٨/٢؛ الأُمَالِي (للمرتضى): ١٩٨/١؛ محاضرات الأدباء: ٥١٣/٢.

٣. في خ: الهداية.

تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ إِنَّمَا يَكُونُ الْمَوْتُ تَحْفَةً لِلْمُؤْمِنِ لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَفَّارَةً لَذُنُوبِهِ، وَيَنْجُو^(١) مِنَ الشَّدَائِدِ وَالتَّكْلِيفَاتِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَصَحْبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْبَلِيَّاتِ، وَيَصِلُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَالْغَفْرَانِ. كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي إِسْحَاقٍ عِنْدَ الْوَفَاةِ: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكُفْبَةِ»^(٢).
وَكَانَ يَقُولُ: «لَا أَبَالِي أَوْ قَعِ الْمَوْتُ عَلَيَّ أَمْ وَقَعْتُ عَلَى الْمَوْتِ»^(٣).
وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْمَوْتُ تَحْفَةً لِلْمُؤْمِنِ^(٤)، وَهُوَ الَّذِي يُوَصِّلُهُ إِلَى جِوَارِ اللَّهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ، وَالْحِكْمَةُ اقْتَضَتْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ زَمَانِ التَّكْلِيفِ وَزَمَانِ الْجَزَاءِ مَدَّةٌ مَتْرَاحِيَّةٌ لئَلَّا يُؤَدِّي إِلَى الْإِلْجَاءِ، لِأَنَّ النِّفْعَ الْعَظِيمَ إِذَا كَانَ مُقَارِنًا لِلْفِعْلِ أُلْجَأَ الْفَاعِلُ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَضَرَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْمُكَلَّفُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُخَيَّرًا مُتَرَدِّدًا لِدَوَاعِي لِيَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ بِاخْتِيَارِهِ، فإِخْرَاجُ مَنْ فِي الْمَشَقَّةِ إِلَى الرَّاحَةِ مِنْ أَعْظَمِ التَّحْفِ وَأَنْفَعِهَا.
وَأَصْلُ التَّحْفِ: طُرْفُ الْفَوَاكِهِ الَّتِي يَتَهَادَاها النَّاسُ بَيْنَهُمْ، فَجَعَلَ الْمَوْتَ الْوَاردَ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَالْتَحْفَةِ الْمَهْدَاةِ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَسُرُّ بِتَعْجِيلِ مَمَاتِهِ.

شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا عَزِيزًا فَاسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ وَصَلِّ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ مِنْ أَعْتَادِ صَلَاةِ اللَّيْلِ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَشْرَفُهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ؛

١. فِي خ: وَيَنْجُوا.

٢. مِنْقَابُ آلِ أَبِي طَالِبٍ (ع): ٣٨٥/١؛ بحار الأنوار: ٢/٤١، بَابُ ٩٩، ح ٤؛ أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ٣٧٣/١ وَ ٣٧٦؛ الْمُحْتَضَرِينَ: ٦١؛ الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ: ١٣٠/١.

٣. مَقَاتِلُ الطَّالِبِينَ: ٢١؛ نَهْجُ السَّعَادَةِ: ٦٥٩/٢؛ الْبَصَائِرُ وَالذِّخَائِرُ: ٢١٥/٦.

٤. فِي خ: لِلْمَوْتِ.

فكأنه عليه السلام قال: ليس الشرف ما تظنونونه من شرف الحسب وكرم النسب وعزّ الجاهل، بل شرف كل مؤمن [أن] يقوم بالليل صلاة الليل.

وفي الخبر: «إن الرجل إذا قام لصلاة الليل باهى الله به ملائكته»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «من عمّر أوّل الليل خرب آخره»^(٢)، يعني من عمّره بالسهر للسم^(٣) خرب آخره بالنوم.

وأما عزّه^(٤) في القناعة، وأن يغنى نفسه عن الناس، ويتنزّه عن السؤال فإنّه مذلة. وقال علي عليه السلام: «من استغنى عنه فأنت شريكه، ومن طمعت فيه فأنت أسيره»^(٥).

الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ
وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ

يَبْلُغُ الْخَيْرَ أَي: أنه يأنس بالعلم من الوحشة كالخليل بالخليل، ويقوى بالحلم على الأمور، وبالعقل يهتدي في ظلم المشكلات فهو كالدليل، والعمل تقوم زلله كالقائد والقيم، والرفق يقبل إليه بالقلوب فهو كالوالد الرؤوف، والبر سبب اجتلاب الإخوان إليه.

١. عن رسول الله ﷺ، راجع: روضة الواعظين: ٣٢٠؛ المقنعة: ١٢١؛ مستدرک الوسائل: ٣٣٢/٦.

٢. لم أجده في المصادر الحديثية؛ راجع: السرائر: ٣٠٧/١.

٣. سمّ: تحدّث مع جلسيه ليلاً.

٤. في خ: عزّ.

٥. في المصدر: «تَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ، وَافْتَقِرْ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ...» راجع: مصباح الشريعة: ١٠٦؛ بحار الأنوار: ١٦٩/٧٠، باب ٢٩، ح ٦؛ وكذا راجع: الآمل والمأمول: ٤؛ ربيع الأبرار: ٢٤٥/١.

وروي: «واللين أخوه»^(١).

وإنما جعله أخاه لأنه يفيد مؤاخاة الإخوان.

والصبر ملاك أمره، به يبلغ الآداب، وهو متقدم عليها.

فهذا الخبر حث على سبع خصال، وهو: أن يتخذ المؤمن العلم حبباً وصاحباً، فإنه لا يخون بل يصون؛ والحلم وزيراً، فإنه نعم المعاون والموازر؛ والعقل دليلاً، فإنه يدلّه على مصالحه ومفاسده ومنافعه ومضارّه؛ والعمل قائداً، يقوده إلى الجنة؛ والرفق والداد، فإنه يأمر بك بصلاح دينك ودنياك؛ والبرّ - وهو الإحسان والمعروف - أخاً، لأنه كالأخ الشقيق^(٢) والمحبّ الشفيق، يُزيّنه ويحبّه إلى العدو والصديق؛ والصبر أميراً على الكلّ؛ جعله أميراً على جنوده، لأنه بمنزلة الأمير على الجند، لصعوبته ومشقّته على الصابر، فإذا كان صابراً على الطاعة وعن المعصية كان صبره أميراً على أعضائه وجوارحه تطيعه على مصالحه ولا تعصيه في اجتناب مفاسده.

فالمؤمن موفق بقوة الصبر، والبرّ يعاونه، وكما أن الولد يعيش برفق والده كذلك^(٣) المؤمن يعيش برفق نفسه؛ والقائد الذي يهيئ أمور الجيش، فعمل المؤمن يهيئ أموره في القيامة؛ وإذا دلّه العقل على أمر يأتي به ولا يستنكف عنه؛ والوقار والرزانة ملجأ الذي يعود إليه في أموره؛ والوزير الذي يتحمّل إليه أقال الملك.

وما في الدنيا خصلة من خصال الخير توازي العلم، ففيه شرف الدنيا والآخرة، وبه الخلاص من النار والوصول إلى دار القرار، وهو عزيز الخلّة، لا يخال كلّ أحد، بل يطلب قلباً نقياً وبدناً نقياً وصاحباً رضيعاً مرضياً.

١. مسند الشهاب: ١٢٢/١، ح ١٥٣؛ المجازات النبوية: ١٩٥.

٢. الأخ من الأب والأم.

٣. في خ: وعزّ.

وإنما جعل الحلم وزيراً له، لأنه إذا كان حليماً لم يكن طائشاً^(١) طياراً، يتأمل في العواقب، ويرتدع عن كثير من المفسدات مما يوقعه في آفات الدنيا وعذاب الآخرة. و«الوزير» فعيل بمعنى مفاعل.

و«العقل» عبارة عن مجموع علوم إذا اجتمعت لإنسان كان عاقلاً مكلفاً؛ وسمي به لأنه يمنع صاحبه إذا استعمله عن كثير من المفسدات، كما أن العقل يمنع الناقة عن السير، ويعتقل به العلوم المكتسبة؛ و«الدليل»: ما يدلّك على مدلول؛ وجعل العقل دليلاً، لأنه دالّ على ما يجب عليه وعلى صلاحه وفساده؛ والعمل عمل المؤمن؛ ووقوعه بقصده واختياره، وهو قائد، إن كان خيراً يقوده إلى الجنة وإن كان شراً يقوده إلى النار؛ والصبر هو^(٢) حبس النفس على ما تكرهه.

الْفَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ * [الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ] * الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ جعل الفيرة وهي الحمية من الإيمان إيذاناً بأن من لا غيره له كان إيمانه ناقصاً، مبالغاً في وصف الفيرة بأنها بعض الإيمان.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ وجعل الحياء أيضاً بعض الإيمان لمناسبته له في أنه يمنع من المعاصي، كما يمنع منها الإيمان؛ ولأن حظ الحياء من الإيمان حظّ جليل ومنزلته منزلة جلييلة، فإن المرء إذا كان حَيِّياً امتنع من المنكرات والفواحش حياءً من الناس إن لم يتركها خوفاً من الله، فهو معين للمؤمن على إيمانه.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ و«البذاذة» أيضاً بعض الإيمان، وهي رَنَاتُهُ الحال، ورجل بُذَّ الهياة: إذا كان خلق الثياب، وبثّه وبذّه: إذا فرّقه، والبذاذة مصدر، فالفقير متفرّق الأحوال غير ملتئم

١. أهوجاً.

٢. في خ: وهو.

الأمر. والمراد: الترتي بذلك الزي والتقنّع به والتصبر عليه وأن لا يبالي باختلال حاله استحقاقاً للدنيا وإقبالاً على الآخرة، بعض الإيمان.

و«من» في الأخبار الثلاثة للتبعيض.

وقيل: الغيرة أن لا يأتي المؤمن ما حرم الله عليه؛ والحياء: غريزة وطبع، والمستحي ينقطع عن المعاصي، وخلق الثياب ملابس أهل الزهد [و] فيها استكانة.

وتام الخبر: «وَالْمِذَاءُ مِنَ التَّفَاقٍ»^(١)؛ و«المذاء» أن يجمع بين الرجل والمرأة ليتماذى كل واحد منهما؛ والممازي: الذي يقوّد على أهله.

الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ

يَبَيَّنُ الْخَبْرُ كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ الْإِيمَانَ شُعْباً مِنَ الْحِصَالِ الْحَمِيدَةِ عَقْلاً وَشُرْعاً. كَمَا قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ نَيْفٌ وَسَبْعِينَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٢).

فجعل الصبر نصفه واليقين الإيمان كله؛ لأنّ اليقين علم يحصل بعد الشك، ولهذا لا يجري على الله تعالى.

وهذا الحديث موافق للأصول؛ لأنّ الإيمان هو المعارف والعلوم، ومرجعه إلى اعتقادات علمية، والرجل إذا حصل علوم الدين: العقلية والشرعية فقد استكمل هو الإيمان؛ وإنّما يسمّى هذه العلوم يقيناً، لأنّه علم يحصل بعد الشك، لأنّ هذه العلوم لا تحصل إلّا بالنظر، وحالة الناظر حالة الشاك المجوّز المتردّد بين إثبات الشيء ونفيه؛

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٦٣؛ نثر الدرر: ١/١٤٥؛ جامع الأحاديث: ٥/٢٥٥، ح ١٤٧٠٥.

٢. عن الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ؛ مشكاة الأنوار: ٨٦؛ وراجع: مصنّف عبد الرزاق: ١١/١٢٦، ح ٢٠١٠٥؛ الإيمان لابن سلام: ٢٤؛ سنن الترمذي: ٥/١٠، ح ٢٦١٤؛ في هذه المصادر: بدل «الإسلام»: «الإيمان».

ألا ترى أنَّ الناظر في حدوث الأجسام يجوز في حال النظر حدوثها وقدمها، فإذا نظر وعلم ما يؤدي إليها قَدَمُها من البطلان والإحالة علم أنَّها محدثة، لعدم الواسطة بين الحدوث والقدم. وأقلّ اليقين إذا وصل إلى القلب ملأه نوراً، وينفى عنه كلّ ريب، ويمتلئ به شكراً ومن الله خوفاً.

و«اليقين» هو رفع الشكّ عن المخاطر، وما يزيل الشكّ يكون كلّ إيماناً وتصديقاً. وقيل: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة؛ وهذا إشارة إلى العلوم الشرعيّة، وهي والعلوم العقليّة تؤمّتان.

الإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ شُكْرٍ وَنِصْفُ صَبْرٍ

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ أَيَّ خِصَالِ الْإِيمَانِ: شُكْرٌ أَوْ صَبْرٌ، أَوْ حَلِيَّةُ الْإِيمَانِ وَزِينَتُهُ وَلِبَاسُهُ هَذَا؛ قَسَمَ عَلَيْهِ خِصَالُ الْإِيمَانِ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ وَمَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ بِهِ مُسْتَكْمِلَ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: الْإِيمَانُ نِصْفَانِ وَهُمَا الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ، لِأَنَّ حَالَ الْمَكْلُفِ لَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي النِّعْمَةِ اسْتَعْمَلَ الشُّكْرَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الشَّدَّةِ اسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ؛ فَإِذَا أَخَذَ بَطْرَفِي الْخِصْلَتَيْنِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَخِصَالَهُ الْحَمِيدَةَ.

وقد بيّنا أنَّ الشكر اعتراف بالنعم مع ضرب من التعظيم، والصبر حبس النفس [على] ما تكرهه.

الإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ يَرِيدُ بِذَلِكَ الثَّنَاءَ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، لِمَبَادِرَتِهِمْ إِلَى الدَّعْوَةِ عِنْدَ أَنْ وَجَدُوا الْمَعْجَزَ، وَإِسْرَاعَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ التَّنْبِيهِ.

وقيل في معنى الخبر وجوه: أحدها: أنَّ المراد بنسبة الإيمان والحكمة إلى اليمن مدح

أهلها، والمعنى: أن كل يميني مؤمن حكيم على طريق المبالغة، حتى كأن الإيمان والحكمة خرجا من اليمين.

والثاني: أنه أراد باليمين الحجاز، لأن الحجاز من جملة اليمين، والمراد: الإيمان حجازي والحكمة حجازية؛ لأن النبي ﷺ ظهر بالحجاز، وأظهر الإسلام والحكمة بها، ونبه الناس على الإيمان فيها أولاً.

وقيل: قال النبي ﷺ هذا الحديث وهو بتبوك وهو بين مكة والمدينة، فأشار إلى ناحية اليمين وهو يريد مكة والمدينة.

وقيل: لما كتب رسول الله إلى كسرى: من محمد رسول الله إلى كسرى، أما بعد فأسلم تسلم؛ مرق كتاب رسول الله، وبعث من يستنهض محمداً إليه فإن لم يجيء يخرج رسول كسرى إلى ملك غسان في ناحية اليمين ليجيء بعسكره إلى المدينة ويزعج محمداً، فلما دخل رسول كسرى على رسول الله، قال ﷺ: قتل كسرى البارحة؛ قتله ابنه وكان من قصته كيت وكيت، فكتب رسوله ذلك، وخرج إلى ملك غسان، وحكى عنده ما ذكره رسول الله من حال كسرى، فقال ملك غسان: اصطبر مقدار ما يصل خبر كسرى إلينا، فإن لم يكن على ما قال محمد بعثت من يزعجه، وإن كان على ما ذكر فلا يكون إلا بوحى من الله، وليس بيننا وبين الحق خصومة، نؤمن به؛ فلما وصل الخبر بهلاك كسرى في الليلة التي قال رسول الله على الهياة التي ذكرها أسلم ملك غسان، ثم أهل اليمين كلهم؛ فسمع بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية». ولا يستبعد أن يكون هذا أصح.

وروي: «أنه لما نزلت «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ»^(١)، قال النبي ﷺ: الله أكبر! جاء نصر

الله والفتح، وجاء أهل اليمن رقيقة قلوبهم لينّة طاعتهم، الإيمان يمان والحكمة يمانية^(١).
وتغييرات النسب كثيرة: منها: أن يقال: الحكمة يمانية - بتخفيف ياء النسب -
ورجل يمان، والجمع يمانون.

الإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتْكَ * عَلِمَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ كانوا في الجاهلية يفتك بعضهم ببعض، فلما جاء الإسلام وحرّم الله الفتك
وأمر رسول الله ﷺ أن يدعوا الكفار أولاً إلى الإسلام، فإذا لم يجيبوا بعد إقامة
الحجة وإظهار المعجز جاهدتهم.

وقال عليّ: «لا فتك في الإسلام»^(٢).

و«الفتك»: قتل الرجل غيره على غرة وغفلة منه، يقال: فتك به فتكاً، إذا قتله
بغتة.

مركز تحقيق تكملة علوم رسول

وروي: الإيمان^(٣) قيد الفتك.

وقيل: هو فجأة قبل من له أمان، وقد حرّمه رسول الله على الحالات كلّها.
بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«العلم»: العلامة، وذلك لأنّ الإيمان تصديق بالقلب، ولا يطلع عليه أحد
إلا الله، فكلّ واحد من المؤمنين يعلم يقيناً أنّه مؤمن، ويعلم أنّ من يظهر على يده
معجز من الأنبياء والأوصياء، ومن يشير إلى كونه مؤمناً نبيّ أو وصيّ أنّه مؤمن، وكلّ
من سواهم فإنّها نحكم نحن بإيمانه إذا رأيناه يتعاطي معالم الإيمان من القيام بأداء
الواجبات الشرعيّة من الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، ومن أكبر علاماته وأظهرها:

١. مسند أبي يعلى: ٣٨٤/٤، ح ٢٥٠٥؛ سنن النسائي: ٥٢٥/٦؛ علل الحديث: ١٥٨/٢.

٢. ربيع الأبرار: ٣٤٠/١.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: «الإسلام»، لأنّ أصل الحديث المذكور مع لفظة «الإيمان»، وروي بلفظة
«الإسلام»: الكافي: ٣٧٥/٧، كتاب الديات، باب النوادر، ح ١٦.

الصلاة؛ فنستدل بها على إيمان رجل حكماً، فإننا متعبدون بأن نحكم بإيمان كل من يظهر التوحيد والعدل بحيث لا ينقضهما جملة ولا تفصيلاً، ولا يعلم ذلك منهم إلا على الوجه الذي ذكرناه، وإنما يغلب ذلك في ظنوننا^(١).

والخبر يدل على بطلان من يقول: الصلاة من جملة الإيثار، وكذلك أعمال الجوارح؛ لأن علامة الشيء غير ذلك الشيء.

وقال عليه السلام: «أفضل الفرائض الصلاة بعد المعرفة»^(٢).

وروي: «علم الإيثار الصلاة، فمن فرغ لها قلبه وحاذ^(٣) عليها بمحدودها فهو مؤمن»^(٤).

المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ * الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ
لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ

يَبْنِي الْخَيْرَ أراد بالخبر الأول: أن المسلم الممدوح من كان ذلك صفته؛ وليس معناه: أن من لم يسلم الناس من لسانه ويده ممن قد دخل في عقد الإسلام فليس بمسلم، ولكن معناه: أن أفضل المسلمين من جمع إلى الإيثار إقامة الفرائض، وجمع إلى ذلك الكف عن أعراض الناس، لا يغتابهم ولا يشتمهم ولا يضربهم ولا يقتلهم، فكأنه قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده فهو المسلم حقاً؛ أخرج من الإسلام من لا يكون

١. في خ: ظنونا.

٢. «عَنْ زُرَيْقٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ؟ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ يَغْدِلُ هَذِهِ الصَّلَاةَ...» راجع: الأُمَالِي (للطوسي): ٦٩٤؛ بحار الأنوار: ٢٠٢/٢٧، باب ٧، ح ٧١.

٣. أي: حافظ، وفي بعض المصادر: وحاذ.

٤. غريب الحديث (للخطابي): ٢٦٩/١؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٤١/٣؛ ربيع الأبرار: ١٥٥/١؛ الفائق في غريب الحديث: ٢٨٩/١.

مأمون اليد واللسان على سبيل المبالغة دون الحقيقة، ولام التعريف يدل على هذا المعنى.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقيل: معنى الخبر الثاني - وإن كان خبراً - الأمر؛ يعني: يجب أن يكون كذلك، والنهي يعني: لا يظلمه ولا يسلمه.

والأخ لا يظلم أخاه، ولا يجوز ظلمه عقلاً وشرعاً وطبعاً، ولا يسلمه ممن يظلمه ولا يخلى بينه وبين ظالمه، بل يحمي ويمنعه كما يحمي ويمنع أخاه من النسب؛ يعني لا يسلمه إلى السلطان، ولا يسعى بين الإخوان.

و«المسلم» في اللغة المستسلم المنقاد، وكذلك في الشرع، إلا أنه استسلام لأمر شرعية، وهو من الأسماء المخصوصة، وذلك لأنه يمنعه إسلامه من إيذاء المسلمين والسعي في إتلاف أنفسهم واستحلال أموالهم.

المُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ * الْمُؤْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يريد: أن المسلمين ينبغي أن يكونوا متعاونين متظاهرين على أعدائهم، إذا استنفروا إلى مجاهدة العدو وجب عليهم النفر جميعاً، وإذا استنجدوا على دفع مضرتهم اتحدوا كلهم ولم يتخاذلوا ولم يخافوا^(١) منهم، لأن المسلمين في الملة كالنفس الواحدة، والعقل يقتضي دفع المضرة عن النفس.

وأراد بقوله: «يد واحدة» في التناصر والتعاون، فيكون أيديهم - وإن كانت كثيرة في الصورة - تكون واحدة في هذا المعنى.

وأراد بـ«من سواهم» من لم يكن على ملتهم، وسائر أنواع الكفار؛ لأن الكفر ملة واحدة كما أن الإسلام ملة واحدة، وإن اختلف المسلمون في الآراء والديانات.

واللفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر، يعني^(١)؛ يجب أن يكون كذلك.

بيان الخبر ومعنى الخبر الثاني: أن كل ما يصيب المحتضر المسلم من الآلام والأسقام والتأسف والحسرة يكون كفارة لذنوبه، وذلك من كرامة الله إياه، ولأن الموت شدة وأهوالاً، والتقدير: الموت كفارة لذنوب كل مسلم؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

والكفارة هي التكفير لمعاصي^(٢) العباد والعفو عنهم بالرحمة والتفضيل لا^(٣) على طريقة الإحباط.

وسئل النبي ﷺ عن العبد إذا حصل في سكرة الموت تدور دمه في عينه، أتلك الدمة من فراق الدنيا أو من خوف الآخرة؟ قال: «لا هذا ولا ذاك، وإنما للحسرة والندامة، يتحسره على فوت عمره في غير طاعة الله، ويندم على تفريط منه في طاعة الله»^(٤).

مركز تحقيق مكتبة علوم إسلامي

طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ * كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ
حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ

بيان الخبر معنى الخبرين: أن كل عمل فرض عليك أدائه فطلب علمه فرض عليك، فإن كان عملاً مندوباً فطلب علمه مندوب، وإن لم يكن مفروضاً ولا مندوباً فطلب علمه لا يكن مفروضاً ولا سنة، كالعلم بالحرف.

وإن حرمة الإسلام يقطع هتك هذه الأشياء الثلاثة إلا لأحد ثلاثة أشياء، وهي ما

١. في خ: ينبغي.

٢. في خ: المعاصي.

٣. في خ: إلا.

٤. لم أقف عليه.

روي عنه عليه السلام: «كُفِّرَ بَعْدَ إِيْمَانٍ وَزِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ وَقَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(١).

وإنما كان طلب المعارف الواجبة مفروضاً لأنَّ التكليف مشتمل على العلم والعمل، والعلم مقدّم على العمل، لأنَّ العمل يحتاج إلى العلم بكيفيته وشرائطه وما لا يصحّ إلاّ به وما يبطله ليأتي المكلف به على ما أمر به، ويعلم أنّه لا يعلمه على خلاف المأمور به؛ والعلم المكتسب لا يوجد إلاّ بالطلب، فطلبه المؤدّي إليه فريضة.

وقال عليه السلام: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ»^(٢). وهذا على سبيل التقدير، بأن لا يستبعد الطريق البعيد إلى العلم، ولو كان العلم لا يوجد إلاّ بالصين لوجب الخروج إليه في طلبه، وإلاّ ليس بالصين علم يجب أن يطلب.

وقال: «من أغبرت قدماءه في طلب العلم وجبت له الجنة»^(٣).

وقال: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابٌ إِلَّا أَرْدَادَ بِهِ فِي نَفْسِهِ ذُلًّا وَلِلنَّاسِ تَوَاضُعًا وَلِلَّهِ خَوْفًا وَفِي الدِّينِ اجْتِهَادًا فَذَلِكَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، فَلْيَتَعَلَّمْهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُظُوتِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابٌ إِلَّا أَرْدَادَ فِي نَفْسِهِ عِظَمَةٌ وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةٌ وَبِاللَّهِ اغْتِرَارًا وَفِي الدِّينِ جَفَاءٌ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، فَلْيَتَكَفَّ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَهُ النَّدَامَةُ وَالْحِزْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

بيان الخبر وقوله: «وكلّ المسلم» وإن كان اللفظ واحداً فالمراد به الجمع للام الجنس.

١. اختلاف الحديث: ٥٣٢؛ مصنف عبد الرزاق: ١٦٧/١٠؛ ح ١٨٧٠١؛ سنن أبي داود: ١٢٩/٤؛ ح ٤٣٦٣؛

وكذا نقل عن الإمام الباقر عليه السلام، راجع: مشكاة الأنوار: ٤١٦.

٢. مسند البزار: ١٧٥/١؛ ح ٩٥؛ شعب الإيمان: ٢٥٣/٢؛ ح ١٦٦٣؛ جامع الأحاديث: ٤٦٣/١؛ ح ٣٢٠٧.

٣. لم توجد بهذا النص، راجع: التفسير الكبير: ١٧٤/٢؛ الحاوي للفتاوي: ٣٨/٢؛ وكذا راجع: مسند

الطيالسي: ٢٤٣؛ ح ١٧٧٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٢١١/٤؛ ح ١٩٣٨٧.

٤. روضة الواعظين: ١١؛ تنبيه الخواطر: ٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤/٢ - ٣٥؛ باب ٩، ح ٣٣؛ كنز العمال:

بَيْنَ الْإِسْلَامِ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْرَاضُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ تَحْرَمُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ، غَيْرَ أَنَّهُ خَصَّ الْمُسْلِمِينَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْكَفَّارَ لَا يَعْرِفُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَالشَّرْعِيَّاتِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، فَيَسْتَحِلُّونَ جَهْلًا جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِأَنَّ الْخَبَرَ وَعَظَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْكَفَّارَ لَا يَتَّعْظُونَ بِوَعِظِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ الْقُرْآنِ: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ»^(١)، وَالْقُرْآنُ هَدًى لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ، إِنَّ الْكَفَّارَ لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ مَا اعْتَدَّ بِهِمْ، وَخَصَّ الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْتَفْعُونَ بِهِ؛ وَمِثْلُهُ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا»^(٢).

وَمَعْنَى الْخَبَرِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ دَمَ الْمُسْلِمِ عَنِ الْإِرَاقَةِ، وَمَالَهُ عَنِ النَّهْبِ وَالِاسْتِبَاحَةِ، وَعَرَضَهُ عَنِ الْفِرْيَةِ وَالِاغْتِيَابِ.

وَمَعْنَى التَّحْرِيمِ الْمَنْعِ، يُقَالُ: حَرَّمَهُ عَطَاؤُهُ، وَالْحَرَمَانُ: الْمَنْعُ.

و«عَرَضُ» الرَّجُلِ نَفْسُهُ وَسَلْفُهُ مِنْ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ، فَإِذَا قِيلَ: ذَكَرَ عَرَضَ فُلَانٍ، أَيْ ذَكَرَ مَا يَمْدَحُ بِهِ أَوْ يَذَمُّ.

حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ

بَيْنَ الْخَبَرِ يَعْنِي: أَنَّ مَالَ الْمُسْلِمِ فِي كَوْنِهِ حَرَامًا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ دَمِهِ، فَكَمَا أَنَّ إِرَاقَةَ دَمِهِ حَرَامٌ كَذَلِكَ أَخْذُ مَالِهِ، حَتَّى مِنْ اسْتَحْلَ مَالَهُ كَانَ كَمَنْ اسْتَحْلَ دَمَهُ، لِأَنَّ الْمَالَ بِهِ قَوَامُ الْبَدَنِ مِنْ حَيْثُ يَتَغَذَّى وَيَمْتَنِعُ بِهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، فَقَدْ صَارَ بِمَنْزِلَةِ تَخْرِيبِ بَنِيَّتِهِ؛ وَالْمُسْتَحْلَ لَهَا وَلِأَحَدِهَا خَارِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ إِلَّا بِحَقٍّ.

وَقَالَ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا هَا عَصَمُوا

١. البقرة: ٢.

٢. النازعات: ٤٥.

مِنِّي دِمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

و«الحرمة» مصدر حرم الشيء، فهو حرام.

المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَا اللَّهُ عَنْهُ * الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يَقُولُ بِالْخَبَرِ الْأَوَّلِ: إِنَّ الْمُهَاجِرَ الْمَمْدُوحَ هُوَ الَّذِي جَمَعَ إِلَى هِجْرَانِ وَطْنِهِ هِجْرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ يَكُونُ مُهَاجِرًا بِالْأَسْمِ غَيْرَ مُهَاجِرٍ بِالْإِيقَانِ. و«المهاجر» مفاعل من الهجرة، والفعللة الحاملة - كما قَدَّمْنَا - فالهجرة هِجْرَةٌ وَكَيْفِيَّةٌ لِلْمُفَارَقَةِ، وَفِي عَرَفِ الشَّرْعِ: الْخُرُوجُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُوَافَقَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»^(٢). وَقَوْلُهُ فِي فَقْهِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ: «إِذَا حَضَرَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَالْأَوَّلَى بِالتَّقَدُّمِ لِلْإِمَامَةِ أَقْرَأَ الْقَوْمَ، ثُمَّ أَفْقَهُهُمْ، ثُمَّ أَقْدَمَهُمْ هِجْرَةً، ثُمَّ أَسْتَمَهُمْ، ثُمَّ أَصْبَحَهُمْ وَجْهًا»^(٣).

فالمراد بتقديم الهجرة في عهد رسول الله أسبق إليها والتقدم فيها، وفي عهدنا كثرة أجداده في الإسلام.

ومعنى الخبر: أَنَّ الْمُهَاجِرَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مَنْ تَرَكَ الْمُنْهَيَّاتِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمَحَارِمَ الْآنَ كَمَنْ هَاجَرَ بَيْتَهُ يُؤْمِنُ بِهِ، وَثَوَابُهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ؛ وَإِنَّمَا رَاعَى الْمِطَابَقَةَ بَيْنَ الْهَجْرَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ،

١. دعائم الإسلام: ٤٠٢/٢؛ تفسير القمي: ١٧٢/١؛ بحار الأنوار: ١١٣/٢٧، باب ٥٢، ح ٦؛ كتاب المسند:

١٦٩؛ مسند أحمد: ١١/١، ح ٦٧؛ سنن ابن ماجه: ١٢٩٥/٢، ح ٣٩٢٧.

٢. الكافي: ٤٤٣/٥، كتاب النكاح، باب أنه لا رضاع بعد فطام، ح ٥.

٣. راجع: دعائم الإسلام: ١٥٢/١؛ مستدرک الوسائل: ٤٧٥/٦؛ مسند أحمد: ١١٨/٤؛ وكذا راجع: رسائل

المرتضى: ٤٠/٣.

وَحَتَّ بِهِ عَلَى هَجْرٍ مَنَاهِي اللَّهِ.

يُنَاقِزُ الْجَبْرَ فكَذَلِكَ الْخَبَرُ الثَّانِي تَرْغِيبٌ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، يَقُولُ: الْمُجَاهِدُ كُلُّ الْمُجَاهِدِ مِنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَنَازَعَهَا فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى مِنْ اتَّبَاعِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ مَنَاهِيهِ، فَإِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ تَأْمُرُهُ بِمَا فِيهِ مِنْ هَلَاكِ نَفْسِهِ وَدِينِهِ، فَالْمَرْءُ الْمُسْلِمُ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ وَيُدَافِعُهَا حَتَّى يَسْلُمَ دِينَهُ وَنَفْسَهُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ مَوَاقِعَةِ الْمَعَاصِي فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ بِإِزَائِهِ عَدُوٌّ يَقَابِلُهُ، لَهَا يَعْانِي مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَغَالِبَةِ قَلْبِهِ وَالتَّحْقُّظِ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ.

وَالْمُجَاهِدُ مَفَاعِلٌ مِنَ الْجُهْدِ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ، أَوْ مِنَ الْجُهِدِ وَهُوَ الطَّاقَةُ، وَالْمُجَاهِدَةُ وَالْجِهَادُ مُصْدَرَانِ لَهَا كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي الْأَغْلَبِ كَالْمُقَاتِلَةِ وَالْقِتَالِ، وَفِي عَرَفِ الشَّرْعِ مُقَاتَلَةٌ مِنْ يَجِبُ قِتَالُهُ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا - كَمَا أَمَرَ اللَّهُ - وَبِمُجَادَّتِهَا^(١) الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ.

الْكَيْسُ مَنْ ذَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ

يُنَاقِزُ الْجَبْرَ يَقُولُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَذِلُّوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْكَيْسَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَحَاسِبَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَذِلَّهَا بِتَرْكِ عِزِّ الدُّنْيَا وَسَاسَتِهَا، وَعَمِلَ مَا يَنْفَعُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

و«الْعَاجِزُ» الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَى مَصَالِحِ نَفْسِهِ، مِنْ أَطَاعِهَا فِي مُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَهُوَ يَقُولُ: لَيْتَ اللَّهُ غَفَرَ لِي وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، أَوْ: لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرَ لِي.

و«الكيس»: الفطن. و«الدين»: الحساب^(١).

ومعنى «دان نفسه»: حاسبها، وقيل: من ساسها. يقال: دان الملك الرعية إذا ساسهم، وقيل معناه: من أذل نفسه في طاعة الله وأعطى نفسه ديناً. و«بعد» ظرف لمحذوف، أي: وعمل لما ينفعه بعد موته، ويجازي^(٢) يوم القيامة. والواو للعطف^(٣)، ويجوز أن يكون للحال. و«قد» مقدرة، أي: وقد عمل. و«العاجز» ضد القادر حقيقة، إلا أن العرب تستعمله في معنى فقد الهداية إلى طلب الرزق ومصالح النفس، ولذلك جعله عليّاً في مقابلة الكياسة.

و«تبعْتُ زيداً» يتعدّي إلى مفعول، و«أتبعْتُ زيداَ عمراً» يتعدّي إلى مفعولين، وفي الخبر بهذا المعنى، أي جعل نفسه تابعة لهاها.

و«المتنّي» قول القائل لما كان: «ليتّه لم يكن»، أو لما لم يكن: «ليتّه كان».

ومعنى الخبر: الكيس كلّ الكيس من كان سائساً نفسه، حافظاً لها عن اتباع الهوى، عاملاً لمرجعه ومآبه؛ والعاجز كلّ العاجز من مكّن نفسه اتباع الشهوات في غير رضا الله، وتمنّى على الله المغفرة والجنة، وأسير الهوى أسير الهوان.

وقال عليّاً عليه السلام: «لَا تَتَكَلَّمْ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهُ بَضَائِعُ النَّوْكَى»^(٤).

١. في خ: والحساب.

٢. أي: وعمل لما يجازي.

٣. في خ: العطف.

٤. في المصدر: «إِيَّاكَ وَالْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى»؛ نهج البلاغة: ٣٤٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٣٨٤/٤، ح ٥٨٣٤؛ وقال ابن ميثم البحراني: في بيان الحديث: «المنى» جمع منية، وهو الشيء المتنّي، كقوله: إن سعدي لمنية المتنّي. و«البضائع» جمع بضاعة، وهي البعض من المال تبعته للتجارة. و«النوكة» جمع أنوك وهو الأحمق. والمقصود من هذه الكلمة النهي عن اشتغال النفس بتمنّي الأماني، فإن ذلك الاشتغال قد يعرض، ولا يزال يتزايد حتى يكسب النفس ملكة الوسواس والالتفات عن الانتقاش بنور الحق وسواد لوح الخيال عن قبول المنامات الصافية والالهامات الخالصة؛ شرح مائة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام: ١٩٦.

ويجوز أن يكون ليت بمعنى لعل. وقيل: «التمني» معنى في القلب سوى الإرادة. وقيل: هو كل إرادة لم يوجد مرادها. والصحيح: أن التمني من قبيل الكلام، يقال: أقسام الكلام سبعة: الأمر والنهي والخبر والاستخبار والعرض والمجدد والتمني.

الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ * الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ * الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
* كَرَمُ الْمَرْءِ دِينُهُ وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ * مِنْ حُسْنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ

بيان الخبر لفظ «المرء» في الأحاديث الخمسة وإن كان لفظه واحدة فالمراد به الجمع، إن هذا المعنى يستفاد من لام الجنس.

يقول: إن كل امرئ يتكثر بأخيه المؤمن، ويتقوى به، ويكبر بمكانه. وروي: «كثير» بالباء والثاء معاً.^(١)

والخبر حث على كثرة اتخاذ الإخوان في الله، وإن كان المرء كيساً في شأنه، وكثرة الإخوان معونة على الزمان.

وقال ابن القيم: «أَكْثَرُ مِنَ الْإِخْوَانِ، فَإِنَّ رَبَّكَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ إِخْوَانِهِ»^(٢).

بيان الخبر الثاني حث على اختيار الخللان، فإن كل رجل يجري على طريقة

١. راجع: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: ٢٤؛ الآداب الشرعية: ٥٤٨/٣.

٢. راجع: بريقة محمودية: ١٢٤/٦؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْراً»، راجع: مصنف عبد الرزاق: ٢/٢٥١، ح ٣٢٥٠؛ جامع الأحاديث: ١٠٠/٣، ح ٧٥٣٧.

خليله وعادته.

وقيل: معناه: لا يخالل إلا من رضيت مذهبه وإن كنت على طريقة حسنة، ولا تخاطر بنفسك، فإن خليلك يغرّك، ويغرّك بطريقه^(١) السيئة، ولا ينتفع بك.

وقال سفيان بن عيينة حين روي هذا الحديث: انظروا إلى فرعون معه هامان، انظروا إلى حجاج معه يزيد أبي مسلمة ينثر^(٢) منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حياء، فقومه وسدده؛ وقيل: إن الخلّة مأخوذة من تخلّل المودة [في] القلب وتمكّنها منه^(٣)، وهي أعلى درج الإخاء، فالتناس في الأصل أجنب، فإذا تعارفوا واثتلفوا فهم أوداء، فإذا تشاكلوا فهم أحناء، فإذا تأكدت المحبة صارت خلّة^(٤).
يُنَالُ الْخَيْرَ وقوله: «المرء مع من أحبَّ»، [له] معنيان:

أحدهما: أن الرجل مصاحب من أخاه، لا يفارقه ما استطاع، لأن نفسه لا يساعده على مفارقتة، ومخالفتة مرافقته، ولو فارقته بشخصه لا يفارقه بقلبه.

والمعنى الثاني: أنه أراد أن كلّ رجل يحشر في الآخرة مع من يحبّه ويبعث في مصاحبة من شايعه في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وهذا أولى، لما جاء في الخبر عن أنس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ إِلَّا إِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٥).

١. في خ: بطريقة.

٢. في المصادر: شر.

٣. كذا في المصدر، وفي خ غير واضحة.

٤. راجع: العزلة: ٤٧؛ بدايع السلك: ٤٣٢/٢.

٥. راجع: علل الشرايع: ١٣٩/١ - ١٤٠؛ بحار الأنوار: ١٣/١٧، باب ١٣، ح ٢٦؛ مسند أحمد: ١٠٤/٣، ح

١٢٠٣٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٥٠٣/٧، ح ٣٧٥٦١.

وسئل عليه السلام عن الرجل يحبّ قوماً، هل يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحبَّ»^(١).

وقال الحارث الهمداني عليه السلام: «إني أحبّكم، وأخاف وقت النزاع وحالة الممرّ على الصراط. فقال: يا حار! لا تخف، فما من أحد من أوليائي وأعدائي إلّا وهو يراني في هاتين الحالتين، ثم أنشأ»^(٢):

أقول للنار حين توقدَ للـ عرض ذريه لا تقربني الرجال
ذريه لا تقريه إن له حبلاً يحبل الوصي متصلاً

بيان الخبر ومورد الخبر الرابع ومعناه مبالغة في جعل تلك الأشياء الثلاثة التي فيه أعنان^(٣) ما بعدها؛ كأنه قال: لا كرم إلّا الدين، ولا مروءة إلّا العقل، ولا حسب إلّا الخلق.

والمرء إنّا يكون كرمًا إذا كان ديناً، فإن أصل الكرم هو الدين القويم؛ ويكون عاقلاً قد استعمل عقله إذا كان ذو مروءة، فإن المروءة - وهي الرجوليّة - يدعوه إلى أداء حقّ الله ومواساة الناس، فيكتسب ثواب الله للآخرة ومودة الخلق ومحمدتهم للدين؛ قد جاز خير الدارين باستعماله العقل.

وأما حسبه وهو ما يحسب ويعدّ من مفاخره أو معايبه فهو على حسب خلقه، فإن كان حسن الخلق يثنى عليه، وإن كان سيئ الخلق يعاب به عليه.

بيان الخبر ومعنى الخبر الأخير: أنّ من أشرف خصال المرء المسلم وأجلّها وأحسنها أن يترك ما لا يعنيه، ولا يتعرّض لما لا تعلق له به من خير وشرّ، ويشتغل به بنفسه،

١. العمدة: ٢٧٨؛ مسند أحمد: ٢٣٩/٤، ح ١٨١١٦؛ سنن الترمذي: ٥٩٦/٤، ح ٢٣٨٧.

٢. راجع: الأمالي (للمفيد): ٧-٣، مجلس ١، ح ٣؛ بحار الأنوار: ١٧٨/٦ - ١٨٠، باب ٧، ح ٧.

٣. أطراف، نواحي.

لا يتفرغ من نفسه إلى غيره؛ فالعاقل لو أغرق جميع عمره فيما يعنيه لم يتفرغ لما لا يعنيه.
وسئل لقمان: «أيّ عملك أوثق في نفسك؟ فقال: ترك ما لا يعنيني»^(١).

النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ * النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ * النَّاسُ كَابِلٍ مِائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَاحِدَةً * الْغِنَى
الْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ * رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى
النَّاسِ

بَيَانُ الْجَبَرِ بيان الخبر الأول في تمامه، وهو: «إِنَّمَا يَتَقَاضُونَ بِالْعَافِيَةِ»^(٢)، أي أنهم
متساوون في الأحكام، لا يفضل شريف على وضع بالأبوة، كأَسْنَانِ الْمَشْطِ لا فضل
لسن منها على أخرى؛ هذا من حيث الخلقة.
بَيَانُ الْجَبَرِ وتام الخبر الثاني: «فَخِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا فَقَّهُوا»^(٣)،
ومعناه: «قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»^(٤)، ومن جعل أخلاقه حسنةً فمنها كمعدن الذهب
عزیزاً، ومنها دون ذلك كمعدن الفضة، وإن كان كلّها في الحسن سواء.
بَيَانُ الْجَبَرِ وأما الخبر الثالث فهو خاص في الذين يغلب عليهم النقص، «سَوَاسِيَةُ
كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ»^(٥)؛ يريد: أن أكثر الناس أهل نقص وجهل، فلا تؤاخ منهم إلا أهل^(٦)

١. الأمثال (ابن سلام): ٣٩؛ حلية الأولياء: ٢٢٣/٣؛ الجامع في الحديث: ٥٥٧/٢، ح ٤٥٢؛ المجالسة
وجواهر العلم: ١٤٠؛ مجمع الأمثال: ٣١٧/٢.

٢. غريب الحديث للخطابي: ٥٦٠/١؛ الأمالي للجرجاني: ١٩٨/٢.

٣. مسند الشهاب: ١٤٥/١، ح ١٩٦؛ شرح الأخبار: ٤٨٥/٢؛ مسند الطيالسي: ٣٢٤، ح ٢٤٧٦.

٤. نهج البلاغة: ٤٨٢؛ الأمالي (للصدوق): ٥٣٢؛ بحار الأنوار: ١٦٥/١، باب ١، ح ٤.

٥. أنشد كثير عزة: «سَوَاسِيَةُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لَدِي كِبَرَةً مِنْهُمْ عَلَى نَاشِي فَضْلًا»؛ راجع: ديوان
كثير عزة: ١٢٧؛ عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٤٤؛ محاضرات الأدباء: ٤١٣/١.

٦. في خ: أفعل.

الفضل، وعددهم قليل، بمنزلة «الراحلة» في الإبل، وهي البعير الذلول الذي يحمل ويركب، فاعلة بمعنى المفعولة من حيث أنها مصدر كالعاقبة والعافية والحافية. وروي: «تجدون الناس كالإبل المائة ليست فيها راحلة»^(١)، وهذا يدل على أن قوله: «كإبل مائة» على الصفة أحسن من الإضافة؛ والمعنى: أن المريض المنتجب في عزّة وجودة، كالنجيبة التي لا توجد في كثير من الإبل؛ والتقدير: الناس مثل إبل مائة غير موجودة فيها راحلة.

وعن الأزهرى: «الراحلة البعير الذي يرتحله الرجل، حملاً كان أو ناقه»^(٢). فإن قيل: هذه الأحاديث الثلاثة مختلفة توهم التناقض، لأن تشبيه الناس بأسنان المشط يفيد التماثل ونفي التفاوت وأنهم متساوون في النسب أي كلهم بنو آدم، وتشبيههم بمعادن الذهب والفضة يفيد وصفها بالنفاسة مع اختلاف ظاهر وتفاوت بين، وتشبيههم بقطيع من الإبل لا يكون فيهم واحدة حميدة يفيد وصفهم بغاية الرداءة. قلنا: الجمع بينها من جهة المعنى واختلاف الأحوال.

وذلك أن تشبيههم بأسنان المشط إنما هو من جهة الخلقة، وأنهم كلهم مخلوقون من أصل واحد وهو التراب، ومن أب واحد وأم واحدة وهما آدم وحواء عليهما السلام، ولا فخر لأحد منهم على الآخر من جهة النسب، كما لا تفاوت في أسنان المشط بعضها على بعض.

وأما تشبيههم [بـ] معادن الذهب والفضة فهو من جهة خصائص الحميدة وأوصافهم الجميلة، فالناس يختلفون غاية الاختلاف، فلو جربتهم لوجدت بينهم من التفاوت ما

١. الجامع في الحديث: ٣٦٠/١١، ح ٢٥٣؛ مسند أبي يعلى: ٣٢٤/٩، ح ٥٤٣٦؛ الفائق في غريب الحديث:

٤٨/٢؛ كنز العمال: ٤٧/١٦، ح ٤٤٠٩٨.

٢. تهذيب اللغة: ٦/٥.

تجده بين الذهب والفضة.

وقال عليه السلام: «ذلك إذ الناس ناس والزمان زمان»^(١)، وأشار إلى أهل زماننا بتشبيههم جميعاً بقطيع إبل عددها مائة، ومع ذلك لا يكون فيها واحدة تصلح للركوب والسفر.

ومثله ما روي: «الناس أمثال وشى في الشيم»^(٢).

بيان الخبر ومعنى الخبر الرابع: أن الغنى كل الغنى لكل أحد رفع الطمع عما في أيدي الخلق، والقناعة بما عنده؛ «والطمع فقر حاضر وذلل صاغر»^(٣).

بيان الخبر وفي الخبر الأخير أبانه المنزلة العظيمة^(٤) للإيمان، وحث على التحبب إلى الخلق، فبالإيمان الخلاص من العقاب والوصول إلى الثواب والنجاة من أكثر بلاء الدنيا والفوز بمنافعها العاجلة، وبالتوّدّد هذه نجاة من الحقد والحسد والبغضاء والظلم [و] غير ذلك؛ فيجب الإيمان بالله تعالى طلباً^(٥) لنجاة الدارين، ويستحبّ التوّدّد إلى الناس ترفيهاً للقلب والعين، وهذا من كمال العقل واستعماله.

وقال عليه السلام: «لكلّ شيء دَعَامَةٌ ودَعَامَةُ المؤمنِ العقلُ»^(٦)، واللامات في «الناس» للجنس بعضها أعمّ من بعض.

١. راجع: الأغاني: ٣١٤/٤؛ العزلة: ٣١؛ يتيمة الدهر: ٣١١/٤؛ وفي الأخير:

«بلاد بها كُتّا وكُتّا نحبّها إذ الناس ناس والزمان زمان».

٢. وفي بعض المصادر: «الناس أسواء وشى في الشيم وكلّهم يجمعهم بيت الأدم»، راجع:

العين: ٣٢٦/٧؛ عيون الأخبار (لابن قتيبة): ١٤٤؛ جمهرة اللغة: ٦١٨/١.

٣. العزلة: ٢٩.

٤. في خ: العطية.

٥. في خ: وطلباً.

٦. بغية الباحث: ٢٥٧؛ نزهة المجالس: ٣١٠/٢؛ تفسير السمعاني: ١٠/٦.

كُلُّ امْرِئٍ حَسِيبٌ نَفْسِهِ * كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ * كُلُّ عَيْنٍ
زَانِيَةٌ * كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكِيسِ * كُلُّ صَاحِبٍ عِلْمٍ
غَرَّتْهُ أَنْ إِلَى عِلْمٍ آخِرٍ * لِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ
* كُلُّ مُشْكَلٍ حَرَامٌ وَلَيْسَ فِي الدِّينِ إِشْكَالٌ * كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ
* كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ * لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِقَدَرٍ غَدَرْتَهُ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَمَّا الْخَيْرُ الْأَوَّلُ فَلَهُ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ:

أحدها: أَنْ الله بعدله جعل حساب كلِّ مكلفٍ إلى نفسه، فلا يكون له محاسب في
حقه غير نفسه، قال الله تعالى: «كُنْ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»^(١).
والثاني: لفظه خبر ومعناه أمر، وهو أنه يجب على كلِّ امرئ أن يحاسب نفسه، إن
كانت أفعاله معصيةً تاب منها، وإن كانت طاعةً زادها وسأل الله التوفيق على ثباتها.
والثالث: أَنْ معناه: لا يحاسب معه حساب غيره، وإِنَّمَا يحاسب بما كسبت يده، قال
الله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(٢).

و«الحسب» الذي يتولَّى الحساب، فعيل بمعنى مفاعل، ويجوز أن يكون المراد كلُّ
رجلٍ حسيبٍ ونسيبٍ نفسه، ويكون بمنزلة قول عليٍّ عليه السلام: «الناس أبناء ما
يحسبون»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ الثاني بشاره للمؤمنين بقرب ثوابهم وإنذار الكفار بقرب عقابهم، وذلك
لأنَّ ما هو قَوْفٌ على الوعد أو على الوعيد من قبل الله فإتيانه قريب وإن استبطئ،

١. الإسراء: ١٤.

٢. الإسراء: ١٥.

٣. في المصادر: «محسبون»، راجع: الكافي: ٥١/١، كتاب العلم، باب رواية الكتب، ح ١٤.

ألا ترى أنَّ الساعة موعِدٌ ويظنُّ أكثرُ الناس أنَّ إتيانها عن بعد، وقد قال تعالى: «وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ»^(١)، أراد بذلك علامة آخر الزمان.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ والخبر الثالث تحذير عن النظر إلى المحرّمات، وتغليظ في عقوبته؛ ولهذا شبهه بالزنا، يعني أنَّها مقدّمة للزنا، فإنَّ البصر رائدة، واللسان خاطب، والفرج مصدّق للزنا ومحقق له بالفعل؛ وإذا قال رجل لآخر: زنتَ عينك، لا يكون قذفاً يوجب الحدَّ، وإنَّها فيه التعزير.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وللخبر الرابع معنيان:

أحدهما: أنَّ لكلَّ شيء مقدار يزيد وينقص، حتّى يكون بعض الناس أعجز من بعض، وبعضهم أكيس من بعض والرأي^(٢).

قال أبو قاتلة المروزي: «العجز والكيس في الجماع المباح خاصّة، والقدر فيه هو القضاء من الله، بأنَّ هذا الرجل يكون زوج تلك المرأة وإن لم يدبرا ولم يجهدا، فإنَّ الله يهيئ الأسباب في ذلك، وقد يجتهد الإنسان أن يتزوَّج امرأة ولا يتيسّر له، وإن بالغ»^(٣).

والأحسن أن يقول: «لكلّ» ههنا عامٌّ في أفعال الله تعالى، ولا يدخل أفعال العبد تحته، لأنّه تعالى لو أوجب على عباده فعل القبائح لما عامّهم بفعل نفسه وبما هو على الإلحاء والإكراه فيهم من قبله.

وقال بعض العلماء: «القدر ههنا بمعنى الحدّ، أي لكلّ شيء حدّ لا يجوز مجاوزته

١. النحل: ٧٧.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: في الرأي.

٣. لم أقف عليه.

وإن كان في العجز والكيس»^(١)؛ يعني: لا يبالغ أحد في طلب الكسب، ولا يجاوز الحد فيه، ولا يتأخر عن طلبه بمرّة، بل يحسن الطلب، فإن كان ميسّر لما خلق له، وقد قدّمنا أن العجز عند العرب فقد الهداية إلى طلب الرزق، ويكون ضدّ القدرة؛ والكيس علم كسبي.

يَنَالُ الْجَبْرَ ومعنى الخبر الخامس: أن حرص العالم على العلم لا ينقطع، فإنّه لا يزال حياً يشتغل بتحصيله وجمعه، ويعلم ما لم يعلم، والعلوم لا نهاية لها وكلّها حسن، وكلّ من علم حسن شيء وأنّ فيه منفعة عاجلة وآجلة سارع إليه، ويكون في حكم الملحاء^(٢) عليه.

و«الغرثان»: الجائع، وههنا استعارة. و«العماد» الخشب الذي يقوم به البيوت والخيم. يَنَالُ الْجَبْرَ يقول: كما أن المساكن لا تقوم ولا تستقيم إلا بالعماد كذلك^(٣) أمر هذا الدين لا يستقيم إلا بالفقه، وهو معرفه الأحكام والفرق بين الحلال والحرام. يَنَالُ الْجَبْرَ ومعنى الخبر السابع: أن الذي يحتاج المكلفون إليه من أسباب التكليف كلّّه سهل ميسّر لهم، ليس فيه غموض يشكل عليهم معرفته أو يصعب عليهم فعله وإن كان فيه مشقّة.

قال ابن قتيبة: «معناه: أنّه إذا أشكل الحظر والإباحة، فغلبوا الحظر عليها احتياطاً، ولا إشكال»^(٤).

«والحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك أمور مشتهات»^(٥)، «ومن رتع حول الحِمَى

١. لم أقف عليه.

٢. كذا في خ.

٣. في خ: وكذلك.

٤. لم أقف عليه.

٥. المدوّنة الكبرى: ٤٤١/٨؛ سنن الدارمي: ٣١٩/٢، ح ٢٥٣١؛ مسند أحمد: ٢٦٩/٤، ح ١٨٣٩٤.

يوشك أن يقع فيه»^(١)؛ وليس في دين الله إشكال يشبه الحق بالباطل والرشد بالغى، وإن الله ما كلّفهم المشكلات التي لا فائدة فيها، فإنّ طلب معرفتها حرام؛ نحو أن يشتغل أحدنا بأن يعلم: كم مربّع وكم مثلث ومخمس وكم من مسبّع ومسدّس يجيء من مدوّر إلى مثل الهندسة، وكم على رأسه^(٢) شعر، وكم بين السماء والأرض.

يُنَالُ الْخَبْرُ وقوله: «كلّ مسكر حرام» معناه: أن كلّ ما يسكر كثيره وقليله حرام يجب الحدّ على شاربه، وإن لم يكن عين الخمر؛ ولا يجوز استعماله بالشرب ولا التداوي به ولا التصرف فيه بالبيع والهبة، وينجّس ما يجعل فيه المسكر، ويحرم جميع أجناس المسكرات مطبوخه ونبيّه على كلّ حال، وإن اختلف عليه الأسماء، كالخمر لما يكون من العصر، والنبيذ من الزبيب، والنقيع من التمر، والتبع من العسل، والمرز من الحنطة؛ وعموم النصّ يتناول تحريم كلّها، وليس بعضها ملحقاً بالقياس بالخمر حكماً لما كان في معناها.

هذا، كما أنّ الله جعل النّبّاش في حكم السارق، والملوط في حكم الزاني، وإن كان كلّ واحد منهما يختصّ في اللغة باسم غير الزنا وغير السرقة.

وقيل: إنّ الخمر اسم لكلّ ما يوجد فيه السكر من الأشرية كلّها، ومن ذهب إلى هذا قال: إنّ للشرعة أن يُحدث الأسماء بعد أن لم يكن، كما أنّ لها أن يضع الأحكام بعد أن لم يكن.

ووصف الله خمر الجنة بقوله: «لَا يُصَدَّغُونَ»، «وَلَا يُنْزِفُونَ»^(٣)، فهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيون خمر الدنيا.

١. الأمثال في الحديث النبوي: ١٥٩؛ مستدرك الوسائل: ٣٢٤/١٧، ح ٢١٤٧٨.

٢. في خ: ذاته.

٣. الواقعة: ١٩.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ومعنى قوله: «كلّكم راع»: أن من لم يتعهد رعيته بواجبه فهو يوم القيامة مأخوذ بحقوقهم مسؤول عنها معاقب عنها، حتى يقول الله بعيسى عليه السلام: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١)، فيجب على كلّ من كان له أهل وعيال أن يبالغ في حفظ حقوقهم وأن يحسن تأديبهم ويقرّبهم من الطاعات ويبعدهم من المعاصي؛ وكذلك الملك لا يظلم الرعية ولا يتغافل عن إصلاح أحوالهم وتقويمهم، فالزوج راع وهو مسؤول عن زوجته، وهي راعية على بيته فهي مسؤولة عن ذلك. بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ومعنى الخبر الأخير: لا تغدروا ولا تخونوا في القليل ولا في الكثير ولا بالقول ولا بالعمل، فالغادر مفتضح يوم القيامة على رؤوس الخلائق على حدّ ما ركب في الدنيا على مطيّة الغدر والخيانة. و«اللواء» استعارة ههنا، أراد به تفضيحه غداً عند الأنبياء والأئمّة والصالحين في العرصات. و«الغدر»: ترك الوفاء.

أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ * أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ * أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ * أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْحَيَاءُ وَالْأَمَانَةُ * أَوَّلُ مَا تَفْقَدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ وَآخِرُ مَا تَفْقَدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ حتّى على محافظة أمر الصلاة وما يتعلّق بها من أركانها وفرائضها، فإنّها عماد الدين^(٢)، ولا يسأل أحد في خاصّة نفسه إلّا عن الصلاة، فإن كانت تامة لم يسأل عن غيرها وإن كانت غير صحيحة يعاقب عليها وعلى غيرها، إلّا من شاء الله.

١. الهائدة: ١١٦.

٢. قال الباقر عليه السلام: «الصلاة عمود الدين»، راجع: المحاسن: ٤٦/١، ح ٦٠؛ بحار الأنوار: ٢١٨/٧٩، كتاب الصلاة، باب ١، ح ٣٦.

وقد سَمَّاها الإيمان، ^(١) لأنها عَلِمَ الإيمان، لقوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» ^(٢)، أي صلاتكم إلى بيت المقدس.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَرِ الثَّانِي مِنْ أَنَّ أَوَّلَ حَكُومَةٍ وَقَضِيَّةٍ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي الْقَتْلِ وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ، فَإِنَّ هَذَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ خَاصَّةِ نَفْسِهِ؛ وَالْقَتْلُ مِنَ الْكِبَائِرِ الْعِظَامِ، وَالْخَبَرُ زَجَرَ عَنْهُ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَيُرْوَى: «أَتَقَلُّ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخَلْقُ الْحَسَنُ» ^(٣).

نَبَّهَ بِهَذَا عَلَى أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ حَسَنِ الْخَلْقِ فَأَوَّلُ مَا يَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَمَلَةِ طَاعَاتِهِ خَلْقُهُ الْحَسَنَ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ حُسْنُ الْخَلْقِ» ^(٤)، وَالسَّعَادَةُ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاحِ عَاجِلًا وَآجِلًا.

وَالْمِيزَانُ وَوَضْعُ الطَّاعَةِ فِيهِ، بِمَجَازٍ وَاسْتِعَارَةٍ. وَقِيلَ: الْمِيزَانُ حَقٌّ وَيُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ مَكْتُوبَةً فِي صَحَائِفٍ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الرَّابِعُ: أَنَّ أَوَّلَ [مَا] يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ذَهَابُ الْحَيَاءِ مِنَ الْخَلْقِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَذَهَابُ الْأَمَانَةِ مِنْ أَهْلِهَا سِرًّا وَعِلَانِيَةً دِينًا أَوْ دُنْيَاً.

١. فِي الْكَافِي: ٣٧/٢، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، بَابُ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنُوثٌ لِحُجُورِهِ...، ح ١ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، فِيهِ: «وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا صَرَفَ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى الْكُعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ»، فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا...».

٢. الْبَقَرَةُ: ١٤٣.

٣. مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: ٢١٢/٥، ح ٢٥٣٣٧؛ عِلَلُ الْحَدِيثِ: ٢٧٥/٢، ح ٢٣٢٣؛ وَكَذَا رَاجِعُ: الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٢٥٣/٢٤، ح ٦٤٧؛ جَامِعُ الْأَحَادِيثِ: ٩٢/١، ح ٤٥٧.

٤. الْمُنْتَقَى مِنْ كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا: ٣٢، ح ٢٢؛ شُعَبُ الْإِيمَانِ: ٢٤٩/٦، ح ٨٠٣٩؛ كَنْزُ الْعَمَالِ: ١٠/٣، ح ٥٢٤٣؛ كَذَا رَاجِعُ: مَشْكَاتُ الْأَنْوَارِ: ٣٩٣؛ مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ: ٤٤٦/٨، ح ٩٩٥٢.

وقيل: الأظهر أنه عليه السلام يؤمى به إلى ما كان بعده من الوقاحة وترك أداء الأمانة إلى أهلها مما وصى به يوم الغدير.

ولا يناقضه الخبر الأخير من أن أول ما يذهب من دين الإسلام الأمانة وحدها؛ لأن الواو لا يوجب الترتيب، ولا يستبعد أن يكون الأمانة يتقدم الحياء. بيان الخبر ومن الفتن التي تظهر في آخر الزمان ترك الصلاة. وروي: «أول ما يرفع الأمانة، وأوسطه الأرحام، وآخره الصلاة»^(١).

الحُبُّ يَتَوَارَثُ وَالْبُغْضُ يَتَوَارَثُ * حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيَصْمُ *
الْهَدْيَةُ تَذْهَبُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ * الْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ *
يُمْنُ الْخَيْلِ فِي شَقْرِهَا * السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ * الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ
بِالْمَنْطِقِ

بيان الخبر يقول: أحبوا من يكون محبته طاعة، ولا تبغضوا من بغضه معصية، فإن أولادكم يتبعونكم في ذلك على الأغلب، فإن كان حبكم وبغضكم لله يستحقون الثواب بما يرثه الأولاد منكم أيضاً.

وعن علي عليه السلام: «الصديق ثلاثة: صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك»^(٢).
وقيل: «صداقة الآباء قرابة الأبناء»^(٣).

١. في المصادر عن ابن مسعود يقول: «أول ما تفقدون من دينكم: الأمانة، وآخر ما تفقدون منه: الصلاة»؛ راجع: مصنف عبد الرزاق: ٣/٣٦٣، ح ٥٩٨١؛ مكارم الأخلاق: ٨٩، ح ٢٦٧؛ المعجم الكبير: ٩/١٤١، ح ٨٦٩٩ و ح ٨٧٠٠.

٢. راجع: نهج البلاغة: ٥٢٧؛ ربيع الأبرار: ٧٨/١.

٣. في المصادر: «مودّة الآباء»، راجع: تاريخ مدينة دمشق: ٥١/٢٢١؛ سير أعلام النبلاء: ١٦/٤٠١؛ مجمع الأمثال: ٢/٣٣٠؛ وكذا عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ راجع: نهج البلاغة: ٥٢٩، حكمة: ٣٠٨.

ومن علامة الإخاء أن يكون لصديق أخيه صديقاً ولعدوه عدواً.
 وقيل: معناه حثّ على محبة أصدقاء الآباء وبغض أعدائهم على مقتضى الشرع،
 وفيه تنبيه أن الصداقة غير واجبة على أحد، ولكن القيام بأداء حرمتها واجبة.
 بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الثاني نهى عن حب الدنيا وجميع ما يشتغل عن الدين، فإن
 حبها يعمي عن معايها ولا يبصر من ينظر إليها، ويصم عن مساوئها التي يذكرها
 الصالحون، أي: يخفى عليك مساويه ويصمك عن سماع العذل^(١) فيه.
 وقيل: يريد: لا يحب شيئاً من الأشياء حتى يعلمه أنه حقّ وحسن لا ذمّ في حبه،
 فإنك إن سارعت إلى محبة شيء من غير اختيار فإنه يعمي عن الرشد ويصم عن
 الموعظة، حتى يرى قبيح صديقه حسناً.
 وأنشد: حسن في كلّ عين من تودّ.^(٢)
 وقيل: حبك الدنيا يعمي ويصم عن الآخرة، وهذا مجاز.
 بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وكذا إذهاب الهدية السمع والبصر عن أخذها استعارة في الخبر بعده،
 ومعنى: أن الهدية يحمل صاحبها على أن لا ينظر إلى معايب المهدي وعداوته
 ومعاملته القبيحة ولا يسمعها حتى لا يرى الحق.
 وفي الحديث: «إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الكوة»^(٣)، فكان
 الهدية ههنا بمعنى الرشوة.
 بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وأما الخبر الرابع، ففيه ترغيب في اتخاذ الخيل للغزو عليها في سبيل الله ولغير

١. اللؤم.

٢. «فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كلّ عين من تودّ»؛ أنشده ابن أبي ربيعة؛ راجع: الحيوان:

٣/٤٨٨؛ الأغاني: ١/١٩٣.

٣. الزهد (لابن مبارك): ٢٨٨؛ أخبار القضاة: ١/٥٦؛ معجم ابن المقرئ: ٢/٨٣.

ذلك من المنافع، فإنَّ كلَّ الخير فيها إلى يوم القيامة، أي: أنَّ الأجر والمغرم يكونان عليها وفيها، وأهلها مثابون^(١)، والمنفق عليها كباسط يديه في الصدقة؛ فالخيرات معقودة بنواصيها، وهذا استعارة؛ وتامه: «إلى يوم القيامة»^(٢).

وقيل: المراد بالخير ههنا كقوله تعالى: «وإنَّه لَحَبِ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ»^(٣).

وقفه هذا الخبر ثلاثة أشياء: السهم للفرس يستحقه الفارس من أجله، وإعلام أنَّ المال الذي يكتسب بإيجاب الخيل من خير وجوه المال وأطيبها، وأنَّ الجهاد إلى يوم القيامة لا ينقطع إذا حصلت شرائطه. وسميت الخيل خيلاً لاختياها^(٤).

بيان الخبر ثم قال: بركة الفرس أن يكون أشقر، وكان يشترط الشقر من الدواب.

وقيل: إنَّما فضل الأشقر، لأنَّ النبي ﷺ بعث سرية في قتال، فكان أول من جاء بالفتح صاحب الأشقر هو المشرب حمرة^(٥).

والفرق بينه وبين الكميث بالعُرف والذنب، إن كانا أحمرين فهو^(٦) أشقر، وإن كانا أسودين فهو كميث^(٧).

بيان الخبر ثم رغب بقوله: «السفر قطعة من العذاب» في الإقامة في الحضر وترك الإكثار من السفر، لئلا يفوته ملازمة الجمعة والجماعات والحقوق الواجبة للأهل والقربات.

١. في خ: معابون.

٢. مسند الشهاب: ١٥٨/١؛ الكافي: ٩/٥، كتاب الجهاد، باب وجوه الجهاد، ح ١٥.

٣. العاديات: ٨.

٤. راجع: العقد الفريد: ١٣٦/١؛ مقاييس اللغة: ٢٣٥/٢.

٥. راجع: مسند أحمد: ٣٤٥/٤، ح ١٩٠٥٥؛ سنن أبي داود: ٥٧٣/١، ح ٢٥٤٤.

٦. في خ: وهو.

٧. نقل الفرق عن النبي ﷺ راجع: شرح كتاب السير الكبير: ٨١/١؛ أدب الكاتب: ١١٢؛ تهذيب اللغة:

٩٠/١٠؛ المغرب في ترتيب المعرب: ٢٣٢/٢.

وقال بعض العلماء: «لو لم يقله رسول الله لقلت: العذاب قطعة من السفر»^(١).

وتام الخبر: «فإذا قضيتهم حوائجكم فأسرِعُوا الرُّجُوعَ»^(٢).

يُنَالِ الْخَيْرَ ومعنى الخبر الأخير على الأغلب، أي: لا تكثرُوا الكلام الذي لا فائدة فيه وهو المنطق، فالبلاء مولد من المنطق، وعثراته أشد من عثرة القدم.

ولهذا قال عليه السلام: «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٣).

وروي: أَنَّ سبب الخبر: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقِبَائِلِ، كَانَ جَمَاعَةٌ مَعَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِمَّنَ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ رِبِيعَةٍ. قَالَ: مِنْ هَامَتِهَا أَمْ مِنْ هَازِمَتِهَا؟ قَالُوا: مِنْ هَامَتِهَا الْعِظْمَى. قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: ذُهْلُ الْأَكْبَرِ. قَالَ: أَمِنْكُمْ عَوْفٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَمِنْكُمْ بَسْطَامٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَمِنْكُمْ جَسَّاسٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَنْتُمْ ذَهْلُ الْأَصْغَرِ. فَقَامَ غَلَامٌ، وَقَالَ: مِمَّنَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنْ قَرِيْشٍ. قَالَ: بَيْخٌ، أَهْلُ الشَّرَفِ، فَمِنْ أَيْتِهِمْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ. قَالَ: أَمَكَنْتَ الرَّامِي مِنَ الثُّغْرَةِ؟ أَمِنْكُمْ قَصِي؟ قَالَ: لَا. أَمِنْكُمْ هَاشِمٌ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ: أَمِنْكُمْ شَيْبَةُ الْحَمْدِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَمِنْكُمْ أَهْلُ النَّدْوَةِ وَالرَّفَادَةِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوْ أَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ السَّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَنْتَ مِنْ زَمَعَاتِ قَرِيْشٍ؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ»^(٤).

و«الزَمْعَةُ»: هِنَةٌ زَائِدَةٌ مِنْ وَرَاءِ الظِّلْفِ.

١. قاله ابن عباس، راجع: التمثيل والمعاصرة: ٨٣-٨٤؛ المبسوط للسرخسي: ٤/١٦؛ ربيع الأبرار: ٢٠٧/١.
٢. نصّه في المصادر: «فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ فَلْيُعْجِلِ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ»، راجع: مسند أحمد: ٤٩٦/٢، ح ١٠٤٤٩؛ سنن ابن ماجه: ٩٦٢/٢؛ كنز العمال: ٣٠٢/٦، ح ١٧٥٢١.
٣. مسند الطيالسي: ٧٦، ح ٥٦٠؛ مصنف عبد الرزاق: ١٩٤/١١، ح ٢٠٣٠٣؛ جامع الأحاديث: ١١٠/١٠، ح ٢٩٦٧٤.
٤. راجع: جبهة الأمثال: ٤١٣/٢-٤١٥؛ مجمع الأمثال: ١٧/١-١٨؛ العقد الفريد: ٢٩٠/٣-٢٩١؛ الثقات: ٨٠/١-٨٤؛ دلائل النبوة: ٤٢٢/٢-٤٢٤؛ كنز العمال: ٢٣٢/١٢-٢٣٣، ح ٣٥٦٨٤.

الصَّيَّامُ نِصْفُ الصَّبْرِ * لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّيَّامُ *
 الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ * الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ *
 السَّوَّاكُ يَزِيدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً * وَجَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ *
 طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ

بَيَّانُ الْخَيْرِ يريد: أَنَّ الصوم أمران: إمساك مخصوص على وجوه، والتقرب إلى الله بذلك نصف الصبر الذي هو حبس النفس عن شهواتها؛ وكما أَنَّ الصبر في المصائب والمحن وفي جميع بلاء الله عبادة، وكذلك الصبر على الإمساك عن الطعام والشراب ونحوهما مع النية عبادة، ويسمى شهر رمضان شهر الصبر، لأنَّ فيه يمسك عن تناول الأغذية وغيرها ما بين طرفي النهار؛ والصوم مخصوص بنصفه لا يوجد في غيرها من العبادات، وهو أن يكون خالصاً لله تعالى لا يطلع عليه غيره وإن كانت كلها تقريباً إليه؛ فلهذا صار الصوم أنفس حظاً من سائرهما؛
 بَيَّانُ الْخَيْرِ ولذلك صار زكاة الجسد لبعده عن الرياء. يقول الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»^(١).

بَيَّانُ الْخَيْرِ ثمَّ حثَّ على هذه الطاعة في الخبر الآخر، بأن قال: دعاء الصائم مستجاب وحاجة من عاش لا ينقضي، فإذا علم أَنَّ الصوم سبب إجابة الدعاء يكون صائماً أبداً. وروي: «أَنْ أَرْجَى وَقْتُ الصَّائِمِ لِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَقْتُ إِفْطَارِهِ»^(٢).

بَيَّانُ الْخَيْرِ ثمَّ قال: الصوم وقت الشتاء لا يكون إلا غنيمة لا قتال فيها ولا حرارة على

١. الكافي: ٦٤/٤، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصوم، ح ٦؛ غريب الحديث لابن سلام: ٣٢٥/١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٢٧٢/٢، ح ٨٨٩٣.

٢. في المصادر: «دعوة الصائم تستجاب عند إفطاره» و «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةً لَا تَرُدُّ»؛ راجع: الدعوات: ٢٦ و ٢٧؛ مستدرک الوسائل: ٥٠٢/٧، ح ٨٧٤٤.

الكبد منها، شبهه بالغنيمة السهلة لبرد الجوف وسكونه من العطش على صاحبه، لأن في الصيف تتوقد الجوف من الجوع والعطش.

بَيِّنَ الْجَبَرُ وتقدير الخبر الآخر: استعمال السواك يزيد الرجل بياناً في منطقته وكشفاً في كلامه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وثوابه في أوقات مأثوره أعظم.

وقال **إِسْلَامٌ**: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»^(١).

وقال: «طَهَّرُوا مَجَارِي كَلَامِ اللَّهِ بِالسَّوَاكِ»^(٢).

بَيِّنَ الْجَبَرُ و«الفصاحة»: اقتضاب الكلام بأغرب اللفظ وأحسن المعنى وأوجز البيان، فينتظم في القليل علم الكثير، ليسهل على السامع حفظه؛ كما ترى هذا الكلام القصير ذا المعنى الطويل. ولذلك حثَّ **إِسْلَامٌ** على الفصاحة بأنها جمال للرجال.

بَيِّنَ الْجَبَرُ و«الطاعة» بمعنى الإطاعة كالطاقة والحانة. وقوله: «طاعة النساء» المصدر المضاف إلى المفعول، أي طاعتك النساء، والطاعة لا تكون نفس الندامة، ولكن تثبتها^(٣)، كأنه قال: طاعتك النساء مورثة للندامة، أي: لا تطعهن.

الإِمَامُ ضَامِنٌ * الْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ * الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ * شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي * الْأَنْصَارُ كَرِشِي

وَعَيْتِي * يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ

بَيِّنَ الْجَبَرُ معنى الخبر الأول أمر، وإن كان على لفظ الخبر؛ يقول: ينبغي ويجب أن

١. الكافي: ٤٩٥/٦، كتاب الزِّيَّ، باب السواك، ح ٤؛ مسند الحميدي: ٨٧/١، ح ١٦٢؛ جامع الأحاديث:

٣٧/٥، ح ١٣٢٢٢٢.

٢. «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَطَقُوا طَرِيقَ الْقُرْآنِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ! وَمَا طَرِيقُ الْقُرْآنِ؟ قَالَ:

أَقْوَاهُكُمْ. قِيلَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِالسَّوَاكِ»؛ راجع: المحاسن: ٥٥٨/٢، ح ٩٢٨؛ بحار الأنوار: ١٣١/٧٣، باب ١٨، ح ٢٢.

٣. في غير واضحة، ولعلَّ كان: نشبها.

يكون إماماً لصلاة أقرأ الجماعة، فإنه يضمن عنهم قرائتهم.
 بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وكذلك يجب أن يكون المؤذن مؤتمناً أميناً في مواقيت الصلاة لا يؤذن قبل دخولها.
 والمؤذنون أرفع الناس درجةً وأعلاهم شأنًا، يستشرفون أعناقهم لشواب الله
 ويطلعونها؛ فطول العنق استعارة ومجاز، ويجوز أن يكون حقيقة.

وروي: «إعناقاً» - بكسر الهمزة - وهو سرعة السير، لأنهم أسرع إلى الجنة.
 بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وتقدير الخبر الثالث: شفاعتي مخصوصة ومدخرة لأهل الكبائر، أي الذين
 ارتكبوا الذنوب الكبار من أمتي، وهم المؤمنون الذين أقرؤوا على الحقيقة بتوحيد الله
 وعدله وصحة ما جاء به رسول الله؛ أي: أنهم يخرجون من النار بشفاعتي لهم إلى الله
 في حقهم بعد ما دخلوها وصاروا حَمَمًا^(١). وهذا أمان لقطع رجاء المذنبين من أهل
 الإيمان.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم شرف الأنصار وهم أهل المدينة الذين آووا رسول الله ونصروه، فقال: إنهم
 بظاقتي وخاصتي وجماعتي وموضع أسراري.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«الكرش»: الجماعة من الناس، وقد يكون عيال الرجل وأهله؛ و«العيبة»
 التي يخزن المرء فيها حُرَّ^(٢) متاعه ومصون ثيابه، فضرب بها المثل إعلاماً بأنهم موضع
 أمانته التي يأتمنه على أمره.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى «يد الله على الجماعة» حثٌّ أن تكون مع أهل الحق وجماعة، فإن
 رحمة الله على الجماعة الذين هم أئمة المؤمنين، فقربهم رحمة وبعدهم عقوبة. و«اليد»:
 النعمة والقوة والتفضل والرحمة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير: أن استعمال الصمت من الحكمة، وقلما يستعملونه.

١. حَمَّ الباء ونحوه، حَمَمًا: سخن؛ وجمع الحميم: الحمم.

٢. الحر من الأشياء: أفضلها.

و«الحكم»: الحكمة، قال الله تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»^(١).

وروي: أن لقمان الحكيم رأى داود النبي ﷺ يسرد حلق الدرع بعضها في بعض بيده، فإنه تعالى ألان له الحديد ولم يسأله ما هذا، ولم يكن قبل ذلك درع، وإنما يتخذون في الحرب شبه تنور من الحديد، فلما أتم سردها تلبس، وقال: نعم اللباس ليوم النزال، فتكلم لقمان بقريب من هذا الحديث.^(٢)

الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَبًا لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ * الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ
بَعْضِ التَّجَارَةِ * التَّاجِرُ الْجَبَانُ مُحْرُومٌ وَالتَّاجِرُ الْجَسُورُ مَرْزُوقٌ
* حُسْنُ الْمَلَكََةِ نَمَاءٌ وَسُوءُ الْمَلَكََةِ سُوءٌ * فَضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ
مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ حَتَّى ﷺ بِالْخَبَرِ الْأَوَّلِ عَلَى تَحْلِيَةِ الْقَلْبِ مِنْ هَمِّ الرِّزْقِ، لئَلَّا يَشْتَغَلَ الْخَلْقُ
بِالْمَقْدُورِ.

يقول: كل ما جعله الله رزقاً للعبد يصل إليه قبل موته، ولا يأتيه أجله حتى يأتيه
جمع أرزاقه.

ونسبة^(٣) الطلب إلى الرزق مجاز.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ دَعَا إِلَى الْاِقْتِصَادِ وَالْقَنَاعَةِ بِقَوْلِهِ: الدَّوَامُ عَلَى طَرِيقِ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَعِيشَةِ
لَا سَرْفًا وَلَا تَقْصِيرًا خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التَّنَصُّفِ فِي الْمَالِ مِنْ بَيْعٍ وَشَرٍّ طَلَبًا لِلرِّبْحِ؛ وَإِنَّمَا
لَمْ يَقُلْ خَيْرٌ مِنَ التَّجَارَةِ، لِمَا رَوَى عَنْهُ ﷺ: «أَبْوَابُ الرِّزْقِ عَشْرَةٌ، تَسْعَةٌ مِنْهَا فِي

١. مريم: ١٢.

٢. راجع: العقد الفريد: ٢/٢٨٤؛ نثر الدرر: ١٢/٧؛ تفسير السمعاني: ٤/٢٣٥؛ تفسير جوامع الجامع: ٣/٢٥.

٣. في خ: ونسب.

التجارة وواحد في سائر الحرف»^(١).

وفي هذا الحديث بيان: أنه عليه السلام كان أشفق على أمته من الوالد إلى الولد، لأن هذا تدبير الآباء للأبناء.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثالث على وجهين:

أحدهما: محمول على الآخرة، إشارة إلى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»^(٢)، أي: التاجر الجسور يختار ثواب الآخرة وإن كان نسيئاً، ويبدل نقد أمواله في سبيل الله وكذلك نفسه من قوله تعالى: «الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ»^(٣) (الآية).

والوجه الثاني: أن التاجر الجبان الذي يحتكر ويظن الفضل والربح في إمساكه، فهو محروم من سعة الرزق والبركة؛ والتاجر الجسور الذي يبيع ويشترى ويرى الفضل من الله في ذلك، يصير بذلك مرزوقاً؛ فالوجدان والحرمان كلاهما من الله.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ والمراد بالخبر الرابع: أن من كان له عبيد وإماء وخدم وحشم فيحسن الصنيع والسيرة والسياسة إليهم، موسعاً في طعامهم وشرابهم، وإن كان له دوابٌ وأنعام يكون محسناً في سقيها وعلفها، يكون ذلك في أبدانهم، وأبدانها كالسقي للزرع؛ فيزداد جميع ذلك في ماله وحاله. وإذا كان سئى السيرة فيهم يؤثر ذلك أيضاً في أنفسهم وينقص من ماله، ويقبّح هذا الفعل أيضاً صورته عند الله وعند الناس.

وإن رجلاً قال للنبي عليه السلام: «عبيدي يسوء، فكم أعفو عنه؟ فقال: تعفو عنه»^(٤) كل

١. راجع: الكافي: ٣١٩/٥، كتاب المعيشة، باب النوادر، ح ٥٩؛ غريب الحديث: ٢٩٩/١؛ الاستذكار:

٦١٩/٨؛ جامع الأحاديث: ٨٩/٤، ح ١٠٣٦١.

٢. التوبة: ١١١.

٣. البقرة: ٢٦١.

٤. في خ: عن.

يوم سبعين مرة»^(١).

وكان عامة وصيته عليه السلام عند الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم.^(٢)
وقال عليه السلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»^(٣).

وقال ابن الأعرابي: «يقال: فلان حسن الملكة، إذا كان حسن الصنع إلى مهابته»^(٤).

يُنَالُ الْخَيْرَ وسبب الخبر الأخير معروف، وهو: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَانَ فِي الْمَرَضِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ صَعَدَ الْمَنْبَرِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ قَبْلِي مَظْلَمَةٌ فَاطْلُبُوهُ مِنِّي، فَإِنَّ فَضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ضَرَبْتَ بِقَضِيْبِكَ يَوْمًا مَا بَيْنَ كَتِفَيَّ؛ فَكَشَفَ عَلَيْهِ رِدَاؤُهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لِيَقْتَصَّ عَكَّاشَةُ، فَانْكَبَّ عَلَى خَاتَمِ النَّبِوةِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَقَبْلَهُ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فِيهِ.^(٥) وَقَامَ آخَرُ، وَقَالَ: كَذَا وَكَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ.^(٦)
والمعنى: أَنَّ شِدَائِدَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ وَأَسْهَلُ مِنْ شِدَائِدِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ هَذَا تَفَنَّى وَتَلَكَّ تَبَقَى، وَفَضُوحُ الْعَاجِلَةِ مَعَ الْخَلْقِ وَفَضُوحُ الْآجِلَةِ^(٧) مَعَ الْحَقِّ، فَشَتَانُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ.

١. «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ لِي خَادِمًا يَسِيءُ وَيَظْلِمُ، أَفَأُضْرِبُهُ؟ قَالَ: تَغْفُو عَنْهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً» راجع: فرج المهموم: ١٠٩؛ مسند أحمد: ٩٠/٢، ح ٥٦٣٥؛ مسند أبي يعلى: ١٣٣/١٠، ح ٥٧٦٠.
٢. راجع: المجازات النبوية: ٣١٦؛ مسند أحمد: ١١٧/٣؛ غريب الحديث لابن سلام: ١٩/٢؛ الطبقات الكبرى: ٢٥٣/٢.
٣. الجامع: ٤٥٦/١١؛ مسند أحمد: ٧/١، ح ٣١؛ سنن ابن ماجه: ١٢١٧/٢، ح ٣٦٩١؛ وراجع: مستدرک الوسائل: ٤٥٨/١٥، ح ١٨٨٤١.
٤. مقاييس اللغة: ٣٥٢/٥؛ المفردات في غريب القرآن: ٤٧٣.
٥. راجع: ربيع الأبرار: ٤٣٦/١؛ وراجع: المعجم الكبير: ٢٥٩/٣ - ٢٦٠؛ حلية الأولياء: ٧٣/٤ - ٧٤.
٦. راجع: الجامع: ٤٠٩/١٠، ح ١٩٥١٩؛ مسند الطيالسي: ٤٧؛ مسند أحمد: ٤٠١/١، ح ٣٨٠٦.
٧. في خ: العاجلة.

الْقَبْرِ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ * الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى
* دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ * مُعْتَرِكُ الْمُنَايَا مَا بَيْنَ السِّتَيْنِ إِلَى
السَّبْعِينَ * أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتَيْنِ إِلَى السَّبْعِينَ * الْمَكْرُ
وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ

بَيَانُ الْخَبَرِ بَيَانُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ فِي تَنَاهِهِ، وَهُوَ: «فَإِنْ نَجَّاهُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»^(١). وفيه دليل على أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ»^(٢)، فَأَهْلُ الْقُبُورِ بَعْضُهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَبَعْضُهُمْ فِي شِدَّةٍ.

بَيَانُ الْخَبَرِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي مَعْنَى الْخَبَرِ الثَّانِي: «إِنَّ كُلَّ ذِي مَرْزَةِ وَمُصِيبَةٍ فَإِنْ قَصَّارَاهُ وَعَاقِبَتُهُ الصَّبْرُ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ حَدِّهِ الْمُصِيبَةِ وَحَرَارَتِهَا»^(٣).

بَيِّنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الصَّبْرَ الْحَمْدُ الْمَأْجُورُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ هُوَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مَفَاجَاةَ الْمُصِيبَةِ، وَهِيَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى دُونَ مَا بَعْدَهَا، فَإِنَّهُ إِذَا طَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَيْهَا يَقَعُ السَّلْوُ^(٤) وَيَصِيرُ الصَّبْرُ حِينَئِذٍ طَبْعاً، فَلَمْ يَكُنْ لِلْآخِرَةِ مَوْضِعٌ.

وَقِيلَ فِي سَبَبِهِ: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ^(٥) بِقَبْرِ تَبْكِي عَلَيْهِ امْرَأَةٌ بِكَاءٍ شَدِيداً، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يُلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَقِيلَ لَهَا: أَوْ تَدْرِينَ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتْ: لَا. فَقِيلَ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَجَاءَتْ

١. فضائل الصحابة: ٤٧٥/١، ح ٧٧٣؛ مسند أحمد: ٦٣/١، ح ٤٥٤؛ الدعوات: ٢٥٩، ح ٧٣٧؛ بحار الأنوار: ١٧٣/٧٩، باب ٢٠، ح ٦.

٢. الغارات: ٢٣٩/١؛ الأمالي (للطوسي): ٢٨؛ بحار الأنوار: ٢١٨/٦، باب ٨، ح ١٣.

٣. راجع: الأمثال (لابن سلام): ٢٩؛ الصحاح: ١٩٦٥/٥.

٤. سلاه. سلوا: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٥. زاد في خ: عليه السلام.

خلفه، فقالت: كيف يكون أخرى، وكيف يكون حالي؟ فقال عليه السلام: الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى^(١).

وقيل: معناه أمر بالصبر في أول حملة العدو في الحرب، فإنه هو النافع. ووصى بعض ملوك العرب قومه في محاربة العجم، فقال: احتملوا رشقاً واحداً، وخالطوهم بالسيف. والعموم يتناول الوجهين.

و«الصدمة»: ضرب الشيء بمثله، والصدمة الحملة، وصدمة صدماً ضربه بجسده. بيان الخبر وأما قوله: «دفن البنات من المكرمات»، فإنما قاله كذلك لأن النساء عورات، وأمر العورة أشدّ وحالها أخوف وأهول من الذكور، فلذلك جعل دفنهنّ مكرومة^(٢) لهنّ، لما فيه من الفراغ المتعلّق بهنّ.

وروي أنّه خرج هذا الكلام عنه عليه السلام في ابنته رقية، وقد كان كفى أمرها وسترها وتزويجها.

ومريب منه قوله عليه السلام: «نعم ختن الرجل القبر»^(٣).

وفي رواية: «نعم الختن القبر»^(٤).

وكان ابن عباس في سفر فنعت إليه بنت، فاسترجع، ثم قال: عورة سترت ومؤونة كفيت وأجر سبق إلينا. ثم ترك فصلّي ركعتين، وقال: فعلنا أمر الله في قوله: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»^(٥).

١. الزهد لو كيع: ٢٢٦/١؛ سنن أبي داود: ١٩٢/٣، ح ٣١٢٤؛ سنن النسائي: ٢٦٣/٦، ح ١٠٩٠٧.

٢. المكرومة: فعل الخير، وجمعها: المكارم.

٣. لم أقف عليه.

٤. راجع: شرح ديوان الحماسة: ٨٥/١؛ الإعجاز والإيجاز: ١٩؛ التمثيل والمحاضرة: ٧؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٧/١.

٥. راجع: إحياء علوم الدين: ١٣٣/٤؛ تفسير القرطبي: ٣٧٢/١؛ محاضرات الأدباء: ٥٢٩/٢؛ والآية في

البقرة: ٤٥.

وقال الحسن: «الْبُتُونُ نِعْمُ وَالْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ، فَالْنِعْمُ مَسْئُولٌ عَنْهَا وَالْحَسَنَاتُ مُثَابٌ عَلَيْهَا»^(١).

قال تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٢) هن البنات. فعلى هذا معنى الخبر، أي: دفن البنات زيادة في الحسنات والمكرمات للمحتسبين بهن.

وقيل: أراد بذلك ما وعد^(٣) الله أصحاب المصائب من الكرامة والرحمة. **بَيَانُ الْخَبَرِ** والخبران بعده فإنما ذكر فيهما مقدار الأعمار على الأغلب والعموم، وإلا فالإنسان يموت طفلاً صغيراً ويافعاً وكهلاً وشيخاً كبيراً، فأغلب حاله لا يجاوز هذه الغاية؛ وثبته **إِسْنَادٌ** على ذلك لثلاث يغفل المرء عن حاله إذا بلغ هذا القدر. **بَيَانُ الْخَبَرِ** ومعنى الخبر الأخير: أَنَّ الْمَكْرَ الَّذِي يَحْتَالُ لِيَسْلُبَ مِنْ غَيْرِهِ الْمَالِ وَالْحُدُوعَةَ^(٤) الَّذِي يَخْتَلُ النَّاسَ وَيُرِيدُ بِهِمُ الْمَكْرُوهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، كُلِيهْمَا فِي النَّارِ. وإِنَّمَا قَالَ: إِنَّ عَمَلَهُمَا فِي النَّارِ، تَفْخِيماً لَذَلِكَ. وقيل: أراد بالمصدر من اسمي فاعليهما، أي^(٥): ذُو الْمَكْرِ وَذُو الْحُدُوعَةِ فِي النَّارِ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، أَيِ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ عَمَلِهِمَا يَسْتَوْجِبُ دُخُولَهَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ.

و«المكر»: الاحتيال، و«الحُدُوعَةُ»: الختل وإدخال المكروه على الغير. وذكر **إِسْنَادٌ** هذه الكلمة تخويفاً وزجراً لمن فعل ذلك أن يتوب، ولمن همّ به أن

١. نثر الدرر: ٢٤٤/١، فيه نقل عن الصادق **إِسْنَادٌ**؛ وكذا راجع: الكافي: ٦/٦، كتاب العقيدة، باب فضل

البنات، ح ٨؛ وراجع: الآداب الشرعية: ٨٠/١، فيه نقل عن محمد بن سليمان.

٢. الكهف: ٤٦.

٣. في خ: عد.

٤. الكثير الخداع.

٥. في خ: أو.

لا يشتغل بهذا الفعل السوء.

الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيارَ بِلَاقِعٍ * الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلْسِّلَعَةِ
مَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ * الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ * الْحَلْفُ حَنْتٌ أَوْ
نَدْمٌ

يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ يقول: لا تلهجوا بالحلف بالله تعالى كاذبين، فإنها تخرب الديار؛ و«اليمين الفاجرة» هي المائلة عن الحق الكاذبة، و«فجر فجوراً» أي فسق؛ وسمت قريش حرباً لهم في الأشهر الحرم فجاراً إيذاناً أنهم فسقوا بسببها، فكذا اليمين الغموس يفسق صاحبها. و«البلقع»: الأرض القفر التي لا شيء بها، يقال: منزل بلقع ودار بلقع بغير «هاء»، إذا كان نعتاً فإذا كان اسماً قلت: انتهينا إلى بلقعة ملساء؛ يعني: الحالف فجوراً مفتقر لا محالة، ويذهب ما في بيته من المال. وقيل: هو أن يفتقر الله بسبب ذلك شملةً ويغير عليه ما أولاه من نعمة. و«البلاقع»: الخالية من كل شيء ومن كل خير.

وروي: «اليمين الغموس تدع الديار بلاقع»^(١). و«الغموس»: يمين لا يوصل بالاستثناء.

يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ ونبه على بالخبر الآخر: أن البايع إذا حلف كاذباً على قيمة متاع أو على جودة سلعة^(٢) وكانت على خلاف ذلك، فإنه وإن سرَّ عاجلاً بسبب نفاق ماله وربحه في التجارة، فإنه يندم على ذلك، وربما يلحقه الغرم، فيكون تمحيقاً للكسب. ووصف اليمين هنا بالكذب وفي الخبر الأول بالفاجرة، إعلام بأن هذا دون ذلك

١. المبسوط (للشيباني): ٢٣٩/٣؛ حديث خثيمة: ٧٠؛ بحر الفوائد: ٣٢٣.

٢. في خ: سلفة.

وإن كان بيمينه ظالماً لغيره، يريد اقتطاع ماله أو منعه فاحتال عليه، والغز^(١) في يمينه وحرّفها عند نفسه وتأول فإن ذلك غير نافع له ولا مخرج له من الحنث.

بيان الخبر واليمين على نية المستحلف، ولا ينفعه الكفارة حتى يتوب إلى الله من جرأته وإقدامه على الحلف كاذباً، والخروج إلى ذي الحق من حقه؛ فأما إذا كان مظلوماً أو قصد الحالف بيمينه حقناً لدم مسلم، ويورّي فلا بأس^(٢).

بيان الخبر ومعنى الخبر الأخير نهي أن يجعل الإنسان عاداته أن يحلف في كل صغير وكبير، ولا يبالي بكونه صادقاً أو كاذباً، فإن الحالف كذباً على الماضي يتأثم ويتحرّج ويذلّ في أعين الناس، وآخر هذا الندم؛ وإن حلف على المستقبل، بأن يفعل طاعة أو مباحاً ثم لا يفعله اختياراً، فيحنث ويلزم الكفارة، فضلاً عن إثم؛ ومن حلف صادقاً فهو معظم لله، ولا شيء عليه.

على أن الأولى أن لا يحلف الإنسان وإن كان صادقاً بين الناس، فربما اتهم بكونه كاذباً، يعني: إن كانت صادقة ندم وإن كانت كاذبة حنث، فهي من الوجهين مكروهة.

السَّلَامُ تَحِيَّةٌ لِمَلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِدِمَّتِنَا * عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ كَثْرَ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ
* الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ * الصَّلَاةُ قُرْبَانُ
كُلِّ تَقِيٍّ * بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ * مَوْضِعُ الصَّلَاةِ
مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ * صَلَاةُ الْقَاعِدِ عَلَى
النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقَائِمِ

بيان الخبر حثّ أولاً بأن يُسلم المؤمنون عند الملاقاة بعضهم على بعض، فإن السلام

١. في خ: فاحتال عليه عليه والغز.

٢. في خ: ولا بأس.

تحية الإسلام وأمانٌ وعهد لأهل الذمام؛ واسم السلام تحية، وهي كلمة مخصوصة يحيي بها؛ ومعنى التحية: البقاء والملك، و«السلام»: السلامة، و«الملة»: أهل الدين، و«الأمان»: الأمانة من العذاب، و«الذمة»: ما يتذمم به.

أي: لفظ «السلام عليكم» في هذه الأمة تحية لأهل شريعتنا، وأمن لمن كانت عليه حرمة الإسلام.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثاني: أَنَّ العلم الذي لا يعمل به ولا يعلم الناس، وبال وحجة على عالمه؛ كالكنز الذي لا يؤدى زكاته، فَإِنَّ ذلك وبال على صاحبه. يريد: إذا علمتم فاعملوا وعلموا الناس.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ سَلَى من لا يتيسر له الصوم، ويريد أن يكون ثواب ذلك. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ فليتقربوا إلى الله بكثرة الصلاة؛ فَإِنَّهم ينالون^(١) بالخشوع والخضوع بين يدي الله في صلاتهم مثل ما ينال الأغنياء من الثواب بقراباتهم، والمتقون يتقربون إلى الله بالصلاة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ نَهَى عن ترك الصلاة، فَإِنَّها عِلْمٌ للإيمان، وتركها علامة للكفر. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وكما لا بقاء للجسد دون الرأس، فكذلك لا ثبات للباس الدين دون الصلاة. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وجاء الخبر الأخير في نوافل الصلاة دون الفرض، لأنَّ الفرض منها لا يجوز ولا يجزئ بالعود مع القدرة على القيام، ولو صَلَّى صلاة فريضة هكذا لم يجز ثواباً؛ فَأَمَّا التطوع منها فَإِنَّ الإنسان إذا صَلَّى قاعداً مع الاختيار فيكون ثواب كل ركعتين ركعة واحدة، أي ثواب صلاة القاعد.

الرَّكَاءَةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ * طَيْبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ

وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ * التُّرَابُ رِيْعُ الصَّبِيَانِ
* الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا
اخْتَلَفَ * الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبُ رَيْبَةٌ

بَيَانُ الْجَبَرِ إِنَّمَا جَعَلَ إِيَّاهُ الزَّكَاةَ قَنْطَرَةً الْإِسْلَامَ لِأَمْرَيْنِ:
أحدهما: أَنَّهُ أَرَادَ: كَمَا لَا يُمْكِنُ عُبُورُ الْأَنْهَارِ إِلَّا بِالْقَنْطَرَةِ، فَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ الْعَبْدُ أَنْ
يَجُوزَ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَّا بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ وَاجِباً عَلَيْهِ.

وقيل: إِنَّمَا سَمَّاهَا قَنْطَرَةً؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا،
وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سَوْرٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مَفْتُحَةٌ، وَعَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ سَتُورٌ مَرْخَاةٌ»^(١)،
وَعَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاخٍ يَقُولُ: ادْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلَا تَعْرِجُوا»^(٢)؛ فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ،
وَالسَّتُورُ^(٣) حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتُحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، [وَالدَّاعِي الْقُرْآنُ]^(٤).
فَعَلَى هَذَا، يَكُونُ الْإِسْلَامُ طَرِيقًا فِيهِ مَا يَكُونُ فِي سَائِرِ الطَّرِيقِ، فَيَكُونُ الزَّكَاةُ بَعْضُ
أَسْبَابِ الْإِسْلَامِ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ بَيَانَ كَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِ الطَّيِّبِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَإِنْ كَانَ الطَّيِّبُ مَبَاحًا
لِجَمِيعِهِمْ، لَكِنَّ الرِّجَالَ^(٥) مَا ظَهَرَ رِيحُهُ كَالْمَسْكِ وَالْغَالِيَةِ وَمَاءُ الْوَرْدِ وَنَحْوُهَا، وَلِلنِّسَاءِ
مَا بَطْنُ رِيحِهِ وَظَهَرَ لَوْنُهُ كَالْحَنَاءِ وَالْخَضَابِ؛ مَخَافَةَ الْإِفْتِنَانِ إِذَا خَرَجْنَ، فَأَمَّا إِذَا كُنَّ

١. المَرْخَاءُ: يُقَالُ: فَرَسٌ مَرْخَاءٌ وَنَاقَةٌ مَرْخَاةٌ، أَيُّ سَرِيعَةِ الْعَدْوِ.

٢. فِي بَعْضِ الْمَوَاصِرِ: وَلَا تَعْرِجُوا، وَفِي بَعْضِهَا: وَلَا تَعْرِجُوا.

٣. فِي بَعْضِ الْمَوَاصِرِ: وَالسُّورَانِ.

٤. الْأَمْثَالُ (لَا بَيْنَ سَلَامٍ): ١/١؛ مُسْنَدُ أَحْمَدَ: ١٨٢/٤، ح ١٧٦٧١؛ السُّنَّةُ (لَا بَيْنَ أَبِي عَاصِمٍ): ١٤/١، ح ١٩؛

شُعَبُ الْإِيمَانِ: ٤٤٥/٥، ح ٧٢١٦.

٥. فِي خ: الرِّجَالِ.

داخلات في البيوت عند الأزواج فلا بأس لمن ظاهراً كان أو خفياً.
 بيان الخبر وأصل الخبر الثالث ما روي: «أن النبي ﷺ مرّ على جماعة من الصبيان يلعبون بالتراب، فنهاهم واحد من أصحابه، فقال ﷺ: امسك! فإنّ التراب ربيع الصبيان»^(١).

أي: كما يفرح الرجال في الفصل الذي قد أدركت الثمار فيه - وهو الربيع - وكذلك الصبيان إذا وجدوا التراب يفرحون للعباية^(٢).

فالربيع عند العرب اثنان: الأول هو الفصل الذي يأتي فيه النور. والثاني: الذي تدرك فيه الثمرات؛ ولكليهما يقال: «ربيع الأزمنة»؛ والخبر إشارة إليه.

وقيل: شبه التراب لهم بالربيع لسلامتهم من الخطأ والعصيان.
 وقد تعسّف في تفسيره بأن قيل: هو إشارة إلى أنّ العاقل لا يغترّ بالدنيا ولا يفرح بالعقار [و] القصور والديار، فإنّ الفرح بالتراب من شأن الصبيان.
 بيان الخبر وتقدير الخبر الرابع: أصحاب الأرواح، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه؛ وإنّما قلنا ذلك، لأنّ التعارف والتناكر لا يصحّان على الأرواح، لأنّ الروح هو الريح.

وروي: «أنّ القلوب لأجناد مجنّدة»^(٣).

والعرب تضيف الفعل إلى الجارحة، فيقول: قلبي يحبّك، وعيني يبصرك، ورجلي تمشي إليك؛ والمراد بجميع ذلك خلاف ظاهره، لأنّ المكلف الفعّال هو هذه الجملة

١. المعجم الكبير: ١٤٠/٦، ح ٥٧٧٥؛ الكامل: ٢٥٦/٦، ح ١٧٣٤؛

٢. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: للعابة أو للعباته.

٣. قاله أبو نؤاس في بحر بسيط في خمسة أبيات؛ راجع: ملحق الأغاني: ٦٥ و ٢٦٥؛ جمهرة الأمثال: ٤٧؛

تاريخ مدينة دمشق: ٤٣٤/١٣.

المشاهدة التي تتردد في مجاريها الروح، وجعل أجزائها الحياة في حكم الشيء الواحد. والمعنى: أن الشكل الحقيقي طالب للاتصال، فإذا وحده امتزج به، كالهائين إذا اختلطتا صاراً^(١) واحداً، والإنسان إذا عاين ما يشاكله اتصل بروحه بروحه، يتصادقان ويسر كل واحد منهما بصاحبه، فيتفقان على شهوة واحدة ومراد واحد وحالة واحدة^(٢).

وقيل: هذا إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصالح والفساد، فإن الخير من الناس يحن إلى شكله، والشرير يميل إلى نظيره ومثله؛ فإذا تعارف الناس وكانت طباعهم متقاربة تألفوا، وإذا لم يتعارفوا أو تعارفوا واختلف أخلاقهم تنافروا وتناكروا؛ ولهذا صار الإنسان يُعرف بقرينه.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الأخير: أن الصديق في الأمور كلها يورث الطمأنينة، وهي سكون القلب وهدوء^(٣) البدن؛ والكذب يوقع في الريبة، وهي التهمة؛ يعني: اصدقوا على كل حال ليطمئن قلوبكم، فلا تخافوا الفضيحة ولا تكذبوا، فالكاذب يكون خائفاً من ظهور كذبه.

وقيل: معناه أن القلب يطمئن بقول الصادق إذا عرف صدقه، ويرتاب في الكاذب الذي عرف كذبه في عموم أحواله.

الْقُرْآنُ غِنَى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ وَلَا غِنَى دُونَهُ * الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ
الْهَمَّ وَالْحُزْنَ [الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقُلُوبَ وَالْبَدَنَ]، وَالرَّغْبَةُ فِي

١. في خ: صار.

٢. في خ: وحال واحدة.

٣. سكون.

الدُّنْيَا تُكَثِّرُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ * الْبَطَالَةُ تُقْسِي الْقَلْبَ * الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ
شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ * عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ * الْوَلَدُ
لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ * الضِّيَافَةُ عَلَى أَهْلِ الْوَبَرِ وَلَيْسَتْ عَلَى
أَهْلِ الْمَدَرِ

بَيَانُ الْخَيْرِ يَقُولُ: اكتفوا بالقرآن واستغنوا به، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَفَايَةٌ لَا حَاجَةَ بَعْدَهُ، وَلَا غِنَى
دُونَ الْقُرْآنِ.

وَقِيلَ: مَنْ رَأَى فَقْرَهُ وَغِنَاهُ بِالْقُرْآنِ، فَقَدْ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ لَا فَقْرَ دُونَ جِهْلِهِ وَلَا غِنَى
دُونَ عِلْمِهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامِهِ فَهُوَ غِنَى فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ^(١)، وَهَذَا الْغِنَى
لَا يَفْتَقِرُ قَطًّا، وَلَا غِنَى بِغَيْرِ الْقُرْآنِ.

وَذَكَرَ الْغِنَى وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ غِنَى الْإِنْسَانِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَمْلِكُهُ مِنْ شَيْءٍ
شَرِيفٍ، وَلَا شَيْءٍ أَشْرَفَ مَرْتَبَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَا غِنَى أَفْضَلَ قَدْرًا مِنْ حَامِلِهِ.
وَرَوَى: «أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(٢).

بَيَانُ الْخَيْرِ وَمَعْنَى الْخَيْرِ الثَّانِي: أَنَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَرَضَ وَالصَّحَّةَ وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ وَسَعَةَ
الرِّزْقِ وَضَيْقَهُ كُلُّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِ الْمَصْلُحَةِ يَرَاهَا لِلخَلْقِ، اطمأنَّ قَلْبُهُ وَسَكَنَتْ
نَفْسُهُ إِلَى أَحْكَامِ الْحَقِّ، وَيَرْضَى فِي حَالَتِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ، وَإِنْ سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِنَّ
عِنْدَ الدَّعَاءِ يَتَغَيَّرُ الْمَصْلُحَةُ، وَلَا يَهْتَمُّ مَنْ أَيْقَنَ بِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ قَضَاءُ اللَّهِ.

و«الْإِيْمَانُ» هَهُنَا بِمَعْنَى الْإِيْقَانِ، وَإِنْ حَمَلَ عَلَى التَّصْدِيقِ الَّذِي هُوَ أَصْلُهُ فَهُوَ

١. فِي خ: وَلَا شَرِيعَةً.

٢. عِيُونُ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظُ: ٧٣؛ وَسَائِلُ الشَّيْعَةِ: ١٦٨/٦، ح ٧٦٤٤؛ مَسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ: ٢٨٣ م، ٢١٢٤؛ مَسْنَدُ
أَحْمَد: ١٢٧/٣، ح ١٢٣٠١؛ كَنْزُ الْعَمَالِ: ٢٥٨/١، ح ٢٢٧٨.

أحسن. والمراد بالقدر قدر الله وقضائه، وهذا لا يكون على العموم في أفعال العباد أيضاً، إذ لو كان الكفر والإيمان والطاعة والمعصية بقضاء الله لبطل الثواب والعقاب، يعني التصديق بأن الموت مقضي علينا من جهة الله يقلل الغموم.

ومن لم يرغب في زينة الدنيا أراح قلبه وبدنه، فلا يتعب نفسه بكثرة السعي ولا قلبه، فإن قلّة الرغبة في الدنيا تورث الراحة في القلب والبدن عاجلاً وآجلاً، والرغبة فيها تكثر الهموم والأحزان ومهمومه أي ثمة الرغبة فيها كثرة احتمال الهم والحزن. **بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ** وأما قوله: «البطالة تُقَسِّي القلب»، فعناه: لا تسندوا إلى التعطل من إصلاح أمور الدنيا والآخرة، فإنه يورث القسوة، وهي ذهاب اللين والشفقة والخضوع والخشوع، والله يبغض القلب القاسي الذي فيه الشدة والغلظة.

وقال **إِبْرَاهِيمُ**: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الصَّحِيحَ الْفَارِغَ لَا فِي شُغْلِ الدُّنْيَا وَلَا فِي شُغْلِ الْآخِرَةِ»^(١). **بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ** والخبر الرابع حتّى على طلب العلم قبل قبض أهله، وإعلام أن الخير إنما هو في تعلّم العلم وتعليمه، ولا من لأحدهما على الآخر، فإنهما شريكان في الخير. وروي في الآخر: «فمن لم يكن عالماً ولا متعلّماً فلا خير فيه»^(٢)، أي: يجب على العالم أن يُعلّم، فإنه يسعى لخيره واحدة؛ ويجب على الجهّال أن يطلبوا العلم حتّى ينفي جهلهم، ويعبدوا الله به.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ وروي: «على اليد حتّى تؤدّي»^(٣)؛ أي ثابت على كلّ يد ما أخذته حتّى

١. راجع: شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ١٤٦/١٧، فيه عن رسول الله ﷺ؛ وأيضاً روي عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الشَّابَّ الْفَارِغَ»؛ راجع: أمالي ابن سمعون: ٢٠٨/١.

٢. راجع: مسند الشهاب: ١٨٨/١ و ١٨٩؛ مسند الشاميين: ٢٦٣/٣، ح ٢٢١٨؛ ونصّه هذا: «الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ، وَسَائِرُ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِ».

٣. مصنف ابن أبي شيبة: ٣١٦/٤، ح ٢٠٥٦٣؛ مسند أحمد: ١٢/٥، ح ٢٠١٤٣؛ مستدرک الوسائل: ٨/١٤؛ عوالي اللثالي: ٢٢٤/١، ح ١٠٦.

تؤديه إلى ما يجب أدائه إليه، فإن رجع إنسان إليك شيئاً ليعطيه غيرك فما دام في يدك فهو عليك حتى يوصله إليه، وإن استعرت شيئاً فعليك أن تردّه إلى المعير؛ وهذا أعمّ من الرواية الأخرى.

واستدلّ الشافعيّ وابن حنبل بهذا الخبر على أنّ العارية مضمونة على الإطلاق،^(١) وعندنا كذلك على بعض الوجوه.^(٢)

يُنَالِ الْحَجَرُ ومعنى قوله: «إنّ الولد للفراش»: أنّ الولد لصاحب الفراش وللزانية الرجم، وهذا إذا كان للرجل زوجة يروح ويغدو إليها ويطأها كلّ وقت، فوطئها غيره سفاحاً في خلال ذلك، فظاهر الشرع يأمر بأن ينسب الولد إلى صاحب الفراش، إلّا أن يكون هناك أمانة ظاهرة.

فأمّا من قال: لو كان رجل بمصر وزوجته بالعراق منذ عشرين سنة فإن زني بها رجل وأنت بولدي فإنّ هذا الولد لصاحب الفراش، فلا يصحّ؛ لأنّ الفراش هو العقد مع التمكن من الوطي ومع الوطي فلا يصحّ، يستحلّ كلّ زانٍ الرجم بلا خلاف. وإنّما ذلك حدّ المحصن والمحصنة إذا زنيا.

فالمراد بقوله: «وللعاهر الحجر» المرأة المحصنة دون الرجل الذي زنا به، لأنّه لا يجوز أن يقال: كان محصناً أو غير محصن. وقد أطلقه الإمام، فهي يستحقّ الرجم على ما هو ظاهر الخبر على الإطلاق؛ لأنّها بشرائط الإحصان.

فقد ثبت أنّ الفراش هو العقد مع التمكن من الوطي.

ومعنى «أنّ لها الحجر»: أن يرجم بالحجارة، وهذا بلاغة يعرفها الفصحاء؛ ولا يطعن على ذلك بأنّ لفظ العاهر للمنكر؛ لأنّ الكناية عنها، وقد تقدّم في الخبر بلفظ التنكير وهو

١. راجع: مختصر المزني: ١١٦؛ الأمّ: ٣٧/٤؛ الكافي في فقه ابن حنبل: ١٤٩/٢ و٣٨٧؛ المغني: ٢٢٦/٤.

٢. راجع: الكافي: ٣٢٩؛ المبسوط: ١٩/٣؛ جواهر الفقه: ٩٠؛ غنية النزوع: ٢٧٦.

الفراش، والإزدواج في الكلام^(١) من أهم الأمور، ومسألة اللعان تستحل ما ذكرنا.

يُنَالُ الْجَبَرُ وَيَحْتُ أَصْحَابُ الْأَنْعَامِ عَلَى الضِّيَافَةِ، وَيَهْدُ الْعَذْرُ لَصَاحِبِ الْأَرْضِينَ فِي الْخَبَرِ الْأَخِيرِ.

وأراد بـ«الوبر» بيوت العرب ومن يسكن البوادي؛ لأنَّ الغالب أنَّ بيوتهم من الصوف والشعر ونحوهما؛ وأراد بـ«المدر» دور العجم والحضريين ومن يجانسهم، لأنَّها من اللبن والأجر والطين والحجر وغير ذلك؛ أي الضيافة واجبة وثابتة على أهل الوبر؛ لأنَّهم لا تخلو بيوتهم من لبن أو أقط^(٢) أو سمن أو لحم؛ وأهل المدر وإن كانوا ذوي دار وعقار، فربما لا يحضرهم شيء يطعم.

وقيل: معناه: أكثر الناس استئثاراً وأوفرهم اهتزازاً بوصول الأضياف ونزولهم والقيام بحقوقهم وحرمتهم من سائر الناس، العرب. وقيل: السخاء في العرب.

لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ * أَيْ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ *
الْعَائِدُ فِي هَبِّهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ * النَّظَرُ فِي الْخَضِرَةِ يَزِيدُ فِي
الْبَصَرِ * وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحُسْنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ * أُمِّي الْغُرِّ
الْمُحْجَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ * التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ
وَالْتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ يَقُولُ أَوَّلًا: لا يخيب السائل إذا سألك، فإنَّ له حقاً واجباً، ولا تردّه وإن جاء

١. إزدواج الكلام: أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.

٢. لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ، أو يطبخ به.

راكباً على فرس، فربما يكون وراء ذلك عيلة ودين يجوز له معها أخذ الصدقة.
 بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ولا تبخل، ولا داء أوجع من أن يبخل الإنسان بما يجب عليه؛ والبخل عادة
 يعودها الرجل نفسه، فيصير طبعاً أو خلقاً.

قال تعالى: «وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّجَّ»^(١).

وقد سَمَّاهَا **إِشْبِلًا** داء، لأنَّ العرب يستعمل لفظ الداء في الآفات والعيوب ومساوئ
 الأخلاق، فإذا تهايعوا قالوا: برئت من كلِّ داء، يريدون العيب.
 قال أبو عبيد: ضرب المثل بما سَمَّى البخل داءً، لما يلحق صاحبه من العار والإثم،
 وإن لم يكن داء في البدن.^(٢)

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الثالث: النهي عن استرداد الهبة واسترجاعه، يقول: إذا وهبت
 إنساناً هبةً فليس لك أن ترجع في هبتك، فإنَّ من يرجع في هبته كلب يأكل ما قاءه.
 والرجوع في الهبة ربما يكون محظوراً، وربما يكون مكروهاً، وتفصيل ذلك يطول.
 وروي: «مثل العائد في هبته»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وأما الخبران في «النظر»؛ فعن أولهما: انظروا - إذا أردتم ازدياد قوة بصركم
 وبصيرتكم - في الخضرة تزيد في شعاع العين؛ ويقول الأطباء: مرهم الأرمد^(٤) بالنظر
 إلى الخضرة.

وقيل: أراد نظر الاعتبار في قدرة الملوّن، فإذا نظر^(٥) العاقل في الملوّن يزيد ذلك في
 بصير الحقيقة وهو البصيرة.

١. النساء: ١٢٨.

٢. لم أقف على قوله في المصادر التي بين أيدينا.

٣. صحيح مسلم: ١٢٣٩/٣، ح ١٦٢٠؛ المعجم الأوسط: ١٥٩/٣، ح ٢٧٩٣.

٤. من هاجت وانتفخت عينه، والمرض هو الرَّمَدُ، وهو داء التهايج يصيب العين.

٥. في خ: ما نظر.

وإنما خصَّ الخضرة؛ لأنَّ الناس ينظرون إليها أكثر من النظر إلى غيرها من الألوان تفكراً وتدبراً وتنزهاً وتعجباً على حسب درجاتهم. **بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ** وإذا نظر الرجل إلى زوجته الحسناء وجاريته الجميلة بشهوة أو غير شهوة أو لعبرة فإنَّ نظره يزيد في بصره وبصيرته.

ويقال: نظر إليه بالجارحة، ونظر فيه بالتفكر، هذا هو الأصل، ثم يتداخلان. **بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ** وفائدة الخبر السادس تفضيل لأُمته على سائر الأمم؛ «الأغر» من الخيل الأبيض موضع، و«المحجل» الأبيض هو موضع الخلخال؛ والغرة والتحجيل كلاهما استعارة ومجاز في الخبر؛ أراد: أنَّ النور يضيئ من إعطا وضوءهم، فيخرجون من بين الظلمات بسببه.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وبين **عَلَيْهِ السَّلَام** في الخبر الأخير حكم من يكون في الصلاة ودعاه غيره، فإذا أراد تنبيهه على أنه مصلٍّ وبينها حجاب، فإن كانت امرأة فلتضرب كفها اليمنى على ظهر كفها اليسرى^(١)، وإن كان رجلاً فليقل: سبحان الله، بأعلى صوته إذا كانت الصلاة ممَّا يخافت فيها، وإن كانت ممَّا يجهر فيها فليجعل صوته أرفع ليسمعه؛ وهذان الإعلaman لا يفسدان الصلاة لهذا النصِّ؛ والتصفيق على ما ذكر وإذا سها غير الإمام فكمثله.

وروي: «التصفيق للنساء هو التصفيق من صفحتي اليدين»^(٢)، يعني في الصلاة. ومثله قوله **عَلَيْهِ السَّلَام**: «إذا ناب^(٣) المصلِّي في صلاته شيء فأراد تنبيهه من بحذائه، فيسبِّح الرجل وتصفق المرأة بيديها»^(٤).

١. في خ: اليسر.

٢. الفائق في غريب الحديث: ٣٠٣/٢؛ وكذا راجع: المحلى: ٧٨/٤؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ٥٠٥؛ شرح السنة: ٢٧٤/٣.

٣. كذا في المصادر، وفي خ: فات.

٤. تهذيب اللغة: ٢٩١/٨؛ الفائق: ٣٠٣/٢.

النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ * الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ
وَالدَّارِ * نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ *
وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ * الْجُبْنُ وَالْجُرْأَةُ غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا اللَّهُ
حَيْثُ يَشَاءُ

بَيَانُ الْخَبَرِ أَمْرٌ إِذَا بِالْخَبَرِ الْأَوَّلِ بَغِضَ الْبَصَرُ عَنْ الْمَحَارِمِ كُلِّهَا.
يقول: لا تنظروا إلى امرأة يحرم لكم النظر إليها، فإن نظركم^(١) إلى وجهها وإلى
محاسنها سهمٌ من جملة سهام إبليس اللعين، وقد جعله مسموماً يقتل من يصيبه.
وبيان الخبر في تمامه، وهو ما روي إِذَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «النَّظَرَةُ سَهْمٌ مِنْ
سِهَامِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَثْبَتَهُ بِنَا يَجِدُ خَلَائِقَهُ فِي قَلْبِهِ»^(٢).
وأما نظرة الفجأة فغير مؤاخذ بها ناظرها، وبالأخرى مأخوذ.

بَيَانُ الْخَبَرِ الثَّانِي فِيمَا قَالَ إِذَا وَهُوَ: إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ - يَعْنِي الشُّؤْمَ - فِي
الْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَلِدَ، وَشُّؤْمُ الْفَرَسِ أَنْ لَا يَحْمِلَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَشُّؤْمُ الدَّارِ سُوءُ
الْجَوَارِ.^(٣)

وروي: أَنَّ أَنَسًا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ، فَسَمِعَتْ بِهِ عَائِشَةُ وَقَالَتْ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا
زَعَمْتَ، وَإِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا يَحْدُثُ عَنْ اعْتِقَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَدَخَلَتْ فِي وَسْطِ
الْكَلَامِ وَلَمْ تَكُنْ سَمِعْتَ أَوَّلَهُ، فَظَنَنْتَ أَنَّهُ يَخْبِرُ بِهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ جَمِيعَ ذَلِكَ
مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ.^(٤)

١. في خ: ينظركم.

٢. المعجم الكبير: ١٠/١٧٣، ح ١٠٣٦٢؛ مسند الشهاب: ١/١٩٦، ح ٢٩٣.

٣. راجع: مصنف عبد الرزاق: ١٠/٤١١، ح ١٩٥٢٧؛ سنن البيهقي: ٨/١٤٠، ح ١٦٣٠٤.

٤. راجع: مسند الطيالسي: ٢١٥، ح ١٥٣٧؛ ولكن فيها بدل «أنس» «أبو هريرة»؛ وكذا راجع: شرح مشكل

الآثار: ٨/٣١١؛ شرح معاني الآثار: ٤/٣١٤.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حَثَّ فِي الْخَبَرِ الثَّالِثِ عَنْ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ قَبْلَ مَجِيءِ فَوْتِهَا، وَبَيَّنَّ عَظَمَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ وَتَغَافَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنْهُمَا وَكُفَرَانَهُمَا وَتَضْيِيعَهُمَا، فَمَنْ حَقَّقَ الصَّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ وَالْفَرَاغَ قَبْلَ الشُّغْلِ أَنْ يَكْبُرَ طَاعَةُ اللَّهِ فِيهِمَا، فَمَنْ لَمْ يَغْتَنِمِ الطَّاعَةَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ صَارَ مَغْبُوناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالصَّحَّةَ وَالْفَرَاغَ كِلَاهُمَا مَبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ «نِعْمَتَانِ»، وَ«مَغْبُونٌ فِيهِمَا» صِفَةُ نِعْمَتَانِ وَارْتَفَعَ «كَثِيرٌ» بـ «مَغْمُونٌ»، أَي: سَيَغْنِي فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَالْخَبَرُ الرَّابِعُ [أَشَارَ] إِلَى مَا كَانَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ بَلَاءِ الْعَرَبِ خَاصَّةً وَالْفِتَنِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَهُمْ نَعَى ^(١) نَفْسَهُ إِلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ كَلِمَةَ «الْوَيْلُ»: أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَبْتَلِي بِبَلِيَّةٍ وَيَصَابُ بِشَرٍّ وَمَعْصِيَةٍ بِسَبَبِ مَا تَجَنَّبَ يَدَاهُ.

و«الْوَيْلُ» شِدَّةُ عَذَابٍ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِحْقَاقِ. قَالَ تَعَالَى: «فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» ^(٢).

وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَكَرَ الْعَرَبَ، لِفَرْطِ حُبِّهِ لَهُمْ وَلَشِدَّةِ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَالْمُرَادُ: وَيْلٌ لَجَمِيعِ النَّاسِ مِنْ فِتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ فَمَنْ بَاكَ يَبْكِي لَا حَقَّقَهُ ^(٣).

و«مَنْ شَرٌّ قَدْ اقْتَرَبَ» أَي: قَرِبَ السَّاعَةِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الْأَخِيرِ: لَا يَعْيِيُوا أَحَدًا بِسَبَبِ جَبْنِ فِيهِ، وَلَا تَمْدَحُوا آخِرَ مَجْرَأَةٍ يَكُونُ فِيهِ؛ فَإِنَّهُمَا غَرِيزَتَانِ وَخُلُقَانِ يَخْلُقُهُمَا اللَّهُ فِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

و«الْجَبْنُ»: خَوْفُ التَّقَدُّمِ عَلَى الْمَحَارَبَةِ، وَ«الْمَجْرَأَةُ»: قَلَّةُ الْمَبَالَاةِ بِهَا؛ إِنَّ الشَّهْوَةَ فِي التَّأَخُّرِ مِنَ الْمَحَارَبَةِ وَالنَّفَرَةِ فِي الْإِقْدَامِ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَّبِعَ الرَّجُلُ

١. كَذَا فِي خ.

٢. الْبَقَرَةُ: ٧٩.

٣. كَذَا فِي خ.

شهوته ويكسر شهوته، والعيب عليه والذم بسبب فعله لا من جهة الله.

مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ وَالْأُمْرَاضِ وَالصَّدَقَةِ * مِنْ سَعَادَةِ
الْمَرْءِ أَنْ يُشَبِّهَ أَبَاهُ * مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ * أَهْلُ
الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ * الْخَازِنُ الْأَمِينُ
الَّذِي يَعْطِي مَا أَمَرَ بِهِ طَيِّبَةٌ بِهِ نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يَقُولُ: لَا تَظْهَرُوا الشُّكُورَ مِنْ بَلَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مُصْلِحَةٌ لَكُمْ؛ وَاكْتُمُوا مَا
تَتَصَدَّقُونَ بِهِ لئَلَّا يَتَأَذَى بِهِ الْمَعْطَى وَلَا يَكُونَ رِيَاءً، فَإِنَّ كِتْمَانَ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ جَمَلَةِ
الْكُنُوزِ الَّتِي فِيهَا الْبِرُّ وَالطَّاعَةُ، وَالْبِرُّ وَالْمَبْرَةُ خِلَافُ الْعُقُوقِ، وَهُوَ يَبْرُ خَالِقُهُ أَيُّ يَطِيعُهُ.
وَقِيلَ: مَنْ كَنُوزَ الْجَنَّةِ تَرَكَ إِعْلَامَ النَّاسِ لِمَصَائِبِهِ وَالصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَتَرَكَ الشُّكِّيَّةَ فِي
أَمْرَاهُ، وَتَرَكَ الْجَهْرَ بِالصَّدَقَةِ الْمَتَطَوِّعِ بِهَا.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَلِلْخَبَرِ الثَّانِي مَعْنِيَانِ: مَرْتَبَتَيْنِ تَكُونُ فِيهِمَا سَعَادَةٌ
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا شَبَّهَ أَبَاهُ خُلُقاً وَخُلُقاً كَانَ أَحَبَّ إِلَى قَلْبِ أَبِيهِ، فَيَكُونُ
أَشْفَقَ بِهِ، فَيَحْصُهُ أَبُوهُ بِكُلِّ خَيْرٍ فِي يَدِهِ، وَهَذَا مِنْ جَمَلَةِ سَعَادَتِهِ.
وَالْمَعْنَى الْآخَرُ: أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الْإِنْسَانِ عَلَامَتُهَا أَنْ يُشَبَّهَ أَبَاهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَتَشَبَّهُ
بِالشَّيْطَانِ؛ يَخْتَارُ الطَّرِيقَةَ الْمَحْمُودَةَ الْمَرْضِيَّةَ عَقْلاً وَشَرْعاً، فَاتَّبَاعُ آثَارِهِ هَذِهِ حِينَئِذٍ يَعْدُ
مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ وَإِقْبَالِهِ.

وَقِيلَ: هَذَا مَخْصُوصٌ فِي رَجُلٍ كَانَ أَبُوهُ عَلَى سِيرَةٍ حَسَنَةٍ.
بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَمِنْ سَعَادَتِهِ ^(١) حُسْنُ خُلُقِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ إِلَيْهِ أَمِيلٌ فِي الصَّحْبَةِ
وَالْمَحَبَّةِ وَالْعَشْرَةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي كَثَرَةٍ ^(٢) قَوْلًا وَسَعَةً إِنْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ.

١. فِي خ: سَعَادَةٌ.

٢. كَذَا فِي خ.

بَيَانُ الْخَيْرِ أراد بالخبر الرابع الحث على الإحسان إلى الخلق والإنعام عليهم قولاً وفعلًا، فإنَّ الخير في الدنيا له في الآخرة أيضاً حسن الشفاعة في المذنبين وذوي الزلات من المؤمنين. يقول: يشفع للناس في الدنيا شفّعه الله غداً أيضاً في حقِّ المجرمين، فيكون وجيهاً عند الله يوم القيامة كما كان وجيهاً عند خلقه.

وقيل: معناه: من جعل نفسه من أهل الإحسان اليوم، فالله يحسن إليه غداً. بَيَانُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير حثّ لوكيل الغير إذا أمر بالخير أن يسارع فيه، طيب النفس بذلك، ليكون له مثل ثواب الأمر؛ وهذا دليل على جواز التوكيل في إيتاء الزكوات والصدقات. فهي ^(١) إيتاء كلِّ خادم إنسان وقَهْرَمَانٍ ^(٢) يكون في يده حفظ الأموال والأطعمة ^(٣) وغيرها إذا أراد سيّده بإعطاء شيء فقيراً أن تباعد عنه وأن يدافعه من اليوم إلى الغد، وإذا أعطى أعطى شيئاً لا ينتفع به، بل يجب عليه يبالغ في المسارعة إلى حيازة الأجر والثواب لنفسه ولآمره.

السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ * كَلَامُ ابْنِ
آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرٌ لِلَّهِ
تَعَالَى * التَّوَدُّةُ وَالْاِقْتِصَادُ وَالصَّمْتُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ
جُزْءاً مِنَ التَّوْبَةِ.

بَيَانُ الْخَيْرِ بيان الخبر الأول في تمامه، وهو: «فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر،

١. أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه.

٢. في خ: والأطعمة.

وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر»^(١).

و«السلطان» هو المتسلط على الناس؛ وظلَّ السلطان سريع الزوال.^(٢)

وقيل: معناه: أن الإمام العدل من قبل الله المنصوب بين الخلائق لمصالحهم هو سلطان الله وظلّه على الضعفاء، ينزلون بفنائه ويلتجئ إلى قوّته كلّ مظلوم، فهو ينصره ولا يخذله؛ فعليكم أن تعينوه وتوازره، وتفرحوا بمكانه ولا تحاسدوه. وأراد بالظلّ ما يستريح به التعب.

وقيل: «ظلّ الله» أي خاصّة الله، ومن يكون عدله مثل عدل الله، كأنّ فعله حكايةً عن فعله تعالى، كظلّ كلّ شيء فإنّه يطول بطوله ويقصر بقصره. وآوى إليه يأوي، أي يرجع، والإيواء ترجيع فيه فائدة.

بَيِّنَاتُ الْحُجُبِ ثُمَّ أمر بقلّة الكلام إلّا بذكر الله ونحو ذلك، والمعنى: من جاوز كلامه هذه الأشياء الثلاثة المذكورة لا بدّ أن يكتب عليه وزره؛ وأكثر بلاء الإنسان من مقاله. ويروى مرفوعاً إلى رسول الله: «أَنْ مَعْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ»^(٣) (الآية).^(٤)

وقيل: يعني أن كلام ابن آدم كلّه يعود إليه إثمه، ولا يكون له به فائدة يصيبها. ثم استثنى فقال: «إلّا أمراً معروفاً»، وهو ما يعرفه الناس في النفوس من محاسن الشيم ويستحسنه العقول من مكارم الأخلاق؛ «أو نهياً عن منكر»، وهو إذا حضره

١. نصّه: «فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِنْ جَارَ أَوْ خَافَ وَظَلَمَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ»؛ راجع: مسند البزار: ١٧/١٢، ح ٥٣٨٣؛ أمالي ابن سمعون: ٩٨/١؛ شعب الإيثار: ١٦/٦، ح ٧٣٦٩؛ جامع الأحاديث: ٣٤/٥، ح ١٣٢٠٤.

٢. راجع: مجمع الأمثال: ٤٤٥/١.

٣. النساء: ١١٤.

٤. راجع: معجم ابن الأعرابي: ٣٤١/١١؛ المعجم الكبير: ٢٤٣/٢٣، ح ٤٨٤؛ شعب الإيثار: ٢٤٦/٤، ح ٤٩٥٤.

فعل منكر أو قول قبيح يتقدّم ليمتنع، فإذا لم يقدر إنكاره فليظهر عجزه ويكون كارهاً لذلك بالقلب ليسقط عنه الحقّ الواجب؛ «أو ذكر الله تعالى»، فإنّه دواءٌ وذكر الناس داء.^(١)

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وحثّ أخيراً على تلك الخصال المحمودّة التي هي: الرفق في الأمور كلّها، والدوام على أمر لا يكون فيه تقصير ولا سرف، والسكوت عن المنهيات وترك العجلة.

يقول: من اجتمعت فيه هذه الخلال الرضيّة لقيه الناس بالتعظيم وألبسه الله لباس أنبيائه، فإنّ مجموع هذه الأمور الحسنّة جزء من النبوة.

فإن قيل: لم أجزاء النبوة ستّة وعشرين جزءاً؟

قلنا: روى ابن بابويه في كتاب النبوة^(٢): «إنّ محمّداً لما أتاه جبرئيل عليه السلام، وأمره أن يقول للناس: أنّه رسول الله إليهم، ويعلمهم معالم الدين؛ كان له أربعون سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة بمكة والمدينة، وكان عليه السلام يوحى إليه في خاصّة نفسه قبل ذلك بثلاث سنين، ومن قبل هذا منذ حال تكليفه كان محدّثاً بأحكام شرعيّة يحتاج إليها بنكت في القلب وتقر في السمع وإلهام، فيكون جملة مدّة نبوّته ستّاً وعشرين سنة.

فأشار بهذا الحديث إلى عظم شأن هذه الخصال الثلاث، التي فاتحتها التؤدة، وخاتمتها الصمت، وواسطتها الاقتصاد.

وقيل: إنّ مجموع هذه الثلاثة أو الأربعة^(٣) التي رويناها أولاً جزء من ستّة وعشرين جزءاً من النبوة، فمراده - والله أعلم -: أنّ الله سبحانه علّمني هذه الثلاثة الخلال في سنة تامّة، ولم ينزل عليّ ولم يوح إليّ في تلك السنة إلّا الوصيّة بهذه

١. عن رسول الله ﷺ: «إنّ ذكر الله شفاء وإنّ ذكر الناس داء»؛ راجع: شعب الإيمان: ٤٥٩/١، ح ٧١٧؛ ربيع الأبرار: ١٦٩/١؛ جامع الأحاديث: ٣٥٣/٢، ح ٥٩٠٩.

٢. ذكر الصدوق فيه قصص الأنبياء مشروحة، نقل عنه ابن طاووس في الدر النظيم والإقبال، والكتاب لم توجد عندنا.

٣. راجع: مسند الشهاب: ٢٠٤/١، ح ٣٠٦.

الأشياء، فكأنها جزء من أجزاء نبوتي.
والتؤدة: الرفق، يقال: اتئد يا فلان، أي ارفق؛^(١) والمقتصد^(٢) في القرآن هو من كان بين السابق والظالم.

الْأَنْبِيَاءُ قَادَةٌ وَالْفُقَهَاءُ سَادَةٌ وَمُجَالِسَتُهُمْ زِيَادَةٌ * الْمُتَشَبِّعُ بِمَا
لَمْ يَمْلِكْ كَلَابِسَ ثَوْبِي زُورٍ * الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَيَعْدُهُ
يَنْفِي اللَّحْمَ وَيُصِحُّ الْبَصَرَ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأول أمر، أي اقتدوا بالنبیین، فإن الله قد جعلهم قادة للخلائق؛
واهتدوا بهداهم، وتخلّقوا بأخلاقهم؛ وجالسوا الفقهاء، فإنهم سادة الخلق، يجب
تعظيمهم، والانتهاى إلى أقوالهم؛ فعليكم بمجالستهم لكي تزيدوا في الشريعة والحقيقة
والعلم في الحلال والحرام والفرائض والسنن والإخلاص الذي يبصر من العمى ويدعوا
إلى الرشd والهدى.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثاني: أَنَّ الْمُتَزَيِّنَ بِأَكْثَرِ مَا عِنْدَهُ يَتَكَبَّرُ بِذَلِكَ وَيَتَزَيِّنُ بِالْبَاطِلِ،
كَلَابِسَ ثَوْبِي زُورٍ؛ فإنه يلبس ثياب أهل الزهد في الدنيا، ويرآى بذلك للناس،
ويظهر لهم من التمسع^(٣) والتقصف^(٤) أكثر ممّا في قلبه؛ فهذا إثبات الزور والرياء.
والشعب نقيض الجوع، يقال: شبع من خبز ولحم، والتشبع إظهار ذلك مع إرادته،
وإن لم يكن هذا حقيقته في وضع اللغة؛ ومن جعل نفسه شبعى من خبز غيره بأن

١. راجع: تهذيب اللغة: ١٠٥/١٤.

٢. في خ: والمقتصد.

٣. تمسّع ثوب صاحبه: اختلسه.

٤. ترك الترفه والتنعم.

يعتمد على ذلك ولا يحصله لديه، فهو كمن استعاره الرداء والإزار من الغير، فإذا احتاج إلى الطعام لا يكون له؛ كالمستعير إذا ما استردت العارية منه يبقى عرياناً. **يُنَالُ الْخَيْرُ وَأَدَبُ عَلِيٍّ** بالخبر الأخير الأعراب الذين لم يكونوا يغسلون أيديهم بعد الفراغ من الطعام، ويقولون: فقره أشد علينا من ريحه، وأمرهم بغسل اليدين والفم من الأكل من كل ما مسته النار وغيره مما له زُهومة ورائحة كريهة يضره ويتأذى به جليسه؛ وهذا وإن كان خاصاً في حق هؤلاء فعموم لفظه يتناول جميع المكلفين. وسمى غسل اليد وضوءاً وهو النظافة في موضوع العريّة.

وقال **عليّ**: الأكل على الجنابة تورث الفقر، ومواساة الأخ في الله يزيد في الرزق، والاستغفار يزيد في الرزق، وإجابة المؤذن يزيد في الرزق، وترك الكلام في الحلاء يزيد في الرزق.^(١)

ومراده **عليّ** غسل اليدين قبل تناول الطعام تعظيماً له يزيل الفقر المعروف. وقيل: هو عدم القناعة وقلة الرضا به.

وغسلها بعد الفراغ منه يزيل اللمم، وهو ما يلزم بالإنسان من الجنون وغيره، ويورث صحة البصر.

وكان ضيف عند الصادق **عليه السلام** فأمره قبل الطعام بغسل اليدين فأبى، فقال **عليه السلام**: «هذا الغسل لا بد منه، فإنه بركة لبيتنا، وإذا أكلت ولم ترد غسلها بعد ذلك فهو إليك: إن شئت مصلحة نفسك فافعل، وإلا فلا»^(٢).

الْقَاصُّ يَنْتَظِرُ الْمُنْقَتَ، فَالْمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَالتَّاجِرُ يَنْتَظِرُ

١. فقرات من رواية عنه **عليه السلام**؛ راجع: الخصال: ٥٠٥؛ بحار الأنوار: ٣١٤/٧٣، باب ٦٠، ح ١؛ مصباح البلاغة: ١٩٦/٣.

٢. لم أقف عليه.

الرِّزْقَ، وَالْمُحْتَكِرُ يَنْتَظِرُ اللَّعْنَةَ * السَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ طُولُ الْعُمُرِ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى * وَالشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِيِّ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ حَيًّا
لَمْ يَمُتْ * الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ
بِشَرٍّ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يَقُولُ: إِنَّ الْقَاصَّ الَّذِي يَقْصُ أَخْبَارَ الْهَاضِمِينَ وَيُرَوِّ حِكَايَاتِهِمْ وَيَتَّبِعُ أَبَدًا
الْقِصَصَ^(١) بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَحَرَّجَ لَا يَأْمَنُ عَلَيْهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَمَا لَا أَصْلَ لَهُ، فَإِذَا كَانَ
شَاكًا فِي ذَلِكَ وَعَلَى وَجَلٍ مِنْ كَلَامِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَيُحَدِّثُ بِهِ فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْتَظَارُ الْمَقْتِ، وَهُوَ
فِي اللَّغَةِ أَشَدُّ الْبَغْضِ، وَيَحْمِلُ هُنَا عَلَى بَغْضِ اللَّهِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْقَاصُّ الَّذِي يَقْصُ النَّاسَ عَلَى الطَّمَعِ يَنْتَظِرُ الْمَقْتِ وَهُوَ الْيَأْسُ عَنِ الَّذِي
طَمَعَ فِيهِ، وَيَكُونُ مَرْتَدًّا بَيْنَ أَنْ يَكُونَ وَبَيْنَ أَنْ لَا يَكُونَ.

وَالَّذِي يَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِهِ يَكُونُ عَلَى رَجَاءٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِإِسْمَاعِهِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
وَحَسَنَ صَنْعَهُ بِمَخْلُقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَشَدَّةَ عَذَابِهِ وَاسْتِيصَالَهُ لِلْكَافِرِينَ.

ثُمَّ قَالَ: التَّاجِرُ الَّذِي يَوْجِبُ فِي التَّجَارَةِ الْبَيْعَ وَالشِّرَى لِأَنْتَظَارِ الرِّزْقِ مِنْ سَعَةِ
فَضْلِ اللَّهِ إِذَا كَانَتِ التَّجَارَةُ خَالِيَةً عَنِ الشُّبْهِهِ وَالتَّهْمَةِ الَّتِي تَوْرَثُ الْفُسَادَ، وَالَّذِي
يَقْتَضِي وَهُوَ الْمَتَمَنِّي غَلَاءَ السَّعْرِ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْتَظَارِ اللَّعْنَةِ بِسُوءِ نِيَّتِهِ وَقَبِيحِ
مَعَامَلَتِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

و«اللَّعْنَةُ» هُوَ: الْإِبْعَادُ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ: إِبْعَادُهُ الْعَبْدَ مِنْ رَحْمَتِهِ.

يُرِيدُ: التَّجَارَةُ سُنَّةٌ وَالْإِحْتِكَارُ مَكْرُوهٌ، وَكُلٌّ مِنْ تَرْبِصِ الطَّعَامِ لَعْنَةُ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ،
وَإِذَا لَمْ يَوْجَدْ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السعيد من طال عمره ولم يكن مشغولاً إلا بطاعة الله.
وقيل: مفهوم هذا الخبر: أَنَّ من أعظم الشقاء من كان طول عمره في معصية الله،
لأنَّ الموتى كلهم في تَمَتِّي إدراك ركعتين وحياسة أجر وعمل برٍّ وليسوا بقادرين عليها.
وتحقيقه: الحثُّ على المواظبة على الطاعة طول العمر، فإنه السعادة التي لا شقاء
معه والبشارة لمن هذه حاله.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومن علامات الشقاء إثارة الفناء على البقاء، وعلامة ذلك أن يبقى الإنسان
فاجراً إلى وقت لا تقبل التوبة فيه، ومن أدركه القيامة وهو حيٌّ أيضاً من الأشقياء،
فإنَّ ذلك أيضاً علامة الشقاء.

والمشاقاة - في اللغة - : المعاناة والمقاساة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وأراد بالخبر الأخير: أَنَّ شِدَّةَ الْعَذَابِ لمن جمع مالا من حلٍّ وحرام ولم ينتفع
به لنفسه، يكون عليه خسارته، وأورثته رجحانه.

و«الويل» - في اللغة - : كلمة يستعملها القائل^(١) لكلِّ واقع في هلكة. وقيل: الويل
وإِدِّ في جهنم^(٢).

دَعْوَةُ الْمُظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ *
ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمُظْلُومِ وَدَعْوَةُ
الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ * الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ
وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ روي: أَنَّ دَعَاءَ صَنَفَيْنِ مِنَ النَّاسِ مُسْتَجَابٌ لَا مُحَالَةَ، مُؤْمِنًا كَانَ أَوْ كَافِرًا:

١. في خ: القاتل.

٢. راجع: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٠/٢؛ الزهد لابن المبارك: ٩٥/٢ و٩٦، ح ٣٣١ و ٣٣٤؛ مسند أحمد:

دعاء المظلوم، ودعاء المضطر؛ لأن الله قال: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا»^(١).

وقال النبي: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ»^(٢).

والفاجر في الخبر هو الكافر، كقوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ»^(٣).

فإن قيل: أليس يقول الله: «وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ»^(٤)، فكيف يقال:

دعاء المظلوم مستجاب وإن كان كافراً؟

قلنا: الآية التي تَلَوْتُمَا هي دعاء الكفار في نار جهنم في دار الجزاء، وهناك

لا تقبل التوبة ولا ترحم العبرة ولا تجاب الدعوة؛ والخبر الذي نتكلم عليه في

دار الدنيا.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ ثَلَاثَةَ أَدْعِيَةِ الْبَتَّةِ لَا مَحَالَ الشَّكِّ فِيهَا، أَحَدُهَا: دَعَاءُ

مَنْ ظَلِمَ وَلَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي يَخَافُ عَلَى نَدَائِهِ وَيَرْجُو اسْتِجَابَةَ دَعَائِهِ؛

وَالثَّانِي: دَعَاءُ الْغَرِيبِ الَّذِي سَافَرَ مِنْ وَطَنِهِ فِي طَاعَةٍ أَوْ مَبَاحٍ يِقَاسِي الْأَهْوَالَ

وَالْأَقْطَارَ، فَدَعَاؤُهُ أَيْضاً مُسْتَجَابٌ فِي خَاصِّ نَفْسِهِ وَلِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ بِالْمَسَافِرِ

رَحِيمٌ؛ وَأَمَّا الْوَالِدُ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْحَرَمَةِ مِنَ الْوَالِدَةِ، وَمَنْ كَانَتْ حَرَمَتُهُ عَلَيْكَ أَعْظَمَ كَانَتْ

دَعَاؤُهُ لَكَ أَرْجَى إِجَابَةً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الْأَخِيرِ فِي تِمَامِهِ، وَهُوَ: الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجَلَ عَرَفَ الْحَقَّ وَقَضَى

بِهِ، وَأَمَّا اللَّذَانِ فِي النَّارِ فَرَجَلَ عَرَفَ الْحَقَّ فَخَانَ بِهِ فِي الْحَكَمِ، وَرَجَلَ قَضَى لِلنَّاسِ

١. النمل: ٦٢.

٢. الأمالي (للشيخ الطوسي): ٣١١؛ بحار الأنوار: ٣١٠/٧٢، باب ٧٩، ح ١١؛ مسند الطيالسي: ٣٠٦.

ح ٢٣٣٠.

٣. عبس: ٤٢.

٤. الرعد: ١٤.

على جهل.^(١)

وقال العلماء: إن هذا الخبر يدل على أن كل مجتهد ليس بمصيب؛ إذ لو كان كل مجتهد مصيباً لم يكن لهذا التفسير معنى.

وروي: «الْقَضَاءُ أَرْبَعَةٌ: ثَلَاثَةٌ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

خَصْلَتَانِ لَا تَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ وَفَقْهُ فِي الدِّينِ *
خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ * عَیْتَانِ
لَا تَمْسُهَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ
بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ * مَثُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبٌ عِلْمٍ
وَطَالِبٌ دُنْيَا

مِثَالُ الْجَبْرِ يَعْنِي: أَنَّ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ لَا تَكَادُ تَوْجِدَانِ فِي الْمُنَافِقِ؛ أَحَدُهُمَا: حَسَنُ السَّمْتِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمَرْضِيُّ، وَالْمَذْهَبُ الْمَحْمُودُ، وَالْحَالَةُ الْحَسَنَةُ الْمَقْبُولَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ. وَالثَّانِيَةُ: الْفَقْهُ فِي الدِّينِ، وَهُوَ حَسَنُ الْفِطْنَةِ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

مِثَالُ الْجَبْرِ ثُمَّ قَالَ: الْمُؤْمِنُ لَا يَكُونُ بِخِيَلًا سَيِّئِ الْخُلُقِ، رَبِّمَا يَكُونُ فِيهِ إِحْدَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ، فَأَمَّا الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ فِيهِ، وَفِي الْأَغْلَبِ لَا يَكُونُ إِحْدِيهِمَا فِي الْمُؤْمِنِ أَيْضاً.

١. «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ؛ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»؛ راجع: سنن أبي داود: ٢٩٩/٣، ح ٣٥٧٣؛ المستدرک علی الصحیحین: ١٠١/٤، ح ٧٠١٢؛ جامع الأحادیث: ٣٨٥/٥، ح ١٥٥٠٣.

٢. عن الصادق عليه السلام؛ راجع: الكافي: ٤٠٧/٧، كتاب القضاء، باب من حكم بغير ما أنزل الله، ح ١.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ لَيُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الْخُلُقُ الْعَمَلَ»^(١).
 يَنَالُ الْجَبَرُ وتقدير الخبر الثالث: صاحب أعينين لا يمَسُّ بشرتهما ألم^(٢) النار إذا صدرت
 منها هاتان الخصلتان المذكورتان، فحذف المضافات. ولم يرد ﷺ العين نفسها؛ لأنَّ
 النار لا تصيب وجه المؤمن - على ما روي في الأخبار - وإن دخل جهنم بشؤم
 معصيته؛ والعينان لا محالة في الوجه، على أنَّ العرب تقول: رأته عيني وسمعتة أذني،
 والمراد به صاحب العين والأذن.

والمراد بالبكاء في جوف الليل وتخصيصه بوسط الليل إشارة إلى التضرع والخشوع
 في صلاة الليل، حيث لا رياء ولا سمعة، وهو سنة الأنبياء والأولياء، وذلك لشرف
 صلاة الليل على نوافل النهار.

وقيل: أراد به بكاء السر سواء كان في الليل أو في النهار.
 يَنَالُ الْجَبَرُ و«المنهوم»: الحريص، والنهمة: شدة الحرص؛ وإنما لا يشبعان، لأنَّ ابن آدم
 لا يشبع عما يستلذه، ولا يزال طالب الدنيا حرصاً عليها لاستلذاذه إيَّاه وحلاوتها
 في عينها، وطالب العلم إنما يصعب عليه ذلك أول مرة، لكن آخره أحلى من العسل.^(٣)

الشَّيْخُ شَابٌ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْحَيَاةِ وَكَثْرَةِ الثَّمَالِ * أَرْبَعَةٌ
 يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: الْبَيَّاعُ الْخُلَافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُتَتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي،

١. مداراة الناس: ٨٦؛ وكذا عن الصادق ﷺ، راجع: الكافي: ٣٢١/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء
 الخلق، ح ٣؛ في أكثر المصادر: يفسد العمل.

٢. في غ غير واضحة.

٣. قال الخطيب البغدادي: «ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من
 العسل، لأجل ما أطلب وأرجو»، راجع: الرحلة في طلب الحديث: ٢١٩؛

وقال الشاعر: «العلم أوله مر مذاقته
 لكن آخره أحلى من العسل»؛ راجع: تفسير
 غرائب القرآن: ٥٩٤/١.

وَالْإِمَامُ الْجَائِزُ * ثَلَاثُ مَهْلَكَاتٍ وَثَلَاثُ مَنْجِيَّاتٍ فَالْثَلَاثُ
الْمَهْلَكَاتُ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ؛
وَالثَلَاثُ الْمَنْجِيَّاتُ: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ
وَالْغِنَى وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يَقُولُ: لَا يَشْبَعُ أَحَدٌ مِنْ عَيْشِهِ وَلَا مِنْ هَالِهِ، فَحُبَّهَا لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ شَابٌّ،
فَالْجَدِيدَانِ يَبْلِيَانِ كُلُّ شَيْءٍ غَيْرُهُمَا؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ وَالشَّابَّ مُتَسَاوِيَانِ فِي
كَرَاهَةِ الْمَوْتِ وَإِرَادَةِ هَالِهِ إِلَّا مِنْ خَصِّهِ بِفَضْلِهِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ قَالَ: أَرْبَعَةُ رَجَالٍ وَأَرْبَعَةٌ فَرَقَ يَسْتَوْجِبُونَ الْغَضَبَ مِنْ اللَّهِ بِسُوءِ صَنِيعِهِمْ،
مِنْهُمْ: الْبَيَّاعُ الَّذِي اعْتَادَ الْحَلْفَ عِنْدَ بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ؛ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ الَّذِي يَعْتَادُ التَّكَبُّرَ إِلَّا
إِذَا كَانَ يَتِيئُهُ^(١) الْأَغْنِيَاءُ، وَالْمُتَكَبِّرُ مُعَاقِبٌ مُعَاتَبٌ سِوَاهُ كَانَ فَقِيرًا أَوْ غَنِيًّا، وَالْفَقِيرُ لَا
مَالَ لَهُ الْيَوْمَ؛ وَالشَّيْخُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ غَضَبَ اللَّهِ لِبُعْدِهِ عَنِ الشَّهْوَةِ، فَالزَّانِي عَلَى كُلِّ حَالٍ
أَيْضًا شَدِيدُ الْعُقُوبَةِ إِلَّا أَنْ فِي الشَّيْخِ أَشَدُّ؛ وَالْإِمَامُ الظَّالِمُ الْجَائِرُ الَّذِي يَمِيلُ عَنْ طَرِيقِ
الْحَقِّ وَنَهْجِ الشَّرْعِ وَمَأْمُورِ الْحُكْمِ.

وَرَوَى: «ثَلَاثَةٌ يَشْنَأُهُمُ اللَّهُ: الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْبَخِيلُ الْمَتَّانُ، وَالْبَيْعُ الْمُخْتَالُ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ فِي الْخَبَرِ الْأَخِيرِ سَبَبَ هَلَاكِ بَنِي آدَمَ وَسَبَبَ نَجَاتِهِمْ، فَقَالَ: ثَلَاثَةٌ هِيَ
أَسْبَابُ الْهَلَكَةِ فِي الْقِيَامَةِ، وَهَلَاكُهَا دُخُولُ النَّارِ وَمَقَاسَاةُ الْعَذَابِ؛ وَثَلَاثَةٌ هِيَ أَسْبَابُ
النَّجَاةِ، وَهِيَ دُخُولُ الْجَنَّةِ وَالْفَوْزُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ.

أَمَّا الْأُولَى وَإِحْدِيهَا: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهُوَ الْبَخْلُ الَّذِي يَطْبَعُهُ صَاحِبُهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَخْلُ
مَرْكَوزًا فِي كُلِّ مَكْلَفٍ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْصِي مَا فِيهِ مِنَ الْبَخْلِ؛ وَالثَّانِيَّةُ: هَوًى مُتَّبَعٌ، وَهُوَ

١. يَتَكَبَّرُ.

٢. الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ٣/٣٩٠؛ وَكَذَا رَاجِعٌ: مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: ٥/٣٣٢، ح ٢٦٦١٢؛ تَهَذِيبُ
الْأَنَارِ: ٣/٥٤، ح ١١٠؛ غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِلْخَطَّابِيِّ: ١/٩٢.

إعطاء تَمَيُّ النفس ومرادها، والهوى قد يكون لكلِّ عاقل، ولكنَّ المؤمن لا يتَّبِعُه؛
والثالثة: إعجاب المرء بنفسه في أقواله وأفعاله الصادرة، ومن يُنذِرُ عظمة الله وعظم
نعمائه، استصغر نفسه وشكره وعبادته، فلا يعجب بأحواله.

وأما الثلاثة الأخرى: فإحديها: خوف الله وخوف عقابه، لما يرى من تعذيبه
وتقصيره، ومن سكنت خشيةُ عقاب الله في قلبه فقد أحرقت موادَّها الشهوات
والشبهات وطردت عنه الرغبات في الغائبات؛ والثانية: لزوم الاقتصاد، سواء كان غنياً
أو فقيراً؛ والثالثة: الثبات على أحكام الحق في طرفي رضاه وغضبه.

المُسْتَبْتَانِ مَا قَالَا فَهُوَ عَلَى الْبَادِي مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ * أَنَا فَرَطُكُمْ
عَلَى الْخَوْضِ * أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ - وَأَشَارَ
بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى - * أَنَا النَّذِيرُ وَالْمَوْتُ الْمُغَيِّرُ وَالسَّاعَةُ الْمُوعِدُ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وروى: «المستبتان ما قالَا فهو على البادي حتى يعتدي المظلوم»^(١)، يعني: إثم
السبِّ^(٢) ولؤمه على من ابتدأ به ما لم يجاوز المسبوب في جوابه عن حدِّ الشرع
وطريقته، فحينئذٍ دخل في درجة الظالمين، فآل ذلك إذا قال رجل لغيره: يا كافر،
فيجيبه، ويقول: أنت ذلك؛ فالدم والتعزير هاهنا عن الأول؛ وإذا قال له: يا زاني،
فيجيبه، ويقول: أنت الزاني؛ فكلاهما يعزِّر ويؤدِّب ويعاتب ويعاقب.
وفي هذا الخبر نهى عن شتم المسلم والوقوع في عرضه، حاضراً كان أو غائباً، حياً
أو ميتاً.

وروى: «البادي أظلم»^(٣).

١. الأدب المفرد: ١٥٢٣؛ مسند أبي يعلى: ٢٥١/٧؛ مسند الشهاب: ٢١٦/١، ح ٣٢٨.

٢. في خ: السبب.

٣. روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): راجع: أخبار القضاة: ٧٦/٢؛ تحف العقول: ٤١٢؛ عوالي اللئالي: ٥٧/٤.

يَنَالُ الْخَيْرَ و«الفرط» و«الفارط» هو الذي يسبق إلى الماء فيستقي لهم، ويجمع في الحياض حتى يردوا فيشربوا، وفرط يفرط: تقدّم، كأنه قال: أنا أولكم قدوماً على الحوض، و«الفرط» مصدر وصف للمبالغة كالعدل والعاذل.

وهو الخبر بشارة منه ﷺ لأُمَّته، يقول: أنا تقدّمكم إلى الحوض المسمّى الكوثر، وأهنيّ هناك الأسباب لأجلكم.

يقال: فرطت القوم، إذا تقدّمهم؛ و«الحوض» في اللغة مجتمع الماء.

وفي هذا الخبر إثبات الحوض له ﷺ في القيامة، وماؤه من الكوثر، والكوثر نهر في الجنة، وهو للصائمين.

يَنَالُ الْخَيْرَ ثُمَّ حَتَّ عَلَى تَعَهْدِ الْإِيْتَامِ، وقال: من أصلح حال يتيم تقرّباً لله فهو في الجنة جاري، وداره متصلة بداري؛ يريد: أن الذي يكفل لتربية يتيم وأحسن مراعاته لأجل رضا الله وطلب رحمتهم يكون غداً معي في الجنة، ويكون قربه منّي بمنزلة قرب المسبّحة^(١) من الوسطى.

وسمعتُ بعض المشيخة يقدح في لفظة السّبّابة التي أوردتها القضاعي أو قبله أحد من الرواة، وقال: إنّه غفل عن أن هذه اللفظة يستعمل في موضع الدم، فكأنه من حقّه أن يقال: فأشار بالمسبّحة والوسطى، لأنّه موضع المدح، وهذه كلمة المدح.

يَنَالُ الْخَيْرَ ومعنى الخبر الأخير تهديد وزجر وتخويف، يريد: أنا المخوف كلّ مكلف يعصي الله بالخزي العظيم والعذاب الأليم؛ والموت يغيّر على الأحياء حتى لا يبقى لا ذكراً ولا أنثى ولا صغيراً ولا كبيراً، وموضع وعد الله للمؤمنين بالثواب ووعيده للكفار بالعقاب القيامة؛ و«النذير» فاعيل بمعنى مفعول، و«الساعة»: معرفة يوم القيامة، و«الموعد»: موضع التواعد.

باب [٢]

مَنْ صَمَتَ نَجَا * مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ *
مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ * مَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ يَعْغُفُ يَعْغُفُ
اللَّهُ عَنْهُ * مَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْهُ اللَّهُ وَمَنْ يَكْظُمُ غَيْظَهُ
يَأْجُرْهُ اللَّهُ * مَنْ قَدَّرَ رِزْقَهُ اللَّهُ وَمَنْ بَدَّرَ حَرَمَهُ اللَّهُ * وَمَنْ
نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ عُذِّبَ

يُنَالِي الْجَبَرُ يَقُولُ: اسكتوا عما لا يعنیکم وداوموا على السکوت عما يعنیکم، فإن من
واظب على الصمت عما يسخط الله وعما يغرس في القلوب شوك الآجن نجا من الوقوع
في الآفات والمحن.

و«الصمت» فهو السکوت عن الحکومات وترك الإعراض عليها.

يُنَالِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: من تواضع واستسلم للحق وترك التكبر على الخلق رفع الله شأنه في
الدارين، وعظم ثوابه وخيره في المنزلتين.

وقيل: يعني: من يزدد الله عبادةً وتواضعاً ورهبةً وحسنةً يزد الله له درجةً يسمو^(١)
بها ويتقرب من ربه تعالى، ورهبة العبد وتواضعه على قدر علمه بعظمة الله وبقدر
عمله الصالح، ورفع الله لعبده بقدر جلاله وكبريائه حتى يبلغه^(٢) بمزيد كرمه إلى
عليين.

١. في خ: يسموا.

٢. في خ: تبلغه.

ثم ذكر ما يوصل العبد إلى أسفل السافلين قرينة لذلك، فقال: ومن تكبر وتعظم على الخلائق وعلى خلقه جعله الله ضيعاً ذليلاً عاجلاً وأجلاً بما قال الله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ»^(١).

وقيل: من أخذت معصية ولم يصبر منقاداً لأوامره بالقيام إلى الطاعات أحدث الله له ضعفاً وبعداً حتى يوقعه في أسفل درك لظى ويذيقه في الدنيا أنواعاً من العذاب الأذى.

بيان الخبر الثالث: أن أبا جهل حلف، وقال: لأقتلن محمداً ﷺ في بطحا مكة، فلما سلم قال: مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ^(٢).

و«الآية»: اليمين، وتألى بالله: أقسم به، وتألى إليه: حكم عليه تعالى.

والخبر نهي وإن كان على لفظ الخبر، يقول: إذا رأيت من المؤمنين من يرتكب فاحشة فلا تحلف بأنه يكون في النار على الإطلاق، ولا يحكم على الله من غير بصيرة؛ فإن من كان كلامه: فلان في الجنة وفلان في النار، جعله الله من الكاذبين.

قال ابن القيم: ويل للمتألين من أمتي، وهم الذين يحلفون بالله متحكمين عليه، فيقولون: والله! إن فلاناً في النار، والله! إن فلاناً في الجنة^(٣).

وروي: أن أبا جهل قال لي: والله لأقتلنك، فتمثلت بقوله، وقلت: من يتألى على الله يكذبه^(٤). أي من يقسم به متحكماً عليه لم يصدق الله فيما تحكم به عليه وخيب مأوله.

١. التوبة: ٦٧.

٢. راجع: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢/٣؛ تفسير السمرقندي: ١١٠/٣؛ تفسير الثعلبي: ١٢١/٨.

٣. راجع: الفقه الأيسر: ١٣٨/١؛ الفائق في غريب الحديث: ٥٢/١؛ جامع الأحاديث: ١١٤/٨، ح ٢٤٧٦١.

٤. الفائق في غريب الحديث: ٥٢/١.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: من يغفر لمؤمن ويستتر عليه عيوبه وذنوبه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة. وأصل «الغفر» الستر، ومنه اشتقاق المغفرة، ومن يعف ويصفح عن مؤمن عفا الله عن سيئاته ومحاها.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومن يلزم الصبر [و] يترك الشكوى في الرزية والمصيبة يعظم الله عوضه عما فات ويخلف له خيراً مما تمنى فات؛ ومن يكظم ويتجرع غُصَصَ الغيظ^(١) وجرارته يشبه الله. و«الأجر» هو الثواب على العمل، وكظم فلان غيظه: اجترعه.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«من قدر رزقه الله» أي: من لزم الاقتصاد في العسر واليسر فلا ينقطع عنه مادة الرزق، ويقال: قدرت الشيء وقدرته من التقدير. وفي الخبر بالتشديد أحسن لمزاوجة^(٢) قوله: «ومن بذّر». [و] من أنفق في غير رضا الله يورثه ذلك الحرمان في رزقه وهو عدم البركة، يقال: محروم أي ممنوع.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يقال: ناقشه الحساب، إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً. وروت^(٣) عائشة: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ وَقَدْ هَلَكَ»^(٤).

وأصل المناقشة من نقش الشوكة، وهو استخراجها كلها، والمناقشة الاستقصاء في الحساب،^(٥) أي من استقصى في حال الحساب معه يعذب. وهذه المناقشة إنما يكون في حق الكفار إن شاء الله، وأمّا في حق المؤمنين فسوف يحاسب كلهم حساباً يسيراً.

مَنْ بَدَا جَفَا * مَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ * مَنْ اقْتَرَبَ مِنْ أَبْوَابِ

١. تجرع غُصَصَ الغيظ: كظم غيظه؛ والغُصَصُ جمع الغُصّة وهي ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

٢. في خ: لمزاوجة.

٣. في خ: أو روت.

٤. مسند إسحاق بن راهويه: ٣٦٧/٢؛ مسند أحمد: ٢٠٦/٦، ح ٢٥٧٤٨.

٥. راجع: تهذيب اللغة: ٢٥٦/٨.

السُّلْطَانِ افْتَتِنَ * مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ * وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ * وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ * مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ * وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ.

بَيَانُ الْجَبَرِ يعني من نزل بالبادية بعد أن كان في الحضر صار فيه جفا الأعراب، والجفا خلاف البر، وجفوت فلاناً أجفوه، أي: من أقام بالبادية جفا من صاحبه، وإن كان قبل ذلك باراً به.

وقيل: من كان مقيماً بالبدو والأمكنة البعيدة من مجمع المسلمين ومجالس القرآن والذكر يورثه ذلك الجفاوة، وهي الغلظة في الخلق وسوء التقصير في الطاعة والعبادة؛ فعلى هذا جفا لازم وعلى الأول متعدي على ما قدرناه.

و«جفا» أي صار فيه جفا الأعراب لتوحشه من الناس وانفراده منهم^(١). بَيَانُ الْجَبَرِ ثم أمر بقطع العلاقة التي تمنع العبد من الله بقوله: «مَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ»، معناه: من خرج للاصطياد شغل قلبه عن كل شيء بذلك واستولى عليه هم آخره، حتى يصير فيه غفلة عما سواه، ولا يرى وقت الصلاة، ولا يذكر شيئاً من العبادات الواجبة عليه، ونحوه المثل السائر: أغفل من صائد. و«الصيد» ههنا بمعنى المصيد.

وقيل: معناه من اتبع صيد الدنيا غفل عن صيد الآخرة، ومن أراد اتباع وحش ولا بدّ له من الخروج من المنزل فإذا خرج غفل عن صلاة الجماعة. وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا ينال صفو الطاعة إلا بترك كثير من المباحات، ومن تعرّض للصيد شغل الصيد ولده^(٢) وألهاه حتى صار فيه غفلة.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثم نهى عن الدخول على السلطان الجور بأن قال: من اقترب من أبواب

١. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٨٧/١.

٢. كذا في خ.

السلطان تعلّق به فتن كثيرة وامتنح بفتنة الدنيا والآخرة، فليجتنبوا منهم. وافتتن الرجل وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله وعقله؛ والافتنان يتعدّي ولا يتعدّي، ولذلك روي: «افتتن» بفتح التائين، و«افتتن» على ما لم يسمّ فاعله. **بَيِّنُ الْجَبَرِ** ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ مَنْ دَافَعَ الْعَدُوَّ دُونَ دِينِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَصَارَ مَقْتُولًا بِسَبَبِ مَدَافَعَتِهِ عَنْ أَحَدِهَا فَهُوَ شَهِيدٌ.

قال ابن الأنباري: «سمّي الشهيد شهيداً لأنّ الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة»^(١).

وقيل: يشهده ملائكة الرحمة ويحضره بالمؤانسة فصار مرزوقاً فرحاً بما آتاه الله من فضله.

وفي الحديث بيان: أنّ دفع الرجل عن نفسه مباح، وأنّ القتل إذا أتى على نفس العاديّ عليه كان دمه هدراً إذا لم يكن له سبيل على الخلاص إلاّ بقتله. **بَيِّنُ الْجَبَرِ** وَأَمَّا قَوْلُهُ: «مَنْ يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبُّ مِنْهُ»، يعني: مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُ خَيْرًا عَظِيمًا أَوْ يَفْعَلَ بِهِ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً يَرُدُّ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ خَيْرًا، أَي: بِأَمْرِهِ بِفَعْلٍ خَيْرٍ وَبَرٍّ، فَإِذَا فَعَلَ هُوَ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ وَالْخَيْرَ الْجَزِيلَ. وقوله: «يُصَبُّ مِنْهُ» أَي: يُصَبُّ اللَّهُ مِنْهُ، يعني: يَرُدُّ اللَّهُ مِنْهُ.

قال تعالى: «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ»^(٢)، أَي: أَرَادَ. ومنه قولهم: «أصاب الصواب فأخطأ الجواب»^(٣)، أَي: أَرَادَ الصواب.

١. راجع: تهذيب اللغة: ٤٨/٦؛ والظاهر أنّه نقل عن ابن عيّاس، راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس:

٣١٢/١؛ شرح صحيح البخاري لابن بطّال: ١٥/٥.

٢. ص: ٣٦.

٣. راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٩٤/٢؛ ونقل عن الأصمعيّ، راجع: تهذيب اللغة: ١٧٧/١٢؛ معاني القرآن: ١١٥/٦.

وقيل: معناه من أراد الله به خيراً ابتلاه بالمصائب ليثبتته عليها. يقال: أصاب الله منه أي أمرضه، وأصبت فلاناً أي ابتليتته؛ أي إذا أراد الله بعبد خيراً أمرضه الله وأذاه الناس ليكثر أعواضه وخيره، وكذا المعنى إذا روي: «يَضْب» بفتح الصاد.

وقيل: يعني من أراد الله به خيراً يصب ذلك الخير من قبل الله تعالى من غير واسطة من البشر، ومن غير سؤال منه إلى الله، أو يصل ذلك الخير إليه عفواً. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** ثم قال: ومن يرد الله به خيراً^(١) يفقهه في دينه ويفهمه في أحكام الدين؛ وهذا يدل على إن لم يتفقه في الدين فلا خير فيه.

وفي بعض النسخ بعد هذا الخبر: «ومن يرد الله به خيراً يجعل خلقه حسناً»^(٢)؛ وفي هذا أمانة أن من تراه ذا خلق حسن وكلام طيب مع الأجانب والأقارب فهو ممن أراد الله به الخير، ويكون حصول تلك الإرادة قائدة له الجنة، وبالعكس ذلك إذا كان خلقه سيئاً.

مركز تحقيق تكملة علوم رسول

مَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ
لَهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَوْتَ لَهَى عَنِ اللَّذَّاتِ وَمَنْ زَهَدَ
فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ * مَنْ مَاتَ غَرِيْباً مَاتَ شَهِيداً *
مَنْ اعْتَرَى بِالْعَبِيدِ أَذَلَّهُ اللَّهُ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يقول: من كان مشتاقاً إلى الجنة ينبغي أن يسارع إلى عمل أهل الجنة، وهو فعل جميع الخير؛ ومن خاف من عقوبة النار وألمها غفل من متابعة كل شهوة ورغب عنها، ومن كان في انتظار مجيء الموت في كل ساعة كان لاهياً عن كل لذة؛ ومن قلَّ

١. في خ: خير.

٢. راجع: مسند الشهاب: ٢٢٥/١، ح ٣٤٧.

رغبته في الدنيا يسهل عليه ما يناله من مصيبتها.
 يَنَالُ الْجَبَرُ وكلّ مؤمن كان موته في أرض الغربة فهو بمن يحضره ملائكة الرحمة
 ويشهده.

يَنَالُ الْجَبَرُ ومن استظهر بالخلق لعزة نفسه تؤول عزتها إلى المذلة، لأن الاستعانة بهم
 يبق أثرها أليماً فإذا انقضت مدتها بقي بلا معين.

مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبُهُ فَلَيْسَ مِنَّا * مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا * مَنْ
 رَمَانَا بِاللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنَّا * مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ
 فَهُوَ رَدٌّ * مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ وَمَنْ عَجَّلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ *
 مَنْ يَزْرَعُ خَيْرًا يَحْصُدْ رَغَبَةً وَمَنْ يَزْرَعُ شَرًّا يَحْصُدْ نَدَامَةً.

يَنَالُ الْجَبَرُ معناه: من اعتقد أن أخذ الشارب ليس بسنة حسنة فليس منا، ومن
 لم يأخذه فليس يجري على سيرتنا وإن كان من جملة أمتنا.
 يَنَالُ الْجَبَرُ ومن غش أخاه المؤمن فقد غشنا، ومن ترك مناصحته للخلق فليس على
 مذهبن وطريقتنا، فإنه قد ترك أتباعي والتمسك بديني.

وسبب ذلك: أنه مرّ برجل يبيع التمر، وكان قد أظهر جيده وستر رذله.^(١)

و«الغش» مأخوذ من الغشش وهو المشرب الكدر.

يَنَالُ الْجَبَرُ ومن يرم في الليل بسهم في عسكر المسلمين تخويفاً لهم واعتابهم وذكرهم
 بالشتمة^(٢) نفاقاً وكفرأ فليس له في ديننا نصيب.

١. راجع: مسند أحمد: ٥٠/٢، ح ٥١١٣؛ سنن الدارمي: ٣٢٣/٢، ح ٢٥٤١.

وروي: أَنَّ المنافقين كانوا يرمون ليلاً إذا كانوا مازاً^(١) العدو بسنهام في وسط المسلمين ليستشعروا خوفاً من الكفار، وكانوا ينكرون المسلمين إذا قعد بعضهم إلى بعض ليلاً للسر.

وقيل: أراد كراهية اصطياد الطيور ورميها بالليل، وقال: اقروا الطيور على وكناتها.^(٢)

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ نَهَى عَنْ قَبُولِ الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَنْ أَظْهَرَ فِي الشَّرِيعَةِ أَمْرًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ فَرَدَّوهُ. فَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مَنْقُوصٌ مُرَدُّودٌ يُوجِبُ ظَاهِرَهُ إِفْسَادَهُ وَإِبْطَالَهُ، وَلَا تَقْبَلُوا إِلَّا مَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّأَنِّي فِي الْأُمُورِ وَتَرْكِ الْعَجَلَةِ فِيهَا؛ يَقُولُ: مَنْ ثَبَتَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ يَصُبُّ الْمَرَادَ وَيَقْرُبُ عَلَيْهِ إِصَابَتُهُ، وَمَنْ رَكِبَ الْأُمُورَ عَلَى عَجَلَةٍ وَمِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَثَبَّتَ يَقَعُ فِي الْخَطَأِ أَوْ يَقْرُبُ وَقُوعَهُ فِي الْخَطَأِ.

ومفهومه: أَنَّ الْغَالِبَ فِي حَالِ الْمَتَأَنِّي إِصَابَةُ الْمَرَادِ، وَالْغَالِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الْخَطَأُ وَالزَّلَلُ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَمَنْ يَزْرَعُ فِعْلَ الْخَيْرِ يَجِدُ جَزَاءَ ذَلِكَ مَا يَرْجُوهُ وَيَهْوَاهُ، وَمَنْ يَزْرَعُ فِعْلَ الشَّرِّ يَرَى جَزَاءَ فِعْلِهِ مَا يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ.

ومثله قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»^(٣)، أي كما تفعل تجازي به.

١. كذا في خ.

٢. في بعض المصادر: «الطير»، وفي بعضها: «على مَكِنَاتِهَا؛ راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٣٥/٢؛ تهذيب الآثار: ٣/٢١؛ أدب الدين والدنيا: ٣٩٨؛ مسند أحمد: ٣٨١/٦، ح ٢٨١٧٣؛ جامع الأحاديث: ٤٣/٢، ح ٣٧٤٣.

٣. مثل سائر، راجع: العين: ٧٣/٨؛ جمهرة الأمثال: ١٦٨/٢؛ مجمع الأمثال: ١٥٥/٢؛ والمثل ورد في الأحاديث المختلفة كثيراً.

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخُلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ * مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ
النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ * مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَّقِ عَلَى
اللَّهِ * وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ
أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ * مَنْ آتَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيُرْ عَلَيْهِ * مَنْ هَمَّ
بِذَنْبٍ ثُمَّ تَرَكَهُ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يعني: من رجا ما بين يديه جاد بما في يده، فكأن باذل العطاء هو الذي يعلم
يقيناً أن الله تعالى داراً للجزاء يعوضه بخلف وبدل.

وقال بعضهم: تفسيره: إن كنت ترجو رحمةً من الله عند البلاء فلا تزهدن عند
المعافاة في الأجر.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ من أراد أن بلغ درجة الكرامة عند الله فعليه أن يتقي الله ويصير متقياً لينال
تلك الكرامة. و«التقوى» اجتناب العُصَيَان وإدامة الإحسان ومخالفة الشيطان وحفظ
اللسان، والعدل في الميزان والصبر على الأحزان والطاعة للرحمن.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومن أراد أن يكون أقوى المخلوق على أوامره ونواهيه ودفع الأعداء والأواء^(١)
فليفوض أمره إلى من لا يرجي غيره ولا يخاف سواه، وهو أقوى الأقوياء وقوة
المخلاتق منه. «التوكل» فعل من الوكول وهو التفويض.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومن أراد أن يكون أكثر أموالاً من جميع الناس وأغناهم قلباً وحالاً فليكن
بما عند الله وبها حدانته^(٢) أشدَّ اعتماداً ووثيقةً بما عنده من المال، أي: كونوا بما وعد الله
وقسمه لكم أوثق بما في أيديكم.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومن أعطاه الله خيراً فليظهر آثار ذلك الخير وتلك النعمة عليه لترى على

١. ضيق المعيشة.

٢. كذا في خ.

نفسه وأهله، والقصد منه إظهار الشكر ظاهراً وباطناً على نعمة المنعم.
 يَنَالُ الْجَبَرُ وَمَنْ عَزَمَ أَنْ يَكْتَسِبَ ذَنْباً ثُمَّ خَافَ اللَّهَ فَتَرَكَ ذَلِكَ الذَّنْبَ كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً،
 وذلك لأن الرجوع عن عزم فعل المعصية توبة، وعند التوبة يمحو الله الذنوب تفضلاً
 ويشييه على تلك التوبة، فإنها حسنة.

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزِمِ الصَّمْتَ * مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ
 وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ ذُنُوبُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ
 * مَنْ رُزِقَ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَلْزِمَهُ * مَنْ أَزَلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْهَا
 * مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ * مَنْ عَزَى مُصَاباً فَلَهُ
 مِثْلُ أَجْرِهِ

يَنَالُ الْجَبَرُ يريد: من أحب السلامة من الآفات والوقوع في البليات فعليه لزوم الصمت
 على الخوض في الهذيان وكثرة المقالات.
 يَنَالُ الْجَبَرُ ثم نهى عن إكثار الكلام تفصيلاً، كما قال جملةً في رواية أخرى: «إن الله
 يبغض المتفهمين»^(١)، وهم الذين يكثرون الكلام.

وبين ههنا: أن ثمة سقط الكلام الذنوب، ولو لا كثرة التكلم لم يوجب سقط، وهو
 ما يجب أن يسقط.

يَنَالُ الْجَبَرُ ثم قال: إذا رزقك الله معيشةً فاحفظها ولا تضيعها. وقيل: هو في حق من
 يرجع عن درجة الزهد بعد أن رزق أمره أن يلزم الزهادة، لئلا يقع له خلل في العبادة؛
 والأولى أن يكون عامّاً في حق كل أحد، ليراعى الناس حرفهم ومكاسبهم ويحفظوا

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٠٦/١؛ حديث أبي الفضل الزهري: ١٧٧/٢؛ جامع الأحاديث:
 ١٨٧/١٩، ح ١٤٠٢٦.

أموالهم بالتجارة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«الزليل»^(١) نوع من انتقال الجسم عن مكان إلى مكان، واستعير لانتقال النعمة من المنعم إلى المنعم عليه، فقيل: أزل فلان نعمة إلى فلان وأزلتُ إليه يد النعمة، فعليه أن يشكرها بالمقال إن لم يقدر أن يكافئها بالفعال.
وقيل: شكر نعمة الله إسداؤها - أي مستحقها - .

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومن اعتاد ترك الشكر على القليل من النعمة يؤدِّيه ذلك إلى تركه عند الكثير إذا أصابه، لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«التعزية» في اللغة التقوية، يقول: من عَزَّى الذي أصابته المصيبة على طريق السنة يجد من الثواب مثل أجر المصاب الذي وعده الله على مصيبته إذا صبر عليها وتلقاها بالرضا والقبول من الله.

قال تعالى: «إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ»^(٢) (الآية).

وقال الميثاق: «مَنْ عَزَّى أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ بِمُصِيبَةٍ كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّالَ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

مَنْ فَطَرَ صَائِبًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ * مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي رَفَقَ اللَّهُ بِهِ
* مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ * مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ
ظَلَمَهُ فَقَدْ ائْتَصَرَ * مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ فَقَدْ أَجْرَمَ * مَنْ تَشَبَّهَ
بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ * مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ * مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ
عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ بيان الخبر الأول [في] تمامه وهو: «غَيْرُ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ

١. في خ: الدليل، راجع: الفائق في غريب الحديث: ٩٠/٢.

٢. البقرة: ١٥٦.

٣. مسند عبد بن حميد: ١١٩، ح ٢٨٧؛ سنن ابن ماجه: ٥١١/١، ح ١٦٠١؛ جامع الأحاديث: ٢٩٥/٦، ح ١٨٨٦٧.

شَيْءٌ»^(١)، ويعتبر ذلك على حسب الإمكان دون التكليف بما لا يطاق. ويقال: أفطر الصائم وفطرته إذاً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«الرفق» ضد العنف، ورفقت به وأرفقت: نفعته. والمعنى: من تساهل مع أمّتي في أفعالهم وأقوالهم - وإن شقّ عليه ذلك - يجازيه الله يوم القيامة بالمسامحة والمساهلة معه.

ويجوز أن يراد بذلك أنّه إذا كان متولياً لأُمور المسلمين في الدين والدنيا ولا يعامل الرعيّة بالغلظة والعنف والخشونة، بل يداريهم^(٢) ويلانهم قولاً وفعلًا؛ والله تعالى يجازيهم بمثل ذلك إذا كان غيره في شدّة المناقشة، وربّما يجازيه عاجلاً^(٣) أيضاً بأسباب آخر يؤول إلى نظام الدين وصلاح الدنيا.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«المخرقة»: البستان، حيثُ يُعَالَجُ على عيادة المرضى والقيام بأدائها. يقول: الذي اعتاد عيادة المسلمين إذا مرضوا من غير تمييز بين الأصغر والأكابر وذوي الأقدار والضعفاء، فما دام يسعى في العيادة ذاهباً وجائياً وقائماً وقاعداً فهو في رياض غرفة في الجنة؛ يعني: يشبههم الله لجميع ذلك.

وروي: «عَائِدِ الْمَرِيضِ عَلَى مَخَارِفِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٤).

و«المخرقة» نخلات يخترفن،^(٥) أي: يقتطعن؛ والمعنى: يقطع ثمرها؛ و«المخرقة» أيضاً الطريق الواضح.

١. سنن الترمذي: ١٧١/٣، ح ٨٠٧؛ صحيح بن حبان: ٤٩١/١٠، ح ٤٦٣٣؛ جامع الأحاديث: ٦٩/٧، ح ٢٠٩٤١.

٢. في خ: يداريهم.

٣. في خ: علاجاً.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٨١/١؛ الحاوي الكبير: ٤٤/١٦؛ والمخارف جمع مخرف، وهو المخايط.

٥. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٣٥٩/١.

بَيَانُ الْجَبَرِ وللخبر الرابع معنيان:

أحدها أن يكون الخبر رخصة في الدعاء على الظالم، فإنه انتقام، والانتقام جائز في الشرع، قال الله تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ»^(١).

والثاني: أنه ورد كلاماً بکراهة أن يدعو المظلوم على ظالمه؛ يقول: من دعا على الظالم بسوء فقد أخذ حظاً نفسه من النصرة عليه، وذلك لأنّ دعائه له بسوء مثل التشقي^(٢) ودرك الغيظ، وتلك أمنية النفس وهواها.

وروي: «أنّ الرجل ليُظلم بالمظلومة فلا يزال يدعو على الظالم حتّى يستوفي حقه، فيكون للظالم على المظلوم حق»^(٣).

بَيَانُ الْجَبَرِ ثم استعظم أمر الظالم، فقال: المشي معه جرم وإن كان قدماً.

وقيل: «المشي» ههنا حسن الاهتمام في أمور الظالم أو الميل الصادق إلى هواه ورأيه على غير الحق وطريق السداد والصواب والأدب، فمن فعل ذلك فقد دخل في الجرم، وهو الإثم العظيم.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثم نهى عنه بعبارة أخرى عن مثل ذلك، فكأنه قال: لا تشبهوا بالظلمة والفسقة أن يتلبسوا لباسهم، فإنه يحكم كل من لقيكم أنكم منهم.

وللتشبه في الشرع حكم، ألا ترى أنّ عند الفقهاء فيمن شبّه ثيابه بثياب المجوس أن يحكم بكفره ويعامل بمعاملتهم، والأشبه أن يكون هذا أمراً للصالح أن يكون هزيّ الصالحين ويتزيّا بهياتهم في اللباس والمعاش، لئلا يتشوّش حاله على غيره.

بَيَانُ الْجَبَرِ وقوله: «من طلب العلم تكفل الله برزقه»، له معنيان:

١. النساء: ١٤٨.

٢. في خ: التشقي.

٣. حلية الأولياء: ٢٧٧/٥؛ سراج الملوك: ١٢٥.

أحدهما: أن طالب العلم يكون في الأحوال مكفي المؤونة، يأتيه ما يحتاج إليه من الرزق عفواً، لأن الله قد ضمنه.

والوجه الثاني: ترغيب لطلاب العلم بأن الله ضامن من أن يرزقهم جميع ما يطلبون من العلم.

والحديث دال على حسن مراعاة طلبه، وما يجب على الطالب من الكد والجهد البليغ في الطلب والمبالغة في حسن الأدب والحرمة حالة التعلم، ليجتبي ثمره طلبه الموعودة في عاجله وآجله.

بيان الخبر وروي: «من لم ينفعه فقهه ضرره جهله»^(١). ومعناه - على العموم الذي قدّمناه - : أن من لم يعمل بعلمه ولم يعلمه غيره صار علمه نسياً منسياً، ويعود جاهلاً بعد كونه عالماً، فيضره جهله، والجهل على الأحوال مضر.

وقيل: معناه: من لم يتعلم العلم ليصل إليه خيره، أو يعلم ولم ينتفع به، وهو إذا علم ولم يعمل به، يصبه لا محالة ضرر الجهل وخذلانه وعدم الانتفاع به. وقيل: أن لكل إنسان علماً وجهلاً، فإذا لم ينفعه ذلك يضره هذا.

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ * مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا فَقَدْ ذُبِحَ
بِغَيْرِ سِكِّينٍ * مَنْ حَمَلَ سِلْعَتَهُ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبَرِ * مَنْ يُشَادَّ
هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ * مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ لَمْ يَنْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ *
مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ * مَنْ صَامَ الْأَبَدَ فَلَا
صَامَ

بيان الخبر وفي الخبر الأول استعارة، والمراد: أن من تأخر بسوء عمله عن مواقف الفضل

لم يتقدّم إليها بشرف نسبه، فجعل الإبطاء والإسراع مكان التأخر والتقدّم، لأنّ المبطئ متأخّر والمسرّع متقدّم.

وأضافهما^(١) إلى العمل والنسب، وهما في الحقيقة لصاحبيهما لا لهما، ولكنّ العمل والنسب لهما كانا سبب الإبطاء والإسراع حسن أن يضاف ذلك إليهما مجازاً. وهذا نهى عن المباهات بالأنساب والاكتفاء بالأحساب والافتخار بالآباء على من دونهم في الدرجات الدنياوية.

يقول: إنّ ذلك لا ينفع بالقيامّة مع عدم العمل الصالح؛ والأحسن أن يكون معناه على العموم، ويجب من كان له أب فاضل على أن يحصل له هو أيضاً العلم لينفعه فضله وفضل أبيه في الدارين، فإن لم يكن لابن العالم علم لا ينفعه منزلة^(٢) أبيه، فن أبطأ عند المفاخرة به عمل جميل لم يسرع بجأه نسب جليل.

إنّ السريّ هو السريّ بنفسه ابن السري إذا سري أسراها^(٣)
مِنَ الْخَبَرِ والخبر الثاني له معنيان:

أحدهما: أنّه التحذير من طلب القضاء، يقول: من تعرّض للقضاء وطلب فقد تصدّى الذبح، فمن حقّه أن يتوقّى ويتحدّر عن طلبه.

والثاني: أن يكون الخبر في حق من دعاه رسول الله إلى ذلك، فإنّه يجب عليه القيام به، وينبغي له أن يجاهد نفسه أكثر المجاهدة التي كانت قبل ذلك، فكأنّ الذبح بغير سكّين عبارة عن مجاهدة النفس بترك الهوى واحتمال أعباء^(٤) القضاء، وليس ذلك

١. وأضاف الإبطاء والإسراع.

٢. في خ: ومنزلة.

٣. راجع: منتخب الكلام في تفسير الأحلام: ٥٤٩؛ يتيمة الدهر: ٢٢٥/٣؛ معجم الأدباء: ٢٥٧/٤.

٤. جمع العبء، وهو الثقل من أي شيء كان.

بكراهية القضاء على هذا الوجه.

يُنَالُ الْجَبَرُ وروى: أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَحْمِلُ سِلْعَتَهُ فَأَمَرَ أَمَّتَهُ بِذَلِكَ أَيْضاً، احْتِرَازاً مِنَ الْكِبَرِ وَالنَّخْوَةِ، وَهَذَا حَتَّى عَلَى التَّوَضُّعِ وَاسْتِعْمَالِهِ سِرّاً وَجَهراً، وَدَعَاءٌ إِلَى انْكَسَارِ النَّفْسِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَلَا أَخْذَ^(١) بِآدَابِ الْمَشَايِخِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ نَهَى عَنْ تَحْرِيمِ الْمُبَاحَاتِ مِثْلَ أَكْلِ اللَّحُومِ وَالنَّوْمِ عَلَى الْوُثِيرِ^(٢) مِنَ الثِّيَابِ، وَالتَّوَضُّعِ بِمَاءِ الْمَسْخَنِ فِي السَّرَاتِ، وَأَنْ لَا تَقْبَلَ رَخِصُ الشَّرْعِ بِأَنْ يَشْتَدَّ عَلَى نَفْسِهِ وَيَكَابِدَهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، إِذْ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَغْلِبَهُ أَدَاءُ الْمَفْرُوضَاتِ وَلَا يَطِيقَهَا.

يقول: مَنْ يَشْتَدُّ عَلَى نَفْسِهِ فِي هَذَا الدِّينِ يَغْلِبُهُ الدِّينُ عَلَى الْكُلِّ.

يُنَالُ الْجَبَرُ وروى أيضاً عَنْهُ إِذَا: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِي فَلَا أَنَالَهُ اللَّهُ شَفَاعَتِي»^(٣)، يَرِيدُ: أَنَّ الْكَاذِبَ بِالشَّفَاعَةِ يَدْخُلُ فِي إِنْكَارِ الْمَعْجِزَةِ الدَّالَّةِ عَلَى النَّبُوءَةِ، وَالْمُنْكَرِ لِنُبُوءَتِي يَحْرِمُ مِنْ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: الْمُؤْمِنُ إِذَا أَحْسَنَ اسْتَبْشَرَ، وَإِذَا أَسَاءَ حَزَنَ؛ لِأَنَّ مَنْ اغْتَمَّ قَلْبُهُ بِسَيِّئَةٍ اقْتَرَفَهَا أَوْ فَرَحَ بِحَسَنَةٍ عَمِلَ بِهَا، فَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ لِيَقِينُ لَهُ بَدَارُ الْجَزَاءِ وَعِلْمُهُ بِصَحَّةِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الْآخِرِ: أَنَّ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ وَلَا يَفْطُرُ الْعِيدِينَ أَيْضاً لَا يَكُونُ^(٤) لَهُ ثَوَابٌ عَلَى مَا صَامَ؛ لِأَنَّهُ مَا آمَنَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالْكَافِرُ لَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ.

١. في خ: أحد.

٢. الوثير، الوثر: الثوب الذي تجلّل به الثياب فيعلوها.

٣. الأماشي (للصدوق): ٥٦؛ بحار الأنوار: ٣٤/٨، باب ٢٦، ح ٤.

٤. خ: ولا يكون.

وقيل: أراد: من عود نفسه صوم الدهر صار ذلك عادةً وإن كان عبادة، وزال عنه مشقته، فلا يكون صومه كصوم من احتمل المشقة فيه؛ فكأنه يدعو إلى صوم الدهر ليسهل العبادة على البدن؛ وهذا كمن لم يذق الخمر قط، فهو أعظم ثواباً ممن كان شريباً^(١) ثم تاب، وتركه على هذا أشق.

مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ * مَنْ يَشْتَهِي كَرَامَةَ الْآخِرَةِ
يَدْعُ زِينَةَ الدُّنْيَا * مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ
* مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ *
مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ

يُنَاقِضُ يَقُولُ: اجتهد في العبادات في حال الشباب ووقت سواد الرأس وقوة البدن، ولا تؤخرها إلى وقت المشيب، فلعلك لا تبلغه، والاحتياط في كل أمر الأخذ بالقول. ألا ترى أن من سار الليل كله فعند الصباح يُحمد سراه؛ و«أدلى»: سار الليل كله مخفّف، وإذا سار سحراً فهو مشدّد، ويوضع هذا في أمر الدين والدنيا وفي جميع الأمور العظام، نيل المعالي في غيبها،^(٢) وفيه أمر بالمكائدة لأجل ما ذكرناه. وقيل: أراد به صلاة بالمنزل منزلة الحسن^(٣) في الجنة؛ فعلى هذا، الرواية بالتشديد أحسن.

يُنَاقِضُ يَقُولُ: حذر عن طلب الدنيا وزينتها، لأنه لا بقاء لها، ومن كان في سفر ولا

١. الشريب والشروب: الكثير الشرب.

٢. راجع: الأمثال لابن سلام: ٣١.

٣. كذا في خ.

أبالي^(١) بأحوال الطريق وإثنا غرضه الموضع الذي يقصده، فكذلك من كان مريداً للكرامة في دار البقاء يترك زينة دار الفناء.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَمَنْ صَلَّى كَثِيراً فِي ظِلْمِ اللَّيْلِ كَانَ وَجْهَهُ مَنْوِراً.

وقيل: معناه: حسن علمه^(٢) بالنهار، فيكون صلاة الليل لطفاً في طاعات النهار.

وقيل: أراد بالنهار نهار القيامة على المعنى الأول.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومفهوم الخبر الرابع: أنه لا يسع حُبَّان في قلب واحد: حب الدنيا، وحب الآخرة؛ ولا ينتظم أمرهما.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«سلطان الله» هو الذي يكون من قبل الله، و«إهانتة» ترك أمره في الطاعة، و«إكرامه» المسارعة إلى أمره في طاعة الله.

وقيل: من نظر إليه بعين الإكرام والتعظيم فذلك علامة تعظيم الله، والله يكرمه في الدارين، وكذلك الكلام في الإهانة.

وفيه دليل على أنه لا يجوز قتال سلطان الله والخروج عليه، فمن فعل ذلك كان من أهل البغي وخارجاً من دائرة الحق.

وقيل: أراد به «القرآن» الذي هو كتاب الله الجامع لأحكام الشرع والحجة الباقية لنبوة محمد، و«السلطان»: أوضح الحجة والبرهان.

مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيدُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافَتْهُ فَلَنْ لَمْ تَحِيدُوا

١. كذا في خ، ولعل الأنسب: سفر لا أبالي.

٢. كذا في خ، ولعل الصحيح: عمله؛ وعلى هذا يكون المعنى: من صلى كثيراً في ظلم الليل حسن عمله بالنهار.

فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ * مَنْ مَشَى مِنْكُمْ إِلَى
طَمْعٍ فَلَيْمُسِ رُوَيْدًا * وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا
كَانَ كَمَنْ عَمَلَهُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يقول: إن إعادة المستعيز وإعطاء السائل وإجابة الداعي من مواجب الكرم، فإذا كان هؤلاء الثلاثة يطلبون مراداتهم منكم بحق الله مستعينين^(١) إليكم باسم الله، فيكون ذلك من واجبات الدين؛ أي: من سألکم الملجأ متوسلاً بالله فأنزلوه بملجأكم، ومن طلب العطاء منكم بوسيلة الله فلا تخيبوه، ومن دعاكم إلى معونة لنفسه وإلى وليمة أو إملاك أو ختان أو غير ذلك فأحسنوا إجابته. ومن فعل معكم إحساناً يلزم المكافاة عليكم بسببه، فقوموا بحق المكافاة.

وتأمله: «فَإِنْ لَمْ تَحْجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ»؛ وهذه رخصة بجهد الدعاء على الشكر والثناء؛ لأنه روي: «مَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ»^(٢)، يعني كفر تلك النعمة. بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم حَرَّضَ عَلَى التَّوَدَّةِ^(٣) والمهل في السعي إلى الأمور الدنياوية، ومن حق كل واحد منكم أيها المسلمون إذا أراد أمراً منها أن يتفكر أولاً هل له الإقدام عليه أم لا، فإن كان ذلك مباحاً فلا يسعى إليه بطمع شديد، فإنه سبب الذل والهوان، بل يمشي إليه رويداً على رفق، فلعل الله يفتح عليه باباً ويقتض له أسباباً إذا كان على هذه الأهياة المأمور بها.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الأخير: أَنْ كُلَّ مَنْ رَضِيَ أَعْمَالَ قَوْمِهِ طَاعَةً كَانَتْ أَوْ مَعْصِيَةً، فالله يجازيه على حسب نياتة؛ فلا يرضوا إلا ما رضى الله، لأن من حضر معصية

١. في غ: مستعينين.

٢. سنن الترمذي: ٣٧٩/٤، ح ٢٣٤؛ كنز العمال: ١٠٨/٣، ح ٦٤٧٢.

٣. الثاني.

وكرهها فكأنه غاب عنها، ومن لم يحضر معصية فأحبها فكأنه حضرها.

مَنْ عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الْعَمْرِ * مَنْ أَصْبَحَ لَا
يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا جَنَى * مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا
غِيْبَةَ لَهُ * مَنْ سَأَلَتْهُ حَاطِيَّتُهُ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ * مَنْ
خَافَ اللَّهَ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ * مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ
كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ

بَيَانُ الْجَبَرِ أَي: مَنْ عَاشَ هَذِهِ الْمُدَّةَ فَقَدْ اسْتَوْجِبَ أَنْ يَعْذَرَ وَيَقْضَى مَا عَلَيْهِ.
وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْذَرَ إِلَى كُلِّ مَنْ كَلَّفَهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ هَيَّأَ لَهُ وَأَعْطَاهُ جَمِيعَ مَا
اِحْتِاجَ إِلَيْهِ فِي أَسْبَابِ تَكْلِيفِهِ وَإِنْ عَمَّرَهُ مَدَّةً قَرِيبَةً، فَأَمَّا مَنْ عَمَّرَهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ
بِهِ أَقْصَى الْعَذْرِ.

وروي: «مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْحِصَادِ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرَادِ»^(١).
بَيَانُ الْجَبَرِ وَفِي الْخَبَرِ الثَّانِي إِخْبَارٌ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ مَعَ الْعَبْدِ فِي نِيَّاتِهِ. يَقُولُ: إِذَا
أَمْسَكَتَ عَنِ الظُّلْمِ فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَكَ مَا جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْعَصِيَانِ.
بَيَانُ الْجَبَرِ وَ«الْجِلْبَابُ»: كُلُّ مَا يَسْتُرُ الْإِنْسَانَ بِهِ نَفْسَهُ. وَالْمَعْنَى: مَنْ هَتَكَ سِتْرَ نَفْسِهِ
بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي ظَاهِرًا فَلَا يَأْتُمُّ مِنْ يَغْتَابُ وَرَاءَهُ، لَا اسْتِخْفَافَهُ أَمْرَ اللَّهِ وَحَرَمَةَ
الْإِسْلَامِ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَوَّى رَجَاءَ أُمَّتِهِ بِسَعَةِ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَقَالَ: الْمُؤْمِنُ إِذَا ارْتَكَبَ ذَنْبًا ثُمَّ
حَزَنَ، فَاللَّهُ الْكَرِيمُ يَغْفِرُ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

وقيل: معناه: أن الندم بالباطن على الخطيئة يسترها، وإن لم يطلب الغفران منها صاحبها ظاهراً؛ لأن فعل القلب في مواضع أقوى من عمل البدن سياً ههنا.

بيان الخبر ثم قال: من خاف الله وأتقى عقابه منه خاف منه كل شيء، ومن لم يخف عقاب الله خاف من كل شيء. وخوف الله لا يشبه خوف المخلوقين؛ لأن من خاف الله هرب إليه، ومن خاف شيئاً غيره هرب منه.

بيان الخبر ثم قال: من أحب ثواب الله ورضاه وآثر الآخرة على الدنيا واختار ما عند الله فالله أتابه مريداً لإثابته، ومن كره القدوم على الله والارتحال إلى دار الجزاء وزكّن الدنيا وترك الاستعداد للموت فالله يكره إثابته.

و«اللقاء»: البعث والنشور، وليس الغرض بقاء الله الموت، لأن كلاً يكرهه حتى الأنبياء.

وتام الخبر: «والموت دون لقاء الله»^(١)، يبين أن الموت غير اللقاء، ومعناه: وهو معترض دون العرض المطلوب فيجب أن يصبر عليه حتى يتحظى إلى الفوز بالثواب.

مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ الْجَمْعُ بِلَجَامٍ مِنَ النَّارِ * مَنْ اسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ * مَنْ فُتِحَ لَهُ
بَابٌ خَيْرٌ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ * مَنْ كَظَمَ
غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَادِهِ مَلَأَ^(٢) اللَّهُ قَلْبَهُ أُمْنًا وَإِيمَانًا * مَنْ
سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْمَرَّةَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ

بيان الخبر يقول: إن كل من سأل عن علم وهو عالم به فأمسك لسانه عن

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢/٣؛ بحر الفوائد: ٢٥؛ الفائق في غريب الحديث: ٣/٣٢٥.

٢. كذا في المصدر، وفي خ: ملأه.

الإخبار والإظهار له يعاقب في الآخرة، بأن يجعل في رأسه لجام من النار؛ وهذا من العلم الذي يلزمه تعليمه إتياء ويتعين عليه فرضه، كمن رأى كافراً يريد الإسلام ولا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها، يقول: علّموني كيف أصلي؛ وكمن جاء مستفتياً في حلال وحرام، يقول: افتوني وارشدوني؛ فإنه يجب عليه أن لا يمنع الجواب، فإن منع يعاقب بلجام من النار.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى الطَّاعَاتِ سِرّاً بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ لِيَكُونَ أَعْظَمَ ثَوَاباً. و«الخبئية»: طاعة مخبوءة مستورة عن أعين الناس. وقيل: يريد: عليك أن تجتهد في الطلب والقيام على موجبات الأمر، لكيلا يعود إليك سوء التقصير وندامة العاقبة. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثالث: أن من كان له مال وقوة يمكنه الإحسان إلى المسلمين والصيام والصلاة والحج فليغتنم، وليعط المستحقين، وليتناهز الفرصة^(١) في إقامة الصلوات ومداومة الصيام ونحوها قبل أن لا يقدر على شيء من ذلك. ومفهوم الخبر: أن من حق من فتح الله عليه أبواب الخيرات أن يعرف قدر نعمة المنعم، ويطاع في أحوال من مضى من القرون بمن حمدوا وشكروا ومن جحدوا وكفروا؛ ويغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل العجز، وبذل المال - إذا كان متمكناً - من قبل أن لا يمكنه ولا يقدر عليه؛ ثم إنه لا يعلم متى يستوجه الحرمان.

و«التهزة»: الفرصة، وانتهاز: اغتنم.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وأمر رابعاً بكظم الغيظ، يقول: من تأخر عن إمضاء غيظه على طريق المجاهدة مع نفسه صابراً على ما ناله من المكروه والأذى، ولا يظهر المكافاة بالقول أو الفعل مع القدرة على إمضاء غيظه، جزاه الله على حسن فعله هذا بأمان الدارين، ووقفه للثبات على جميع شعب الإيمان.

١. تناهز الفرصة: اغتنمها.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير: أَنْ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَاطِنِهِ وَصَفَاءِ سِرِّهِ حَلَاوَةً مَا
اعتقد من خلوص الإيمان بالله، فعليه من حيث الواجب أَنْ يُؤَالِيَ فِي اللَّهِ وَيُعَادِي فِي
اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ.

مَنْ جَمَعَ^(١) مَالاً مِنْ تَهَاوُشٍ أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي تَهَاوُشٍ * مَنْ آتَرَ مَحَبَّةَ
اللَّهِ عَلَى مَحَبَّةِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوُوتَةَ النَّاسِ * مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ
شِبْرًا فَقَدْ خُلِعَ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ * مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ
وَاسْتَدَلَّ الْإِمَارَةَ لَقِيَ اللَّهَ وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ * مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ
مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً * مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُجَّةٌ * مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْكُنَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ
فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يقول: من جمع مالا كثيرا من الحرام عرض الله جميعه للهلاك، «التهاوش»:
الحرام، وروي بالميم وهو الاختلاط،^(٢) وروي بالتاء، «تهاوش» وضم الواو «ابن
دريد»،^(٣) وذكر أنه مصدر، يقال: قوم متهاوشون أي مختلطون، أي يكسب من ههنا
وههنا ولا يبالي من أين يأخذه؛ وأصله ما أصيب من غير حله. و«النهاير»: المهالك.
وقيل: من أصاب أموالاً مختلطة من الحلال والحرام إثمًا إرثًا وإثمًا كسبًا خذله الله
حتى ينفقه في مذاهب سوء وعلى غير طريق الحق؛ و«النهاير»: الحفائر.
وهذا إشارة إلى أنه يكره متابعة ومشاركة من أكثر ماله من التخليط.

١. في الشهاب ومسند الشهاب: أصاب؛ راجع: ٢٠٧/١.

٢. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٨٦/٤؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧٣/٢؛ الفائق: ١١٨/٤.

٣. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧٦/١؛ غريب الحديث للخطابي: ٥٦١/٢.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: من اختار محبة الله ورضاه على رضا الخلق أذهب الله عن خاطره تفكر المؤمن؛ لأن كافيها مع التفكير وغيره هو الله تعالى وأرضى الخلق عنه. و«المحبة»: ميلك إلى الشيء بكليتك.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«ربقة الإسلام»: عقدة الإسلام، و«الربق»: الخيط الذي يشد بها الدابة، فإذا خلعت لا يؤمن عليها الضياع.

وروي: «من فارق الجماعة قيد شبر»^(١)، و«القيد»: المقدار.

والمعنى: من خرج من بين جماعة الحق وفارقهم في الأمر الذي أجمعوا عليه فقد هلك وضل.

وتمام الحديث: «إلا أن يراجع»^(٢)، وهذا دليل على أن من رجع من حال البدعة.^(٣) بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: من فارق الجماعة، وطاعن في طاعة الإمام العادل، ونظر إليه وإلى إمارته التي هي من قبل الله بعين الحقارة، ولا يراها أمراً يوجب المتابعة أو مطاباً للحق، لقي الله يوم القيامة ولا قدر له ولا منزلة. ومعنى «لقى الله» أي عاين موضع حكمه وعدله في عرصات المحشر.

وقيل في معنى «لا وجه له»: أي لا ثواب له ولا عذر له ولا مقدار.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وروي: «ميتة الجاهلية»^(٤) الضالة عن الحق والصدق، ويقال: جاهلية جهلاً.

١. مسند الطيالسي: ١٥٩، ح ١١٦٢؛ صحيح ابن خزيمة: ١٩٥/٣؛ جامع الأحاديث: ٢٩١/١٨، ح ١٢٣٤٩.

٢. نصه هذا: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ»، راجع: مسند الطيالسي: ١٥٩، ح ١١٦٢؛ المستدرک على الصحيحين: ٥٨٢/١، ح ١٥٣٤؛ جامع الأحاديث: ٢٦٤/٢، ح ٥٢٧٨.

٣. كذا في خ: والظاهر في العبارة سقطه.

٤. مسند أحمد: ١٣٣/٢، ح ٦١٦٦؛ شعب الإيمان: ٦٠/٦، ح ٧٤٩٥.

على المبالغة.

يُنَازِلُ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: من جذب يده من طاعة الإمام العادل بعد المبايعة له وانتهى عن طاعته الواجبة، لا حجة له يوم القيامة؛ فإنه اختار فسادَه على صلاحه.

يُنَازِلُ الْجَبَرُ وَمَنْ فَرَحَ بِسُكُونِ الْجَنَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يَسْكُنَهَا لَزِمَ جَمَاعَةُ الْحَقِّ.

وبيانه في تمامه، وهو: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبَعْدُ»^(١).

و«البحبوحة»: الوسط، وأراد بذلك تفضيل الموضع وشرفه على غيره من الأمكنة.

مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتُهُ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * مَنْ كَفَّ
لِسَانَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَثْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *
مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
* [مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ] * مَنْ
انْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظْلُهُ تَحْتَ [ظِلِّ] عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا
ظِلُّهُ * مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جُعِلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ
مِنْ نَارٍ

يُنَازِلُ الْجَبَرُ يريد: من ردَّ بيع نادم أو بيعته بعد الصَّحَّة والإبرام تجاوز الله عن زلته وسقطته. وهذا الثواب الموعود ههنا لأجل كسر النفس وترك أمنيَّتها والإمساك عن شهواتها. والإقالة للبيع هو فسخ له.

يُنَازِلُ الْجَبَرُ ومن منع لسانه وكلامه عن اغتياب الناس والوقية في أعراضهم والتصرُّف في أمورهم بنوع لا يجدي له خيراً ديناً ولا دنياً جزاءه الله، بأن يبدل سيئاته حسنات

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٠٥؛ مسند الشهاب: ١/٢٧٧، ح ٤٥١؛ جامع الأحاديث: ٧/٢٣١،

ويقبل عثرته بمغفرة تكون ذريعة إلى نجاته في القيامة.

يُنَاقِ الْجَبْرَ ومعنى الخبر الثالث: أن من كان له جارية لها طفل يبيع أحدهما ويمسك الآخر، ويفرق بين الولد ووالدته عاقبه الله بما ذكر في هذا الحديث من الوعيد؛ والتفريق بين كل والدته وولدها مكروه، وأشدّه كراهةً في حال الصغر.

ولو قلنا: إن التفريق بين الوالد وولده والأخ والأخت أيضاً مكروه، لم يستبعد لأجل حمل المسكوت على المنطوق، بل لإدخال الضرر والوحشة في الفرقة بين الناس.

يُنَاقِ الْجَبْرَ ثم ذكر أن لشبهة المؤمن منزلة شريفة عند الله، يقول: نور الإسلام ونور الشيب إذا اجتماعا في [واحد] يصيران يوم القيامة نوراً واحداً، يضيء لصاحبه في ظلمة القيامة.

وقال تعالى: «الشَّيْبُ نُورِي، وَأَنَا أَسْتَحْيِي أَنْ أَحَرَّقَ نُورِي بِنَارِي»^(١).

يُنَاقِ الْجَبْرَ ثم ذكر خبراً كأنه تفسير قوله تعالى: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ»^(٢).

والمعنى: من أمهل فقيراً له عليه دين إلى أن استغنى أو حطَّ له عن حقِّ الواجب عليه، أنزله الله تحت ظلِّ عرشه وتحت كنف رحمته. ومفهومه هذا إذا كان المديون معسراً، فإن كان موسراً يكون الفضيلة دونه.

يُنَاقِ الْجَبْرَ ثم نهى عن النعمة وذكر وعداً عليها. وقال: إن كل ذي كلامين بين الناس على وجه الفتنة والوحشة المؤذية، يقول مع هذا بوجه ومع ذلك بوجه آخر من الكلام، جعل الله أيضاً عقوبته ومكافاته على سوء فعله بين الجانبيين على حسب كلامه،

١. راجع: فضائل الشيعة: ٢١؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٣٠/٥، ح ٨٠٣٩؛ جامع الأحاديث: ٣٢٣/٩.

ح ٢٨٧٢٤؛ والظاهر أنه كلامه تعالى في الزبور، راجع: التمثيل والمحاضرة: ٣.

٢. البقرة: ٢٨٠.

وسلطا عليه لسانين من نار.

ولسانها لهبها؛ وقيل: المراد اللسان الذي هو الجارحة.

مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ * مَنْ كَانَ
أَمِراً بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ * مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ
صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ * مَنْ أَسْلَمَ
عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ في الخبر الأول نهي عن الاطلاع في كتاب أو رقعة فيه أمانة مودعة أو سر
مكتوم، دون الكتب والدفاتر التي فيها علم وبيان حلال وحرام، فإنه لا يجوز كتابته ولا
يحلّ منعه؛ والأولى أن يكون عاماً في كل كتاب، لأن صاحب الشيء أولى بملكه من
غيره.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم ذكر سيرة من يأمر بالمعروف، يجب عليه أن ينزه نفسه عن جميع ما ينهى
عنه الناس أو يأتي بالفعل الذي يأمر الناس به على وجه حسن وعلى طريقة لا منكر
فيها، ليؤثر أمره ونهيّه في قلوب الناس، ولا يأخذها الله تعالى بالقول كما يأخذ غيره
بالفعل.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وتقدير الخبر الثالث: من أخلص أفعاله لله ^(١) أربعين صباحاً ظهرت؛ أي: من
طهر قلبه من الذنوب، وغسله غسلًا نظيفاً في الأسحار بهاء العين، ويخلص التوبة فيما
بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس، ويجعل سريره وعلايته واحدة مستقيمة، ويحفظ
لسانه من الغيبة والكفّ وقول ^(٢) الزور والباطل، ويعود لسانه كثرة ذكر الله والدعاء

١. في خ: لأن.

٢. كذا في خ.

والاستغفار والشكر وتلاوة القرآن؛ فحينئذ أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه.
و«عمل الأربعين» من قول الله: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(١).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير: أن من أسلم على يديه رجل، يستحق الدرجات في الجنة ببركة إسلامه ولدلالته عليه، كما أن من أسلم استحق الجنة بخروجه من الكفر إلى دين الإسلام، «وَالَّذَالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَقَاعِلِهِ»^(٢).

وقيل: من أسلم رجل على يده لا يكون ولاؤه له، لأن النبي وعد له الثواب العقباوي بذلك؛ و«الولاء لمن أعتق»^(٣)، وهذا ما أعتقه ولم يجر رق عليه.

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ * مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ * مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يقول: أن إكرام الضيف والجار والسكوت عن الباطل واللغو ثمرة الإيمان بالله والتصديق بالبعث والنشور، وإكرام الضيف هو أن يكرمه ويتحفه ويخصه ويحفظه يوماً وليلاً ويراعى أحواله.

والضيافة ثلاثة أيام، وما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه.^(٤)

وقيل: معناه: أنه يتكلف له إذا نزل الضيف عنده بما اتسع له من بر وإطاف، وفي

١. الأعراف: ١٤٢.

٢. فقرة من كلام رسول الله ﷺ راجع: الكافي: ٢٧/٤؛ الخصال: ١٣٤؛ سنن الترمذي: ١٤٧/٤.

٣. قاله رسول الله ﷺ، راجع: مسند أحمد: ٢١٣/٦، ح ٢٥٨٢٧.

٤. أشار إلى قول رسول الله ﷺ راجع: دعائم الإسلام: ١٠٧/٢؛ سنن الدارمي: ١٣٤/٢، ح ٢٠٣٥؛ صحيح البخاري: ٢٢٤٠/٥، ح ٥٦٧٣.

اليومين الآخرين يقدم له ما حضر، فإذا مضى الثالث فقد مضى حقه، فإن زاد عليها استوجب أجر الصدقة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَأَقْصَى الْجَوَارِ أَرْبَعُونَ دَاراً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَدْنَاهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً، ^(١) وَيَسْتَحَقُّ الْجَارُ مِنْكَ الْبَذْلَ وَالشَّفَقَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْإِهْتِمَامَ بِالْأُمُورِ ^(٢) اللَّائِقَةَ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقِيلَ: السُّكُوتُ يَكُونُ عَنِ الْجَوَابِ، وَالصَّمْتُ مَا يَكُونُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَهُوَ إِذَا أَرَادَ الْخَوْضَ فِي بَاطِلٍ يَمْسُكُ عَنْهُ. وَرَوَى: «مَنْ صَمِتَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ لِبِهِ» ^(٣).

مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * مَنْ
فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ * وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ *
وَمَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَاللَّهُ
تَعَالَى فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

هذه خمس وصايا في حق الإخوان.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَوَّلًا: مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ فِي حَالِ غِيْبَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ عَنْهُ أَعَانَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَلَا يَبْتَلِيهِ بِشَهَادَةِ أَعْدَائِهِ. و«النصر»: العون.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثَمَّ قَالَ: وَمَنْ كَشَفَ الْغُمُومَ عَنْ قَلْبِ مُؤْمِنٍ كَشَفَ اللَّهُ الْهَمُومَ عَنْ قَلْبِهِ فِي
الدَّارَيْنِ.

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حَرَّمَ الْمُسْجِدَ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً وَالْجَوَارِ أَرْبَعُونَ دَاراً مِنْ أَرْبَعَةِ جَوَانِبِهَا»؛ راجع: الحِصَالُ: ٥٤٤؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٣٨٥/١٠، ح ٥٩٨٢؛ سنن البيهقي: ٢٧٦/٦، ح ١٢٣٩١؛ كنز العمال: ٢٣/٩، ح ٤٨٩٥.

٢. في غ: والأُمُور.

٣. راجع: قوت القلوب: ١٧٣/١.

وهذا حثّ على مواساة الإخوان والشباب على طريقة حفاظ حقوق الحرمه والإسلام.

و«فَرَج» أي وسّع، والفرجة: الوسعة.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ ثُمَّ قَالَ: ومن قام عازماً على قضاء حاجة أخيه المؤمن قضي أو لم يقض وكان فيها خالصاً لله تعالى من غير رياء ولا سمعة، قضي الله حاجته عاجلاً وآجلاً البتة؛ وهذا ثمرة الأخوة في الدين.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ وإذا ارتكب مؤمن ذنباً في خبئة ساتروا^(١) ذلك على نفسه، ولا يحلّ المسلم أن يهتك ستره، فكلّ من كتم ذنوب مؤمن وخطاياهُ لئلا يشيع الفاحشة في الدين أمنوا ستر الله عليه؛ هذا إذا كان فعله من غير رغبة ورهبة له ممّن قد ستر عليه، فحينئذٍ لا يقع أجره على الله، لبعده عن الإخلاص^(٢).

يُنَازِلُ الْجَبْرَ والله يعين من أراد إعانة عبده المؤمن، سواء صدرت منه هذا العناية والمعونة بالقول أو الفعل على حسب طاقته وجهده، وهذا من فضل الله على العباد.

مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً، وَلَوْ مِثْلَ مِفْخَصِ قِطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ
* مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَذْرَكَهُ كُتِبَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ وَمَنْ طَلَبَ
الْعِلْمَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ كُتِبَ لَهُ كِفْلٌ مِنَ الْأَجْرِ * مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ
سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعٌ خَلَقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ * مَنْ طَلَبَ
الدُّنْيَا بِعَمَلٍ الْآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ

يُنَازِلُ الْجَبْرَ قال بعض الأئمة: ضرب النبي ﷺ المثل في الشيء بما لا يكاد يصحّ الوجود،

١. في خ: ساتراً.

٢. في خ: الخلاص.

لأنَّ قدر مفحص^(١) القطاة - وهو تجتم الطائر - لا يكون مسجداً لشخص آدمي^(٢).
ومثل هذا ما روي عنه عليه السلام: «لو سرقت فاطمة لقطعنها»^(٣)، وهي عليها السلام كانت معصومة؛ وكقوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ»^(٤)، وكيف يجوز الشرك من رسول الله؛ وهذا على سبيل المثل، يعني: من بنى مسجداً وإن كان مقدار الموضع الذي تفحص فيه قطاة، أي تحت في الصغر والضيق، يكون ثوابه ما ذكر في الحديث من الوعد الجميل.

ويمكن أن يقال تحقيق على بعض الوجوه، وهو: أن يكون لإنسان أرض في جنب مسجد، فيوسع المسجد بشيء قليل من أرضهم فيكون كالبناء له، لا يخلو الكلام من مجاز على وجه.

بيان الخبر ثم قال: من طلب أن يعلم شيئاً واجتهد حتى يدرك المعلوم على ما هو به، كتب له من الثواب نصيبان: أحدهما: فضل الطلب، والثاني: فضل الإدراك، وهو إحاطة العلم بمطلوبه؛ وإن لم يدرك يكتب له ثواب الطلب؛ ففي كلتا الحالتين لا يخلو من الأجر والثواب.

و«الكفل» في اللغة: النصيب، قال الله تعالى: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»^(٥)، وقال: «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا»^(٦).

وإذا قلت: أدركت العلم، كان أبلغ من أن تقول: علمت، يقال: أدركته ببصري أي

١. حفرة تحفرها القطاة أو الدجاجة لتبيض وترقد فيها.

٢. راجع: عون المعبود: ٢٣٤/١٢؛ تحفة الأحوذى: ٣٦٦/٧.

٣. الإيضاح: ٥١٤؛ سنن النسائي: ٣٣٣/٤، ح ٧٣٨٨؛ الأوائل (للمسكري): ١٢٣.

٤. الزمر: ٦٥.

٥. الحديد: ٢٨.

٦. النساء: ٨٥.

٢٠٠ ضياء الشهاب

رأيته، والإدراك للحقوق. ويقال: إدراك العلم لا يكون إلا بالعمل به وبتعليمه، فمن ارتكب المعاصي مع العلم لا يرى منفعته عاجلاً وآجلاً.

يُنَالُ الْخَيْرُ وروي: «سامع خلقه» بالرفع والنصب، و«أسامع خلقه»^(١)؛ ووجه الرفع أن يكون صفة الله في قوله: «سمِعَ الله به».

و«سمِعَ به» أي شهّره.

والنصب في الروایتين لكونه مفعولاً. و«التسمعة» أن يسمع المرء الناس عمله على سبيل الرياء، والتسميع أيضاً التشنيع. و«السامعة»: الأذن، قال: «كسامعتي شاة بِحَوْمَلٍ بمفرد»^(٢) ويحذف منه الهاء كالتمرّة والتمر.

والمعنى: من رأى بعمله وسمِعَ الناس بما يعمل في الخلوة ليكرّمونه ويعظّمونه شهّره الله يوم القيامة وفضّحه، حتّى يراه الناس وسمعوا ما يخلُ به من الفضيحة لما كان منه في الدنيا من حبّ الشهوة والتسمعة، وما كان فعل ذلك إلا رياءً وسمعةً، أي: ليراه الناس ويسمعوه.

و«الأسامع» جمع أسمع، وهي جمع سمع، يعني: من نوّه بعمله رياءً وسمعةً نوّه الله بريائه وتسميعه، وقرع به أسماع خلقه فتعارفوه واشتهروه بذلك، فيفتضح.

وإذ روي: «سامع» بالنصب، لكان المعنى: سمِعَ الله به كلّ من يكون له سمعٌ له من خلقه.

وقيل: أي يظهر الله للناس سريره الخبيثة، ويميلو أسماهم في الدنيا، ويفضّحه في

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٢٥؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ١٧٣.

٢. «مَوْلَانِ تَعْرِفَ الْعَتَقَ فِيهَا كَسَامَعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ»؛ أنشده طرفة بن العبد في بحر طويل، هو شاعر جاهلي توفّي سنة ستين قبل الهجرة النبوية؛ راجع: ديوان طرفة بن العبد: ٤؛ جمهرة أشعار العرب: ١٢٨؛ غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٧٠.

الآخرة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَأَمَّا الْخَيْرُ الْآخِرُ، فَعَنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ إِخْلَاصٍ وَإِنَّمَا يَرِيدُ الدُّنْيَا وَالتَّعْظِيمَ عِنْدَ الْخَلْقِ يَحَارِبُهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ نِيَّتِهِ فِي عَمَلِهِ، وَهُوَ يَبْعَدُهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَيُوَسِّسُهُ^(١) مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ.

مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَجِدْ لَهُ جَزَاءً إِلَّا الثَّنَاءَ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ
فَقَدْ كَفَرَهُ * مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا فَلْيُكَافِئْ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَنْكُرْهُ
فَإِنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ * مَنْ أَوْلَى رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ
مَعْرُوفًا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَافِئَهُ كَافَاتُهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِ: أَوَّلًا أَمْتُهُ بِالثَّنَاءِ عَلَى مَنْ أَتَى إِلَيْهِمْ مَعْرُوفًا عِنْدَ تَعَذُّرِ إِمْكَانِ
الْمُكَافَاةِ بِالْفِعْلِ وَغَيْرِهِ.

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالثَّنَاءُ هُوَ أَنْ يَقُولَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ
أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»^(٢).

«وَمَنْ كَتَمَهُ» أَيِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مَوْقُوعًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، «فَقَدْ كَفَرَهُ» يَعْنِي سَتَرَ
حَقَّهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى مُوجِبِ الْمُكَافَاةِ، وَالْهُدْيَةِ يَقْتَضِي الثَّوَابَ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَ«مَنْ أَوْلَى» أَيِ أُعْطِيَ مَعْرُوفًا، أَيِ هَدِيَّةً، وَهُوَ اسْمُ الْإِحْسَانِ، فَلْيُكَافِئْ بِهِ
إِنْ كَانَ يَعْلَمُ عَرْضَ الْمَهْدِيِّ إِلَيْهِ وَحَسَبَ حَالِهِ، لِأَنَّ إِهْدَاءَ الْهُدْيَةِ عَلَى مَنَازِلٍ وَمَرَاتِبٍ؛
«فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» أَيِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْمُكَافَاةِ «فَلْيَنْكُرْهُ» أَيِ لِيُدْعَ رَبَّهُ.

١. قطع أمله.

٢. مصنف عبد الرزاق: ٢/٢١٦، ح ٣١١٨؛ سنن الترمذي: ٤/٣٨٠، ح ٢٠٣٥؛ جامع الأحاديث: ١/٢٤٤،
ح ١٦٢٨ و ٥٨/٧، ح ٢٠٨٤٨.

وقيل: أن يخبر عنده وعند غيره: «فإن ذكره عند الناس شكره»، يعني: أن ذكر النعمة هو أداء لشكره.

يَبْلُغُ الْخَيْرَ وأراد به «بني عبد المطلب» كل من كان من نسل جدّه عبد المطلب وإن نزلوا، يعني من أحسن إلى قراباتي إحساناً ولم يكافئوه لعجزهم فأنا المكافئ له.

وروى الشيخ أبو بكر محمد بن موسى بن الفرّج الدربندي، في كتاب لحفه «باب الأبواب» و«شرح الشهاب»، ههنا عن النبي ﷺ أنه قال: «نَحْنُ وَلَدُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنَا وَحَمْرَةُ وَجَعْفَرُ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمُهْدِيُّ»^(١).

مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْودَةَ مِنْ قَبْرِهَا * مَنْ
انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مَوْنَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا * مَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ
بِمَعَاصِي اللَّهِ عَادَ خَامِدَةً مِنَ النَّاسِ دَامًا * مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ
بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ وَمَنْ التَّمَسَّ
رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسُ

يَبْلُغُ الْخَيْرَ ومعنى الخبر الأول: أن من رأى مضطراً فجبر عليه حالة المحتلة بصنع معروف أو دلّته عند الناس أو بتطبيب قلبه، كان فعله الجميل عند الله بمنزلة من أحيى مؤودة، وهي البنية^(٢) التي كانت تدفن في الجاهلية، وهي حيّة حتى تموت داخل

١. راجع: الأمالي (للصدوق): ٥٦٢-٥٦٣؛ بحار الأنوار: ٢٧٥/٢٢، باب ٥، ح ٢٢؛ وراجع: سنن ابن ماجه:

١٣٦٨/٢، ح ٤٠٨٧؛ المستدرک علی الصحیحین: ٢٣٣/٣، ح ٤٩٤٠؛ جامع الأحاديث: ٤٧٦/٧،

ح ٢٣٧٧٥.

٢. تصغير البنت.

قبرها، يقال من ذلك: وأدتُ الجارية وأداً، أي دفنتُها حيَّةً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: من تبرأ من حوله وقوته إلى الرجوع إلى الله والانقطاع إليه من الخلق أيضاً، يجعل الله له ذلك مخرجاً من كلِّ بلاء، ويرزقه من غير تقدير وهنداز^(١) ويكفيه المؤونات كلها؛ ومن يجعل نفسه عند الدنيا بحيث يكل جميع أموره إليها ويرى منافعه ومضاره من إقبالها وإدبارها، فعند ذلك يهلك في وسطها هلاك من فاتته الدنيا ولم يدرك خير الآخرة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثالث: من اختار على الحق غيره واعتمد عليه وطلب الخير من جانبه، يفوته جميع مأموله وتفيح^(٢) ذكره في الناس ويذهب بهاؤه بين الخلق بسبب إعراضه عن الواجب والحق.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: ومن علامة السعادة التماس رضا الحق على أي حال كان، ومن علامات الشقاوة التماس رضا المخلوقين على سخط الله، وهذا شر حال.

مَنْ مَاتَ عَلَى خَيْرِ عَمَلِهِ فَارْجُوا لَهُ خَيْراً وَمَنْ مَاتَ عَلَى سَيِّئِ عَمَلِهِ فَخَافُوا عَلَيْهِ وَلَا تَيَاسُوا * مَنْ أَذْنَبَ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً فَعُوقِبَ فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ أَتِيَّ عُقُوبَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَسْتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ نَبِّهَ أَوَّلًا عَلَى أَنَّ الوقوف على مقام الخوف والرجاء من أفضل العبودية، فإنه لا يجوز لأحد أن يحلف لأحد بالجنة وإن مات على حسنة، ولا على أحد من المؤمنين

١. الحد، معرب وأصله فارسية.

٢. انتشرت له سمعة سيئة؛ كذا في خ، ولعل الصحيح: ويفيح.

بالنار وإن مات على أسوأ حال؛ بل يأخذ بها هو منكور في الحديث. وفيه دليل على [أن] المؤمن لا يكفر بالذنوب.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وبيان الخبر الأخير في قوله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»^(١)، والكريم إذا عفا لا يعود. وقال عليّ عليه السلام: «من عني عنه في الدنيا عني عنه في الآخرة، ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه العقوبة في الآخرة»^(٢).

وفي الخبر إشارة قويّة إلى سعة فضل الله تعالى.

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَصُدُّهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِذَا خَلَا لَمْ يَعْبَأْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ * مَنْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو فَبِتِلْكَ اسْتِهَانَةً بِرَبِّهِ * مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَ أَقْوَتْ لَهُ لِمَا رَجَا وَأَقْرَبَ لِمُحْيِي مِمَّا اتَّقَى * مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا * مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ نَشَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا رِذَاءً يُعْرِفُ بِهِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ بيان الخبر الأول فيما روي: ما عرف عبد ربّه إلّا إذا خلا لم يخل مقامه، ومعناه: أن العمل لا يقع موقع القبول ومقتضاه إذا لم يقترنه الورع الصادق والخلوص لله في الأصل قولاً وعملاً على حسب ما ارتضاه، والله لا يبالي بعمل من لا ورع له. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم قال: من أطال الصلاة عند الناس وخفّفها في الخلوة فكأن الخلق لديه

١. الشورى: ٣٠.

٢. الكشف: ٢٣٠-٢٣١، ح ٩٩٦؛ تخرّيج الأحاديث والآثار: ٢٤١/٣.

أعظم من الخالق عليه، ومن لم يراقب عظمة الله وجلاله فكأنه استخفّ بشأنه^(١) واستهان، وهو يستحقّ المهانة والذلّ من الله، لأنّ وبال استهاتته يرجع إليه، وفي الحقيقة أنّه استهان نفسه لا ربه تعالى، فإنّه ﷻ لا يتضارّه شيء.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الثالث: أنّ من طلب أمراً مثل أداء الحجّ بهال المسلمين الذي غصبه منهم يفوته المطلوب، وأضيع عنه المرغوب، ويأتيه على عجله المنية ولا يساعده بسوء معصيته الأمانة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثمّ قال: من لم يمنعه صلاته عن القبائح العقلية التي هي الفحشاء ولا عن القبائح السمعية التي هي المنكرات لم تزد صلاته من الله إلّا بعداً.

ومفهومه: أنّ صلاته كلا صلاة، لأنّ الفرض الصحيح أن تكون هي لطفاً، فإذا لم يكن للمكلف فيه فائدة عاجلاً فلا يكون^(٢) له عائدة آجلاً.

وقيل: إنّ صلاته غير مقبولة لا يكون لها ثواب وإن برئت ذمته بها، لأنّ البعد عن الحقّ ضدّ القبول.

وقيل: يستحقّ الحرمان والخذلان.

وقيل: «الفحشاء» كلّ قبيح من قول أو فعل، و«المنكر» لا يعرف في الشرع من أمور البدع.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«الرداء» في الخبر الأخير: العلامة، وأراد: أنّ الله يجازي كلّ أحد على حسب ما أضمر في قلبه من الطاعة والمعصية والاتباع والابتداع، ويلقى في القلوب كون معتقده من الصلاح والفساد.

١. في خ: بشأن.

٢. في خ: ولا يكون.

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ لْيَفْعَلْ
الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ * مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ
إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ * مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَهُ صُرَاخٌ عِنْدَ الْعَرْشِ يَقُولُ رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي مِنْ
غَيْرِ مَنَفَعَةٍ

بَيَانُ الْخَبَرِ «اليمين» هو المُنْقَسَم، تقديره: من حلف على ذي يمين، أي من حلف على شيء.

وقيل: محل «على يمين» نصب على الحال، أي: من حلف ناوياً على يمين أو حلف متآلياً^(١) أن لا يفعل شيئاً ثم رأى الأولى أن يفعله، فليكفر، ثم ليفعل ما هو أولى ديناً أو دنياً.

وهذا التكفير على سبيل التدب وليس بواجب، لأن من حلف أن لا يشتري لأهله شيئاً أو لا يسكن داراً ولا يسافر، ثم كانت المصلحة في شرائه وهو محتاج إلى سكنها أو محتاج إلى السفر فليفعل جميع ذلك ولا كفارة عليه؛ فلما ورد الخبر على خلاف الأخبار الكثيرة المفصلة المعمول عليها ومضمونها: أن لا كفارة عليه وجوباً^(٢) حملنا^(٣) هذا الخبر على الاستحباب للجمع بينهما. ثم ظاهر هذا الخبر أنه يكفر ثم يفعل ما حلف أن لا يفعله، وإنما يجب الكفارة بعد الحنث، ولا يجوز ولا يجزي تقديمها على الحنث.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْبَنَاتِ أَشَدَّ شَأْنًا مِنَ الْبَنِينَ لَكثرة المؤونة عليهن وخوف العاقبة

١. تألى: اجتهد، حلف.

٢. راجع: الكافي: ٤٤٣/٧، كتاب الأيمان والنذور والكفارات، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها.

٣. في خ: يحملنا.

منهن، سيما عند كثرتهن؛ فمن رزقه الله منهن فأحسن إليهن، كُنَّ للمحسن سبب ستر وحجاب من حرارة نار الله التي هي جهنم؛ وهذا استعارة، أي: ببركة هذه الطاعة التي هي الإحسان إليهن يخلصه الله من عقوبة ذنوب كان اقترفها.

بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ لَنَا ذَبْحَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَكْلَ وَالْإِنْتِفَاعَ بِلَحُومِهَا، فَمَنْ قَتَلَ شَيْئاً مِنْهَا وَلَوْ عَصْفُوراً مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى قَتْلِهِ وَلَا لِلإِنْتِفَاعِ بِهِ بَلْ كَانَ ذَلِكَ هَزْلاً وَلَعِباً اسْتِغَاثَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَاتَلَهُ الَّذِي قَتَلَهُ لَا لَغَرَضٍ حَسَنٍ أَذِنَ اللَّهُ لِأَجَلِهِ فِي قَتْلِهِ.

و«العبث»: المزاح واللعب، و«الصراخ»: صوت المستغيث.

وفيه دليل على أَنَّ القصاص يجري في القيامة بين الوحوش والطيور والبهائم، كما يجري بين الآدميين المولم ظلماً عوض ألم فعله إلى المولم.

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُراً فَإِنَّهَا هِيَ جَمْرٌ فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُمْ أَوْ
لْيَسْتَكْثِرْ * مَنْ سَأَلَ عَنْ ظَهْرٍ غِنًى فَصُدَّاعٌ فِي الرَّأْسِ وَدَاءٌ فِي
الْبَطْنِ * مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ فَقَدْ دَخَلَ سَارِقاً
وَخَرَجَ مُغِيراً * مَنْ كَانَ وَصْلاً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي
مَنْهَجٍ بَرٍّ أَوْ تَيْسِيرٍ عَسِيرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ يَوْمَ
تُدْخَضُ فِيهِ الْأَقْدَامُ * مَنْ لَعَبَ بِالنَّرْدِ شِرْ كَمَنْ غَمَسَ يَدَهُ فِي
لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَدَمِهِ

الخبران الأول والثاني كلاهما وعيد للأغنياء الذين يسألون؛

بَيِّنَ الْجَبَرُ فَقَالَ: أَوَّلَ أَنْ سَوَّالُ الْغِنَى يُوجِبُ لَهُ النَّارَ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُضْطَرٍّ إِلَى السُّؤَالِ. و«الجمرة»: شعلة من النار.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وكذلك إن سأل الغني فهو صداع للسامعين والمسؤولين، وداء في بطن السائل إن لم يجيبوه، أو يكون كقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»^(١)، فيكون ما أخذه الغني حراماً عليه وداء في بطنه.

وقيل: يحتمل أن يكون الداء في بطن المسؤول إن لم يكن معه ما يعطيه.

وقيل: كلاهما يرجعان إلى السائل [و] هو المعطى، يكون^(٢) على فضل العطية

وشرف منزلتها، والنافذ في الأمور كلها بصير عَلَيْهِ السَّلَام.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وفي الخبر الثالث نهي عن تذليل النفس لأجل لقمة، أي: لا يجوز للمؤمن الذي هو عند الله كريم أن يخرج إلى طعام قوم لم يدعوه إليه، ويُعَرِّضَ نفسه العزيزة للمهانة، ولا يكون عند الله دُنَاةَ الفعل محمودةً، ولا يرضى له خساسة المعاملة ووضع المروءة أيضاً، فكل ما ليتناول من ذلك الطعام لا يكون له حلالاً من حيث الحقيقة والورع، ويأثم بذلك اسم السارق والمغير^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الرابع: أن من كان وسيلة لمسلم عند صاحب أمر، كان ذلك جوازاً على الصراط الذي هو جسرٌ على سفير جهنم؛ والتقارب من السلطان إذا كان على الوجه المذكور ههنا جائز، ويجد صاحبه من الله فضلاً كثيراً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«النرد» معروف، ويحرم اللعب به على كل حال، واللاعب به مستحلّاً مثل أكل الخنزير، فكما لا يحلّ الغمس في دم الخنزير ولحمه فكذلك لا يجوز اللعب بالنرد؛ وأما «النرد شير» فهو منسوب إلى «أردشير بن بابك» ملك العجم الذي وضع النرد له، فكانوا يقولون: «نرد أردشير» كما قالوا: «شقائق النعمان»، ثم حذفوا بعض حروف

١. النساء: ١٠.

٢. كذا في خ.

٣. اسم فاعل من «أغار يغير» إذا نهب؛ راجع: النهاية: ٣٩٤/٣.

الكلمتين المركبتين.^(١) والنسب موضع التغيير كما قالوا في النسب إلى عبد قيس «عقبسي».

والشطر نج أيضاً حرام لنص آخر أورده الأزهري في تهذيب اللغة، وهو: «الشطر نج ميسر العجم»، وقد رواه عن علي بن أبي طالب.^(٢)

مَنْ نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ فَلَا يَصُومَنَّ تَطَوُّعاً إِلَّا بِإِذْنِهِمْ * مَنْ انْتَهَرَ
صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا * مَنْ أَهَانَ صَاحِبَ
بِدْعَةٍ أَمِنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَرَزِ الْأَكْبَرِ * مَنْ أَصْبَحَ مُعَافَاً فِي بَدَنِهِ آمِنًا
فِي سَرِيرِهِ وَعِنْدَهُ^(٣) قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا *
مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ مَعَهُ
وَزِيرًا صَالِحًا فَإِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ

يُنَالُ الْخَيْرَ والخبر الأول أدب للضيف النازل عند إنسان إذا أراد أن يصوم تطوعاً، فعليه أن يستأذن مضيفه، فربما يتعذر عليه ذلك، وليس جزاء الإحسان الإساءة.
يُنَالُ الْخَيْرَ ثم قال: من زجر مبدعاً في الشرع ما ليس فيه لله تعالى الغضب من نفسه لأمر كان بينها ولخصومة دنياوية، أمنة الله في الدارين وزينه بشعار الإيمان ودثاره^(٤)؛ والملا استعارة ههنا.

١. أنشد طرفة: «وعلا الخيل دماء كالشقر»، وأراد به «الشقر»: شقائق النعمان؛ راجع: أدب الكاتب: ٥٥؛

تهذيب اللغة: ٢٠٦/٨، ٢٤٩.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ٤٢/١٣.

٣. في الشهاب وأكثر المصادر: سره عنده.

٤. الثوب الذي يكون فوق الشعر.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ خَبْرًا آخَرَ فِي مَعْنَاهُ يَعْنِي: مَنْ أَذَلَّ الْمُبْدِعِينَ أَمْنَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِهَا.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الرَّابِعُ: مَنْ أَتَى عَلَيْهِ الصَّبَاحُ وَهُوَ فِي عَافِيَةٍ مِنَ الْمَرَضِ آمِنٌ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ الْكَفَايَةِ لِقَوْتِ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا جَمَعَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ مُلْكٌ فِي الْحَقِيقَةِ. و«السُّرْبُ»: النَّفْسُ، و«بِحَذَائِرِهَا» أَيَّ بِجَمَلَتِهَا.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الْآخِرِ وَتِمَامُهُ وَهُوَ: «إِذَا أَرَادَ غَيْرُ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا سَيِّئًا إِنْ نَسِيَ لَمْ يَنْكُرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ»^(١)، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ اللَّطْفُ وَزِيَادَةُ التَّوْفِيقِ، مَعَ أَنَّ^(٢) يَسْتَحِقُّ أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَالْخُذْلَانُ لِمَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ.

مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ بِمَنْ كَمَلَتْ مَرْوَةٌ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ * مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ * مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ وَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْخِصَالِ الثَّلَاثِ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَعْدَ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ، يَعْنِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَعَامَلَتِهِ ظُلْمٌ وَلَا فِي حَدِيثِهِ كَذِبٌ وَلَا فِي وَعْدِهِ خَلْفٌ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ظَاهِرُ الْعَدَالَةِ كَامِلُ الْمَرْوَةِ، وَيَسْتَحِبُّ صِدَاقَتَهُ وَيَحْرُمُ غَيْبَتُهُ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَفَرَجَهُ مِنَ الْحَرَامِ دَخَلَ دَارَ السَّلَامِ؛ فَالْمُرَادُ «مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ»: اللِّسَانُ، وَ«مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ»: الْفَرْجُ؛ يَرِيدُ بِاللِّسَانِ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ، وَبِالْفَرْجِ

١. نَصَّهُ هَذَا: «وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا سُوءًا، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُنْكِرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ»؛ رَاجِعْ: سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ: ١٣١/٣، ح ٢٩٣٢؛ كَنَزُ الْعَمَالِ: ٣٤/٦، ح ١٤٩٤٠.

٢. كَذَا فِي خ، وَلَعَلَّ الصَّحِيحَ: أَنَّهُ.

إيلاجه في موضع حرام.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقوله «فليتبوء» أمر للغائب ظاهره ومعناه خبر، يريد عليه السلام : من كذب علي عمداً فالله تعالى يبوئه مقعداً من النار عاجلاً.

وفيه دليل على أن الحديث لا يجوز روايته عن رسول الله بالشك وعلى غالب الظن حتى يعلم صحته ويتيقن سماعه.

وقيل في سبب ورود هذا الخبر: «إن رجلاً سرق رداء النبي عليه السلام وخرج إلى حي من أحياء العرب، وكان يحب امرأة ذات زوج فيهم، وقال لهم: هذا رداء رسول الله بعث معي إليكم لتمكنوني من هذه المرأة أمتع بها، فأقعد حتى يرسل إليه من يأتينا بأصدوقه الحال، فبعثوا رجلاً إليه عليه السلام، وقام الرجل الكاذب إلى رسول الله ليشرب ماءً، فدخل مشرعاً فلدغته حية فمات، فلما سمع النبي عليه السلام الحال في ذلك، قال لأمير المؤمنين عليه السلام : قم وخذ السيف وأخرج إليه فإن رأيتَه وقد كُفنت فأحرقه، فجاء وأمر بإحراقه»^(١).

١. راجع مسند الروياني: ٥٧/١، ح ٣٤؛ قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٣٥٢/١ - ٣٥٣: «باب. بَيِّنَاتُ مُشْكِلٍ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعِدّاً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، على ما قد رُوِيَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعِدّاً»، وَمِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُطْلَقاً»؛ وَفِي السَّبَبِ الَّذِي كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، حَدَّثَنَا أَبُو أُمَيَّةَ تَنَا زَكْرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ تَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ حَيَّانَ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ حَيٌّ مِنْ بَنِي لَيْثٍ مِنَ الْمُدَرِّجَةِ عَلَى مِيلَيْنِ، وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَبَوْا أَنْ يَزَوِّجُوهُ، فَجَاءَهُمْ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَانِي هَذِهِ الْحُلَّةَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْكُمَ فِي دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ بِنَا أَرَى وَأُنْطَلِقَ، فَتَزَلَّ عَلَى الْمَرْأَةِ، فَأُرْسِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، ثُمَّ أُرْسِلَ رَسُولاً، وَقَالَ: إِنَّ أَنْتَ وَجَدْتَهُ حَيّاً فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ، وَلَا أَرَاكَ تَجِدُهُ حَيّاً، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتاً فَحَرِّقْهُ بِالنَّارِ، فَجَاءَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ لَدَعَتْهُ أَفْعَى فَمَاتَ، فَحَرَّقَهُ بِالنَّارِ. فَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعِدّاً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

وَحَدَّثَنَا فَهْدٌ حَدَّثَنَا الْحِمْيَارِيُّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى

وهذا وإن ورد في هذا السبب المعين فعموم اللفظ^(١) يتناول كل من كذب عليه ﷺ متعمداً بأن يكون متبواه النار يوم القيامة.



→ قَوْمٌ فِي جَانِبِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَحْكُمَ بَرَأْيِي فِيكُمْ فِي كَذَا وَفِي كَذَا، وَقَدْ كَانَ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَبَوْا أَنْ يُزَوِّجُوهُ، فَذَهَبَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ، فَبَعَثَ الْقَوْمُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ رَجُلًا، فَقَالَ: إِنَّ أَنْتَ وَجَدْتَهُ حَيًّا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَمَا أَرَاكَ تَجِدُهُ حَيًّا، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتًا فَحَرِّقْهُ، فَأُتِيَ الرَّجُلُ فَوَجَدَهُ قَدْ لُدَّغَ قَتَاتٌ، فَحَرَّقَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

١. في خ: لفظ.

باب [٣]

حُقِّتِ الْجَنَّةُ بِالمُكَارِهِ وَحُقِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ * وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ
عَلَى مَنْ أَعْضَبَ فَحَلُمَ * بُعِثَتْ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَتُصِرَّتْ بِالرُّعْبِ
* وَتُصِرَّتْ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتْ عَادُ بِالدُّبُورِ * يُعْجِبُ رَبَّكَ مِنْ
الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ

يُنَالُ الْجَبَرُ إِنَّمَا حَسَنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْجَنَّةَ حُقِّتْ بِالمُكَارِهِ عَلَى سَعَةِ الْكَلَامِ، وَلِئِمَّا كَانَتْ
الْأَفْعَالُ الْمَفْضِيَّةُ إِلَى دُخُولِ النَّارِ فِي الْأَغْلَبِ كَثِيرَةً الْمَلَاذِ حَسَنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ النَّارَ
حُقِّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ^(١) وَالْمُرَادُ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَفْعَالِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى الْجَنَّةِ يَتَحَتَّمُ فَعْلُهَا عَلَى
الْكَرهِ.

يقول: أضيف حول الجنة مكروه وأطيف حول النار بكل شهوة، يعني: أن مقاساة
المُكَارِهِ واحتمال الشدائد والأوصاب والمصائب عمل أهل الجنة وأحوالهم التي لا ينزع
عنهم ليلاً ولا نهاراً، والإذلال بالشهوات وقضاء النهمة وبلوغ الوطر ^(٢) على أمنيّة
النفس عمل أهل النار وعليه أحوالهم.

وفي هذا المعنى يتأوّل قوله تعالى: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» ^(٣)
(الآية).

وروي في سببه: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْرُجْ وَانْظُرْ إِلَيْهَا

١. راجع: المجازات النبوية: ٣٨٧.

٢. الحاجة والنهمة.

٣. البقرة: ٢١٦.

وفيهما، فرجع وقال: يا رب لا يسمع به خلق إلا ويجتهد في دخولها؛ ولما خلق النار أمره أن يخرج ويراهما، فانصرف وقال: يا رب! لا يسمع بها أحد إلا ويهرب منها؛ ثم حقت الجنة بالمكارة والنار بالشهوات، ثم أمر جبرئيل أن يخرج ويتأمل ما حولها، فأحس جميع ذلك، وقال: يا رب! إنني أخاف أن يدخل الخلائق النار كلهم ولا يدخل الجنة أحد^(١). وهذا كله على سبيل المثل والمجاز.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَحُبُّ اللَّهِ لِلْعِبَادِ أَنْ يَرِيدَ إِثَابَتَهُمْ، كَمَا أَنَّ الْغَضَبَ مِنْهُ تَعَالَى إِرَادَةَ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْعَصَاةِ.

يقول: استوجب هذه المحبة المذكورة كل من قدر عند غضبه على العقوبة ويحلم، و«الحلم»: ترك الإعجال بالعقوبة وترك البطش.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثالث: أَنَّ اللَّهَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ خَصَّنِي بِفَصَاحَةِ وَقَوَائِي بِبَيَانٍ يُمْكِنُنِي أَنْ أَضْمِنَ مَعَانِي كَثِيرَةً فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ نَظَرَ نَازِرٌ فِي كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِي يَحْظُ بِفَوَائِدِ حِجَّةٍ دِينِيَّةٍ وَدِينَاوِيَّةٍ.

فجوامع الكلم عبارته عن إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، وفيه الحظ لأُمَّته على حسن التفهم من كلامه ﷺ واستخراج المعاني منها ونبس الدفائن المودعة. وقيل: معناه: أَنَّ اللَّهَ أَيْدَنِي بِهَذَا الْقُرْآنِ وَبِجَوَامِعِ كَلِمِهِ، فَإِنَّ فِيهِ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الْكُتُبِ الْمُنْتَقَدِمَةِ، وَأَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا رَأَيْتَ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهَا قَلِيلَةً الْحُرُوفِ يَنْتَظِمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعَانِي، وَيَتَضَمَّنُ أَنْوَاعاً مِنَ الْأَحْكَامِ.

ثم قال: إِنَّ اللَّهَ نَصَرَنِي بِشَيْءٍ مَا فَعَلَ بَغِيرِي، وَهُوَ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي. روي: «أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا بِفَدِكَ أَحْسَوْا بِاسْتِيلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ وَرَأَوْا

١. راجع: سنن أبي داود: ٢٣٦/٤، ح ٤٧٤٤؛ مسند أحمد: ٣٣٢/٢، ح ٨٣٧٩؛ جامع الأحاديث: ٩٦/٦، ح ١٧٤٢٩.

نصرة الله لمحمد ﷺ خافوا خوفاً عظيماً، فأنجلوا من ديارهم وخلّوها، فأفاء الله فديهاً بأسرها على رسول الله، ووهبها ﷺ لفاطمة»^(١).

ف قيل: إنّ هذا الخبر دليل على أنّ النّبي لرسول الله، يضعه حيث يشاء؛ لأنّه وصل إليه بالنصرة التي أوتيها من قبل الرعب في قلوبهم منه. و«النّبي»: كلّ ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ»^(٢)، يعني من نصرته.

و«النفس»: النصره هنا، يقال: نفستُ كربته إذا فرّجت عنه ونصرته.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ فَصَّلَ كَلَاماً فِي صِفَةِ الرِّيحِ، بِأَنَّهَا رَبِّمَا تَكُونُ نِعْمَةً وَرَبِّمَا تَكُونُ نَقْمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَنِي بِرِيحِ الصَّبَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَالصَّبَا رِيحٌ تَقَابِلُ الْقِبْلَةَ؛ وَأَهْلَكَ اللَّهُ عَاداً بِالْدَّبُورِ، وَهِيَ تَهَبُّ مِنْ دَهْرِ الْقِبْلَةِ.

وروي: «ريح الصبا بركة، وريح الجنوب زيادة، وريح الشمال رحمة، وريح الدبور عقوبة»^(٣).

ومفهومه: إذا هبت الصبا فاسألوا^(٤) الله الخير، وإذا هبت الدبور فاستعيذوا بالله من شرّها.

وقيل^(٥): إنّهُ ﷺ إنّما تكلم يوم الأحزاب بقوله: «نصرتُ بالصبا»؛ لأنّ الله تعالى

١. راجع: الكافي: ٥٤٣/١؛ وراجع: صحيح البخاري: ١٠٦٣/٣، ح ٢٧٤٨.

٢. مستدرک الوسائل: ١٧٧/٦؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ١٤٩/١؛ سنن النسائي: ٢٣٢/٦، ح ١٠٧٧١.

جامع الأحاديث: ١٦٣/٨، ح ٢٥١٤٧.

٣. لم أقف عليه.

٤. في خ: فستلوا.

٥. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٩٢/١؛ تفسير الثعلبي: ١١/٨.

جعلها سبباً لنصرته على أعدائه، بأن بعث تلك الريح حتى قوّضت^(١) خيام المشركين، ونكّست قدورهم على النار، واضطرب عساكر المشركين واليهود الذين تحزّبوا وانهزموا.

ويقال: إنّ «الصبا» ریح تهبّ من مطلع الفجر، وهي ریح طيّبة لها نسيم تروّح عن المكروب، وتكاد تصحّ العليل؛ و«الدبور» ریح تقبل من القبلة واهبةً نحو المشرق، وهي العقيم التي ذكرها الله في كتابه.

يَنَالُ الْجَبَرُ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «يَعَجِبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ»، فالألف واللام للجنس، وفيه إبهام وشياع، والإبهام نوع من التنكير، ولذلك جعل الجملة التي هي «ليست صبوة» صفة للشاب، والجملة نكرة.

وإطلاق «العجب» لا يجوز على الله ولا يليق به تعالى، وإنّما معناه هنا الرضا والمحبة، و«الصبوة» هاهنا العشق والهوى؛ أي يحبّ الله شاباً لا يتبع هوى نفسه ويرضى عنه.

وحقيقته: أنّ ذلك الصنيع من عبد شابّ حلّ من الرضا عند الله والقبول له ومضاعفة الثواب عليه محلّ العجب عندكم في الشيء التافه^(٢) إذا بلغ فوق قدره، وأعطى الأضعاف من قيمته.

وروي: «يعجب ربكم»^(٣)، ويدلّ على صحّة ما ذكرنا قول النحويّين: «عجبتُ حبّاً» أي يعظم عند الله منزلته شابّ تكون على سيرة المشايخ، ولا يفعل أفعال الصبيان، ويرضى ربك منه، أيها المخاطب!

١. فرقت.

٢. الحقير الخسيس.

٣. أخبار أصبهان: ٢١٥/٦.

كَمَا تَكُونُونَ يُؤْتِي عَلَيْكُمْ * يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِمْ
* يُبْعَثُ شَاهِدُ الزُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُولِعاً لِسَانَهُ فِي النَّارِ * رَحِمَ
اللهُ امْرَأَةً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ * رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ أَوْ
سَكَتَ فَسَلِمَ * رَحِمَ اللهُ الْمُتَخَلِّلِينَ مِنْ أُمَّتِي فِي الْوُضُوءِ وَالطَّعَامِ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يريد: أَنْ وَلَا تَكُنْ يَكُونُونَ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِكُمْ وَمَبْلَغِ طَاعَاتِكُمْ وَمَعَاصِيكُمْ
وَشَفَقَتِكُمْ عَلَى مَنْ دُونِكُمْ.

و«ما» في قوله «كما تكونون» مصدرية، أي مثل كونكم واليكم.
وبيانه فيما روي عن الله تعالى أَنَّهُ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ مَالِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ
بِيَدِي، فَأَيُّمَا قَوْمٍ سَخَطْتُ عَلَيْهِمْ جَعَلْتُ عَلَيْهِمْ نَقْمَةً»^(١).
وقال عليه السلام: «أَعْمَالُكُمْ عَمَّا لَكُمْ»^(٢).
وكل ذلك إشارة إلى اللطف الذي يكون من قبل الله للمتقين، وإلى الخذلان الذي
يكون من قبله للفساق^(٣) والكافرين.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وبيان الخبر الثاني - فيما روت أم سلمة - «أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام ذَكَرَ الْجَيْشَ الَّذِي
يُخَسَفُ بِهِمْ، فَقُلْتُ: لَعَلَّ فِيهِمْ الْمَكْرَهَ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»^(٤)، يعني يُعَامَلُونَ
مَعَهُمْ هُنَاكَ عَلَى حَسَبِ مَا أَضْمَرُوا فِي نِيَّاتِهِمْ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ
مِنَ الضَّائِرِ وَالسَّرَائِرِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ و«شهادة الزور» من الكبائر التي نهى الله عنها وحرّمها؛ والمعنى: أَنْ مَنْ شَهِدَ

١. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: ٦٣/٧، ح ٣٤٢١٨؛ تفسير السمرقندي: ٥٠١/١؛ حلية الأولياء: ١٧٢/٦.

٢. راجع: شرح السنة: ٥٩/١٤؛ سراج الملوك: ٩٤؛ المقاصد الحسنة: ٥٢٠.

٣. في خ: الفساق.

٤. مسند الطيالسي: ٢٢٤، ح ١٦١١؛ مسند أحمد: ٢٨٩/٦، ح ٢٦٥١٨؛ كنز العمال: ٩٢/١٢، ح ٣٤٦٦٩.

بالزور والكذب يدخل لسانه في النار بعد ما يعاقب على سوء فعله، وذلك لزيادة الألم والعذاب له، وقوله «مولعاً لسانه» أي مسقياً^(١)، وأصله الدخول؛ وروي: «مولعاً لسانه»^(٢)، و«ولغ لسانه» يتعدي ولا يتعدي أي أخرجه وخرج.

قال ابن الأعرابي: يقال: «أولغ لسانه»، أي أخرجه.^(٣)

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وللخبر الرابع معنيان:

أحدهما: أنه عليه السلام أمر أمته أن يصلحوا شيئاً من لسانه، أي لا يتكلموا بالفحشاء والمقبتحات، و«من» للتبويض؛ وربما أصلح المكلف بعض لسانه وأن يكلم بلغوا لا فائدة فيه ولا فاحشة؛ ونحوه قوله: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ»^(٤).

والثاني: أنه حضّ على تعليم العربية وتقويم اللسان واشتقاق العلوم ومعرفة الإعراب لئلا يلحن الإنسان في كلامه لحناً يغيّر المعنى عن جهته، فربما يسمع سامع يذهب إليه ويحققه، وذلك يورث فساداً في الأحكام ووهناً في شريعة الإسلام.

وقال عليه السلام: «تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفرت بحرف واحد كان مسطوراً في الإنجيل: «أنا ولدت عيسى» بالتشديد، فحققوا فكفروا»^(٥).

والعموم يتناولهما.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وأما الخبر الخامس^(٦)، فحثّ على قول الخير وحفظ اللسان عن الشرّ ليعين ذلك صاحبه على سلامة دينه.

١. كذا في خ.

٢. مستند الشهاب: ٣٣٧/١؛ ح ٥٧٩.

٣. راجع: صحاح اللغة: ١٢٠٩/٣.

٤. النور: ٣٠.

٥. راجع: روضة العقلاء: ٢٢١؛ نضرة الإغريض في نصرة القريض: ٣.

٦. في خ: السادس.

يقول: إن علم العبد أن ما يتكلم به يعود إليه نفعه مما بينه وبين الله وهو مباح يتكلم به إذا لم يكن مضرّة على غيره، فإذا كان هذا غير هذا أمسك؛ لأنّ ذلك إلى اكتساب الحسنات أقرب وعن السيئات أبعد؛ و«الرحمة» عن الآدميين رقة وتعطف يقتضيان الإحسان إلى الخير، ومن الله إنعام إفضال.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ دَعَا لِمَنْ يَتَخَلَّلُ فِي وَضُوئِهِ وَبَعْدَ طَعَامِهِ - والخبران المتقدمان كلاهما أيضاً دعاء - وهذه سنة مرضيّة محمودة عند جميع الناس؛ أمّا في الوضوء فإن كانت الأصابع منفرجة ويصل الماء إليها يستحبّ تخلّلها للاحتياط، وإن كانت ملتصقة أو لا يصل إليها الماء إلّا بالتخليل فإنّه يجب، وليس بمستحبّ في اللحية ولا بواجب؛ وأمّا في الطعام فمندوب مستحبّ^(١) من كلّ شيء يطعم بخشب أو عود، ولا يجوز بالقصب والقتّ والريحان والرمّان والطرفاء والآس والكزبرة والمكنسة.

أَبَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ * كَادَ الْفَقْرُ
أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ * خَصَّ الْبَلَاءُ بِمَنْ
عَرَفَ النَّاسَ وَعَاشَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ * يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ
خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةُ وَالْكَذِبُ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ قَطْعُ الْإِبَاءِ أَوَّلًا: أَنْ رَزَقَ كُلَّ عَبْدٍ لَا يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ عِلْمُهُ، وَإِنَّمَا يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الْأَغْلَبِ.

و«أبى» أي منع، وقيل: الإباء في صفة الله ضدّ الرضاء، ومفهومه: أنّه لا يجوز للمؤمن أن يتكل على الخلق دون الله تعالى.

وسئل الصادق عليه السلام: «لم منع الله أن يرزق المؤمنين إلّا من حيث لا يحتسبون؟

١. أي التخلّل في الطعام مندوب مستحبّ.

فيقال: ليكثر دعاؤهم للرزق فيكثر ثوابهم»^(١).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«كاد» في الخبرين بمعنى قرب. وقيل: «كاد»: هم ولم يفعل. و«كاد» يستعمل بغير «أن» في الأكثر، كقوله: «كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبْدًا»^(٢)، «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَقَطَّرْنَ»^(٣)، وعسى مع «أن» ثم يتداخلان.

وقال بعض أهل العلم: «لو لا حديث رسول الله لأسقطتُ «أن» ههنا»^(٤). والمعنى: كاد وقرب الفقر لصاحبه - الذي لا يرضى بحكم ربه تعالى - «أن يكون كفراً»، أي جحوداً عن معرفة عظمته ومواقع نعمه عليه؛ والكفر أصله التغطية. وقيل: أراد به فقر القلب وهو عدم القناعة.

وقيل: أراد الفقر الذي لا صبر فيه.

وقيل: الفقر الذي لا يتلقاه بالقبول ولا بعده من الله نعمة عليه. وقرب الحسد لصاحبه أن يسخط قضا ربه وقدره؛ يحسد^(٥) على أخيه بفضل آلاء الله عليه، ويرى عافيته وسلامته بدنه، وجحد هذه النعمة واستصغرها، وهي أعظم من الهال الذي عند الغير.

وقيل: معناه: يجحد الحاسد قدر الله وحكمه في محسوده.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثالث: أن من عرف الناس فهو مخصوص بالبلاء، ومن لم يعرفهم - أي لم يخالطهم - يعيش أنعم عيش وحاله أسهل بين أحوالهم.

١. قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ أَرْزَاقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَ رِزْقِهِ كَثُرَ دَعَاؤُهُ»؛ راجع: الأماشي (للصدوق): ٢٨٤، مجلس ٣٤، ح ٦؛ الكافي: ٨٤/٥.

٢. الجتن: ١٩.

٣. مريم: ٩٠.

٤. لم أقف على قائله.

٥. في خ: يحسده.

وفيه حثّ على الاعتزال عن الخلق والاشتغال بطاعة الحقّ.
و«البلاء» أصله الامتحان، والله يبلو عباده بالصنع الجميل ليمتحن شكرهم،
وبالبلوى التي يكرهونها ليمتحن صبرهم. فقليل: للحسنى بلاء.
بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير: أن المؤمن يمكن أن يورد في كلّ أمر مباح فيتخلّق بكلّ
ما يراد منه ويقترح عليه من المطعم والمشرب والرغبة والزهادة فيها وغيرهما من
الأخلاق إلّا الغدر والكذب؛ فإنّه لا يخون ولا يكذب وإن دعي إلى ذلك.
وقيل: مفهومه: أن المؤمن يركب كلّ ذنب وخطيئة، ويخلط العمل الصالح بالسيئ
والطالح إلّا الخيانة - وهو نقض العهد - وإلّا الكذب - وهو خلاف الصدق - فإنّه لا
يرتكبها^(١) عمداً ولا يستمرّ بهما قصداً.
وروي هذا على خبرين: أحدهما: «يطيع المؤمن على كلّ خلق»، والثاني: «ليس
الخيانة والكذب في الدين»؛ والذي حمل الرواية على أنّهم جعلوا خبرين أنّهم لم يعرفوا
أنّ «ليس» هاهنا للاستثناء بمعنى «إلّا».

تَبْتَئُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَتَأْمُلُونَ مَا
لَا تُدْرِكُونَ * كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكِيلُهُ وَمُنْتَظِرٍ غَدًا
لَا يَبْلُغُهُ * عَجِبْتُ لِغَافِلٍ وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ وَعَجِبْتُ لِمُؤْمِلٍ الدُّنْيَا
وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَعَجِبْتُ لِضَاحِكٍ مَلَأَ فَيْئُهُ وَلَا يَدْرِي أَرْضَى اللَّهُ أَمْ
أَسْخَطَهُ * يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى
لِدَارِ الْفُرُورِ * عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ^(٢) فَوَاللَّهِ

١. في خ: لا يرتكبها.

٢. لم ترد عبارة: «لا يرضى بقضاء الله» في الشهاب والمسنّد وسائر المصادر الحديثيّة.

لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ

يُنَالِ الْخَيْرَ يَعْنِي: اتركوا الأمل للدنيا والمحرص فيها وعليها، فهذه الدور التي بنيتموها لا تسكنوها، وهذا الهال الذي جمعتم لا تأكلونه، وما ترجونه لا تدركونه.
يُنَالِ الْخَيْرَ كَم رَأَيْتَ مَمَّنْ دَخَلَ فِي يَوْمٍ وَمَا أَمَّتْهُ قَدْ مَاتَ فِيهِ، فَكَمْ رَأَيْتَ مَمَّنْ رَجَا الْعَمْرَ الطَوِيلَ فَمَا عَاشَ إِلَى غَدٍ.

يُنَالِ الْخَيْرَ ثُمَّ نَهَى عَنْ مَبَاشَرَةِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، بِأَنْ نَبَّهَ مَا وَرَائَهَا آفَاتٌ شَدِيدَةٌ، نَحْوُ مَنْ هُوَ غَافِلٌ وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ، وَمَنْ يَطْلُبُ وَهُوَ مَطْلُوبُ الْمَوْتِ، وَمَنْ يَضْحَكُ سَاهِيًا وَلَعَلَّ ضَحْكَهُ سَبَبٌ سَخَطَ اللَّهُ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ بِحَيْثُ يَتَعَجَّبُ مِنْهَا، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا الْمَرْءُ حَذَرَ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا مَدَّةَ حَيَاتِهِ، وَاشْتَغَلَ بِهَا يَعِينُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ.
يُنَالِ الْخَيْرَ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي عَجِبْتُ مَمَّنْ يُؤْمِنُ بِدَارِ الْبَقَاءِ كَيْفَ يَعْمَلُ لِدَارِ الْفَنَاءِ، وَعَجِبْتُ عَجَبًا لِأَجْلِ الْمُؤْمِنِ كَيْفَ يَحْزَنُ لِقَضَاءِ مُرٍّ يَقْضِي اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَصِيبَةٍ وَبَلَاءٍ مُصْلِحَةٍ لَهُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ حَلَفَ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَحْكُمُ لِمُؤْمِنٍ بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ، وَالْحَزَنُ لَا يَكُونُ مَعَ الرِّضَاءِ بِالْقَضَاءِ.

يُنَالِ الْخَيْرَ وَقَوْلُهُ: «يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ»؛ فِي إِعْرَابِهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجَهٌ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ «يَا عَجَبًا» نَدْبَةً، وَ«كُلَّ الْعَجَبِ» بَدَلُهُ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ «يَا عَجَبًا» وَ«كُلَّ الْعَجَبِ» صِفَتُهُ، وَلَا يَكُونُ مَعْرِفَةً لَفْظِ إِهْمَامِهِ كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ رَجُلًا مِثْلَ زَيْدٍ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: «يَا عَجَبِي»، وَهُوَ لُغَةٌ طَيِّئٌ، يَقُولُونَ: هَذِهِ دَارًا وَهَذَا غَلَامًا، أَيْ دَارِي وَغَلَامِي، أَبْدَلُوا «الْأَلْفَ» مِنْ «الْيَاءِ» فِي ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، وَوَافَقَتْهُمْ الْعَرَبُ فِي نَحْوِ «يَا حَسْرَتَا» وَ«يَا لَهْفِي»، فَمِنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا قَالَ: لَا يَصَحُّ أَنْ يَقَالَ هُوَ وَقَفَّ عَلَى الْمَنْصُوبِ الْمَنْوُونِ، لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ وَالنَّكْرَةُ لَا يُوَصَفُ بِالمَعْرِفَةِ، وَ«كُلَّ الْعَجَبِ» عَلَى هَذَا نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ.
وَ«عَجَبًا» مَنَادَى فِي الْأَحْوَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَنَادَى مُحْذُوفًا، أَيْ: يَا رَجُلَ عَجَبًا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ رَوَى: «عَجَباً لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ»، وفيه إشارة إلى أن من لم يرض بقضاء الله فهو كمن أشرك بالله وأنكر لربوبيته.

اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصاً وَلَا يَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْداً * يَهْتَمُّ ابْنُ آدَمَ وَيَسْبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الثَّمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ * جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يعني قربت القيامة وأشراطها وانقضاء الدنيا وزوالها، فما بال هذا الخلق في غفلة، ولا يزدادون إلا حرصاً على جمعها ومحبتها والميل إليها، ولا يعلمون أن من حرص عليها فوق الكفاية لا يزداد منهم إلا بعداً لا ينالها مدى العمر.

و«الساعة»: الوقت الحاضر. وسميت القيامة، لأنها تحضر بغتة وتنتظر كل ساعة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثم حذر عن الزجر عن الحرص على جمع الثمال وطول العمر، فإنها لا يلبيان مع بقاء الدهر في قلب ابن آدم، ولا يخلو عنها ولا يرغب عنها بمضي السنين والأعوام إلا من عصمه الله ووفقه للرشاد.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثم حث على الإحسان وزجر عن الإساءة، فقال: إن أرباب هذه القلوب مجبولة مخلوقة على حب من يحسن إليهم وينفعهم وعلى بغض من يؤذيهم، ولا تسبوا إليهم أحسنوا.

و«جبلت» أي خلقت. وقيل: معناه أن القلوب خلقت على حب المنافع بحيث لا تميز بين الحق والباطل؛ فمن كان ضعيف النفس فهو يحب منافع الدنيا وزخرفها؛ وإن كان قوياً في نفسه، قلبه أبداً مائل إلى منافع ترجع إلى صلاح الآخرة. وقيل:

القلوب جَوَّالَةٌ^(١).

جَفَّ الْقَلَمُ بِالشَّقِيِّ وَالسَّعِيدِ * وَفَرَّغَ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ
وَالْأَجَلِ وَالرِّزْقِ^(٢) * فَرَّغَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ عَمَلِهِ
وَأَجَلِهِ وَأَثَرِهِ وَمَضْجَعِهِ وَرِزْقِهِ لَا يَتَعَدَّاهُنَّ عَبْدٌ * جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا
أَنْتَ لَاقٍ

هذه الأخبار الأربعة اتخذها الحشوية مرقاةً إلى عقيدتهم الخبيثة ومقالتهم
الفاحشة، بأنَّ الله تعالى حكم في الأزل أن يخلق في أبي جهل وأبي لهب ونحوهما
الكفر، وأن يخلق الإيمان في محمد، وأجرى القضاء والقدر بهذا وأمثاله.
بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وجفَّ القلم في اللوح المحفوظ، بأن جعل الله هذا سعيداً وذاك شقيّاً، ودلائل
العقل لا تأوّل ولا يدخل فيها التأويل، والكلام يكون فيه المحكم والمتشابه كما يتلى من
القرآن، والكتاب والسنة كلاهما دليل، ودليل العقل دليل، ولا يجوز أن يتناقضا، ولا بدّ
أن يحمل على دليل العقل كلّ ما له ظاهر بخلافه على وجه حسن، ونحن نعلم أنّ الله
لا يثيب ولا يعاقب بفعله، وما خلق النار والجنة عبثاً، وإتّاه الكفار معاقبون بسوء
اختيارهم للكفر، وأنَّ الله لم يخلق الكفر فيهم بل جعل مع أبي جهل من أسباب
التكليف كلّ ما فعل بمحمد؛ وثوابه على سبيل الاستحقاق بفعله لا بفعل الله فيه ولا
بعبادة أزلّية كما يهدون.

وإذا ثبت هذا فاعلم: أنّ قضاء الله وقدره كليهما صحيح في أفعال الله نحو الآجال

١. قال أحمد بن خضرويه: «القلوبُ جَوَّالَةٌ: إمّا أن تجوّلَ حول العرش، وإمّا أن تجوّلَ حول الحشّ» راجع:

طبقات الصوفيّة: ٩٦؛ ذمّ الهوى: ٧٤؛ صفوة الصفّا: ١٦٤/١.

٢. في مستند الشهاب نقل إلى هنا في خبر واحد؛ راجع: مستند الشهاب: ٣٥٢/١، ح ٣٩١.

والأرزاق، ولا يجوز التكليف أن يلبس على نفسه ويجعل حكم فعله تعالى وحكم فعل نفسه واحداً.

والسعيد قد يكون من له سعادة الآخرة، و[قد] يكون من له كثير من عرض الدنيا وزخارفها؛ والشقي من يجد المشاقاة والمعاناة في الدنيا والآخرة.

فلا يستبعد أن يكون المعنى: أن القلم قد جرى في اللوح المحفوظ، بأن زيداً يكون في الدنيا غنياً سعيداً، وأن عمراً يكون فقيراً شقيماً.

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ و«الفراغ» في اللغة على ضربين: أحدهما: القصد للشيء، والآخر: الفراغ من الشغل، وهذا لا يجوز على الله، فإله لا يشغل شأن عن شأن، فإن الله تعالى يقول: «سَنَقْرَأُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ»^(١)، أي سنقصد لعقوبتكم ونحكم بمجزائكم.

والمعنى في الخبر: بلغ الله هذه الأربعة إلى آخرها، بحيث لا مرد له من أحد ولا تغيير له من خلقه ولا تبديل الأحكام المتعلقة به منهم على ما حكم به قهراً وإجباراً، إذ هو القهار عز وجل، وهذه الأربعة من أفعال الله، وهو تعالى «يَمُحُّوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٢).

فإن قيل: أليس أحدنا أن يقتل غيره، فإن لم يكن هذا من قضاء الله وقدره ولم يمكنه^(٣) قتله إلى الأجل الذي عيّنه له وكتبه.

قلنا: الذي يقتل ظلماً فالصحيح أنه لو لم يقتل لجاز أن يبقى إلى وقت آخر، ولجاز أن يقول إنه يموت في تلك الحالة.

و«كل ما قضى الله به فلا مرد له» يعني: لا يعجز الله أحد من خلقه ولا يمكنه رده

١. الرحمن: ٣١.

٢. الرعد: ٣٩.

٣. كذا في خ، ولعل الصحيح: وقدره لم يمكنه.

إذا أراد ذلك إجباراً، فأمّا إذا أمكن الله عباده من قتل الغير ونهاهم عنه ليصح التكليف، فلا يدلّ على أنّهم ردّ قضاء الله.

بيّن الخبّر الذي أوّله «فرغ الله إلى كلّ عبد من عمله»، ولا يخفى الفرق بين «فرغ منه» و«فرغ إليه» على كلّ من له ضررٌ قاطع في العريّة.

والمعنى: أنّ الله أنهى إلى كلّ عبد ما يجب عليه من عمله في مدّة عمره إلى وقت موته وأجله، وكلّ ما يبقى بعده من أثره، وهو يعلم جميع ذلك ويعلم أين يكون قبره وكم يكون رزقه.

وبيان هذه الأخبار في حديث رواه أبو هريرة: «إنّ النبي ﷺ قال: سَبَقَ عِلْمُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَهُمْ صَائِرُونَ إِلَى مَا عِلِمَ مِنْهُمْ»^(١).

والعلم لا تأثير [له] في المعلوم، على معنى أنّ ذلك المعلوم لم يكن على ما هو عليه ولأجل أنّ عالمه علمه كذلك، وإنّا يعلمه العالم هكذا إلّا أنّه على ما هو عليه، لا إحاطة لأحد من المخلوقين بكيفيّة وقوع هذه الأشياء الخمسة قبل حدوثها ولا نزولها ووقتها، على ما بيّن الله تعالى في كتابه: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»^(٢) (الآية)، وهو تعالى يعلم تفاصيل كلّ شيء دون خلقه سواء كان من أفعالهم أو من أفعاله تعالى.

بيّن الخبّر وقوله: «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ»، خاصّ في أفعال الله إن أريد به القضاء والحكم والتقدير، [و] إن أريد به العلم يجوز أن يكون عامّاً في أفعاله تعالى وأفعال عباده، وإن كان اللفظ مشتركاً بين العموم والخصوص في وضع اللغة، ولا سعة للعموم، فكلّ ما لا يصحّ إجراؤه على العموم في قضايا العقول فليحمل على الخصوص ليجتمع

١. الردّ على الجهميّة للدارمي: ١٣٠؛ اعتقاد أهل السنّة: ٤٠٤/٣، ح ٦٧٧؛ الفردوس بمأثور الخطاب:

٣٣٨/٢، ح ٣٥٢٥.

٢. لقمان: ٣٤.

الدلائل العقلية والسمعية.

تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينَ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ
وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ * يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلَافاً الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى
لَا يَبْقَى إِلَّا حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الثَّمَرِ وَالشَّعِيرِ * لَا يُبَالِي اللَّهُ بِهِمْ يُبْصِرُ
أَحَدَكُمْ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَذْعُ الْجِدْعَ فِي عَيْنَيْهِ * كَبُرَتْ
خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ اعلم أولاً: أن كل من كان ذا الوجهين فهو شر خليقة على بساط الأرض،
وهو من يقول عند قوم كلاماً سوى الكلام الذي قال عند قوم آخرين على وجه آخر،
فيوقع الفتنة والشر والفساد بين القومين بذلك، فهو أعظم الناس خطيئة عند الله
وأكبرهم مقتاً عند خلقه.

وقال عليه السلام: «إِنَّ أْبَغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمُشَاءُونَ بِالنِّيمَةِ الْمُتَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْمُتَلْتِمِسُونَ
لِأَهْلِ الْبِرِّ^(١) الْعَتَرَاتِ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وللخبر الثاني معنيان:

أحدهما: أن كل قوم وكل قرن يموت صلاحاؤهم قبل طالحائهم، يذهب أصلحهم ثم
أصلحهم إلى أن لا يبقى إلا رذالتهم؛ ثم ضرب لهذا مثلاً محسوساً معلوماً في الشاهد،
فإن من كان بين يديه طبق من التمر أو في بيته شيء من الشعير يقدم الأجود

١. كذا في خ، وفي أكثر المصادر: «البراء»، وهو جمع البريء: البعيد عن التهم.

٢. راجع: الصمت وآداب اللسان: ١٥٤، ح ٢٥٣؛ المعجم الكبير: ٨٩/٢، ح ٨٥٣؛ جامع الأحاديث: ٦٣/٣،

ح ٧٢٩٢؛ وكذا راجع: الكافي: ٣٦٩/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح ١؛ الأمالي (للطوسي): ٤٦٢،

فالأجود، ويأخذ ما هو خير حتى لا يبقى إلا رذالتها؛ ولهذا قيل: الأخير شر.
ومفهومه: إذا كان فيكم صلحاء فأكرمواهم، فإنهم عن قريب يذهبون، وإذا كان
بينكم وإل جائر فلا تتمنوا^(١) غيره مكانه، فإن من يأتي بعده يكون شرّاً من الأول؛
وهذا على الأغلب.

والحكمة فيه: أن الله تعالى ينجي من شدة دار التكليف المؤمن سريعاً، ويمهل
العصاة لعلهم يتوبون ويؤكد الحجة عليهم.

والمعنى الثاني: أنه أظهر تقدم السلف الصالح في الدين ومعرفة حقوقهم والدعاء
لهم، فإن كل من كان أقدم زماناً كان خيراً ممن كان بعده إلى زماننا هذا، الذي كان
أكثر الناس فيهم كرزالة التمر والشعير؛ أي: عليكم بحفاظهم، فإنهم أسرع ذهاباً من
أرزال الناس الذين لا يجيب الله لهم دعاء ولا يقبل لهم طاعة.

و«الحثالة»: الرزالة من كل شيء. وفي ضمن الحديث: أنه ينبغي أن يذهب الصالحون أولاً ويبقى الطالحون لعلهم
يتوبون، وينجوا من بلاء الدنيا الصالحون.^(٢)

وقوله: «لا يبالي الله بهم» أي: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.
«والأول فالأول» بالرفع بدل الصالحون، والنصب فيهما على أنه بدل أسلافاً
أسلافاً، أي متقدمين الواحد سلف.

و«السلف» جمع سالف، كخادم وخدم، والأسلاف جمع الجمع.
وقال عليّ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ»^(٣)، وهي الرديء من كل شيء.

١. في غ: ولا تتمنوا.

٢. وينجوا الصالحون من بلاء الدنيا.

٣. مسند أحمد: ٤٩٩/٣، ح ١٦١١٥؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٦٩/١؛ كنز العمال: ١١١/١٤، ح ٣٨٥٨٩.

وقال: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَنِ يُغْرِبُ النَّاسَ فِيهِ»^(١).

و«تبقى حثالة من الناس»، أي تنتفي خيارهم، فيهلكون بالقتل السريع والموت الذريع، كما يغربل الحب بالغربال فيسقط صغاره ويبقى خياره ويؤخذ. **بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ** و«القذى»: شيء يقع في العين وغيره، والجمع أقذاء. و«الجذع»: الخشبة التي توضع على السطح كجذع النخلة.

يريد بالخبر: رجلاً يعيب الفساق وهو أخبث منهم قولاً وعملاً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقوله: «كبرت خيانة»، يجوز الرفع في الخيانة على الفاعلية، والنصب أقوى عربيتاً وسامعاً؛ وفيه معنى التعجب، كأنه قال: ما أكبرها خيانةً، كقوله تعالى: «كَبُرَتْ كَلِمَةً»^(٢).

و«أن تحدث» في موضع الصفة للخيانة، يفيد استعظاماً لاجترائهم على ذلك، أي: عظمت الخيانة خيانة أن يظن المسلمون لك خيراً وأنت شرير، وما أكبرها من خيانة تحدثك كاذباً لمؤمن بحديث يصدقك فيه.

نَبْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أن لا يعتاد المسلم هذا الفعل المكروه؛ والخيانة ينقص ويدخل في القول كما يدخل في الفعل، وصاحبها مأخوذ بها.

وقيل: «أن تحدث أخاك» مبتداءً، وما قبله خبر. وقيل: بدل من الفاعل المضمر في «كبرت».

كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ كَأَنَّ الْمُتَوَّاتِ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ
وَكَأَنَّ الَّذِينَ تَشِيعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرُ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا عَائِدُونَ

١. المجازات النبوية: ٩٥؛ سنن أبي داود: ١٢٣/٤، ح ٤٣٤٢؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٧٦١/٣؛

كنز العمال: ٥١/١١، ح ٣٠٨٣١.

٢. الكهف: ٥.

نُبِّوْنُهُمْ أَجْدَانَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَائِهِمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ
وَاعِظَةٍ وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ

يَنَازِلُ الْجَبَرُ يريد إفراط التقصير في حق الحق ونبذنا الوجوب من وراء الظهور، وحذرنا
من هذه الغفلة، أي: قد تركنا الحق حتى كأنه غير واجب، ونسينا الموت وأهواله
وشدائده فكأنه على غيرنا مكتوب.

ومعنى «كتب»: حكم وقضى وأوجب، كما قال: «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ»^(١)،
أي أوجب.

وكان الموق الذين سبقناهم إلى قبورهم قوم مسافرون عن قليل يرجعون إلينا،
لا نستشعر خوفاً لهم ولا لأنفسنا، ونطيب قلوبنا بفارقتهم كأننا نطمع في رجوعهم.
ومفهومه: ما هذه الرقدة التي لا ينتبهون عنها بنوع من الحوادث والنوائب، فكأنهم
يتحققون أن هذا لم يكن ولا يكون منزل موتانا قبورهم، ونأكل^(٢) بملا الفم ميراثهم
كأننا مبقون بعد موتانا.

و«المبؤا»: المنزل الملزوم، و«الأجدات»: القبور، و«سفر»: جمع سافر، كصاحب
وصحْب.

لا تتنكر كلمة تتعظ بها، ولا تخاف آفة سهاوية، فنحن ناسون لكل وعظ، وآمنون
من كل بلاء.

و«الواعظة»: الكلمة الزاجرة، و«الجائحة»: الآفة المهلكة، يقال: جاحهم، أي
أصابهم المكاره والآفات.

ويتصل بهذا الحديث ما بعده إلى قوله، «وَلَمْ يَعْذَهَا إِلَى بِدْعَةٍ».

١. الأنعام: ٥٤.

٢. في خ: ويأكل.

طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ
مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَجَانِبَ أَهْلِ الدُّلَى
وَالْمَعْصِيَةِ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ
مِنْ مَالِهِ وَأُمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعْذُهَا إِلَى
بِدْعَةٍ

يقول: العيش الطيب والحال المستطابة والخير والكرامة لمن كان ذا عيب واشتغل
بإصلاح نفسه منه، وتطهرها من ذلك العيب، وأعرض عن تفحص عيوب الناس.
ومفهومه: أنه ينبغي أن ينصف من نفسه، ويبغض نفسه على اليقين من عيبها
وقبح فعلها، ولا يبغض الناس على الظن والتهمة؛ فإذا كان له مال وكسبه لأجل
نفسه من وجه من وجوه الحلال، أنفقه في طاعة الله وعلى نفسه وعياله؛ وجالس
الفقهاء والحكماء ليزداد له علم وخشية وكلام حكمة يردّه عن الرديء؛ وفارق الذين
يرضون لأنفسهم ذل المعصية وهوان العصيان.

وروي: «وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذلّة والمسكنة»^(١)، و«الذلّ»:
ضد العزّ، و«الذلّة»: ضدّ الصعوبة، وهي الانقياد والاستسلام؛ يريد مخالطة من كان لين
الجانب سهل الانقياد؛ والمسكنة فقر النفس وإن كان موسراً، وهو الذي أسكنه الفقر
وقلّل حركته،^(٢) وأراد به ههنا رجلاً مجيئاً متواضعاً غير جبّار ولا متكبر.

ثم قال: الفرّح والغبطة وقرّة العين لمن كان لين الجانب، ذليلاً عند نفسه وإن كان
عزيزاً عند الناس، ذلولاً ليناً غير مطّ^(٣) ولا غليظ، حسن الخليقة والطبيعة من غير

١. راجع: سنن البيهقي: ١٨٢/٤، ح ٧٥٧٢؛ الترغيب والترهيب: ١٤١/٣، ح ٣٤١٧.

٢. راجع: المحكم والمحيط الأعظم: ٧٢٠/٦.

٣. متكبر.

تكلف وتخلق.

وطوبى لمن أنفق زيادة نفقة نفسه ونفقة من يعوله على المؤمنين، ولا يتكلم بما لا يعنيه، ولم يتضيّق عليه فرضه ولا سنّته بل وسعه ما أتى به محمد ﷺ من الشريعة، ولم يأت بدعة في الشرع بل أمسك زيادة ما يعنيه من قوله وكلامه.

و«طوبى» فعلى من الطيب؛ و«عدا فلان كذا إلى كذا» أي جاوزه؛ ويقال: «ما وسعني شيء ويضيّق عنك»، أي: متى وسعني شيء وسعك؛ و«وسعته السنة» أي كفته طريقة رسول الله ولم يتجاوزها إلى إحداث بدعة.

وروي: «ولم يعدّها» - بكسر الدال وفتح العين مشددة - يعني: لم يصرفها إلى وضع قبيح في هذا الدين. و«السنة»: الوضع الحسن، قال ابن حبيب: السنة الوضع الحسن.

طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَكُرُمَتْ عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ
عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ * طُوبَى لِمَنْ عَمَلَ بِعِلْمِهِ * ابْنُ آدَمَ! عِنْدَكَ
يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يَطْغِيكَ، ابْنُ آدَمَ! لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا مِنْ
كَثِيرٍ تَشْبَعُ * طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافًا
وَقَنَعَ بِهِ

بيان الخبر يقول: طوبى لمن طهر معاشه عن المحارم، وصلح سريره مع الله ومع الخلق، وشرف ظاهر أمره وحاله، بأن يكون بعيداً من الرياء والسمعة.

و«عزل شرّه» أي: بعد مضرته عن الناس وأبعد جميع ما يتأذى به الناس عنهم، و«عزل» يتعدّي ولا يتعدّي.

وفي تفسير «طوبى» أقوال ذكرنا أكثرها؛ وقيل: «طوبى» اسم الجنة بالهندية، فتكلم بها العرب. وقيل: «طوبى» شجرة تظلّل الجنان بها.

بَيِّنَ الْجَبَرُ وَكَلَّ الْخَيْرَ لِمَنْ يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَمَنْ عِلْمٌ شَيْئاً وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ كَانَ عِلْمُهُ حِجَّةً عَلَيْهِ.

وكان على خاتم الحسين عليه السلام: «علمت فأعمل»^(١).

وروي: «طوبى لمن عمله بقلبه»^(٢)، أي بإخلاص صاف، والإخلاص عمل القلب لا يطلع عليه غير الله.

بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ نَهَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّتِهِ عَنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِذَا كَانَ أَمْرُكَ وَحَالُكَ عَلَى وَفْقِ الْكِفَايَةِ، لَا يَرْضَى بِذَلِكَ وَأَنْتَ فِي طَلَبِ الطَّغْيَانِ وَمَا يَكُونُ سَبَبَ التَّكَبُّرِ وَالْعَتْوِ وَمَجَاوِزَةَ الْحَدِّ؛ أَرَادَ: لَا تَفْعَلْ هَذَا وَلَا تَتَّخِذْهُ عَادَةً، فَإِنَّكَ إِذَا طَغَيْتَ لَا يَنْفَعُكَ مَالُكَ الَّذِي اكْتَسَبْتَ فَوْقَ الْكِفَايَةِ.

وروي: ويطلب ما يطغيك، يا ابن آدم لا ترضى بالقليل من الرزق، ولا تعتمد على ربك فيما قضى، ولا تمسك عن الطلب إذا بلغت الدرجة العظيمة في كثرة، وما بالك لا تقنع بما قَدَّرَ لك^(٣).

بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: طُوبَى لِعَبْدٍ عَاقِلٍ اخْتَارَ هَدْيَ الْإِسْلَامِ لِنَفْسِهِ، وَنَفَعَهُ اللَّطْفُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ رِزْقُهُ كَثِيراً وَلَا قَلِيلاً، بَلْ كَانَ كِفَافاً، وَلَيْسَ مَعَ الرِّضَا بِهِ لِبَاسُ الْقَنَاعَةِ.

وروي: «وقنع»، أي رضى وقنع به من القناعة، ومن كان كذلك تجدد مدّة حياته بذلك الراحة في القلب والبدن.

١. عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٢٨؛ جامع بيان العلم: ١١/٢؛ معجم السفر: ٣٢٣/١؛ مستدرک الوسائل:

٣٠٧/٣، ح ٣٦٤١.

٢. لم أقف عليه.

٣. راجع: مسند الشاميين: ٢٦٠/١؛ المعجم الأوسط: ٢٦٠/١، ح ٨٨٧٥.

و«كفاف» الشيء: ميله، والكفاف أيضاً من الرزق [و] القوت؛ وهو ما كفَّ عن الناس، أي أغنى؛ وفي الحديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ [آلِ] مُحَمَّدٍ كَفَافاً»^(١).
وزيوي: «هدي للإسلام»^(٢)، يقال: هديته لكذا وإلى كذا، كلاهما لغة.



١. الزهد لوكيع: ١٢٨/١؛ صحيح بن حبان: ٢٥٤/١٤، ح ٦٣٤٣؛ جامع الأحاديث: ٣٨٥/١٧، ح ١٠٤٣٦.
٢. الزهد لابن المبارك: ١٩٤/١؛ مسند الشهاب: ٣٦١/١، ح ٦١٦.

باب [٤]

اَسْفَعُوا تُوجَرُوا * سَافِرُوا تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا * يَسِرُّوا وَلَا تُعَسِّرُوا
وَسَكَنُوا وَلَا تُنْفِرُوا * قَارِبُوا وَسَدِّدُوا * زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا *
قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ * اِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ * اخْبِرْ ثَقَلَهُ [وَإِنْ] بِالنَّاسِ
رُويْدًا

هذا اللفظ الذي يؤمر به مشترك بين الإباحة والتهديد والأمر وغير ذلك، وبقرينة يعلم أنه مختص بأحدها، ألا ترى إلى قوله «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا»^(١) أنه إباحة، وقوله: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»^(٢) تهديد، و«اقِيمُوا الصَّلَاةَ»^(٣) أمر؛ وما يكون أمراً فإن كان في الشرعيات فإنه بظاهره يحمل على الوجوب ولا يحمل على الندب إلا بقرينة، وإن كان أمراً في العقليات فإنه مشترك بين الإيجاب والاستحباب ولا يحمل على أحدهما إلا بدلالة أخرى منفصلة؛ فإذا علمت ذلك، فتدبر هذه الأوامر كذلك.

يُنَادِي الْجَبَرَّ حَتَّى يَنْشِئَ أَوَّلًا عَلَى إِعَانَةِ الْمُسْلِمِينَ، معناه: انصروا أخاكم المسلم بالشفاعة والعون والتأييد في نوائبه وقضاء حوائجه، لتجدوا أجر ذلك وثوابه من الله في العاجل والآجل.

يُنَادِي الْجَبَرَّ وروي: «سافروا تغنموا وصوموا تصحوا»^(٤)، والمعنى واضح، لأن في السفر في

١. الجمعة: ١٠.

٢. فصلت: ٤٠.

٣. البقرة: ٤٣.

٤. تفسير السلمي: ٢٧٧/٢؛ البصائر والذخائر: ٢٨٣/٧؛ نثر الدرر: ١٢٣/١.

بسيط الأرض إصابة الغنيمة، وقد يكون السفر مصحّة، لأنّ فيه اضطراباً وانتقالاً وتحركاً، واحتمال مشقّات يطرد الداء من البدن. والصوم سبب الصحّة، لأنّ أكبر الدواء الأزم^(١).

وقيل: السفر على قسمين: سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب وهو الارتقاء من المعاصي إلى الطاعات ومن صفة النقص إلى صفة الكرامة، وترى ألفاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر بالقلب^(٢)؛ معناه: سافروا بقلوبكم نحو طاعة الله تسلموا وتغنموا فوائدها.

وقال أبو بكر الشبلي: «سافروا إلى الله تجدوا ثوابه في أوّل قدم»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْجَنَّةِ ثُمَّ قَالَ: عاملوا أنفسكم باليسر دون العسر، وعاشروا الناس على ميسور دون المعسور؛ وفيه الأمر بالرفق مع كلّ أحد سيّما إذا كان جاهلاً، والأمر بالمداراة مع النفس في حملها على الطاعات، فإنّ «الله يَكُمُّ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»^(٤). ثمّ أمر بتسكين المخلاّث على الأحوال دون تنفيرهم، أي سكّنوا في طريق الخوف والرجاء والوعد والوعيد ومعاملة الناس، ولا تقنطوا العباد من رحمة الله ولا تنفروهم من الرغبة إليك.

١. أصل الأزم: الشدّة وإمساك الأسنان بعضها على بعض، ولهذا سمّيت السنّة أزمة إذا أصابتهم فيها مجاعة وشدّة، فأراد بالأزم الإمساك عن المطعم؛ راجع: النهاية في غريب الحديث: ٤٧/١.

٢. راجع: الرسالة القشيرية: ٣٢١، باب أحكامهم في السفر.

٣. نقل ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدّة: ٣٦ رواية هذا نصّه: «لقي قارون يونس عليه السلام في ظلمات البحر، فنادى قارون يونس، قال: يا يونس! تب إلى الله، فإنّك تجده عند أوّل قدم ترجع بها إليه»؛ وكذا راجع: حلية الأولياء: ٢٥١/٥؛ تفسير السمعاني: ١٦٠/٤؛ وأبو بكر الشبلي الصالح المشهور الخراساني كان مالكي المذهب وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد، راجع: وفيات الأعيان: ٢٧٣/٢.

٤. البقرة: ١٨٥.

وروي: «بشروا»^(١)، أي برحمة الله من كان تائباً من المعصية مقبلاً إلى الطاعة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وقوله: «قاربوا وسددوا» له معنيان:

أحدها: قاربوا الناس بأخلاقكم، ولا تباعدوهم في ظاهر الأمر وإن كانوا على طريقة غير مرضية، وسددوا أموركم؛ فقاربوا أهل الزمان بأبدانكم، وزائلوهم بقلوبكم، واجعلوها على السادة.

والثاني: أنه يعني: عليكم بالمقاربة، وهو الاقتصاد في العبادة وترك الثقل على النفس بما يؤودها ويثقلها؛ وعليكم بالسداد، ولا تكلّفوا أنفسكم ما لا تطيقونه؛ قال الله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم أمر بالاقتصاد حتى في الزيادة، فإن الإغباب فيها من السنة، يقال: غبّ الرجل إذا زار بعد أيام، وإن الزائر على التواتر يستثقل؛ وفي قوله: «تَرَدَّدَ حَبًّا» - بفتح التاء - دلالة على أنه خاف الملالة من أبي هريرة دون نفسه، فإنه عليه السلام كان على خلق عظيم^(٣)، لا يمل أحداً^(٤).

وقيل: لا خلاف أن أمره في الإغباب للتوقي من السامة والملالة، وهذا الكلام منه عليه السلام مع أبي هريرة الذي قال له عمر بن الخطاب: أما تسكت عن هذه الأكاذيب؟! أنها لغلام الدوسي، ولم يكن مع خيار الصحابة الذين أمره الله أن يصبر معهم بقوله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ»^(٥).

١. مسند أحمد: ٣٩٩/٤، ح ١٩٥٨٨؛ صحيح مسلم: ١٣٥٨/٣، ح ١٧٣٢؛ سنن أبي داود: ٢٦٠/٤.

ح ٤٨٣٥.

٢. البقرة: ٢٨٦.

٣. أشار إلى كريمة: «وَإِنَّكَ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»، القلم: ٤.

٤. راجع: جزء فيه فوائد حديث أبي عمير: ٢٠، ح ٢.

٥. الكهف: ٢٨.

بَيَّانُ الْجَبَرِّ وروي: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ نَاقَتِهِ، فَقَالَ: حَلَيْتُهَا بِبَابِ الْمَسْجِدِ وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ فِي حِفْظِهَا؛ فَقَالَ إِنَّا لَا نَقْبَلُ قَيْدَهَا وَاعْمَلْهَا ثُمَّ تَوَكَّلْ»^(١).

وقال أهل التأويل: المراد فيه طمأنينة النفس في الشدة والرخاء والإلطاء^(٢) بالدعاء لسوء القضاء؛ والحديث أساس التوكل وعماده.

بَيَّانُ الْجَبَرِّ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ لَا يَضَيَّعَ الْإِنْسَانُ عِيَالَهُ، فَقَالَ: ابْدَأْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْسَنَ إِلَى الْخَلْقِ بِالَّذِينَ تَعُولُهُمْ، فَأَنْعَمْ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا وَفَضَّلْهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وروي: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بَعِيَالِكَ»^(٣). قال تعالى: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»^(٤).

بَيَّانُ الْجَبَرِّ وَقَالَ: قَلِي يَقْلِي وَلَا يَقْلِي، أَي: أَبْغُضْ. ومخرج قوله: «اخبر يقله» مخرج الأمر، ومعناه معنى الخبر، يريد: أَنْ أَكْثَرَ النَّاسَ ظَاهِرَهُمْ بِخِلَافِ بَاطِنِهِمْ، أَي أَنْكَ إِذَا جَرَّبْتَهُمْ وَتَعَرَّفْتَ أُمُورَهُمْ قَلِيَّتَهُمْ وَأَبْغَضْتَهُمْ لِمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ مَسَاوِيئِهِمْ. ويروى هذا عن علي أيضاً^(٥).

ويحكى أَنَّ الْمَأْمُونِ قَالَ: لَوْ لَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: «اخبر تقله» لَقُلْتُ: اقْلِهِ تَجْبِرُ.^(٦)

و«الهاء» للاستراحة، وقيل: لضمير المفعول، أي أخبر من شئت تقله. ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَزْمِ وَسُوءِ الظَّنِّ، وَالْمَعْنَى: لَا تَثِقْ بِالنَّاسِ إِلَّا قَلِيلًا، يَرِيدُ: عَلَيْكَ أَنْ

١. راجع: الآحاد والمثاني: ٢/٢١٥، ح ٩٧٠؛ مسند الشهاب: ١/٣٦٨، ح ٦٣٣.

٢. الإلزام.

٣. راجع: مسند الشافعي: ٣٢٧؛ صحيح مسلم: ٢/٦٩٢، ح ٩٩٧؛ جامع الأحاديث: ١/٣٣، ح ٨٠.

٤. التحريم: ٦.

٥. راجع: نهج البلاغة: ٥٣٣، حكمة ٤٣٤.

٦. راجع: العزلة: ٥٤؛ نهج البلاغة: ٥٥٣.

تأخذ^(١) الأمر بقوابله واستقباله قبل أن يفوت.

و«رويداً» ههنا صفة يقدر محذوف، أي وثوقاً رويداً، والكلام جملة؛ وقيل: «رويداً» في موضع الأمر على بابه، ومعناه الرفق، فيكون الكلام جملتين. و«رويداً» تصغير، و«روداً»، و«أرواد» على الترخيم.

قَسِدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ * أَقِلُّ مِنَ الدِّينِ تَعِشْ حُرّاً وَأَقِلُّ مِنَ
الدُّنُوبِ يَهْنُ عَلَيْكَ الْمَوْتُ وَأَنْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ
الْعِرْقَ دَسَّاسٌ * كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنِعاً تَكُنْ
أَشْكَرَ النَّاسِ * وَاحْبِبْ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً
وَأَحْسِنْ مُجَاوِرَةً مَنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِماً * أَبَاهِرْ! أَحْسِنْ جَوَارَ
مَنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِماً وَأَحْسِنْ مُصَاحِبَةً مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ
مُؤْمِناً

يَنَالُ الْجَبَرُ روي: «بالكتابة»^(٢)، والمعنى: إذا تعلّمت شيئاً فاكتبوه، «ما كتب قرّ وما حفظ
قرّ»^(٣)، فالكتاب قيد للعلم.

يَنَالُ الْجَبَرُ وروي: «اقلل» على فكّ الإدغام،^(٤) وهي لغة المحجاز؛ وهذا أمر بترك
الاستدانة، فإنّ الدين رِقٌّ للحرّ، وأخذ الدين مكروه على وجه ومحذور على وجه، فمن

١. في خ: يأخذ.

٢. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: ١٦٩/١؛ التمثيل والمحاضرة: ٣٧؛ الحاوي الكبير: ٢٠٧/١٦؛
وراجع: الثاقب في المناقب: ٢٧٨.

٣. راجع: التمثيل والمحاضرة: ٣٧؛ زهر الآداب: ١٤٠/١.

٤. راجع: نثر الدرر: ٣٦/٢؛ لباب الآداب: ٢؛ شرح نهج البلاغة: ٧٤/١٢.

أراد أن يعيش حراً فلا يستدين.

وقيل: المراد بالقلّة هنا النفي، كقوله: «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ»^(١). وكبييت الحماسة: قليل
غِرار النوم.^(٢)

وقيل: المعنى إن اضطررتم إلى الدين فالقليل منه.

فأما المراد بالخبر الآخر النهي^(٣) لا غير، أي: لا تذنّبوا ليسهل عليكم شدائد
الموت ومجيء الموت.

وفيه بيان: أن الموت يصعب على المذنبين، وغمراته وأهواله تزداد بكثرة الذنوب
والمعاصي.

وروي: «فإن العرق نزاع»^(٤)، نهى ههنا عن تزوّج الفاجرة والبغي، فإنه لا يؤمن
ذلك الخبث في ولده، ويدب^(٥) في عروقه، ويتخلّق الولد بأخلاقها، فتحمله على الشرّ،
ويدعوه إلى الدناءة والخبث.

و«النصاب»: الأصل. و«الدشّاس»: الدخال، من دسّ يدسّ إذا دخل، ونزع فلان
إلى أبيه بالشبه أي ذهب إليه.

بيان الخبر ثم قال: كن متحرّجاً في أوامر الله ونواهيه يكن أطوع الناس لأمر الله
وأخضعهم له، وكن راضياً بما أصبك من الرزق لتكون^(٦) أظهر الناس لنعمة الله عليك

١. الأعراف: ١٠.

٢. أنشده ثابت بن جابر في بحر طويل: «قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَيْبَةٍ دَمُ النَّارِ أَوْ يَلْقَى كَمِيّاً مَسْقِعاً».

راجع: ديوان ثابت بن جابر: ٢٠؛ الأغاني: ١٠٦/١٠.

٣. في خ: النفي.

٤. تفسير التعلبي: ١٩٨/٥؛ محاضرات الأدباء: ٢٢٢/٢.

٥. يسري.

٦. في خ: ليكون.

شاكراً وهو الاعتراف بنعمة المنعم.

يَتَذَكَّرُ النَّاسُ بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُكُونَ كُلُّ أَحَدٍ نَفَاعاً بِالنَّاسِ كَمَا تَكُونُ لِنَفْسِهِ، لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْصُوصِينَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ.

ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ سِيرَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي حَقِّ الْجَارِ سِرّاً وَجَهراً وَلَيْلاً وَنَهَاراً، سِوَاهُ كَانَ جَوَارِ السَّفَرِ أَوْ جَوَارِ الْحَضَرِ.

يَتَذَكَّرُ النَّاسُ وَكَذَا مَعْنَى الْخَيْرِ الَّذِي خَاطَبَ بِهِ أَبَاهُ رِيَّةً، وَأُورِدَ اسْمُهُ عَلَى الْمَكْتَبِ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ أَيْضاً لِمَنْ يَسْمَى عَمراً: يَا عَمِيرُ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا صَاحَبْتَ أَحَدًا تَبَرَّعاً فَأَحْسِنْ صَحْبَتَهُ لِيَحْفَظَ هُوَ أَيْضاً حَقَّكَ، فَيَحْسِنِ الْمَصَاحِبَةُ بَيْنَكُمَا بِسَبَبِكَ.

وَيَتَّصِلُ بِالْخَيْرِ الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِهِ: «تَكُنْ زَاهِداً»:

وَاغْمَلْ بِفَرَائِضِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِداً وَارْضَ بِقِسْمِ اللَّهِ تَكُنْ زَاهِداً *
ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ وَارْزُقْ فِيهَا [فِي] أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ
النَّاسُ * كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدْ
نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ * دَعْ مَا يُرِيدُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيدُكَ *
انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً.

يَتَذَكَّرُ النَّاسُ يَقُولُ: لَا عِبَادَةَ كَأْدَاءِ الْفَرَائِضِ، فَعَلَيْكَ بِهِ؛ فَمَنْ اسْتَعْمَلَ النَّافِلَةَ وَضَيَّعَ الْفَرِيضَةَ فَهُوَ هَالِكٌ؛ وَلَا زَهْدَ كَالرِّضَاءِ بِالْقَضَاءِ، فَكُنْ رَاضِياً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ حُلُوماً كَانَ أَوْ مَرأً لَتَعُدَّ مِنَ الزَّهَّادِ.

يَتَذَكَّرُ النَّاسُ وَسَبَبُ الْخَيْرِ الْآخِرُ مَا رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: الْعَمَلُ

الَّذِي يُحِبُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْعَمَلُ الَّذِي يُحِبُّكَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ مَا فِي يَدِكَ مِنَ الْخُطَامِ»^(١).

وقال الخليل بن أحمد: «الزهادة قلّة الرغبة في الدنيا وكثرة الرغبة في الدين»^(٢).
 بَيَانُ الْخَبَرِ وروى: «من أصحاب القبور»^(٣)، يريد: كن في الدنيا كالغريب الذي لا تعرج^(٤) إلا على ما قلّ وكفى، فإنك إذا فعلت ذلك كنت غريباً كعابر سبيل حتى ترد الآخرة وأنت محفّ من أثقال الدنيا؛ ولا تغترّ بالدنيا ولا تعمرها ولا تتخذها منزلاً ثوياً، واجعل حساب نفسك مع الأموات.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثم ذكر ما فيه رياضة النفوس وإصلاح الأود^(٥) من الأخلاق وكفّ النفس عن الشهوات والانقطاع من مساوئ العادات؛ فقال: اترك الريبة إذا اعترضتك، سواء كانت في أمور الدنيا وأسبابها أو في قواعد^(٦) الشرع وأحواله، فهذا أمر يدخلك في الشبهات ويدخل عليك شكاً وخوفاً، والتجئ إلى ما لا يوهمك بل يزيل عنك مادة الشك بالكلية.

و«الريب»: أن يتوهم فيه أمراً فلا ينكشف ما يتوهمه، ويقال: منه رايني يرييني، والإرابة: أن يتوهم فيه أمراً فلا ينكشف عما يتوهمه؛ والقول منه: أراب يريب. بَيَانُ الْخَبَرِ وبيان الخبر الأخير في تمامه، وهو: «يا رسول الله! كيف ظالمًا؟ فقال ﷺ: تدفعه عن الظلم»؛ وإثنا ذكر الحديث على خلاف عادة العرب، فإنهم كانوا ينصرون

١. الزهد: ١١٩/١؛ مسند إبراهيم بن أدهم: ٢٩؛ حلية الأولياء: ٤٢/٨؛ مستدرک الوسائل: ٥١/١٢.

٢. راجع: مقاييس اللغة: ٣٠/٣.

٣. مكارم الأخلاق للطبري: ٤٦٠.

٤. عرج عليه: مال.

٥. الاعوجاج.

٦. في خ: وفي قواعد.

إخوتهم على الظلم وغيره، فقطع ﷺ عنادهم وفسادهم، وقوم زيفهم لما قالوا: «يا رسول الله ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إِيَّاه»^(١).

ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ * اسْمَعْ يُسْمَعْ [لك]
* أَسْبِغِ الْوُضُوءَ يَزِدْ فِي عُمْرِكَ * وَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ
خَيْرُ بَيْتِكَ * اسْتَعْفِفْ عَنِ السُّؤَالِ مَا اسْتَطَعْتَ * قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ
كَانَ مُرّاً * اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ
النَّاسَ بِمَخْلُقِي حَسَنٍ



بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ لِلْخَبَرِ الْأَوَّلِ وَجِهَان:

أحدهما: أن يكون معناه: ارحم من في الأرض من الخلائق على طريق الشفقة وبذل النصيحة يرحمك من في السماء مُلكه العظيم، فإن الملائكة مع عظم أشخاصهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(٢) وأهل الأرض أكثرهم لا يفعلون ما يؤمرون ويعصون ما أمرهم، فكأنه لا ملك له في الأرض، والملائكة لا يفعلون ذلك إجباراً بل اختياراً.

والوجه الثاني: يعني: ارحم كل من في الأرض بالإحسان إليهم والإنعام عليهم وترك تعرضهم بسوء مضرة، يرحمك ملائكة السماء بالدعاء لك والاستغفار لك والشفاعة في حقك؛ فيكون «من في السماء» هم الملائكة، وإذا حمل «من» على الله في

١. راجع: الجامع في الحديث: ١/٣٦٤، ح ٢٥٦؛ سنن الترمذي: ٤/٥٢٣، ح ٢٢٥٥؛ سنن البيهقي: ٦/٩٤.

ح ١١٢٨٩؛ كنز العمال: ٣/٣١٩، ح ٨٧٨٦.

٢. التحريم: ٦.

قوله: «من في السماء» فلا بد من تقدير محذوف على ما ذكرناه لئلا يبطل دليل العقل، فإننا نعلم بالأدلة القاطعة أنه تعالى ليس في السماء ولا على العرش. ومعنى «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(١) أي استولى عليه مع عظمته، فكيف على ما دونه.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم أمر بترك التضييق والأخذ بالمساحمة، فقال سهل يسهل عليك. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«إسباغ الوضوء» هو أن تغسل الوجه واليدين مرةً أخرى بعد ما غسلتها مرةً واحدةً للفريضة، فالغسلة الثانية مستحبة للوجه واليدين واليسار؛ فإن لم تفعل واقتصرت على الفرض فلا لوم عليك إذا اعتقدت أن الثانية مندوب إليها؛ هذا سبب زيادة عمرك أيضاً؛ فلو كان الغسلة الثانية فريضةً أو مكروهةً أو محظورةً لما جاز أن يكون جزاء الإسباغ زيادة العمر.

ولا يجوز أن يكون المراد بالإسباغ في الوضوء المبالغة في إيصال الماء إلى الأعضاء التي هي محلّ الوضوء في الغسلة المفروضة، لأن الإسباغ على [ما] أمر به عَلَيْهِ السَّلَام مستحب، وفحوى الكلام وظاهره يدل على استحبابه، ولا خلاف أن من ترك شيئاً من أعضاء الطهارة التي يجب غسلها ولو كان قليلاً لم يكن ذلك بوضوء ولا يصحّ به الصلاة؛ وكذلك لا يجوز أن يكون المراد الإسراف في صبّ الماء، لأن المجاوزة عن حدّ الشرع في ذلك إما محظورة أو مكروهة^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الرابع: أنك إذا دخلت دارك فخصّ بالسلام عليهم وقت دخولك بكرةً وعشيّاً وغيرهما من سائر الأوقات، فإنه يستحبّ تجديد السلام؛ لأن هذه الكلمة تحية الإسلام ويفيد ذكرها وقولها بركةً كثيرةً وخيراً عظيماً ومحبةً في القلوب. و«السلام» من أساء الله، ومع اسمه الخير الكثير، سيّما إذا ذكره المسلم على مقتضى الشريعة.

١. طه: ٥.

٢. في خ: ومكروهة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ أمر بالإمساك عن السؤال، فقال: كفَّ عن مسألة الخلق، وامسك نفسك
ولسانك عن التعرُّض لذلِّ السؤال ما تجد الاستطاعة ويقدر على نوع من الكفاية
ومقدار من البلغة، فإذا لم تجد ذلك ولم تقدر عليه وكنت مضطراً فالسؤال مباح على
قدر وفق الكفاية دون طلب الزيادة والادِّخار.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حثَّ على قول الحقِّ وإن كان مرّاً على سامعه، وذلك إذا لم يكن فيه فساد
ومضرة نفسية أو مالية على القائل ولا على غيره، ولا يكون إرادة إلى الدنيا أو إلى
منازعة أحد وخصومته، أو رضاء لإنسان، بل يكون ذلك خالصاً لله، ولا يخاف فيه
لومة لأحد.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قال: كن متّقياً في جميع الأحوال، واتقِ عقابه تعالى حيثما يكون ليلاً ونهاراً،
في بلاء أو رخاء، في السفر والحضر، في مقام الذلِّ والعزِّ، في حقِّ الأجانب والأقارب،
في الكتان والإعلان، في الخوف والأمن؛ فهذا وصف ما ذكره الله في كتابه: «اتَّقُوا اللَّهَ
حَقَّ تَقَاتِهِ»^(١).

وقيل: هو أن يذكر الله فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر به.

ثُمَّ قال: إذا ارتكبت فاحشةً أو فعلت معصيةً فاتَّبِعْهَا التَّوْبَةَ بشرائطها لكي يمحوها
الله بفضله، وهذا كقوله تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ»^(٢)؛ ونحن نعلم بالدليل
القاطع بطلان الإحباط والتكفير بين الطاعة والمعصية وبين الثواب والعقاب لفقد
التنافي والتضادَّ بينهما، فلا يكون إشارة إلى ما ذكره المعتزلة من أنَّ الحسنات إذا
أرادت إجرائها على إجراء سيئات صاحبها كفرته؛ وإذا كان الأمر على عكس ذلك
فالسَّيِّئَاتِ تحبط الحسنات، يعني: كفر سيئاتك بإتيان التوبة التي هي الحسنات وتمحوها.

١. آل عمران: ١٠٢.

٢. هود: ١١٤.

«التاء» يجوز أن يكون لتأنيث الحسنة مجازاً، ويجوز أن يكون للخطاب أي: تمحها أنت بتوبتك التي أمرك الله بها؛ وفي الحقيقة اللاحق هو الله تعالى، لأنه وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد؛ ومثل هذه «التاء» توجد في القرآن كثيراً، منها قوله: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا»^(١)، أي: تطهرهم أنت أو الصدقة. ثم أمر بحسن^(٢) معاشرته الناس، فقال: خالطهم بخلق واسع طيب ووجه طلق وكلام حلو وإفراط من الرفق والمدارة سيما مع الجهلة، وأنزل كل فريق منازلهم، وفارقهم بأعمالهم إن كانوا عصاة.

بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ * تَهَادُوا تَزْدَادُوا حُبًّا * وَهَاجِرُوا
تَوَرَّئُوا أَبْنَاءَكُمْ بِجَدِّ * وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ * تَهَادُوا فَإِنَّ
الْهُدْيَةَ تُذْهِبُ وَحَرَّ الصَّدْرِ * تَهَادُوا تَحَابُّوا * تَهَادُوا فَإِنَّ الْهُدْيَةَ
تَذْهَبُ بِالسَّخِيمَةِ * تَهَادُوا فَإِنَّهُ يُضَعِّفُ الْحُبَّ وَيُذْهِبُ بِغَوَائِلِ
الصَّدْرِ * تَهَادُوا فَإِنَّ الْهُدْيَةَ تُذْهِبُ بِالضَّغَائِنِ * اطْلُبُوا الْخَيْرَ
عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ * بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَقُولُ: صلوا أرحامكم بالفعل الجميل والقول الجميل، فإن لم يمكنكم أن تساعدوا أقربائكم بالأموال والإحسان إليهم بها تبدؤوها^(٣) بتحية وسلام، ولا تهاجروهم؛ واستعار «البل» بمعنى الوصل، كما استعار اليبس بمعنى القطعية، لأن الأشياء يتصل بالنداوة ويتفرق باليبس.

١. التوبة: ١٠٣.

٢. في خ: الحسن.

٣. في خ: مبدؤها.

وقيل: «إِذَا اسْتَشَنَّا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَاثْبُلْهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ»^(١)، أي: جَدِّدُوا المودة بينكم وبين أقربائكم ولو بالتسليم عليهم. ومفهومه: أنه جعل السلام صلةً وإن لم يكن معه برٌّ غيره.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ حَتَّ عَلَى الْهَدِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، فَإِنَّهَا تَزِيدُ الْمُدَّةَ، وَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّا نَزْدَادُ حَبًّا إِلَى حَبٍّ مَتَى تَهَادَيْنَا.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَلِلْخَبَرِ الثَّالِثِ مَعْنِيَانِ:

أحدهما: أنه قال: هاجروا من بيوتكم مع الرسول ﷺ ليسرفوا بذلك وليكتسبوا مجداً وفخراً تورثونه أبناءكم، فيكون لأوليائكم^(٢) شرف ومجد على أقرانهم في زمانهم خلفاً عن سلف، ويكون أولادكم كحكمكم الهجرة.

والثاني: يعني: ابعدوا في النكاح وفي طلبه ممن دونكم من القبائل ليجتمع إليكم وإلى أولادكم وأن رزقتموهم أعوان عند اجتماع الوصلة من عشيرة إلى عشيرة؛ فإذا كنتم قد تزوجتم من قبيلة غير قبيلتكم كثر عشيرتكم، فكثر مجدكم بسبب ذلك، فإذا مَتَّمَّ أَوْرَثْتُمْ أَوْلَادَكُمْ ذَلِكَ الْمَجْدَ وَكَثْرَةَ الْعَشِيرَةِ وَالْأَعْوَانَ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: وَإِنْ فَعَلَ كَرِيمٌ مَا يَجِبُ بِسَبَبِهِ تَعْزِيرُهُ وَتَأْدِيبُهُ فَأَقِيلُوهُ عَثْرَتَهُ.

وقيل: معناه: اعفوا عن الأسخياء وذوي الجود والكرم والمروءة والشرف زلاتهم، ولا تحرقوا أستارهم، فإنهم يستأهلون العفو والتجاوز لجميل عاداتهم. وروي: «ذوي الهيئات»^(٣)، أي المروءات.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّهَادِي فِي خَمْسَةِ أَحَادِيثَ، فَقَالَ فِي بَعْضِهَا: اسْتَعْمَلُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ

١. قاله عمر بن عبد العزيز، راجع: الفائق في غريب الحديث: ١/١٢٨؛ النهاية في غريب الحديث: ٥٠٧/٢.

٢. لعل الصحيح: لأولادكم.

٣. مسند إسحاق بن راهويه: ٥٦٧/٢، ح ١١٤٢؛ مسند أحمد: ١٨١/٦، ح ٢٥٥١٣.

التهادي، فإنَّ بعث الهدية وإعطائها يزيل غش الصدر والحقد ويزيد المحبة بينكم ويبقي صفاؤها على حالة واحدة؛ والهدية تجعل المحبة في القلب ضعفي ما كانت قبلها، ويزيل الخيانة من الصدر والغضب، وتصفى القلب من المكاره والكدر.

وذكر في بعضها: أنه يزيد الحب، وفي بعضها: أنه يزيل الحقد، و«الوخر»: الحقد والسخيمة الموجودة في النفس، و«الضغن»: الحقد أيضاً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: إذا كانت بكم حاجة وفقر أو كانت لكم حاجة فاطلبوا عند الرجال الحسان الوجوه دون قبائحها، فإنَّ ذلك أقرب في النجاح.

وقيل: معناه: اطلبوا الحوائج عند المجتهرين الذين يحسن وجوههم لكثرة صلاتهم. وقيل: أراد حسن الوجه والطريقة عند الناس.

وقيل: أراد عند حسان الأعمال، وليس المراد طلب حوائج منهم دون اقتداء المرء بفعلهم وخيراتهم وهداياهم وزهدهم وانصافهم وعبادتهم؛ فندب طالب الخير أن يطلبه من معدنه، ومن استعان برأي أهل الخير ومشورتهم فقد طلب الخير من مظنته.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: بلغوا عني إلى أمتي الغائبين وإلى من لم يسمع كلامي الشرع الذي جئت به، فإن لم يفعلوا فبلغوا ولو آية من القرآن، أي: ليجتهد كل واحد منكم أن يوصل من الأحكام الشرعية إلى من يليه ومن بعده شيئاً، أو يعلم غيره آية من كتاب الله. وما بعده ^(١) متصل به.

وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ * اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ
يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى * اتَّقُوا الْحَجَرَ الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ فَإِنَّهُ أَسَاسُ
الْحَرَابِ * أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ * قُولُوا خَيْرًا تَغْنُمُوا

وَأَسْكُتُوا عَنْ شَرِّ تَسْلَمُوا * تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ * أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ
هَادِمِ اللَّذَاتِ * رَوَّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بِسَاعَةٍ * اغْتَمُوا تَزْدَادُوا
حِلْمًا * اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لَنَا خُلِقَ لَهُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ معنى الخبر الأول أَنَّهُ ﷺ رَخَّصَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَنْكُرُوا قِصَصَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَيَحْدِثُوا بِهَا لِيَكُونَ تَذْكِيراً لَهُمْ وَتَذْكِيراً لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلِيَتَعَطَّ بِأَحْوَالِهِمْ كُلٌّ مِنْ يَسْمَعُهَا؛
وفائدة قوله: «ولا حرج» هي أَنَّهُمْ إِمَّا أَنْكُرُوا نُبُوَّةَ أَنْبِيَائِهِمْ، أَوْ ارْتَكَبُوا الْكِبَائِرَ وَحَرَّفُوا
كِتَابَهُمْ وَغَيَّرُوا شَرَايِعَهُمْ، أَوْ أَسْقَطُوا صِفَاتَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَدَّلُوهَا، أَوْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
بِإِدْعَائِهِمْ النُّبُوَّةَ لَهُ ﷺ؛ وَكُلُّ هَذِهِ مِمَّا يَحِلُّ التَّحَدُّثُ بِهَا، وَإِنَّا لَا يَجُوزُ الْغَيْبَةُ لِمُؤْمِنٍ
يَقْتَرِفُ ذَنْباً وَيَسْتَرِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَنْكُرُهُ؛ فَرَفَعَ الْحَرْجَ وَهُوَ الضِّيقُ وَالْإِثْمُ عَمَّنْ يَحْدِثُ
عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْوَعظِ وَالزَّجْرِ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«الفراسة» - بالكسر - الاسم من قولك: تَفَرَّسْتُ فِيهِ خيراً، وَهُوَ يَتَفَرَّسُ أَيِ
يَتَنَبَّهٌ وَيَنْظُرُ، يَقُولُ مِنْهُ: رَجُلٌ فَارَسٌ النَّظَرِ.^(١)

وقيل: «الفراسة» سواطع أنوار لمعت في القلوب فيدرك بها المعاني.^(٢)

وليس لأحد أن يتفَرَّسَ فِي غَيْرِهِ، وَلَكِنَّهُ يَتَّقِي مِنْ فِرَاسَتِهِ بِالْاجْتِنَابِ عَنِ الْقَبَائِحِ،
لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ»، أَيِ: لَا تَفْعَلُوا الْفَوَاحِشَ فِي خَفِيَّتِهِ، وَاحْذَرُوا
أَنْ يَتَفَرَّسَ مُؤْمِنٌ مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ كُنْهَ حَالِكُمْ فَيَسْقُطُ حَرَمَتَكُمْ عِنْدَهُ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَظَنَّ الْمُؤْمِنَ كَهَانَةً؛ وَلَمْ يَقُلْ: تَفَرَّسُوا، وَكَيْفَ يَصَحُّ دَعْوَى الْفِرَاسَةِ مِمَّنْ هُوَ فِي
مَحَلِّ اتِّقَاءِ الْفِرَاسَةِ مِنْ غَيْرِهِ.^(٣)

١ . راجع: صحاح اللغة: ٩٨٥/٣.

٢ . قاله الواسطي؛ راجع: الرسالة القشيرية: ٢٦٦ و٢٦٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢٧/١١.

٣ . قاله أبو حفص النيسابوري؛ راجع: الرسالة القشيرية: ٢٦٩؛ مدارج السالكين: ٤٨٤/٢-٤٨٥.

وقيل: أراد بـ«نور الله» القرآن، لأن الله سَمَّى القرآن نوراً^(١)، فيعرض المؤمنُ فعلَ المنافق أو قوله ومذهبه على القرآن، فإذا رأى ذلك مخالفاً علم أنه ليس بمؤمن وإن ادعى الإسلام، وإذا رأى قول إنسان وفعله^(٢) كليهما موافقاً للقرآن أنزله منزلته وحكم بإيمانه على ما هو مأمور به ومتعبد؛ فحذَّر ﷺ المنافقين من المؤمنين. وقد ضمن الله ذلك للمؤمنين فقال: «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً»^(٣) أي ما يفرقون به بين الحق والباطل.

وروي: أعرابي^(٤) جاء إلى رسول الله، فقال: إِنَّ نَاقَتِي هَذِهِ حَامِلَةٌ مِنْكَ يَا أَعْرَابِي. فقال ﷺ: احذروا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله^(٥).

ويؤيد هذا قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا فَهُوَ [عِنْدَ اللَّهِ] قَبِيحٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ سَيِّئٌ»^(٦).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الثالث: تجنبوا من إنفاق الحرام في رفع البنيان، فإنكم [إن] وضعتم لبنة واحدة منه في أساس قصر، فإنها تخرب القصر، ويكون عاقبته راجعة إلى الخراب؛ فكان ذلك الحرام الذي أنفق في ذلك البناء أو تلك اللبنة التي وضعت في

١. أشار إلى كريمة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا»، النساء: ١٧٤.

٢. في خ: فعل.

٣. الأنفال: ٢٩.

٤. في خ: أعرابياً.

٥. لم أقف عليه.

٦. روضة الواعظين: ٣٠٤؛ قوت القلوب: ٤٧٧/٢؛ وأيضاً ورد على خبرين في سائر المصادر، والخبر الأول أعني: «الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»، راجع: صحيح البخاري: ٩٣٤/٢، ح ٢٤٩٩؛ والفقرة الأخيرة ورد في: مسند الطيالسي: ٣٣، ح ٢٤٦؛ المعجم الكبير: ١١٢/٩؛ وكذا راجع: المعجم الأوسط: ٥٨/٤، ح ٣٦٠٢.

قاعده أساس للخراب.

و«الأُس» والأساس: أصل البناء، وجمعها أساس بالمد.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ أَمَرَ كُلَّ أَحَدٍ بِإِكْرَامِ أَوْلَادِهِ وَإِحْسَانِ آدَابِهِمْ، وَالْإِحْسَانُ فِي آدَابِهِمْ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْخَيْرِ وَبِطَاعَةِ اللَّهِ.

وقيل: هي الطريقة التي يتحسَّن في آداب الدين والدنيا، وهي على أنواع شتى. و«الأدب» أصله الدعاء.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقَدْ ذَكَرْنَا بَيَانَ قَوْلِهِ: «قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا»، وَنَزِيدُهُ بَيَانًا مَا رَوَى: «أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ: لَمْ لَا تَتَكَلَّمْ؟ قَالَ: أَسْمَعُ فَأَعْلَمُ، وَأُسْكِتُ فَأَسْلَمُ»^(١).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: تَخَيَّرُوا عَفِيفَةً طَاهِرَةً النَّفْسِ لِنُطْفِكُمْ الَّتِي يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْهَا أَوْلَادَكُمْ، أَيُّ: لَا تَضَعُوا مَاءَكُمْ فِي أَرْحَامِ الْفَوَاجِرِ، فَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْهُمْ يَتَخَلَّقُوهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ؛ أَيُّ: تَكَلَّفُوا طَلَبَ مَا هُوَ خَيْرُ الْمَنَاحِكِ وَأَزْكَاهَا وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْخُبْثِ وَالْفُجُورِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَبَيَانَ الْخَبَرِ السَّابِعِ فِي تِمَامِهِ، وَهُوَ: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هَادِمُ اللَّذَاتِ؟ قَالَ: الْمَوْتُ»^(٢).

وإنما أمر بهذا الذكر ليكون المكلف صاحياً^(٣) عن سكرة الغفلة، ومتيقظاً بسبب مراقبة الموت.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَلِلْخَبَرِ الثَّامِنِ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَالَ: أَعْطُوا النَّفْسَ حَقَّهَا مِنْ لَذَّاتِ مِبَاحَةٍ، وَإِذَا تَعَبَتْ مِنْ كَثَرَةِ الصَّلَاةِ

١. قاله الشعبي، راجع: البيان والتبيين: ١١٢؛ محاضرات الأدباء: ٩٦/١؛ شرح نهج البلاغة: ٥٣/٧.

٢. حلية الأولياء: ٣٥٥/٦؛ شعب الإيمان: ٣٥٤/٧؛ ح ١٠٥٩؛ مستدرک الوسائل: ١٠٠/٢، ح ١٥٣٢.

٣. مفيقاً؛ صحا السكران: أفاق.

والعبادة فارتحوها^(١) ساعةً، ونفَسُوا عنها حِنَاقَهَا^(٢)، فَإِنَّ النفس تقوى بالنوم غير معصية لإجهاام^(٣) القلوب من أعمال أهل الخير وفعل الصلحاء وعلامة المؤمنين.

والثاني: أَنَّ معناه: رَوَّحُوا القلوب من هموم الدنيا بآذكار الآخرة، فَإِنَّ من كان فقيراً وهو مؤمن فإذا تفكَّر في نعم الله المدخرة له وثوابه يستريح قلبه.

والثالث: أَنَّهُ يعني: رَوَّحُوا من ذكر الآخرة بذكر الآخرة، لَأَنَّ المؤمنين إذا داوموا على ذكر النار وشدائدها وأهوالها والعقوبات التي تكون لأهلها والصراط والحساب والقبر ملت قلوبهم، فعليهم أن يروِّحُوا بذكر درجات الجنة وما أعدَّ الله فيها قلوبهم، فيكون رَوَّحُوا القلوب بالذكر؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يقول: اغفلوا عن ذكر الله، وقد قال الله: «ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»^(٤).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ ندب إلى تعميم العمامة ليكون المرء آخذاً بالسنة مخالفاً لمن كان على غير سيرة محمد، فَإِنَّهُ ﷺ كان يتعمَّم، وكان اسم عمامته السحاب. يعني: أَنَّ من اعتمَّ ازداد له الحلم والوقار والسكينة، وذلك ببركة أخذه آداب رسول الله ﷺ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الأخير: اعملوا الطاعات واشتغلوا بالعبادات ولا تظنُّوا أَنَّهُا تصعب عليكم، فكلَّ واحد منكم قد يسرَّ الله له ما خلق هو لأجله، وذلك عبادة الله، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(٥).

تَسْرَوْجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَلِيَّ مَكَايِرُ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءُ * تَسَحَّرُوا فَلِإِنَّ

١. في خ غير واضحة، ولعلَّ كان: فارغوها.

٢. جمع الحنق بمعنى الغيظ، كالجبيل والجبيل.

٣. الاستراحة.

٤. الأحزاب: ٤١.

٥. الذاريات: ٥٦.

فِي السَّحُورِ بَرَكَهٌ * اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمَرُهَا * اتَّقُوا الشُّعَّ فَإِنَّ
الشُّعَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ * اسْتَعْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ يَشْوِصُ
السَّوَالِكُ * أَعْرُوا النِّسَاءَ يَلْزَمُنَ الْحِجَالَ * اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ
خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ «سئلت: هل يجوز أن يأمر رسول الله أمته بشيء لا طريق لهم؟ فقلت: لا.
فقيل: أوليس أمر أن يتزوج المرأة الوادة لزوجها جداً الذي تكثر الولادة، ومن الذي
يمكنه أن يعلم ذلك؟ فقلت: إنه عني بذلك الإبكار؛ لأن الأغلب فيهن مودة أزواجهن
لم يعرفن غيرهم، فقلوبهن كلها تميل إليهم، وفي الغالب هن أكثر ولادة من النسيات؛
وقد قال عليه السلام: «عليكم بالأبكار، فإنهن أطيب شيء أفواهاً، وأفتح شيء أرحاماً»^(١).
وقال عليه السلام: «عَلَيْكَ بِالْبِكْرِ وَإِنْ بَارَتْ وَالْجَادَّةُ وَإِنْ دَارَتْ وَبِالْمُدِينَةِ وَإِنْ جَارَتْ»^(٢).
فندب رسول الله ﷺ أمته إلى نكاح الأبكار استعارةً.

وتام الخبر: «التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه،
وتقول^(٣): لا أذوق غمضاً حتى ترضى»^(٤).

ومنه دليل على استحباب النكاح لطلب الولد، لقوله: «فإني مكاثركم بالأنبياء»
أي مفاخر بكثر تكلم جميع النبيين.

١. تهذيب الأحكام: ٤٠١/٧؛ مصنف عبد الرزاق: ١٥٩/٦، ح ١٠٣٤٢؛ سنن سعيد بن منصور: ١٧٠/١، ح ٥١٣.

٢. قاله أمير المؤمنين عليه السلام: كتاب الدعوات: ٢٥٩، ح ٥٦؛ بحار الأنوار: ٢٧٧/٧٣، باب ٥٠، ح ٨.

٣. في خ: يقول.

٤. سنن النسائي: ٣٦١/٥، ح ٩١٩٣؛ مداراة الناس: ١٤٨؛ مستدرک الوسائل: ٢٣٨/١٤، ح ١٦٦٠١.

وقد قال عليه السلام: «سوداء ولودٌ خيرٌ من حَسَناءٍ عقيمٍ»^(١).

و«الودود» فعلول بمعنى المفاعلة، وكذلك «اللود» بناء للمبالغة، والودود مأخوذ من الود؛ وقيل: هو فعول بمعنى مفعولة.

يَبْنِي الْجَبَرُ ثُمَّ دَعَا إِلَى أَكْلِ السَّحُورِ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، رَخِصَةٌ إِذْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مَبَاحًا؛
وقال عليه السلام: «تَسَحَّرُوا [وَلَوْ بِجُرْعِ الْمَاءِ]، أَلَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»^(٢)، أي يرحمهم، لأنَّ فيه مخالفة اليهود، فهم لا يتسحرون. و«السحور» عون على الصوم وعلى البكور.

يَبْنِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا واحذروا من ألم النار وعذابها، واجتنبوا من أهواها بالصدقة ولو بنصف ثمرة من المظالم عليكم، فإنه مطالب به يوم القيامة.

وقيل: أراد به ردَّ السائل، أي: لا تردَّوهم ولو بتميرة أو بنصفها.

وهذا صحيح؛ لأنه عليه السلام قال في تمام الحديث: «فإن لم تجدوا بكلمة طيبة»^(٣)، وهي أن يقولوا: أعطاك الله.

وروي: «اتَّقُوا النار ولو بشقِّ ثمرة، فإنَّها تدفع ميتة السوء، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان»^(٤).

وإنَّها أثَّ الضماير، لأنَّ الشقَّ مضاف إلى مؤنث، كسور المدينة؛ أي: أن نصف الثمرة

١. غريب الحديث لابن سلام: ١٥٣/١؛ نثر الدرر: ١٤٠/١؛ المخصص: ٣٤٦/١؛ الفائق في غريب الحديث:

٢٠٥/٢؛ وكذا راجع: مستدرک الوسائل: ١٧٨/١٤، ح ١٦٤٣٥.

٢. تهذيب الأحكام: ١٩٨/٤، ح ٥٦٦؛ وكذا راجع: مسند ابن الجعد: ٤٨٧، ح ٣٣٩١.

٣. مسند الطيالسي: ١٣٩، ح ١٠٣٥ و ١٠٣٦؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣٥١/٢، ح ٩٨٠٧؛ وكذا راجع: النوادر (لراوندي): ٨٦.

٤. معجم ابن الأعرابي: ١٨٤/٤؛ غريب الحديث للخطابي: ٣٤٥/١؛ الفائق في غريب الحديث: ٢٥٦/٢.

تسدّ رمق الجائع، كما تورث الشبعان كِظَّةً^(١) على وتاحتته^(٢)، فلا تستقلّوا من الصدقة شيئاً.

وروي: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة، ثمّ أعرض وأشاح»^(٣)، أي: حذّر، كأنّك تنظر^(٤) إلى النار حين ذكرها، فأعرض ذلك وحذّر.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وبيان الخبر الرابع وتامه، وهو: «أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَّرُوا»^(٥)، أي أمرهم الشحّ بهذه الثلاثة، و«الشحّ»: البخل مع شدّة الحرص. وقيل: هو أشدّ بخل، فالبخيل يبخل بما [في] يده، والشحيح يبخل بما في يد غيره. وقال تعالى: «وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ»^(٦)، فعلى المكلف أن يدفع شرّ الشحّ عن نفسه ولا يتابعه.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثمّ قال: استغنوا عن أموال الناس ولا تسألوهم ولا تتعرضوا لهم ولو بالتسوك بمسواكهم. و«الشوص»: السواك؛ أي: لا تطلبوا من أحد سواكاً تستاكون به. وقيل: المراد: اقلل الرجاء إلى المخلوقين وإن كان في شيء حقير، وسل الله الصغير والكبير.

وشوص السواك في اللغة تحريكك إيّاه ونصبك بيدك.

وقيل: «الشوص»: الغسل والتنظيف، يقال: هو يشوص فاه بالسواك؛ أي: استغنوا

١. البطنة.

٢. ونَحَّ، وتاحتّة: كان قليلاً تافهاً.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ١٣٤/١؛ الفائق في غريب الحديث: ٢٥٦/٢.

٤. في خ: كانت تنظر.

٥. مسند الطيالسي: ٣٠٠، ح ٢٢٧٢؛ سنن أبي داود: ١٢٣/٢؛ ح ١٦٩٨؛ جامع الأحاديث: ٣٨٩/٣.

ح ٩٣٠٤.

٦. النساء: ١٢٨.

عنهم ولو بتطهير الفم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ أَمَرَ فِي حَقِّ النِّسَاءِ بِأَمْرَيْنِ كَأْتِيَهُمَا مُتَنَافِيَانِ، فَإِنَّهُ قَالَ أَوَّلًا: أَعْرَوْهُنَّ، ثُمَّ وَصَّى بِهِنَّ خَيْرًا ثَانِيًا.

والمعنى: أَعْرَوْا النِّسَاءَ مِنَ الثِّيَابِ الْفَاحِشَةِ، وَلَا تَفَرِّطُوا لَهُنَّ فِي لِبَاسِهِنَّ لِيَلْزَمْنَ دَاخِلَ مَنْزِلِهِنَّ، وَلَا يَبْزُرْنَ لِلرِّجَالِ، لِثَلَاثٍ يَقَعْنَ فِي الْفِتْنَةِ، وَقَدْ أَمَرَهُنَّ اللَّهُ بِأَنْ يَلْزَمْنَ الْبُيُوتَ، فَإِنَّهُنَّ مَكَائِدُ الشَّهَوَاتِ؛ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ فِي الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: «أَعْرَوْا النِّسَاءَ» عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: «يَلْزَمْنَ الْحِجَالَ» يَنْبَغِي عَلَى أَنَّهُ يَأْمُرُهُنَّ بِكَسْوِهِنَّ مَا يَحْتَاجْنَ إِلَيْهِ فِي الْمَنْزِلِ، وَالْمِهْنَةِ مِمَّا لَا يَدَّ لَهُنَّ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ؛ وَ«الْحَجَلَةُ»: خَذُرُ الْعُرُوسِ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ ثَانِيًا: أَرْفَقُوا بِهِنَّ، وَلَا يَنْوَهُنَّ^(١)، وَسَاهِلُوهُنَّ، وَكَلِّمُوهُنَّ بِكَلَامٍ حَسَنٍ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَطْعِمُوهُنَّ مَا يَسْتَحِبُّنَّ إِلَيْهِ إِذَا قَدَّرْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تُؤْذُوهُنَّ إِلَّا بِمَا جَوَّزَهُ الشَّرْعُ مِنْ تَأْذِيهِنَّ وَهَجْرَانِهِنَّ عِنْدَ النَّشُوزِ وَضَرْبِهِنَّ، وَأَحْسِنُوا صَحْبَتَهُنَّ مَعَ قَلَّةِ عَقْلِهِنَّ وَإِفْرَاطِ جَهْلِهِنَّ، فَإِنَّهُنَّ أَسْرَاءُ فِي أَيْدِيكُمْ. وَ«الْعَانِي»: الْأَسِيرُ.

وَ«اسْتَوْصَى» وَأَوْصَى بِمَعْنَى هَهْنَا، كَقَوْلِكَ: اسْتَجَابَ وَأَجَابَ بِمَعْنَى، وَاسْتَنْيَطَ الْهَاءُ وَأَنْيَطَهُ، وَاسْتَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَهُ.

وَقِيلَ: «السَّيْنُ» لِلطَّلَبِ، وَمَعْنَى الْاسْتِصَاءِ فِيهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّيْرُ أَمَرْنَا أَنْ نَأْمُرَ غَيْرَنَا، بِأَنْ يَوْصِيَ بِهِنَّ خَيْرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: اطْلُبُوا الْوَصِيَّةَ مِنْ غَيْرِكُمْ بِهِنَّ وَفِيهِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ إِذَا زَوَّجْتُمُوهُنَّ.

وَ«خَيْرًا» صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَيُّ: اسْتَوْصُوا اسْتِصَاءً خَيْرًا حَسَنًا، كَقَوْلِهِ

تعالى: «فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ»^(١)، كأنه قال: عفى عفواً ويجوز أن يكون انتصاب «خيراً» على أنه مفعول به، فإنه يقال: أوصيت إليه، كأنه أوصوا ليراعوهن خيراً.

حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ
الدُّعَاءَ * اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ * اَلْطُّلُوءُ بَيَاتَا
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * التَّمَسُّوْا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ * تَفَرَّغُوا مِنْ
هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ * كَيْلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ *
اَطْلُبُوا الْفَضْلَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ * اَطْلُبُوا
الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ
رَحْمَتِهِ^(٢) يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

بَيَانُ الْحِجَرِ أَي: اجعلوا الزكاة في منع الآفات والعاهات عن الأموال كالحصن لها، والعرب يقول لكل ممنوع محصن، والحصن يمنع المحذور، وكذلك الصدقات مانعة مال صاحبه من الخسران والنقصان. وأصل الزكاة البناء والزيادة، والصدقة دواء المريض؛ فأشار أن الواجب من الزكاة يحفظ الأموال من التلف، والمستحب منها يكون شفاء للمرضى؛ فحث على المفروض والمسنون. ثم قال: وادخروا تلاوة الدعاء في وقت الرخاء حذراً من حلول البلاء.

وقال عليه السلام: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»^(٣).

١. البقرة: ١٧٨.

٢. في المصدر: فَإِنَّ اللَّهَ رَحِمَةٌ.

٣. الأمالي للمفيد: ٣١٨؛ بحار الأنوار: ٢٩١/٩٠، أبواب الدعاء، باب ١، ح ١١؛ شعب الإيمان: ٤٢٩/٦، ح ٨٧٦٧؛ جامع الأحاديث: ٤٧٢/١، ح ٣٢٧٥.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ ^(١) رَقَّةً فِي قُلُوبِكُمْ وَلِيناً فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ، فَإِنَّ تِلْكَ الرَّقَّةَ تَكُونُ سَبَبَ نَزُولِ رَحْمَةِ اللَّهِ.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: وَالظُّلُوعُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ مِنْ اللَّهِ بِكَلِمَةِ «يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وَسَلُّوا اللَّهَ بِهَا. يُقَالُ: أَلْظَهَ أَيُّ لَزَمَهُ وَأَلْحَ عَلَيْهِ؛ وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْجَلَالِ وَالْعِظَمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ أَيُّ: يَا مَنْ هُوَ عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ مُكْرَمٌ لِأَوْلِيَائِهِ.

يُنَادِي الْجَبْرُ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْنِيكُمْ بَغْلَاتِ الْأَرْضِ وَثَمَرَاتِهَا الَّتِي هِيَ خَبَايَاهَا.

وَيَتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ:

أَحَدُهَا: اسْتِخْرَاجُ مَا فِي الْمَعَادِنِ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَنَحْوِهَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِمَارَةٌ إِلَى السَّفَرِ، فَإِنَّ الْمَسَافِرَ يَرْزُقُ بِبَرَكَةِ غَرَبَتِهِ أَكْثَرَ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْتَرِي كُلَّ شَيْءٍ حَيْثُمَا يَكُونُ أَرْخَصَ وَيَبِيعُ غَالِباً فِي بَلَدَتِهِ.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: فَرَزَّغُوا خَوَاطِرَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ مِنْ أَحْتِمَالِ الْحُزَنِ بِسَبَبِ مَا يَفُوتُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَطَلْبِ زِينَتِهَا وَغُرُورِهَا عَلَى قَدْرِ الْإِمْكَانِ وَالْجُهْدِ وَالِاسْتِطَاعَةِ.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ أَمَرَ بِكَيْلِ الطَّعَامِ وَوَزْنِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ بَرَكَةٌ.

رَوَى: «أَنَّهُمْ اشْتَكَوْا إِلَيْهِ ﷺ سُرْعَةَ فَنَاءِ الطَّعَامِ مِنْ بَيْوتِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: تَهِيلُونَ أَمْ تَكِيلُونَ؟ فَقَالُوا: نَهِيلُ. فَقَالَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - : كِيلُوا وَلَا تَهِيلُوا» ^(٢).

يَعْنِي: لَا تَرْسِلُوهُ وَلَا تَنْفِقُوهُ جَزَافاً، وَإِنَّمَا حَافِظُوهُ وَرَاعُوهُ بِالْكَيْلِ وَالْوِزْنِ عَلَى مَا هُوَ

١. فِي خ: رَأَيْتُمْ.

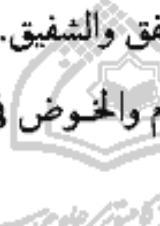
٢. رَاجِع: الْكَافِي: ١٦٧/٥، كِتَابُ الْمَعِيشَةِ، بَابُ كِرَاهَةِ الْجَزَافِ وَفَضْلِ الْمَكَايِلَةِ، ح ١؛ غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِابْنِ سَلَامٍ: ٢٥٢/١.

معتاد عنكم. وكلاهما^(١) عبارة عن معرفة مقداره.

وقيل: إننا أمرنا بالكيل خوفاً من الغش من البايع؛ لأنه إذا اکتال قلماً يخفى على الناس، ويبعد عن الخيانة، ويقرب من الأمانة، والبركة لا تدور إلا مع الأمانة. ولم يأمرنا^(٢) في ابتياع الطعام إلا بكيل معلوم ولا يجوز الجزاف فيه طلباً للنماء والبركة. وقيل: إذا اشتريتم طعاماً، يقول البايع: قد كلته وهو كذا، فكيلوا أنتم لتعلموا إن كان فيه فضل وزيادة تردوه وإن كان فيه نقصان [فتأخذوه].

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وبيان الخبر الذي بعدها في تمامه وهو: «فَإِنَّ فِيهِمْ رَحْمَتِي، وَلَا تَطْلُبُوا مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ سَخَطِي»^(٣).

و«الرحيم» في صفة المخلوقين هو المشفق والشفيق.

وفي الخبر تحذير عن صحبة اللئام والخوض في مخالطتهم وصدافتهم وتعليق الآمال في عطاياهم وصدقهم.  مَرْتَبَاتُ كَلِمَةِ تَزَكُّوْهُمْ سِدِّي
بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وتمام الحديث الأخير: «وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ تُسْتَرَّ عَوْرَاتُكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتُكُمْ»^(٤). يعني: اطلبوا الخير من الله؛ «مَدَّةَ دَهْرِكُمْ» أي: حياتكم، «وَتَعَرَّضُوا» أي: استقبلوا، «لِنَفَخَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ» أي: قوارب رحمته؛ وقيل: هي الساعات التي يجاب فيها الدعاء، على ما جاء به الأثر.

وفيه إشارة إلى عباد الله بالرجاء لسعة رحمة الله وقطع الرجاء من غيره تعالى، و«النفخة» طرف وقليل ونصب من الرحمة والعذاب وبعض ما يستحقه العباد، قال

١. لعل الضمير راجع إلى مصدر الفعلين أي: الكيل وعدم الإمهال.

٢. المعجم الأوسط: ٧٦/٥، ح ٤٧١٧؛ جامع الأحاديث: ٤٦٣/١، ح ٣٢١٠.

٣. مصنف ابن أبي شيبة: ١١١/٧، ح ٣٤٥٩٤؛ المعجم الكبير: ٢٥٠/١، ح ٧٢٠؛ جامع الأحاديث: ٤٦٢/١، ح ٣٢٠٣.

تعالى: «وَلَيَنْ مَسَّهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ»^(١).

أَجْمِعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ * نَوِّرُوا بِالْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ
لِلْأَجْرِ * تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ * دُعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ
اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ * اسْتَعِينُوا عَلَى أُمُورِكُمْ بِالْكِتَانِ هَذَا^(٢) *
اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتَانِ هَذَا * التَّمَسُّوا بِالْجَارِ قَبْلَ
شِرَى الدَّارِ وَالرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ * تَدَاوَوْا فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ
أَنْزَلَ الدَّوَاءَ * اخْثُوا فِي وُجُوهِ الْمُدَاحِينَ التُّرَابَ * أَحْسِنُوا إِذَا
وَلَيْتُمْ وَاعْفُوا عَمَّا مَلَكَتُمْ

بَيَانُ الْخَبَرِ يَقُولُ: إِذَا غَسَلْتَ الْأَيْدِيَ بَعْدَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ فَأَجْمِعُوا ذَلِكَ الْمَاءَ الَّذِي اسْتَعْمَلُوهُ
فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ مِنْ جَمْعِ مَاءِ وَضُوءِهِ وَطَهْوَرِهِ فِي إِنَاءٍ - خِلَافاً لِسَائِرِ الْمَلَلِ - جَمْعُ
شَمْلِهِ؛ وَهَذَا دَعَاءٌ لِلتَّائِلِ وَالْمُؤَانِسَةِ لِفَاعِلِهِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «امْلَأُوا الطُّسُوسَ وَخَالَفُوا الْمُجُوسَ»^(٣).

وَقِيلَ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ الْمُسْتَعْمَلَ غَيْرُ نَجَسٍ.

و«الوضوء» - بضم الواو - التَّوَضُّؤُ^(٤)، وَبِفَتْحِ الْوَاوِ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ، وَيَكُونُ
مَخْصُوصاً فِي عَرَفِ الشَّرْعِ بِالْمَاءِ الَّذِي يَسْتَعْمَلُ فِي وَضُوءٍ؛ وَفِي مَوْضِعِ اللَّغَةِ عَلَى الْعُمُومِ؛
وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْخَبَرِ أَصْلُ الْوَاضِعِ مَخْتَصَّ بِهَا يَغْسِلُ بِهِ الْيَدَ بَعْدَ الطَّعَامِ.

١. الأنبياء: ٤٦.

٢. لم ترد في المصدر: «هَذَا».

٣. شعب الإيمان: ٧١/٥، ح ٥٨٢٠؛ جامع الأحاديث: ٦١/١، ح ٢٦٦.

٤. في خ: والتوضؤ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر الثاني أي: صلّوا صلاة الغداة وفريضة عند تنوير الفجر وإسفاره وإضاءةه، ولا تؤخّروها من أوّل الوقت، فإنّ ملائكة الليل وملائكة النهار يحضرونها فيكتبونها جميعاً؛ فيكون أعظم للأجر.

قال تعالى: «إِنَّ قُرْآنَ الْقَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»^(١).

وروي: «أسفروا»^(٢) مكان «نوّروا»، وكلاهما في المعنى سواء، وهو الضياء والإسفار؛ و«التنوير» أن يصلّي عند إضاءة الفجر، وليس أحدهما تأخير الصلاة.

وقيل: معناه: نوروا صحائفكم بالسحر والفجر الأوّل والفجر الثاني، فإنّه وقت الأوّلين.

وقيل: أدّوا صلاة الصبح بعد الفجر الثاني إذا أصبحتم بها، وعرف بعضكم بعضاً، فإنّ ذلك أعظم لأجوركم؛ وإلى هذا يذهب من يستحبّ الصلاة في آخر الوقت.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ولقوله: «تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ» معان:

أحدها: أنّ ذلك كناية واستعارة عن الصلاة على الأرض وعلى التراب، لا على حصر ولا ثوب ولا حائل بينكم وبين التراب، فإنّه أقرب إلى التواضع.

وقيل: هذا أمر بالسجود على الأرض في الصلاة وعلى التراب والحجر والمدر وعلى ما ينبت منها، دون ما يؤكل ويلبس على غالب العادة، لئلا يشتغل القلب في حال الصلاة بحطام الدنيا. ومن خالف الوجه الأوّل لم يكن خارجاً عن السنّة.

وأما الوجه الثاني فلا يجوز مخالفته اختياراً ويجزي اضطراراً؛ وقوله: «فإنّها بكم بركة» أي الأرض بكم أمّ بازة، فإنّكم منها خلقتُمْ وفيها نعيديكم ومنها نخرجكم وعليها

١. الإسراء: ٧٨.

٢. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٦٨/١، ح ٦٤؛ صحيح بن حبان: ٣٥٧/٤، ح ١٤٨٩؛ جامع الأحاديث: ٤٣٠/١، ح ٢٩٦٢.

معاشكم، قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا»^(١).

والوجه الثالث: أنَّ «تمسّحوا» معناه: تيمّموا بتراب الأرض عند عدم الماء ووجود شرائط التيمّم، وذلك أنَّ اسم المسح يقع عليه.

وقيل: تمسّحوا بعد أداء الصلاة على موضع السجود من الأرض بأيديكم، وامسحوها على وجوهكم، وعلى موضع الداء إن كان بكم علّة؛ وكلاهما وجه حسن.

بيّن الخبر وقوله: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض»، بيانه في أوّله، وهو: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ»^(٢)، يقول: إذا دخل عليكم من أهل البدو من معه أمتعة وسلع ومنافع، فإنّه يكره للحاضر أن يكون له سمساراً ويبيع للبادي ويبالغ له في ذلك ويستنفع هو به خاصّة، فينبغي أن يترك الناس في أحوالهم لينفع بعضهم بعضاً، فإذا طاف البدوي بمتاعه في البلد ويبيع هو بنفسه ينتفع بذلك عامّة أهل البلدة.

بيّن الخبر ثمّ قال: استعينوا على حفظ أموركم الثابتة وأحوالكم المستقيمة^(٣) بكتّانه.

بيان الخبر في تمامه: «فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»^(٤).

وفيه حثّ على الحزم واله^(٥) أي الصائب وحفظ السرّ.

وروي: «أملك الناس لنفسه من كتم سرّه من صديقه»^(٦).

بيّن الخبر والخبر الآخر في هذا المعنى فائدته لمن يطلب حاجة أن يكتمها، فكتمان ذلك

١. المرسلات: ٢٥.

٢. مسند الشافعي: ١٧٣؛ مسند الحميدي: ٥٣٤/٢، ح ١٢٧٠؛ الأماشي للطوسي: ٣٩٧.

٣. في خ: المسقة.

٤. مسند الشاميين: ٢٢٨/١، ح ٤٠٨؛ المعجم الأوسط: ٥٥/٣، ح ٢٤٥٥؛ مسند الشهاب: ٤١٢/١، ح ٧٠٨.

٥. كذا في خ.

٦. الأمثال لابن سلام: ٦؛ المجالسة وجواهر العلم: ١٥٢، ح ٨٨٨.

استعانة له على قضائها؛ أي: لا تظهروا^(١) أنكم في طلب أمر وحاجة من فلان، فإنه يخاف عليها كيد حاسد أو عدو، إذ أطلع ذلك فيدفع ويمنع، فلا خير لكم في نشرها. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ثم قال: إن أردتم أن تشتروا داراً فسألوا أولاً عن جارها قبل أن تشتري، وإن أردتم سفراً فسألوا عن الرفيق والصاحب الذي أن يصاحبوه ويرافقوه قبل الشخوص.

و«الشراء» بمدّ وبقصر، فالشري مصدر شري يشري، و«الشراء» مصدر شاره يشاريه؛ ومثاله الزناء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثم أباح التداوي في عوارض الأقسام؛ واعلم أن الله خلق الأدوية شافية نافعة بإذن الله، فيداؤوا واطلبوا الدواء إذا عرض داء؛ وفيه إثبات الطب. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ثم قال: إذا آتاكم المداحون الذين اتخذوا مدح الناس عادةً وجعلوه بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه فادفعوهم عن مدحكم، لئلا تفتنوا ولا تغالطوا في حق أنفسكم، وازجروهم واحثوا التراب في وجوههم إن أمكنكم؛ وهذا استعارة، أي: أهينوهم واهجروهم وانهوهم.

وقيل: «التراب» ههنا بمعنى الخيبة والحرمان.^(٢)

فأما من مدح الإنسان على فعل حسن وأمر ممدوح محمود يكون منه ترغيباً في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمدح الذي يجب أن يحثى على وجهه، وإن صار مادحاً بما تكلم به.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثم أمر بالإحسان والعفو في حال القدرة، وبيان القرينة الأولى فيما قالت

١. في خ: لا يظهرها.

٢. روى ابن الأثير، راجع: النهاية: ٣٣٩/١.

عائشة يوم الجمل لأمر المؤمنين^(١): «مَلَكْتَ فَأُسْجِعُ»^(٢)، أي ظفرت فأحسِن.
وروي: «واعفوا عمن ملكتم»^(٣)، والأوّل أعمّ، كقوله: «مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ»^(٤).

أَطْعِمُوا طَعَامَكُمْ الْأَتْقِيَاءَ وَأُولُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ * اسْتَعِيدُوا
بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ * أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنْ كُلاًّ
مَيَسَّرَ لَنَا خُلِقَ لَهُ مِنْهَا * اضْلِحُوا دُنْيَاكُمْ وَاغْمِلُوا لِآخِرَتِكُمْ *
أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا * أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا
الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ^(٥).

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يقول: أطعموا كلّ تقى طعامكم لتنجوا ببركته في الدنيا من الآفات وفي
الآخرة من العقوبات، وخصّوا بإحسانكم المؤمنين من لين القول ومعاونتهم، واطلبوا
الإعادة من الله من طمع يقع في النفس يدنس العرض.
بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ و«الطبع»: العيب وكلّ عمل يشين المرء ديناً أو دنياً، والغنى من لم يكن للطمع
أسيراً.

وقوله: «يهدي إلى طبع» أي يؤدّي إلى شينٍ وعيب، وأصل الدنس الذي يغشي
السيف فيغطي وجهه من الطبع وهو الحتم. ثم استعير للدنس في الأخلاق والشين في

١. في خ: أمير المؤمنين.

٢. غريب الحديث لابن قتيبة: ١٢٨/٢؛ الأمثال لابن سلام: ٢٧؛ تاريخ الطبري: ٤١/٣؛ تهذيب اللغة:
٧٥/٤.

٣. لم أقف على مصدر.

٤. النساء: ٥.

٥. في خ: بالسلام.

الخلال.^(١)

بَيَّانُ الْخَبَرِ ثُمَّ أَمَرَ بِالْمَجَامَلَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَكَاسِبِ وَالْمَعَاشِ، فَإِنَّ مَا قَدَّرَهُ أَمُّهُ^(٢) لِلْمَرْءِ يَصِلُ إِلَيْهِ فِي يَسْرٍ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: «الدُّنْيَا جِيفَةٌ فَمَنْ أَرَادَهَا وَطَلَبَهَا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُحَالِطَةِ الْكِلَابِ»^(٣).

بَيَّانُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الرَّابِعُ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اصْلَحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعِيشَتِي، وَاصْلَحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَنْقَلِبِي»^(٤).

أَيُّ: لَا تَضَيِّعُوا أُمُورَ مَعَاشِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّكَاسُلِ، وَلَا تَعْمَلُوا لِلدُّنْيَا، وَاعْمَلُوا لِلْآخِرَةِ الَّتِي لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهَا.

بَيَّانُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: أَكْثَرُوا مِنَ السَّلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَيْلاً وَنَهَاراً وَعَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَلَا تَقْطَعُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِتَسْلَمُوا بِبَرَكَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ، فَإِنَّهَا تَحْيِيَّةٌ مَلَّةٌ^(٥) مُحَمَّدٌ ﷺ، وَتَسْلَمُوا مِنْ شُرُورٍ مِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: افْشَوْا فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّلَامَةِ، بَأَنْ يَكُونُوا كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَنْ سَالَمَ النَّاسَ سَالَمُوهُ.

بَيَّانُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْحَدِيثِ الْآخِرِ وَتِمَامُهُ وَطَوِيلُهُ: رَوَاهُ جَابِرٌ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَخْبِرْكُمْ بِغُرَفِ^(٦) أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» إِلَى أَنْ قَالَ هَذَا الْحَدِيثَ، قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «سَأَخْبِرْكُمْ عَنْ ذَلِكَ: مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ

١. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٣٥٣/٢.

٢. كذا في خ.

٣. حلية الأولياء: ٢٣٨/٨؛ الأمالي للجرجاني: ٢٦٧/٢؛ كنز العمال: ٢٨٧/٣، ح ٨٥٦٤.

٤. الدعاء للطبراني: ١٢١؛ الدعوات الكبير: ٣٢/١؛ جامع الأحاديث: ٩٢/١٠، ح ٢٩٥٦١.

٥. في خ: وملة.

٦. في خ: يعرف.

عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة والغداة في جماعة فقد صلى، والناس نيام: اليهود والنصارى»^(١).

احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي فَلَيْتَهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي * احْفَظُونِي فِي عِتْرَتِي
فَلَيْتَهُمْ خِيَارُ أَصْحَابِي * اسْتَشِيرُوا ذَوِي الْعُقُولِ تَرُشِدُوا،
وَلَا تَعْصُوهُمْ فَتَنْدَمُوا * تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوتُوا
وَيَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكَايَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصَلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ * تَجَافَوْا^(٢) عَنْ عُقُوبَةِ ذَوِي الْمُرُوءَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ^(٣) حَدًّا * تَجَافَوْا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَتَرَ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يعني بالخبرين الأولين: احفظوا قلبي بحفاظ حرمتي ومراعاتها حسب الواجب، أي: لا تضيعوا حرمة أصحابي وحرمة أهل بيتي؛ لأنهم على الحق والصدق والاستحقاق للمحبة والمساينة ما داموا على السنة والأثر.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وروي الخبر الثاني: «احفظوني في عتري، فلَيْتَهُمْ خِيَارُ أَصْحَابِي»، وروي: «خيار عشيرتي»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «يا عجباً! أيكون الإمامة بالصحابة ولا يكون بالصحابة

١. راجع: الفوائد لتام الرازي: ١٧٠/٢، ح ١٤٤٨؛ حلية الأولياء: ٣٥٦/٢.

٢. في خ: تخافوا.

٣. في ص: يكن.

٤. لم أقف عليه.

والقراءة»^(١).

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ أمر بالمشورة في الحادثات وفي جميع الأمور التي يحتاج في مثلها إلى الآراء، أي: شاوروا العقلاء يهدوكم إلى الرشاد، ويهديكم الله إلى رشدكم بما يجري على ألسنتهم، وإذا أشاروا إلى شيء فخذوا به، فإن لم تفعلوا ذلك وفعلتم غيره تندموا حين لا ينفع الندامة.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ أمر بالتوبة والعمل الصالح قبله وكثرة ذكر الله؛ أي: توبوا قبل الموت وحضوره، فإن بعده لا تقبل التوبة؛ وصالحوا بالأعمال الصالحة قبل شغلكم الذي يكون كالمانع منها، وذلك قبل الضعف وحلول الأجل؛ وصلوا ما بينكم وبين الله، وهو أن يكون النعمة من الله إليكم، والشكر منكم له تعالى، أي: اعمروا الطريق الذي يكون سبباً إلى عمارة الدين بذكر الله كثيراً وبالاستغفار.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ أمر في الخبرين الأخيرين بالعفو عمن له مروءة وسخاء. قال: إذا استحق صاحب المروءة التعزير ولا يستوجب الحد فتخافاً عن عقوبته؛ و«المروءة»: الرجولية، وهي إصلاح الدين والمعيشة وصلة الرحم والبر بالمسلمين.

وهذا دليل على أن للإمام الخيار في إقامة التعزير إن شاء يقيم، وإن شاء لم يقيم ويفعل ما هو الأصلح.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ قال: تباعدوا عن الحد والمكافاة على ذنب السخي وما يدر^(٢) منه من الجرائم، فإن الله يصفح بكرمه عن جرمه كل ما عثر، ويأخذ بيده ويعصمه من ركوب الزلات ويوقفه للتوبة. و«تجافوا» أي: تجنبوا وتباعدوا عن إقامة عقوبتهما.

١. راجع: نهج البلاغة: ٥٠٢، حكمة ١٩٠؛ خصائص الأئمة (عليه السلام): ١١١؛ بحار الأنوار: ٦٠٩/٢٩، باب ١٥،

ح ٢٣، في المصدر: «واعجباً! أ تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقراءة».

٢. كذا في خ، ولعل الصحيح: يذره.

عُودُوا الْمَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ * لِيَكُنْ بَلَاغٌ
أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ الرَّكِبِ * اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ
قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ
قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ * لِيَأْخُذَ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ
دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا
بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ أَي: الزموا هذين الأمرين اللذين هما من الحقوق اللازمة أمر الآخرة فكلاهما
آخر أمر الدنيا وأول أمر الآخرة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ حَتَّى عَلَى الْقَنَاعَةِ، فَقَالَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ أَحَدُكُمْ مِنْ دُنْيَاهُ أَكْثَرَ مِنْ
الْكُفَايَةِ، فَإِنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَرِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَنْقَلُ^(١) ظَهْرَهُ، فَإِنَّ الْمَسَافِرَ الدُّنْيَاوِيَّ
لَا يَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ زَادِ النَّفْسِ وَعَلْفِ الْمَرْكُوبِ؛ فليكتفِ بمثل ذلك.

و«البلاغ»: الكفاية.

قال الراجز: «تَرَجَّ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْبَلَاغِ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: اغْتَنِمْ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ: الشَّبَابَ، وَالصِّحَّةَ، وَالْغِنَى، وَالْفَرَاغَ، وَالْحَيَاةَ؛
فاعمل فيها قبل مجيء الخمسة التي هي أضدادها، فلا تقدر على طاعة في هذه
الأحوال المنكرة الصعبة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الأخير قريب من هذا، أي: ليأخذ كلَّ عبدٍ لأجل راحة نفسه
في الآخرة من جوارح نفسه باجتهادها في الدنيا، ومن مال دنياه لكرامة آخرته، ومن

١. كذا في خ، ولعلَّ الصحيح: فلا ينقل.

٢. راجع: أساس البلاغة: ٢٦٧؛ الصحاح: ١٣١٦/٤.

قوة شبابه قبل مجيء ضعف الكبر؛ وليأخذ في حياته العاجلة حظ الآجلة قبل حلول موانع الموت وعوائقه؛ فمن علم أنه ليس بعد الدنيا إلا الثواب والعقاب، فعليه بامتثال هذه الأشياء المذكورة ههنا واستعمالها على الحقيقة إذا خاف الله ورجاه.

كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمْ
الرِّقَّةَ وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ وَلَا يَخْتَلِفَنَّ بِكُمْ الْأَهْوَاءُ * أَكْرِمُوا
الشُّهُودَ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحَقَّ وَيَسْدُقُ بِهِمُ الظُّلْمَ * اتَّقُوا
دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَنَامِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : وَعِزَّتِي
وَجَلَالِي لَا تُصْرَتُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ

يُنَادِي الْجَبَرُ أَيُّ كُونُوا عَلَى أَهْبَةِ^(١) الرِّحِيلِ وَعِزِّمُوا الْخُرُوجَ، وَأَقِيمُوا فِي الدُّنْيَا مَقَامَ الضَّيْفِ
عِنْدَكُمْ فَإِنَّهُ لَا يَتَّخِذُ مَنَازِلَكُمْ دَارَ ثَوَاءٍ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ لَا تَجْعَلُوا الدُّنْيَا دَارَ قَرَارٍ؛ وَأَكْثَرُوا
الْمَقَامَ فِي الْمَسَاجِدِ لِيَزِدَادَ لَكُمْ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّ الْجُلُوسَ فِيهَا طَاعَةٌ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ صَلَاةٍ.
وقيل: أراد به قصر الأمل.

وقيل: معناه على سبيل التقديم والتأخير الذي يكثر في كلام العرب، أي: اتَّخِذُوا
البيوت مساجد من كثرة الإذكار والصلاة فيها، وأكثروا ذكر ما يرقُّ قلوبكم ويقرِّبكم
من الآخرة، وأكثروا التفكر في صنع الله وفي ذنوبكم وجرمكم على الله، وأكثروا
بكاءكم على ما سلف من ذنوبكم، فالباكي خشية العقاب ينزل الرحمة عليه. فإنكم
إذا فعلتم ذلك لا يغلب الهوى عليكم فيختلف بكم، ولا يظهر الخلاف فيكم لا في
الأصول ولا في الفروع.

وقيل: هذا كلام مستأنف، وهو نهي على طريقة قولهم: لا أراك ههنا، أي: لا تكن

ههنا فأراك؛ المعنى: لا تسلطوا الهوى على أنفسكم فيختلف بكم في كل بلاء وهلكة، ويصرفكم في العظام.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وقوله: «أكرموا الشهود»، له ثلاثة معان:

أحدها: أن هذا يكون خطاباً للمدّعين بأمرهم، ليراعوا الشهود الذين شهدوا لهم على خصمهم بالإكرام والإلطف قبل إقامة الدعوى، لئلا يمتنعوا من أداء الشهادة وقت الحاجة.

وقيل^(١): أراد به الأحكام، يخاطبهم أن لا يدعوا المشهود عليه ليخاصم الشهود ويقبّح القول فيهم حين أداء الشهادة، لئلا يفوت الحق بالمخاصمة؛ وإكرامهم صون أعراضهم بدفعه وزجره عن أبدانهم.

والثالث: أنه أمر كل مكلف من القاضي والمقتضى أن يكرم المسلمين العدول الذين يستأهلون أن يكونوا مشهوداً، فإن الله يدفع ظلم هذا عن هدايهم، ويستخرج حقوق المسلمين بمكانهم.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وللخير الأخير وجهان:

أحدهما: أنه زجرٌ للظلمة، فقد قطع على أن دعوة المظلوم مستجابة لا محالة، فإن الله لا يهمل الظالم مع أنه يمهله. وحمل الدعاء على الغمام استعارة عن قربهِ من الإجابة قرب الغمام من السماء.

والثاني: أن مفهوم الخبر تسليّة المظلوم ووعيد للظالم، يقول: المظلوم موقوف على النصرة وإن عطّلت محنته، والظالم على مدّرجة العقوبة وإن تنفّست مدّته. والخطاب مع الدعوة في «لأنصرتك» أحسن.

ارْحَمُوا ثَلَاثَةً: غَنِيَّ قَوْمٍ أَفْتَقَرَ، وَعَزِيرَ قَوْمٍ ذُلًّا، وَعَالِمًا يَلْعَبُ بِهِ
الْحَقُّ وَالْجُهَّالُ * تَعَشُّوا وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ فَإِنَّ تَرْكَ الْعِشَاءِ
مَهْرَمَةٌ * انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ
فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ * أَمِطِ الْأَذَى
عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ تَكْثُرُ حَسَنَاتُكَ * أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا
عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغَضُ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى
أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا * أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يَقُولُ: ابدلوا شفقتكم وعونكم على هؤلاء الثلاثة، لأنهم جميعاً في هوان؛ لأنَّ
الفقر بعد الغنى يُعَدُّ من المذلة، وكذا العزل من العزِّ، وكذلك العالم الذي يستخفَّ به، ولا
يستخفَّ بأولي العلم إلَّا أحمق أو جاهل، والأحمق هو من يهدى ولا يدري أنه يهدى.
بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ ثُمَّ قَالَ: كلوا العِشَاءَ، ولا يقتصر على الغداء فقط؛ لأنَّ الأكلة الواحدة وهي
التغذي يضعف الناس، فيصير من يترك العِشَاءَ هرماً لا لكبر سنّه؛ فأمرهم بتناول
الطعام مرّتين ليتقوّوا بذلك على العبادة وعلى قيام الليل.

وقيل في تأويله: إنّ القوم يخففون من المطعم والمتغذي، منهم الغداء لا يبلغ الشبع
أيضاً، ومن كان غذاؤه^(١) هكذا احتاج إلى العِشَاءِ، وأضرَّ به تركه وهرمه، فلذلك
أمرهم بالتعشّي.

و«الحشف»: رديء من التمر، و«الغداء»: طعام الغداة، و«العِشَاءُ»: طعام الليل،
والعِشَاءُ - بكسر العين - : من ابتداء وقت العصر إلى نصف الليل ونحو ذلك.
قوله: ترك العِشَاءَ يورث العِشْيَ، تركنوا عن هذا، فقالوا: ترك الممدود يورث

١. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: غذاؤه.

المقصود.

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: انظروا في أمور الدنيا، أي: حال من هو دونكم وأقلّ مالاً منكم لتستعظموها نعمة الله عليكم، فتكونوا^(١) إلى شكره تعالى أقرب؛ ولا تنظروا إلى من له مال كثير أضعاف ما عندكم فتحقرروا نعم الله التي عندكم، فتقربوا من الكفر إن تزددوا؛ أي: لا تستصغروا ولا تستحقروا؛ والصحيح «أسفل» بالنصب صفة محذوف هو ظرف، كقوله [تعالى]: «وَالرَّكْبُ أَهْلٌ مِنْكُمْ»^(٢) أي الركب ثبت مكاناً أسفل منكم.

وقوله: «فإنه» «الهاء» للأمر، و«ألا تزددوا» مبتدأ و«أجدر» خبره؛ ويجوز أن يكون الضمير للنظر الدالّ عليه «انظروا»، و«أجدر» خبر «إن» و«ألا تزددوا» بدلاً من الضمير؛ ويجوز أن يكون «أن لا» بمعنى لئلا، كقوله تعالى: «عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ أَنْ كَانَ»^(٣) أي: لأن كان.

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: نَحْ^(٤) ما يتأذى به المسلمون من طريقهم ليتضاعف لك الحسنات.

وقال عليّ: «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٥). و«أماط» أي أبعد.

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِعْتِدَالِ فِي الْحُبِّ وَالْبَغْضِ، ونهى عن الإفراط في المعينين، أي أحبيه حباً هوناً أي سهلاً يسيراً؛ والمعنى: لا تطلعه على جميع أسرارك، فلعله يتغير يوماً عن مودتك.

و«ما» تأكيد، ويجوز أن يكون للإبهام، أي حباً مبهماً لا يكثر ولا يظهر، كما يقول:

١. في خ: فيكونوا.

٢. الأنفال: ٤٢.

٣. القلم: ١٣ و١٤.

٤. أبعد وأزل.

٥. في المصادر: «إِمَاطَتُكَ»، راجع: مسند إسحاق بن راهويه: ٢٧٤/١، ح ٢٤٦؛ سنن النسائي: ٣٢٦/٥.

ح ٩٠٢٨.

أعطى شيئاً ما، أي شيئاً يقع عليه اسم العطاء، وإن كان قليلاً؛ وكذا بغضه بغضاً ذا قصد وذا رفق وهون لا إفراط فيه ولا تفريط.

وروي هذا الحديث مرفوعاً، ويروى موقوفاً عن علي^(١).

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ قَالَ: أوصيك أيها المخاطب بالتقوى، لأنها تحجز صاحبها عن المعاصي، وإن تقوى الله رأس أمر الشريعة كل طاعة وعبادة لله تعالى، فتقوى العبد منه تعالى رأسها، ولا يتم شيء مما يتقرب به المرء إلى الله إلا بالتقوى. والصحيح أن ما بعده متصل به.

وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أُمِّتِي وَلَيْزَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ
مِنْ نَفْسِكَ وَاخْزِنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ بِذَلِكَ تَغْلِبُ
الشَّيْطَانَ * إقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَأُهُ * أَدِ
الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أُسْتَمَنَّكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ * أَعْطُوا الْأَجِيرَ
أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَحِجَفَ عَرَقُهُ * احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَحِظْهُ
أَمَامَكَ تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ.

يعني: أن الله وضع عن هذه الأمة الرهبانية، وهي الإصر^(٢) الذي كان على من قبلنا، يريد فعل الترهّب ولزوم الصوامع والبيع وأمر مكانها بالجهاد مع الكفار وسماها «سنام العمل»^(٣).

١. راجع: سنن الترمذي: ٣٦٠/٤، ح ١٩٩٧؛ المبروحين: ٣٥١/١؛ وراجع: مصنف ابن أبي شيبة: ٢٦٠/٧.

ح ٣٥٨٧٦؛ غريب الحديث للحري: ١٠٥٩/٣؛ جامع الأحاديث: ١٠٦/١، ح ٥٦١ و ٦٩/١٦، ح ٧٠٥٢.

٢. العهد المؤكّد.

٣. «الجهاد في سبيل الله سنام العقل»؛ راجع: مسند أحمد: ٢٨٧/٢، ح ٧٨٥٠؛ صحيح ابن حبان: ٤٥٨/١٠، ح ٤٥٩٨.

ثم قال: لا تقل في الناس سوءاً ولا تعيبوهم به، وأنت تعرف ذلك القبيح من نفسك باطناً لا تية عن خلق وتأتي مثله عاد عليك إذا فعلت عظيم.

ثم أمر بالسكوت إلا من ذكر الله، فإن إبليس يطرد بالسكوت وبذكر الله؛ و«ذلك» إشارة إلى مصدر «اخزن» أو إلى ذكر الله الذي تدلّ عليه «إلا من خير»؛ لأن خير اللسان في ذكر الله، وهذا أولى من السكوت، فإن الشيطان يغلب بها. وروي: «إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْعَبْدُ خَنَسَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١) أي تأخر.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم بين أن المقصود من تلاوة القرآن هو العمل بأحكامه، وأن الأهم تدبره؛ يعني: من لم ينهه القرآن عن المحرمات ولم تؤثر قرائته في اجتنابه عنها يكون كمن لم يقرأه أصلاً ونبذه وراء ظهره، لفقدان تأثيره.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم أمر بأداء الأمانة إلى أهلها وترك الخيانة فيها، يقول: لا تقابل أحداً من خيانتته وغشه معك؛ فإذا كان [لك] على آخر شيء فذهب به وقع له عندك، فلك أن تحبس بقدر حقك من ماله، والأولى أن يأخذ شيئاً وإن كان ماله أمانة عندك، ولا يجوز أخذه البتة على حال.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال عليه السلام: إذا استأجرت أجيراً واستعملتموه في أمر، فإذا فرغ من عمله فأعطوه أجرته على الفور والعجلة؛ و«جفاف العرق» كناية عنه.

وهذا الحديث دليل على جواز الإجارة، وهي مأخوذة من الأجر. وقال فيه أهل الإشارة: إن العبد أجير الله، استأجره بفضل ليطيعه بأمره من وقت بلوغ خمس عشرة سنة إلى موته.

وقد قال الله تعالى: إِنِّي أَمَرْتُ رَسُولِي مُحَمَّدًا عليه السلام أَنْ يَقُولَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَوْقُوا أَجُورَ الْأَجْرَاءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُمْ، فأنا أولى أن أوفر على عبدي أجرة عمله قبل أن

١. راجع: غريب القرآن للسجستاني: ٤٨٧؛ أمالي ابن سمعون: ١٣١/٢.

يَجْفَ عرقه الذي كان على جبينه وقت الموت.^(١)

بَيِّنَ الْحَبْرَ ثُمَّ قَالَ: احفظ أوامر الله ونواهيه تجد نصرة الله معك عند مقدم المكاره، واحفظ وصايا الله لنبيك، وأطع الله واذكره كثيراً في الرخاء ليجازيك علىذكرك له عند وقوعك في البلاء. والمعارف - كما قيل - ينتفع. وما بعده متصل بما قبله.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئاً لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَوْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئاً أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَسَرَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ

حَثَّ عَلَى إثبات اليقين والرضا بالقضا، وَأَنَّ المقدور كائن لا محالة ولا تخطئ إصابته على كل حال، أَرَدَتْهُ أَمْ كَرِهَتْهُ، وأَرَادَهُ الْخَلَائِقُ أَمْ أَبَوْهُ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ العافية والبلاء من الله، لا مغير لحكمه ولا راد لقضائه. ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ يَقْضِيهَا اللَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ الْحَاجَاتِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ بِفَضْلِهِ عِنْدَ الْحَادِثَاتِ يَسْتَحِقُّ الْحَرَمَانَ وَالْقُضْبَ. فَقَدْ رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٢).

١. لم أقف على مصدره.

٢. سنن الترمذي: ٤٥٦٧٥، ح ٣٣٧٣؛ مستند أبي يعلى: ١٠/١٢، ح ٦٦٥٥؛ جامع الأحاديث: ٤٣٧/٢، ح ٦٤٧٩.

ثم قال: تيقن أيها المخاطب! إن نصره الله تنزل على العباد مع حبسهم النفوس على المكروه [و] ترك الشكوى والانكشاف^(١) والفرج مع ما تحمل الغموم، ومع كل شدة راحة في الدنيا؛ والقلم قد جرى في لوح المحفوظ بكل ما أراد الله أن يكون من أفعاله لمصالح عباده.

عَشَ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبَبُ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ
وَأَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌ بِهِ * اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ
أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ فَإِنْ
لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ * اسْتَدِّي أَرْمَةً تَنْفَرُجِي * أَنْفِقِي يَا
بِلَالُ! وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً * بَشِّرِ الْمُشَائِينَ فِي ظُلَمِ
الَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ الأوامر الثلاثة أولاً كلها وعيد وتهديد وزجر. يقول: إن عشت طويلاً، فإنك ستموت لا محالة؛ وإن كل من اتخذته في الدنيا حبيباً من الآدميين فإنه يفارقه بالموت أو بغيره؛ وكل ما عملت من طاعة ومعصية تجزي عليه وبه؛ فكن كما شئت. بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثم قال: افعل الخير إلى كل شكور وكل كفور، فإن أصبت الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصبت اللئام كنت أهلاً لها صنعت؛ وهذا في المندوبات؛ فإن الزكاة الواجبة لا يجوز وضعها إلا في أهل الحق المستحقين لها.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثم خاطب عَلِيّاً السنة المجدية، فقال: ابلغي في الشدة والمشقة الغاية تنكسني؛ وفيه تنبيه أن لا بقاء للمحنة في دار الدنيا كما لا بقاء فيها للنعمة؛ و«الأزمة»: القحط والشدة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ أَمَرَ بِلَالاً - وهو عبد حبشي كان يؤذن، ولعله كان ممسكاً - فقال: انفق على نفسك وعيالك وفي سبيل الله ولا يقتر عليك وعليهم، ولا ينقطع مادة الرزق عنكم، ولا تسيء ظنك بفضل الله وكرمه؛ أي: انفق ولا تخف فقراً.

وقيل: سبب^(١) ذلك أنه عليه السلام دعا بلالاً ليأتيهم بطعام من بيت رسول الله، فجعل مجيء قبضاً قبضاً قليلاً قليلاً، فقال عليه السلام: انفق يا بلال.^(٢)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ حَثَّ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ، فقال: خبر أئمتها المخاطب! من يعتاد هذا العمل بالبشارة وبالحال الحسنة، فمشيه في الظلمة إلى المسجد للصلاة سبب النور العظيم النافع في ظلمة القبر وفي ظلمات يوم القيامة.

عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ * عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا * إِذَا وَرَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا * إِذَا أَتَاكُمْ
كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ * إِذَا جَاءَكُمْ الزَّائِرُ فَأَكْرَمُوهُ * إِذَا غَضِبْتَ
فَاسْكُتْ * إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ * إِذَا بُوِيعَ
لِلْخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْأَخِيرَ مِنْهُمَا * إِذَا تَمَتَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا
يَتَمَتَّى فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ أَمْنِيَّتِهِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَأَوَّلُ الْخَبَرِ الْمُتَقَدِّمُ: «تنكح المرأة لميسمها ولهاها وجماها، فعليك بذات الدين تربت يداك»^(٣).

١. في خ: سببه.

٢. راجع: مسند الحارث: ٨٧٥/٢ ح ٩٤١؛ المعجم الكبير: ٣٤٠/١ ح ١٠٤٠؛ مسند الشهاب: ٤٣٧/١ ح ٧٤٩.

٣. مصنف عبد الرزاق: ٣٠٤/١١ ح ٢٠٦٠٥؛ غريب الحديث لابن سلام: ٩٣/٢؛ صحيح بن حبان:

٣٤٤/٩ ح ٤٠٣٦؛ الفائق في غريب الحديث: ٥٨/٤.

وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن المعنى أي: أفقرك الله إن لم تفعل ما أمرتك به من مراعاة الكفاءة في المناكحة وهي اعتبار التدنّ في المرأة. والثاني: أنه أراد أن يتزوج المخاطب وكلّ أحد المرأة المتدنية لا للمال ولا للجمال. ثمّ^(١) قصد بقوله: «تربت يدك»، كلمة جارية على السنة العرب يقولونها للخبر ولا يريدون به وقوع ذلك الأمر، ألا تراهم يقولون: لا أرض لك ولا أمّ لك، ويعلمون أن له أرضاً وأماً.^(٢)

وقال عليه السلام الخزيمة: «أَنْعِمُ صَبَاحاً تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٣)، وما ناقض بآخر كلامه أوله. و«عليك به» أي خذ به، والمراد ههنا: خذ بنكاح ذات الدين أصابت يدك كلّ خير. يُنَالُ الْخَيْرَ ثمّ قال: خذوا بما تطيقونه من الأعمال الحسنة، ولا تتكلّفوا ما لا تطيقونه من العمل، فإنّ ثواب الله لا ينقطع عنكم حتّى ينقطع جهدكم في الطاعة، وأول الخبر: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٤). ف«عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» معناه: أن الله لا يقطع عنكم فضله وإحسانه وأنّ أكثر ذلك إليكم حتّى تملّوا من السؤال والدعاء ففعلهم ملل على الحقيقة، وسمى فعله تعالى مللاً وليس بملل، لمشكلة اللفظ وازدواج الكلام، كقوله تعالى: «فَسِنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ»^(٥).

وروي: «فإنّ الله لا يملّ - بضم الميم - حتّى تملّوا» أي: أن الله لا يعاقبكم بالملّة^(٦)

١. الوجه الثالث.

٢. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٩٤/١-٩٥.

٣. تهذيب اللغة: ١٤/١٩٥؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ٢٦٣؛ كنز العمال: ١٣/١٦٧، ح ٤٣-٣٧٠.

٤. الزهد لابن مبارك: ١/٤٦٨؛ صحيح البخاري: ٥/٢٣٧٣، ح ٦٠٩٩؛ مسند الشهاب: ١/٤٤٢، ح ٧٥٨؛

جامع الأحاديث: ٥/٢٠٨، ح ١٤٣٧٩.

٥. البقرة: ١٩٤.

٦. التراب الحارّ والرماد أو الجمر.

والنار حتى تعرضوا^(١) عن طاعته ملال عبادته.

بَيَانُ الْجَبَرِّ ومعنى الخبر الثالث حث على الكرم ومحاسن الأخلاق، فإن من باع شيئاً، فإذا وزنه للتسليم إلى المشتري وأرجح، فقد ار الجحان هبة منه.

وقال عَلَيْهِ السَّلَام - وقد باع شيئاً من آخر - : «زَنْ، يَا وَزَّانُ! وَأَرْجِحْ»^(٢). وفيه دليل على جواز هبة المشاع، لأن مقدار الرجحان هبة غير متميزة من جملة الثمن، وفيه دليل على جواز أجرة القسّام والوزّان والكتّال.

بَيَانُ الْجَبَرِّ ثم قال: إذا آتاكم سيّد قوم أو زائر فأكرموا كلّ واحد منها؛ فأكرام^(٣) السيّد أن تقوموا^(٤) بين يديه، وأن تعظموه قولاً وفعلاً.

بَيَانُ الْجَبَرِّ وإكرام الزائر بحسن البشر وطلاقة الوجه والإلطاف وخدمته.

بَيَانُ الْجَبَرِّ ثم قال: إذا غلب عليك سورة الغضب ولا يتكلّم^(٥)، فإن كلّ ما تقوله في تلك الحالة لا يكون صواباً، وإذا لزمت السكوت ذهب عندك عزّة النفس وسلمت من شرّ غضبك. و«الغضب» تغير يلحق الإنسان عند ما يخالف في شيء يهواه فيحمله الكبر عليه.

بَيَانُ الْجَبَرِّ ثم حث على التآلف والتودّد، لأنك إذا أخبرت عن نفسك بمحبّة للغير فقد اشتملت قلبه بذلك واجتلبت به وده، وإذا لم يعلم أنك تحبه فإن نصحته لم يأمن أن يسيء ظنه، فلا يقبل قولك؛ فتجرّ عداوة.

بَيَانُ الْجَبَرِّ ثم قال: إذا كان بينكم، أيها المسلمون! إمام قد بوع له وكان حقّاً وحيّاً،

١. في خ: يعرضوا.

٢. المعجم الكبير: ٨٩/٧، ح ٦٤٦٦؛ جامع الأحاديث: ٢٢٣/٩، ح ٢٨١٤٩.

٣. في خ: فأكرموا.

٤. في خ: يقيموا.

٥. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: فلا تتكلّم.

واقْتلوا الخارج عليه. وقد كان رسول الله أخذ البيعة لعلّ يوم الغدير، وبويع بعد عثمان أيضاً، فالأخوذ له البيعة بعد ذلك كان للمسلمين وعلى المسلمين مقاتلته كما فعلوه بصفّين، وإن لم يتمّوا.

يُنَازِلُ الْجَبْرَ ثُمَّ نَبّه أخيراً على أنّ الجزاء يكون على التّمتّي، وهو حديث النفس على بعض الوجوه كما يكون على الأعمال. وقال: إذا تَمَتَّيْتُمْ فتمتّوا الخير يثابوا، لا الشرّ فيعاقبوه. وروي: أنّ كلّ ذنب بين العبد والرّب لا يكتب عليه إثم ما يتمّ، وما بين العبد والخلق يكتب.^(١)

وقيل: المراد: لا يتمّ الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا جاهه ولا دابّته ولا خادمه، يكتب عليه وزر ذلك بدليل قوله تعالى: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ»، إلى قوله: «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأُمْسِ»^(٢)، ولكن ليقول: اللهم ارزقني مثله، وذلك قوله: «وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ»^(٣)

مرکز تحقیق کتب و ترمیم اسناد

١. لم أقف على مصدره وقائله.

٢. القصص: ٧٩ - ٨٢.

٣. النساء: ٣٢.

باب [٥]

مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ * مَا أَعَزَّ اللَّهُ بِجَهْلٍ قَطُّ وَلَا أَدَلَّ اللَّهُ بِحِلْمٍ قَطُّ
 * مَا نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ * مَا شَقِيَ عَبْدٌ قَطُّ بِمَشُورَةٍ وَلَا
 سَعْدَ بِاسْتِغْنَاءٍ بِرَأْيٍ * مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ وَلَا نَدَمَ مَنْ اسْتَشَارَ
 * مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ مُحَارِمَهُ * مَا رَزَقَ الْعَبْدُ رِزْقاً
 أَوْسَعَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ * مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ مَالاً إِلَّا أَهْلَكَتُهُ *
 مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ مِنْ مَظْلَمَةٍ^(١) إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ
 بِهَا عِزّاً

بَيَانُ الْجَبْرِ يَقُولُ: مَا احتاج وما اقتصر من لزوم الاقتصاد في معيشته وسلك مسلك
 الوسط في الأمور كلها، وذلك مال لا يفنى وكنز لا ينفد.
 بَيَانُ الْجَبْرِ وَلَا يَسْتَحِقُّ الإِعْزَازَ مِنَ اللَّهِ مَنْ كَانَ جَاهِلاً بِمَعْرِفَتِهِ وَبِأُؤَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
 وَبِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الذِّلَّ مِنْهُ تَعَالَى مَنْ كَانَ حَلِيمًا؛ وَالْحِلْمُ تَرْكُ الْعُقُوبَةِ
 مَعَ الْقُدْرَةِ.

بَيَانُ الْجَبْرِ ثُمَّ قَالَ: مَا خَلَقَتِ الشَّفَقَةَ عَنْ قَلْبِ أَحَدٍ بِالْخُذْلَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ شَقِيًّا. يريد:
 إذا طلبت من أحد بذل الشفقة وحسن الاهتمام ولا يرحم، فاعلم أنه شقي.
 بَيَانُ الْجَبْرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى الْإِخْذِ فِي الْأُمُورِ بِالمَشُورَةِ وَنَهَى عَنِ الْإِسْتِبْدَادِ بِرَأْيِ النَّفْسِ،

١. في الشهاب وكذا أكثر المصادر: عن مظلمة.

وفي حديث آخر: «ما هلك رجل عن مشورة»^(١)، وهي بضم السين البتة.

وقيل: من استبد برأيه ضلّ.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: لا يخيب من فضل الله من واظب على طلب الخيرة منه تعالى في الأمور كلها، ولا يندم من ابتذال أموره بعد الاستشارة. وقيل: أول الأمر الاستخارة ثم الاستشارة.

يُنَادِي الْجَبْرُ وعلامة التصديق بالقرآن القيام بأحكامه من الأمر والنهي وغيرهما، فمن آمن ببعض وكفر ببعض لم يصحّ إيمانه^(٢)، واستحلال الحرام اعتقاداً كفر، وإن كان تناوله دون الاعتقاد بتحليله فهو فسق.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ دعا إلى الصبر في الأحوال، فقال: الصبر أوسع الأرزاق للعباد؛ لأنه معوّلهم. وروي: «إن الله أوحى إلى بعض الأنبياء: تخلّق بأخلاقى، ومن أخلاقى أنى أنا الصبور»^(٣).

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ حضّ على تعجيل الزكاة من قبل أن تختلط بالمال فتذهب بركته. وقيل: أراد تحذير العاملين عليها عن اختزان شيء منها لأنفسهم أو خلطها بأموالهم.

يُنَادِي الْجَبْرُ وللخير الأخير معنيان:

أحدهما: أنه إذا تصدّق فالله يخلف عليه ما هو خير عاجلاً وآجلاً أو في الحاليتين، فكان ماله ما نقص.

١. الجامع في الحديث: ٣٩٣/١، ح ٢٨١؛ شرح كتاب السير الكبير: ٦٣/١؛ وراجع: تهذيب الكمال: ٢٠٧/١٥.

٢. خ: إتمامه.

٣. أوحى إلى داود عليه السلام، راجع: تفسير السلمي: ٣٤٤/٢؛ الرسالة القشيرية: ٢٢١؛ إحياء العلوم: ٦١/٤؛ ربيع الأبرار: ٢٢٦/١.

والثاني: إنَّها لا ينقص ماله من الصدقة؛ لأنَّ من له مائتا درهم كأنَّها له بعد الحول مائة وخمسة وتسعين، وخمسة منها حقٌّ للمساكين، فإلله أخرج ما لم يكن من ماله، فأخراجه إليهم لم يكن ناقصاً لماله.

ثمَّ حثَّ على العفو عن المظالم لينال صاحبه عزُّ الدارين.

مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ * مَا أَصْرَ مَنْ
اسْتَعْفَرَ وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً * مَا أَحْسَنَ عَبْدُ الصَّدَقَةِ
إِلَّا أَحْسَنَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ عَلَى تَرَكَّتِهِ * مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ
هَارِبُهَا وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَثَّ عَلَى الاحتراز من شرار النساء، فقال - موصياً لمن بعده - : ليس فتنه أضُرَّ على دين الرجل من مكر المرأة؛ قال: «إنَّها أموالكم وأولادكم فتنه»^(١)، أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن^(٢) أمر الآخرة، فإنَّ الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم.

وعن ابن مسعود: «لا يقولنَّ أحدكم: [اللَّهُمَّ أعوذ بك] من الفتنة، فإنَّه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلَّا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقول: أعوذ بالله من مضلات الفتن»^(٣).

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

١. الأنفال: ٢٨.

٢. في خ: وعن.

٣. راجع: تفسير الطبري: ٢٢٤/٩؛ تفسير الثعلبي: ٣٣٠/٩؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٨٥/٥؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٣/٤؛ تفسير مجمع البيان: ٣٤/١٠؛ وكذا نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ راجع: نهج البلاغة: ٤٨٣؛ الأمالي للطوسي: ٥٨٠، ح ١٢٠١.

فَاَحْذَرُوهُمْ»^(١)، يعني: أن بعضهم بهذه الصفة، ولذلك أتى بلفظة «من»، وهي للتبويض. وقال ابن المبارك: «ليس ما يذهبون إليه من فتنة الشهوة فقط، ولكنه بما يدخل على الأزواج من القطعيات في القربات، وما يبتلى به الرجل من أجل النساء من الثياب الفاجرة وغيرها»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: مَا كَانَ مَصْرًا عَلَى الذَّنْبِ - أَي مَقِيًّا عَلَيْهِ - مِنْ اعْتَادِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَهُوَ سُؤَالُ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ، وَلَوْ تَكَرَّرَ مِنْهُ ذَنْبُهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعِينَ مَرَّةً؛ وَهَذَا أَصْلُ قَوِيٍّ فِي بَابِ الرَّجَاءِ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لَطِيبَ نَفْسٍ الَّذِي يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ وَلَا يَخَافُ الْفَقْرَ عَلَى أَوْلَادِهِ مِنْ بَعْدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مَا عَلَيْهِ فَاللَّهُ خَلِيفَتُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الْأَخِيرِ: أَنَّ مَنْ حَقَّ مِنْ يَهْرَبُ مِنَ النَّارِ وَيَطْلُبُ الْجَنَّةَ أَنْ لَا يَنَامَ؛ وَالْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: الْهَارِبُ مِنْهَا، فَحُذَفَ، كَقَوْلِهِ: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ»^(٤).

وَلَهُ وَجْهٌ آخَرٌ، وَهُوَ أَنَّهُ جَعَلَ الْهَارِبَ كَاسِمَ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَضَافَهُ إِلَى النَّارِ بِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَهْرَبُ مِنْهَا، كَمَا قَالُوا: «كُوكِبُ الْخَرَقَاءِ»^(٥)، لِمَا كَانَتْ تَقُومُ عِنْدَ طُلُوعِهِ، فَلَمْ يَرَاكَ الْفَعْلَ وَصَلَتَهُ، وَجَعَلَهُ كَاسِمَ الشَّخْصِ؛ وَأَمَّا الضَّمِيرُ فِي هَارِبَهَا فَلَا يَرْجِعُ إِلَى النَّارِ، لِأَنَّهُ لَا تَعَلُّقَ وَلَا اتِّصَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِخَبَرٍ

١. التَّغَابُنُ: ١٤.

٢. لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ.

٣. سَيَأُ: ٣٩.

٤. الْأَعْرَافُ: ١٥٥.

٥. «إِذَا كُوكِبُ الْخَرَقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَةٍ سَهْلٌ أَذَاعَتْ غَرْهَهَا فِي الْفَرَائِبِ»؛ رَاجِعٌ: جَمْهَرَةُ اللَّغَةِ: ١١٠٨/٢؛ الْفَخْصُصُ: ٦/٢.

للمبتدأ ولا صفة ولا حال، لأن النار معرفة والجملة نكرة، ولا يصح أن يكون صفة لها، ولا يجوز أن يكون حالاً، لأن من حق العامل في الحال وذو الحال أن يكون واحداً، كقوله: زيد راكباً، والعامل في النار مثل الذي أضيف إليه، فانجزر النار به؛ ولا يصح فيه أن يكون ناصباً، لأنه ليس بفعل ولا مشتق عن الفعل؛ فإذا بطلت هذه الوجوه وجب أن يقدر محذوف يكون موصوفاً لـ «مثل»، فإن «مثلاً» لا يكون إلا صفة، وذلك كأنه قال: ما رأيت نقمة مثل النار نام هاربها، ولا نعمة مثل الجنة نام طالبها؛ فالضمير راجع إلى النعمة والنعمة لا إلى النار والجنة.

مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَمَا كَانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ * مَا اسْتَرَدَلَ اللَّهُ عَبْدًا إِلَّا حَظَرَ عَنْهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ * مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً * مَا زَانَ اللَّهُ عَبْدًا بِزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِقَافٍ فِي دِينِهِ وَقَرَجِهِ * مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدٍ إِلَّا عَظُمَتْ مُوَوَّنَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ * مَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا دَنْبًا فَيُعَيَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بيان الخبر يقول: لا يكون حسن التأمل والتفكير في الأمور وانقلابها ظهراً^(١) البطن والسهولة فيها إلا يزداد زينة لكل شيء، ولا يكون قلة الرأي في الأمور إلا يزداد شيئاً وهو العيب.

وفي الحديث: «الرَّفْقُ يُنِّنُ وَالْخُرْقُ سُؤْمٌ»^(٢)، الدهش والتحير والجهل أيضاً.

١. كذا في خ.

٢. الكافي: ١١٩/٢، كتاب الإيمان الكفر، باب الرفق، ح ٤؛ المعجم الأوسط: ٢٤٢/٤، ح ٤٠٨٧؛ شعب

الإيمان: ١٣٩/٦، ح ٧٧٢٢.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: علامة الرذالة والذل والهوان للعبد من الله حرمانه من فضيلة العلم الشرعي وأدب الدين والدنيا؛ و«ما استرذله» أي ما حقره، يقول: لا يخذل الله عبداً في اقتباسه علم الشريعة إلا لكونه رذلاً.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ والداء والشفاء من الله، فاطلبوا شفاء دلائكم منه تعالى.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ولم يزين عبداً أفضل من العفة، فعفاؤه في الدين الأخذ بسنة رسول الله والاجتناب عن البدعة، وعفاف الفرج حفاظه عن الزنا؛ وذلك بتوفيق الله تعالى؛ وإتينا عطف عفاف الفرج على عفاف الدين وإن كان بعضه تخصيصاً وتفخيماً لشأنه كقوله: «وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ»^(١)، فكأنه جعل جبرئيل وميكائيل جنساً غير الملائكة لفضلهما عليهم لما خصهما بالذكر، وكقوله: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَتَّ مِنْ كَثْرَةِ مَالِهِ وَعِلْمِهِ عَلَى إِحْتِمَالَاتٍ وَمُؤَوَّنَاتٍ طَالِبِيهَا، فَمَنْ قَامَ بِالْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ وَتَحَمَّلَ مَرَاعَاتِهِمْ رَغْبَةً وَاجْتِهَاداً دَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَعْظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ بِمَا أَهَّلَهُ لَهُ.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ أَكَّدَ رَجَاءَ الْمَذْنَبِ الَّذِي سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ دِينَهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَهْتَكُ سِتْرَهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَعْيبُهُ بِهِ. وَلَا يَنْتَصِبُ «فِي عَيْرِهِ»؛ والتقدير: فهو يعيره؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوَابٍ وَجْزَاءٍ لِلنِّفْيِ، بَلْ هُوَ عَظْفٌ عَلَى جَمَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ مُشَبَّهًا بِالْجَوَابِ، كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ «كُنْ فَيَكُونُ»^(٣) بِالنَّصْبِ.

مَا أَكْرَمَ شَابَّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيِّضَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ

١. البقرة: ٩٨.

٢. الأحزاب: ٧.

٣. البقرة: ١١٧.

* مَا امْتَلَأَتْ دَارُ حَبْرَةٍ إِلَّا امْتَلَأَتْ عِبْرَةٌ وَمَا كَانَتْ فَرَحَةً إِلَّا
تَبِعَتْهَا تَرْحَةٌ * مَا اسْتَرْعَى اللَّهُ عَبْدًا رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ * مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَغْظَمَ أَجْرًا مِنْ
وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ يُطِيعُهُ وَيَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى

بَيَانُ الْجَبَرِ حَتَّى إِذَا عَلَى حِفْظِ قُلُوبِ الْمَشَائِخِ وَتَرْكِ الْخِلَافِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا خَدَمَ
شَابَّ قَوِيٍّ شَيْخًا ضَعِيفًا لَشَيْخُوخِيَّتِهِ إِلَّا سَبَّبَ اللَّهُ وَسَهَّلَ وَعَوَّضَ عِنْدَ كِبَرِ ذَلِكَ
الشَّابِّ وَضَعْفِهِ مِنْ يَخْدُمُهُ؛ وَ«قَيَّضَ اللَّهُ فَلَانًا لِفَلَانٍ» أَيُّ جَاءَهُ بِهِ وَأَنَاحَهُ لَهُ؛ وَمِنْهُ
قَوْلُهُ: «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ»^(١).

بَيَانُ الْجَبَرِ وَالْخَبَرِ^(٢) الثَّانِي بَيَانٌ: أَنَّ الدُّنْيَا غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَأَنَّ أَحْوَالَهَا لَا تَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ؛
وَالْمَعْنَى: أَنَّ كَثْرَةَ فَرَحِ الدُّنْيَا يَكُونُ بَعْدَهَا كَثْرَةُ حُزْنِهَا، وَقَلَّةُ الْفَرَحِ فِيهَا يَتَّبِعُهَا أَيْضًا قَلَّةُ
الْحُزْنِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِعَزِّهَا وَمَلِكِهَا وَمَالِهَا وَنَعِيمِهَا، فَكُلُّهَا إِلَى نَفَادٍ وَفَنَاءٍ.
وَالْحَبْرَةُ: الْفَرَحَةُ، وَضَدُّهَا: التَّرْحَةُ، وَهِيَ الْحُزْنُ.

وَرَوَى: «وَمَا كَانَتْ فَرَحَةً إِلَّا تَبِعَتْهَا تَرْحَةٌ»^(٣)، أَيُّ: وَلَا يَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ^(٤).
بَيَانُ الْجَبَرِ وَالْخَبَرِ أَنْ يَعِدَّ فِي الرِّعْيَةِ وَرَاعِيَهَا^(٥) وَجِهَانُ:
إِحْدَهُمَا: أَنْ يَكُونَ الرَّاعِي كَافِرًا، وَالْمَعْنَى: مَا مَكَّنَّ اللَّهُ سَيِّدَ قَوْمٍ لَتَسْلُطَهُ عَلَيْهِ فَلَمْ

١. فَصَّلَتْ: ٢٥.

٢. فِي خ: وَالْخَبَرِ.

٣. الزَّهْدُ لِابْنِ مَبَارَكٍ: ٨٩/١ ح ٢٦٣؛ مُسْتَدْرَكُ الشَّهَابِ: ٢١/٢ ح ٨٠٣؛ جَامِعُ الْأَحَادِيثِ: ٨٧/٨ ح ٢٤٥٩٧.

٤. أَشَارَ إِلَى: «حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ» فَهِيَ تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ؛ أَنْشَدَهُ ابْنُ مَبَارَكٍ، رَاجِعٌ: دِيْوَانُ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ مَبَارَكٍ: ٢٥.

٥. فِي خ: لَهَا.

ينصحهم - والدين النصيحة - إلا عاقبه الله بحرمانه دخول الجنة، وكذلك إن مات على غش وخيانة معهم.

والوجه الثاني - على تسليم أن يكون هذا الراعي مؤمناً - فعنا: لم يجعل الله عبداً راعياً لقوم فلم يحفظها بعدله إلا حرّم الله عليه درجات الجنة، ومن ولاه رسول الله والإمام فهو بمن استرعاه الله.

و«الرعية» هم الذين يحفظهم الراعي، وراعيّ الأمر: نظرت فيه؛ و«حاطه» يحوطه أي رعاه وكلاؤه، والحمار يحوط عاتته أي يجمعها^(١).

وقال عليه السلام: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فلم يعدل عليهم فعليه بهلة الله»^(٢)، أي لعنة الله. و«الراعي»: الوالي، و«الرعية»: العامة، واسترعته الشيء فرعاها.

روى الحسن: أن عبيد الله بن زياد عادَ معقل بن يسار في مرضه الذي توفي فيه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لو علمت أني حي ما حدثتك، إني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ما من عبدي»^(٣)؛ إلى آخره.

بيان الخبر ثم حث من يستوزر على الصلاح والإصلاح، فقال: ليس رجل مسلم يكون له مثل أجر وزير إمام يطيع الإمام إذا أمره الإمام بطاعته تعالى وإصلاح حال عباد الله، وإنما يعظم أجره لأنه بين طاعتين: لازمة ومتعدية.

مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يُصِيبُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى

١. راجع: العين: ٢٧٦/٣؛ المحيط: ١٧٥/٣.

٢. راجع: مسند أبي عوانة: ٣٨٠/٤، ح ٧٠٢٣؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٧٠/١؛ النهاية: ١٦٧/١؛ جامع الأحاديث: ١٤٧/١٣، ح ٥٠١؛ والبهلة: اللعنة، والمباهلة: الملاعنة.

٣. راجع: مسند ابن الجعد: ٤٥٨، ح ٣١٤٠؛ صحيح البخاري: ٢٦١٤/٦، ح ٦٧٣١؛ المعجم الكبير: ٢٠٧/٢٠، ح ٤٧٤؛ مسند الشهاب: ٢٢/٢، ح ٨٠٥.

يُفَارِقُ الدُّنْيَا * مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا وَبَجْنَتِيهَا مَلَكَانِ
 يَقُولَانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَنْفِقِي خَلْفًا وَلِمُسِيكِ تَلَفًا * مَا ذُنُبَانِ
 ضَارِيَانِ فِي زُرِيَّتِهِ غَنَمٍ بِأَسْرَعٍ فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْهَالِ فِي
 دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ * مَا عُيِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِ فِي دِينٍ *
 مَا مِنْ شَيْءٍ أَطِيعَ اللَّهُ فِيهِ بِأَعَجَلِ ثَوَابٍ مِنْ صَلَةِ الرَّجِمِ وَمَا مِنْ
 شَيْءٍ يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ بِأَعَجَلِ عُقُوبَةٍ مِنْ بَغْيٍ

يَبَازِلُ الْجَبَرُ يَقُولُ: أَكْثَرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الذُّنُوبِ، فَلَا تَعْيِيوهُمْ إِذَا ارْتَكَبُوا جَرِيمَةً، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اعْتَادَ ذَنْبًا يَعُودُ إِلَيْهِ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ إِلَى آخِرِ عَمَرِهِ ثُمَّ يَتُوبُ، وَأَيُّ
 الرَّجُلِ الْمَهْذَبِ؟! وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَصِيرُ كَافِرًا وَلَا يَزُولُ عَنْهُ اسْمُ الْإِيمَانِ
 بَارْتِكَابِهِ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ كِبَائِرُ.

وَتِمَامُ الْخَبَرِ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ قَدْ اعْتَادَهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ
 مُفْتَنًا تَوَّابًا نَاسِيًا إِذَا ذَكَرَ ذَكَرٌ»^(١).

و«الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ» أَيُّ السَّاعَةِ بَعْدَ السَّاعَةِ وَالْحَيْنُ بَعْدَ الْحَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَسْمَاءِ
 الَّتِي يَعْتَقِبُ عَلَيْهَا التَّعْرِيفَانِ: اللَّامِي، وَالْعَلَمِي.

حَكَى أَبُو زَيْدٍ: لَقِيْتَهُ فَيْئَةً وَالْفَيْئَةُ؛ وَنَظِيرُهَا لَقِيْتَهُ سَحْرًا وَالسَّحَرُ، وَإِلَاهَةً وَالْإِلَاهَةُ،
 وَشُعُوبٌ وَالشُّعُوبُ.^(٢)

وَقَوْلُهُ «إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ» صِفَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَالْوَاوُ مُوَكَّدَةٌ، وَمَحَلُّ الصِّفَةِ مَرْفُوعٌ مَحْمُولٌ عَلَى

١. مسند عبد بن حميد: ٢٢٥، ح ٦٧٤؛ المعجم الكبير: ٣٠٤/١١، ح ١١٨١٠؛ شعب الإيمان: ٤١٩/٥.

ح ٧١٢٤؛ الفائق: ١٥٠/٣.

٢. راجع: سر صناعة العرب: ٣٥٩/١ و ٧٨٤/٢؛ المحكم والمحيط الأعظم: ٤٥٧/١٠؛ الفائق في غريب

الحديث: ٥٩/٣.

محل الجار والمجرور، لأنك لا تقول: ما من أحد في الدار إلا كريم، ولكن ترفعه.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى إِنْفَاقِ الْهَالِ فِي رِضَا اللَّهِ وَتَرْكِ الْبَخْلِ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ بِحِكْمَتِهِ أَمَرَ
 الْمَلَائِكَةَ الْمُسَوِّكِينَ بِالشَّمْسِ أَنْ يَدْعُوا عِنْدَ كُلِّ طُلُوعٍ بِهَذَا الدُّعَاءِ - وَهُوَ وَقْتُ
 الِاسْتِجَابَةِ - وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَخْلِفَ وَيَعْوِضَ لِلْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى
 أَهْلِيهِمْ، وَيَتْلَفُ وَيَعْرِضُ لِلْهَلَاكِ أَمْوَالُ الْبَخْلَاءِ.

وفيه تنبيه واضح على أنه إذا أنفق على وفق الشرع لا يفنى، بل يكون صاحبه على
 مراقب الخلف من فضل الله؛ وإذا أمسك على طريق البخل لا يبقى، بل يكون على
 مرصد التلف والهلاك وفقدان الخلف.

وفيه تحريض على الجود والسخاء وفعل الكرم، ونهي عن اللؤم والدناءة.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَذَّرَ عَنْ أَمْرَيْنِ مُضَرِّينَ، فَقَالَ: إِيَّاكُمْ وَحُبَّ الشَّرَفِ وَحُبَّ الْهَالِ فِي الدُّنْيَا!
 فَإِنَّهَا أَضَرَّتْ فِي دِينِ الْمُؤْمِنِ مِنْ ذُبْنَيْنِ بَيْنَ غَنَمٍ بِلَا رَاعٍ؛ وَفِيهِ نَهْيٌ عَنْ حُبِّ الرِّئَاسَةِ
 وَالْوُقُوعِ فِي آفَاتِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَنَحْوِهَا؛ وَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «تِلْكَ الدَّارُ
 الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا»^(١).

وفي رواية أخرى: «مَا ذُبْنَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأُفْسَدَ لَهَا مِنْ جِرْصِ الْمُرْتِ عَلَى
 الْهَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(٢).

و«الضاري»: الجايع، و«الزريبة»: مراعى الغنم، وضرى الكلب بالصيد ضراوة أي
 تعوّد، و«كلب ضار».

وقوله: «بأسرع فيها من حبّ الشرف» أي بأسرع فيها فساداً من حبّ الشرف.

١. القصص: ٨٣.

٢. مصنف ابن أبي شيبة: ٨٤/٧ ح ٣٤٣٨٠، مسند أحمد: ٤٦٠/٣، ح ١٥٨٣٢؛ جامع الأحاديث: ٢٥٧/٦، ح ١٨٥٨٧؛ وراجع: روضة الواعظين: ٤٢٩.

بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: [ما] عبادة أعظم ثواباً من الفقه، لأن العلم يكون علماً وعملاً.
بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ دَعَا إِلَى صَلَاةِ الرَّحْمِ وَنَهَى عَنِ الْبَغْيِ أَخيراً؛ فَقَالَ: يَجَازِي الْعَبْدَ عَلَى صَلَاةِ
الرَّحْمِ فِي الدُّنْيَا عَلَى التَّعَجُّيلِ بِطُولِ الْعُمُرِ وَزِيَادَةِ الْمَالِ - عَلَى مَا فِي الْأَثَرِ^(١) -، وَيَذْخِرُ
ثَوَابَ ذَلِكَ لَهُ لِلْآخِرَةِ؛ وَكَذَلِكَ الْبَاغِي يَذُوقُ الْعَذَابَ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ فِي
الدُّنْيَا عَلَى بَغْيِهِ؛ فَالْمُرَادُ بِهَذَا التَّعَجُّيلِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي بَابِ
الرَّحْمِ: «مَنْ وَصَلَنِي وَصَلْتُهُ وَمَنْ وَصَلَ اللَّهَ لَا يُؤَخَّرُ صَوَابُهُ»^(٢)، وَوَصُولُ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ:
قَرَبُ رَحْمَتِهِ مِنْهُ.

و«البغي» في الأصل: الطلب.

وَقِيلَ: هُوَ فِي الْعَرَفِ أَنْ يَتَطَاوَلَ الْمَرْءُ عَلَى النَّاسِ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ وَأَوْلَاهُ وَلَمْ يَعْطِ أَقْرَانَهُ
ذَلِكَ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانُ هَذَا الْفِعْلَ الْمَكْرُوهَ الْقَبِيحَ.
وَقِيلَ: الْبَغْيُ هُوَ الظُّلْمُ بِعَيْنِهِ عَلَى مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرَ اللَّهِ، فَعَقُوبَتُهُ مُعَجَّلَةٌ.

مَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ
* مَا يَسْتَنْظِرُ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا غِنًى مُطْغِياً أَوْ فَقْراً مُنْسِئاً أَوْ
مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَمًا مُفْتِداً أَوْ مَوْتًا مُجْهِزاً * مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ
وَصَبٌّ وَلَا نَصَبٌ وَلَا سَقَمٌ وَلَا أَذًى وَلَا حَرَنٌ حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ إِلَّا
كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ * مَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا فِي وَجْهِهِ

١. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِلَّةُ الرَّجِيمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»، رَاجِع: مَعَانِي الْأَخْبَارِ: ٢٦٤؛ مُسْنَدُ الشَّهَابِ:

٩٣/١، ح ١٠٠.

٢. رَاجِع: أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ: ٤٤٤/٥؛ جَامِعُ الْأَحَادِيثِ: ٣٤٢/٤، ح ١٢٠٢٨.

مُزْعَةُ لَحْمٍ

يَبْنِي الْجَبْرُ نَهْيَ أَوَّلًا عَنْ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ يُوْدِّي إِلَى الْفَقْرِ، فَقَالَ: إِذَا ابْتَدَأَ الْإِنْسَانُ بِمَسْأَلَةِ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ فَإِذَا أَرَادَ بِهِ الْإِسْتِزَادَةَ وَالْكَثْرَةَ جَازَاهُ اللَّهُ وَكَافَاهُ عَلَى ذَلِكَ، بِأَنْ يَفْقَرَهُ؛ فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْأَلْ إِلَّا عَنْ اضْطِرَارٍ مَسْتَهْ أَوْ فَاقَةٍ أَصَابَتْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْبِرُ كِسْرَهُ وَيَسَدُّ فَاقَتَهُ.

يَبْنِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ ثَانِيًا: لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَى الدُّنْيَا وَزَخْرَفِهَا وَسُرْعَةَ تَقَلُّبِهَا، فَإِنَّهَا قَطٌّ لَا تَخْلُوا مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الْخَمْسَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا: بَطَرُ الْغَنَى، فَإِنَّهُ يُوْدِّي إِلَى الطُّغْيَانِ وَالْمُجَاوِزَةِ عَنْ حُدِّ الشَّرْعِ؛ وَالثَّانِيَّةُ: آفَةُ الْفَقْرِ، فَإِنَّهَا تَنْسِي الْأُمُورَ الْإِلَازِمَةَ لِشِدَّتِهِ؛ وَالثَّلَاثَةُ: فَسَادُ الْمَرَضِ الَّذِي يَقْعُدُ الْمَرْءَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ؛ وَالرَّابِعَةُ: ضَعْفُ الْهَرَمِ الَّذِي يَفْتَدُ الْعَقْلَ أَيْ يَزِيلُهُ، بِمَحِثٍ يَخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنْ دَرَجَةِ التَّمَيِّزِ؛ وَالخَامِسَةُ: عَجَلَةُ الْمَوْتِ الَّذِي يَجْهِزُ وَيَهَيِّئُ لِلْغَمَرَاتِ وَالشَّدَائِدِ.

وتام الحديث: «إِنَّ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ»^(١).

و«الفند» فِي الْأَصْلِ: الْكَذِبُ، ثُمَّ قَالُوا لِلشَّيْخِ - إِذَا أَنْكَرَ عَقْلُهُ مِنَ الْهَرَمِ - : قَدْ أَفْنَدَ، لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالْمَحْرَفِ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ سَنَنِ الصِّحَّةِ، فَشَبَّهَ بِالْكَاذِبِ فِي تَحْرِيفِهِ؛ وَالْهَرَمُ الْمَفْتَدُ مِنْ أَخَوَاتِ قَوْلِهِمْ: نَهَارُهُ صَائِمٌ، جَعَلَ الْفَنْدَ إِلَى الْهَرَمِ وَهُوَ لِلْهَرَمِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: أَفْنَدَهُ الْهَرَمُ.

وَفِي كِتَابِ الْعَيْنِ: «شَيْخٌ مُفْنَدٌ يَعْنِي مَنْسُوبٌ إِلَى الْفَنْدِ»^(٢).

وَأَجْهَزْتُ عَلَى الْجَرِيحِ، إِذَا أَسْرَعَتْ قَتْلُهُ.

١. الْأَمَالِيُّ لِلطُّوسِيِّ: ٥٢٧؛ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٥٥٢/٤، ح ٢٣٠٦؛ الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ: ١٩٢/٤، ح ٣٩٤٥؛ مَسْنَدُ

الشَّهَابِ: ٣١/٢، ح ٨٢٣؛ جَامِعُ الْأَحَادِيثِ: ٥/٤، ح ٩٨٥٦.

٢. الْعَيْنُ: ٤٢/٨؛ وَكَذَا رَاجِعُ: الْفَائِقُ: ١٤٤/٣.

نبتّه على الإنسان إذا سلم من آفات الغنى والفقر والمرض والهزم فلا بدّ من أن يذوق الموت.

يَنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ سَلَى عَلَيْهِ الْمَصَابِ وَالْمَبْتَلَى بِأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْ سَيِّئَاتٍ مَنْ ابْتَلَى بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَلَجَعَلَهَا كَفَّارَةً لِّذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهِ.

و«الوصب»: داء القلب، و«النصب»: تعب البدن، و«السقم»: المرض، و«الأذى»: ما يضرني به^(١) الإنسان من كلّ شيء، و«الحزن»: غمّ الظاهر والباطن، و«الهمّ»: غمّ الباطن من غير أن يطلع عليه أحد. و«يُهمّه»: يذّيبه ويهمّه يحزنه،^(٢) يقال: «همّك ما أهّمّك»^(٣).

يَنَالُ الْجَبَرُ ومفهوم الخبر الأخير نهي عن السؤال، ومعناه: أن من يسأل الناس أموالهم تكثر ألقى الله وإيَّاه يوم القيامة ووجهه لا لحم عليه؛ أي لا يبقى ماء وجهه.

وقيل: ذهاب اللحم من وجهه علامة وشعار يعرف به.

وقيل: ووجهه كلّ عظيم عقوبة مسألته التي سخطها الله، والوجه أنّه استعارة على ما تقدّم.

١. أثقله.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ٢٤٩/٥.

٣. مثل سائر يضرب لمن لا يهتمّ بشأن صاحبه؛ راجع: الأمثال لابن سلام: ٥٣؛ جمهرة الأمثال: ٣٦٣/٢؛

مجمع الأمثال: ٤٠٢/٢.

باب [٦]

لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ * لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ
النَّاسَ * لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبُرُ *
لَا حَلِيمٌ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ وَلَا حَكِيمٌ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ * لَا فَقْرٌ أَشَدُّ مِنْ
الْجَهْلِ وَلَا مَالٌ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَخْدَةٌ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا
مُظَاهَرَةٌ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ وَلَا عَقْلٌ كَالْتَّذِيرِ وَلَا حَسَبٌ كَحُسْنِ
الْخُلُقِ وَلَا وَرَعٌ كَالْكَفِّ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَلَا عِبَادَةٌ كَالْتَّفَكُّرِ وَلَا
إِيمَانٌ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ * لَا يَتِمُّ بَعْدُ حِلْمٍ

بَيْنَ الْجَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ إِذَا نَكَبَ مِنْ وَجْهِهِ أَنْ يَعُودَ لِمِثْلِهِ، أَيْ: أَنَّهُ إِذَا
أَصَابَهُ ضَرَرٌ أَوْ مُضَرَّةٌ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى مِثْلِهِ.
وروي: «لَا يُلْسَعُ»^(١).

وقيل: هذا كناية عما يؤتمه، يعني أَنَّ الشَّرْعَ يَمْنَعُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْإِصْرَارِ، فَلَا يَأْتِي مَا
يَسْتَوْجِبُ بِهِ تَضَاعُفَ الْعُقُوبَةِ.

وسبب الخبر: أَنَّ أبا عزة الشاعر أسره رسول الله يوم بدر، ثُمَّ مَنْ عَلَيْهِ وَأَتَاهُ يَوْمَ
أَحَدٍ، فَأَسْرَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلُ،^(٢) أَيْ لَوْ كُنْتُ مُؤْمِنًا لَمْ يَعَاوِدَ لِقَاتِنَا.

١. الأمثال لابن سلام: ٢ و ٤١؛ مسند البزار: ٢٦٦/١٢؛ حلية الأولياء: ١٢٧/٦؛ جامع الأحاديث: ٥١/٩، ح ٢٧١١٤؛ وأيضاً راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٧٨/٤، ح ٥٧٨٥.

٢. راجع: المغازي: ١١١/١؛ الطبقات الكبرى: ٤٣/٢؛ طبقات فحول الشعراء: ٢٥٥/١؛ أمالي ابن سميون: ٦/٢.

وقيل: ليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر.^(١)

بَيَانُ الْخَبَرِ وَمَعْنَى الْخَبَرِ الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ، فَقَالَ: «اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ»^(٢)، وشكر المنعم من قضايا العقول، فمن لم يشكر الناس في نعمهم إليه فقد ترك أمر الله في القليل فكيف في الكثير، ومن ترك أمر الله فما شكره.

وقيل: من تناسى نعمة آدمي ولم يشكره عليها فلم يشكر الله، لأنَّ الشكر وجب عليه في تلك النعمة لله تعالى، ولم جرت على يده.

بَيَانُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الثَّالِثِ فِي قَوْلِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِنَ الْقَدْرِ لَيَلْقَى الْبَلَاءَ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)، أي يتصارعان؛ وقد بين ذلك قوله: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا»^(٤)؛ وزيادة العمر يكون بسبب عمل البر، والمبرة والبر خلاف العقوق، ولا إنكار على ذلك، فإنَّ الله يقول: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ»^(٥)، والمحو والإثبات في نقصان العمر وزيادته بإجماع المفسرين.

بَيَانُ الْخَبَرِ وَقَوْلُهُ: «لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ» له معنيان:

أحدهما: أَنَّ الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا فَرَبِّيًا يَعَثِرُ وَيَفْعَلُ فَعْلَ السُّفَهَاءِ.

والثاني: يعني أَنَّ المرء لا يصير حليماً حتَّى يَجْرِبَ الْأُمُورَ وَيَعَثِرَ فِيهَا وَيَتَارَسَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فحينئذ يوصف بالحلم والأناة.

ثم قال: لا يَتَأَتَّى الْحِكْمَةَ فِي رَجُلٍ إِلَّا مِنْ كَثْرَةِ الْإِخْتِبَارِ مِنْهُ، فَإِذَا تَدَبَّرَ وَتَأَمَّلَ وَجَرَّبَ صَارَ حَكِيمًا.

١. راجع: مجمع الأمثال: ٢٠٨/٢.

٢. لقمان: ١٤.

٣. المعجم الأوسط: ٦٦/٣، ح ٢٤٩٨؛ المستدرک علی الصحیحین: ٦٦٩/١، ح ١٨١٣؛ مسند الشهاب: ٤٨/٢، ح ٨٥٩.

٤. الفل: ٦٢.

٥. الرعد: ٣٩.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ نَهَى عَنِ الْاِكْتِفَاءِ بِالْجَهْلِ، فَقَالَ: لَيْسَ الْفَقْرُ هُوَ قِلَّةُ الْهَالِ وَعَدَمُهُ، بَلْ أَشَدُّ الْفَقْرُ وَأَصْرَهُ عَلَى صَاحِبِهِ هُوَ الْجَهْلُ بِالْمَعَارِفِ الْوَاجِبَةِ عَقْلاً وَشَرْعاً.

ثُمَّ قَالَ: لَا مَالٌ أَنْفَعُ لَصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ؛ وَلَا وَحْدَةٌ أَشَدُّ وَحْشَةً وَلَا أَصْعَبُ مِمَّا يَكُونُ مَعَ الْعَجَبِ - وَهُوَ إِدْخَالُ الْكِبَرِ فِي النَّفْسِ وَاحْتِقَارُ الْخَلْقِ -، فَإِذَا تَكَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهَا وَنَحْوُهُ شَرُّدُوا وَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، فَبَقِيَ مُنْفَرِداً فِي جَانِبٍ، فَاسْتَوْحَشَ مِنْ تَفَرُّدِهِ؛ وَلَا عَوْنٌ عَلَى انْتِظَامِ الْأُمُورِ أَشَدُّ وَثُوقاً وَأَشَدُّ رَأْيَا مِنَ الْمَشَاوِرَةِ مَعَ ذِي رَأْيٍ وَدِينٍ، وَ«الْمُظَاهَرَةُ»: الْمَعَاوَنَةُ؛ وَلَا اسْتِعْمَالُ عَقْلٍ كَالنَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَ«التَّدْبِيرُ»: التَّأَمُّلُ فِي كَيْفِيَّةِ إِدْبَارِ الْأَحْوَالِ؛ وَلَيْسَ فِي الْمَرْءِ حَسَبٌ - وَهُوَ مَا بَعْدَ مِنَ الْمَآثِرِ ^(١) - أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ؛ وَلَا وَرَعٌ كَامِلاً مِثْلَ الْكَفِّ عَنِ الْمَحْظُورَاتِ، وَقِيلَ: الْوَرَعُ هُوَ الْكَفُّ بَعِينُهُ.

وَالْكَفُّ: الْإِمْسَاكُ وَالتَّقَاعُصُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ الْاجْتِنَابُ عَنِ الشَّبَهَاتِ، لِأَنَّ الْكَفَّ عَنِ الْمَحْظُورَاتِ هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مَكْلُفٍ، وَمَعْنَاهُ: لَا وَرَعٌ تَامّاً كَالْكَفِّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي يَرَى مِنْ وَجْهِ مَحْظُوراً وَمَبَاحاً مِنْ وَجْهِ؛ وَلَا عِبَادَةً وَلَا طَاعَةً عَلَى الْكِهَالِ مِثْلَ التَّأَمُّلِ فِي صَنْعِ ذِي الْجَلَالِ، فَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ قَوْمًا بِهِ، فَقَالَ: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ^(٢). وَرَوَى: «تَفَكَّرُوا سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَنَةٍ» ^(٣)؛ وَلَا كِهَالٌ لِلْإِيمَانِ وَلَا نِظَامٌ لَهُ إِلَّا بِالْحَيَاءِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ اللَّهِ سِرّاً وَعِلَانِيَةً وَبِالصَّبْرِ الصَّادِقِ عَلَى أَحْكَامِهِ الْمُنْزَلَةِ حُلُوكاً كَانَ مَا أَمَرَ بِهِ أَوْ مَرَأً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَالْحَدِيثُ الْآخِرُ يُوجِبُ انْقِطَاعَ أَحْكَامِ الْيَتَمِّ بِالْاِحْتِلَامِ وَحُدُوثِ أَحْكَامِ

١. جمع المأثرة، وهي المكرمة المتوارثة.

٢. آل عمران: ١٩١.

٣. راجع: قوت القلوب: ٢٩/١؛ تفسير السمرقندي: ٢٩٩/١؛ وراجع: مصباح الشريعة: ١١٤ و ١٧١.

البالغين، فيكون للمحتلم أن يبيع ويشترى وأن يتصرف في ماله ويعقد النكاح لنفسه، والمحتلم إذا لم يكن رشيداً لم يفك عنه الحجر، ولا يعطى بعد الاحتلام من حقوق الأيتام شيئاً.

لَا عَقْدَ فِي الْإِسْلَامِ * لَا ضَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ * وَلَا هِجْرَةَ بَعْدَ
الْفَتْحِ * لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ *
لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُجَةٍ * لَا هِجْرَةَ فَوْقَ ثَلَاثٍ * لَا كَبِيرَةَ
مَعَ اسْتِغْفَارٍ وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِضْرَارٍ * لَا هَمٌّ إِلَّا هَمُّ الدِّينِ وَلَا
وَجَعٌ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ * لَا فَاقَةَ لِمَنْ يقرأ الْقُرْآنَ وَلَا غِنَى لَهُ دُونَهُ^(١) *
لَا يَسْتَطِيعُ فِيهَا عَزَّازٍ * لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ * لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ
* لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمَلَّكَهُمْ امْرَأَةٌ * لَا يَنْتَبِغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ قَوْلُهُ: «لا عقد» بالدال غير المعجمة؛ وروى بالراء أيضاً، وهو صحيح مروي^(٢)، وبالدال هو الحلف الذي كان بين أهل الجاهلية، وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل مع وجود أقربائهما، فيقول: دمي دمك، وهدمي هدمك، وثاري تارك، وحربي حريك، وسلمي سلمك، وترثني وارثك، وتطلب بي فأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك؛ فأبطل الله ذلك ونسخه بالفرائض والموارث. والصحيح أن الجاهلية كانوا يتوارثون بالحلف والنصرة، وأقرؤا على ذلك في صدر الإسلام في قوله: «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ»^(٣).

١. في المصدر: له بعده.

٢. مصنف عبد الرزاق: ٥٦٠/٣، ح ٦٦٩٠؛ مسند أحمد: ١٩٧/٣، ح ١٣٠٥٥؛ جامع الأحاديث: ٢٩٨/٨، ح ٢٦١٧٣.

٣. النساء: ٣٣.

ثم نسخ بسورة الأنفال بقوله: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(١)؛ فكانوا يتوارثون بعد ذلك بالإسلام والهجرة. فروي^(٢): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِتَأَقُّدِ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَرِثُ الْمُهَاجِرِيُّ مِنَ الْأَنْصَارِيِّ وَالْأَنْصَارِيُّ مِنَ الْمُهَاجِرِيِّ؛ وَلَا يَرِثُ وَارِثُهُ الَّذِي كَانَ لَهُ بِمَكَّةَ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا»^(٣)، ثُمَّ نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحْمِ وَالنَّسَبِ وَالْأَسْبَابِ بِقَوْلِهِ: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ»^(٤)، إِلَّا أَنْ تَكُونَ وَصِيَّةً، وَبِقَوْلِهِ: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ»^(٥) (الآية). ثُمَّ قَدَّرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ^(٦)، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِرَجُلَيْنِ قَرَابَةٌ وَتَضَمَّنَ هَذَا جَرِيرَةٌ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَرِثُهُ وَلَا تَضَمَّنُ الْجَرِيرَةُ.

وقوله: «وَالَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ»^(٧)، عَلَى هَذَا الْوَجْهِ غَيْرُ مَنْسُوخٍ، وَإِنَّمَا نَسَخَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ.

١. الأنفال: ٧٥.

٢. راجع: الأموال: ٢٧٥؛ أحكام القرآن للجصاص: ٦٥٥/٣؛ مناقب آل أبي طالب (عليه السلام): ٣٤/٢؛ تفسير القمي: ٢٨٠/١؛ الكشف: ١٧٠/٢.

٣. الأنفال: ٧٢.

٤. الأنفال: ٧٥.

٥. النساء: ٧.

٦. راجع: النساء: ١٢.

٧. النساء: ٣٣.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«الضرورة» هو الذي لم يحجَّ وكذلك هو الذي لم يتزوَّج يرغب عن النكاح ويتبتل على مذهب الرهبانية من النصارى. ومعناه: أنَّ سنَّة الدين أن لا يبقى أحد من الناس يستطيع الحجَّ ولا يحجَّ حتى لا يكون ضرورة في الإسلام.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«الهجرة»: الخروج من المقام والمسكن والدار إلى رسول الله ﷺ نحو المدينة.

وتام الخبر: «وَلَكِنْ جِهَادٌ [وَنِيَّةٌ] فَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَأَنْفِرُوا»^(١).

والمعنى: لا هجرة واجبة بعد فتح مكَّة؛ فأراد به الوجوب لا الفضيلة بالهجرة، وذلك لأنَّ أهل المدينة كانوا في ضعف من القوة، فكان الواجب على كلِّ من أسلم من الأعراب وأهل القرى أن يهاجروا ويكونوا بحضرة رسول الله ﷺ، ليكون إن حدث حادث وجرت أمر استعان بهم في ذلك ليستفقهوا في الدين، فرجعوا إلى قومهم فيعلموهم أمر الدين وأحكامه، فلما فتحت مكَّة استغنوا عن ذلك، إذ كان معظم الخوف على المسلمين من أهل مكَّة، فلما أسلموا أمر المسلمين أن يفروا في هجر^(٢) دارهم، فقليل لهم: أقيموا في أوطانكم، وقرّوا على نيّة الجهاد، فإن مرضه غير منقطع مدى الدهر عند شرائطه، وكونوا مستعدين لتنفروا إذا استنفرتهم، وتجيّبوا إذا دعيتهم.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال: لا إيمان كاملاً في انتظامه لمن لا أمانة له في أسباب الديانة، ويجوز أن يكون عاماً في الأمور الدينية والدنيوية، فيكون نحو قوله: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ»^(٣).

١. مصنف عبد الرزاق: ٣٠٩/٥، ح ٩٧١٣؛ سنن الدارمي: ٣١٢/٢، ح ٢٥١٢؛ كنز العمال: ٢٧٩/١٦، ح ٤٦٢٥٠.

٢. في خ غير واضحة.

٣. مسند أحمد: ١٥٤/٣، ح ١٢٥٨٣؛ سنن ابن ماجه: ١٢٩٨/٢، ح ٣٩٣٤؛ جامع الأحاديث: ٤٣٣/٧ و

٤٥١، ح ٢٣٤٥٦ و ٢٣٥٩٥.

ثم قال: ولا دين قوياً لمن لا يثبت على عهده.

والنبي ههنا وفي أكثر الكلمات التي في هذا الباب نفي الفضيلة والكمال لا نفي الدين وقواعد الإيمان، كما قال عليه السلام: «لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمُسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ»^(١) أي: لا صلاة فاضلة.

وقيل: «العهد» هو الحرمة والحفاظ على المودة القديمة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ والرقية جائزة إذا كان باسم الله وبآيات القرآن؛ ومعنى الخبر: لا رقية أولى وأشفى من رقيه العين.

وروي: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَافَ عَيْنَ عَايِنٍ تَعَوَّذَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُنَكَ بِأَبْصَارِهِمْ»^(٢) إلى آخرها، أَمَنَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ مِنْ ذَلِكَ؛^(٣) و«حُجَّة»: الفقر في الحجة ونحوها سمها،^(٤) ولكل واحد منها رقية معروفة نافعة.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقوله: «لا هجرة فوق ثلاث»، أي: لا مهاجرة بين أخوين مسلمين أكثر من ثلاثة أيام، هذا قد جاء في هجران العتب والموجدة في أمور دنيوية، فأما في خيانة الدين فقد جاءت الرخصة أكثر من ثلاث؛ فقد أمر رسول الله ﷺ بهجران كعب بن مالك خمسين يوماً،^(٥) وإلى من نسائه شهراً وقعد^(٦) مشربة له بهجرة الناس له.^(٧)

١. مصنف عبد الرزاق: ٤٩٧/١، ح ١٩١٥؛ المستدرک علی الصحیحین: ٣٧٣/١، ح ٨٩٨، جامع الأحادیث:

٢٨٧/٨، ح ٢٦٠٩٤؛ وراجع: تهذيب الأحكام: ٩٢/١، ح ٢٤٤.

٢. القلم: ٥١.

٣. قال الحسن: دواء إصابة العين قراءة هذه الآية، راجع: تفسير التعلبي: ٢٤/١٠، تفسير البغوي: ٣٨٥/٤.

٤. راجع: صحاح اللغة: ١٩٠٦/٥.

٥. راجع: جوامع السيرة: ٢٥٥؛ صحيح البخاري: ٢٦٤٠/٦، ح ٦٧٩٨؛ المغازي: ٤٢٤/٢؛ مسند أحمد: ٤٥٧/٣.

٦. كذا في المصادر، وفي خ: وصعد.

٧. مسند الطيالسي: ٣٥٩، ح ٢٧٤٤؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣٢٢/٢، ح ٩٦٦.

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لا بقاء للذنوب الكبير من حيث يوجب العقوبة مع الاستغفار منه على الحقيقة، ولا يكون الزلّة صغيرة بالمعنى وإن كانت قليلة بالفعل أو يسيرة بالقول إذا كان صاحبها موطناً للإقامة عليها، والإصرار على الذنوب سبب الهلاك.

وقيل: معناه: لا تعدّ الكبيرة كبيرة مع دوام الاستغفار عنها، ولا الصغيرة صغيرة مع الإصرار عليها؛ ألا ترى أن الله مدح أقواماً وقال: «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(١).

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لا همّ أبلغ في الشدة من غير الدين، لأنّ سائر الغموم على المفقود والمعدوم؛ وهذا على المستعذر الذي يجب تحصيله إن شاء أو أبى ليردّه إلى الغير، والمخصوص هذا الهمّ المذكور في الخبر: الفقراء العاجزون عن قضاء الدين القاصرون لرضا صاحبه؛ وكذلك لا وجع أشدّ أثراً وأعظم ضرراً في المرء وحالاته من وجع العين.

بَيِّنُ الْجَبَرِ و«الفاقة»: هو الفقر المولم الذي يوقع صاحبه في الشدائد، يعني: أن قارئ كتاب الله يغنيه تعالى بفضله ويرزقه؛ أي: ليس ورائه غنى. روي عن أبي ذرّ أنّه قال: «علّمت ابنتي سورة الواقعة معاشها، ولا أخاف عليها الفقر بعد ذلك»^(٢).

بَيِّنُ الْجَبَرِ وقوله: «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عِزَّانٍ»، فيه ثلاثة أوجه: [الأول]: أن معناه: لم يبق لنا بعد اليوم معاند ولا ضدّ في مكّة يكون على الحسنة منهم ويحذر معذرتهم؛ وإنّما خصّ العنز بالذكر لأنّ نطاحها ليس كنطاح الكباش؛ وقيل: إنّما ذكر لأنّ العرب تتشأم به.

١. آل عمران: ١٣٥.

٢. فضائل القرآن لابن سلام: ٤٥٩/١؛ فضائل الصحابة: ٧٢٦/٢؛ التمهيد: ٢٦٩/٥.

والثاني: أن الضمير في «فيها» لمكة أيضاً، والمعنى: لا يجب أن ينتطح فيها عزان لحرمتها، فيكون حثاً على محافظة حرمة مكة.

والثالث: أن يكون «فيها» الضمير لامرأة كانت تهجوا رسول الله وتغنى بهجائه، فقتلها مسلم وكان خائفاً من مشركي مكة أن يقتلوه، فطيب عليه السلام قلبه من ذلك وأمنه، فكان كذلك؛^(١) يعني: لا يكون لها ناصر ضعيف قط.

وروي: «لا ينتطح فيه عزان أن لا يكون له تغيير ولا له نكير»^(٢).

يَبْنِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: الحذر من الموت والمرض ونحوهما مما يكون من قضاء الله وقدره لا ينفع، وإنما يكون للدعاء أثر في ذلك.

يَبْنِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: ليس الفتك من عمل من أهل الإيمان، لأن من باشره^(٣) يخرج من الملة والإيمان؛ وفيه خبئة ولطيفة، وهو: أن هذا نهى جاء على لفظ النفي، فيحرم على كل مؤمن الفتك على المؤمنين، وهو أن يقبلهم ويعير عليهم؛ لا يجوز ذلك على حال، فأما في حق الكفار، فإن كان في حال الأمان فالفتك أيضاً حرام كما يكون مع المؤمن، ومن لا يكون في أمان من الكفار فالواجب إذا جاهدتهم المؤمنون أن يدعواهم إلى الإسلام، فإن أبوا حاربوهم، وإن كانوا قد بلغهم الدعوة وكانوا معاندين، ولا يبيتون أيضاً إلا بإذن الإمام.

و«الفتك» هو ظفر القوم صاحبه بالأعداء^(٤).

يَبْنِي الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: إن النساء لا تلين الإمارة والقضاء بين الناس، فإن قوماً ملكهم امرأة

١. راجع: المغازي: ١٦١/١؛ السيرة النبوية: ٥٠/٦؛ الطبقات الكبرى: ٢٧/٢؛ مسند الشهاب: ٤٦/٢، ح ٨٥٦.

٢. راجع: مجمع الأمثال: ٢٢٥/٢؛ المغرب في ترتيب المعرب: ٣٠٩/٢.

٣. في خ: ناشره.

٤. في خ: ظفر القوم صاحبه بالأعداء.

لا يفلحون.

وجاء الحديث بسبب بنت كسرى وقصتها،^(١) وعموم ذلك أن الزوج له يجوز له أن
يكن زوجته حتى تملكه وتملك بيته، إذ لا فلاح في هذا.
بيان الخبر وبيان الخبر الأخير في تمامه، وهو: «أنهم قالوا: يا رسول الله! فكيف يُذلُّ
نفسه؟ قال: يتعرّض من البلاء ما لا يطيق»^(٢)، يعني أنه يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر من لا يقبل قوله ولا يلتفت إليه، بل يكون على خطر يصيبه لقلة مبالاته، بأن
يكون ملكاً أميناً جباراً أو نحو ذلك.

لَا يَنْبَغِي لِلصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا * لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ
يَكُونَ أَمِينًا عِنْدَ اللَّهِ * لَا يَصْلُحُ الْمَلِيقُ إِلَّا لِلْوَالِدَيْنِ وَالْإِمَامِ
الْعَادِلِ * لَا يَصْلُحُ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ كَمَا
لَا تَصْلُحُ الرِّيَاضَةُ إِلَّا فِي التَّجِيبِ * لَا طَاعَةَ لِخَلْقٍ فِي مَعْصِيَةِ
الْخَالِقِ * [لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ] * لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ
لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأْتِفَقِهِ * لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا * لَا يَحِلُّ
لَا مَرِيءٌ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ * لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِعَفِيِّ وَلَا
لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ^(٣)

بيان الخبر يعني: لا ينبغي أن يكون شعار من يكون مبالغاً في الصدق أن يلعن الناس

١. راجع: مسند أحمد: ٤٣/٥، ح ٢٠٤٥٥؛ مسند البزار: ١٠٦/٩، ح ٣٦٤٧؛ المستدرک علی الصحیحین:

٨٥٩٩/٤، ح ٢٥٧٠.

٢. مسند أحمد: ٤٠٥/٥، ح ٢٣٤٩١؛ مسند الشهاب: ٥٢/٢، ح ٨٦٧.

٣. كذا في ص، وفي خ: «قوي»، ولكن حين شرحه شرح لفظة «سوي».

كثيراً، ويتكلم بهذا اللفظ، ويكثر منه حتى يصير عادةً له.

وروي: «لا ينبغي للصدّيق»، قال الزجاج^(١): يقال: انبغي لفلان أن يفعل كذا، وكأنه طلب فعل هذا فانطلب، أي طأوعه ولكنه اجتزئ بقولهم: انبغي. وقولهم: ينبغي لك أن تفعل كذا، فهو من أفعال المطاوعة، يقول: بغيته فانبغي.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: لا يكون ذو الوجهين - وهو صاحب الكلامين واللسانين مع الناس على وجه الخديعة والخيانة - أميناً عند الله وعند خلقه.

وقيل: لا ينبغي أن يظن بالله أن يجعله أميناً مع سوء فعله ومعاملته.

يُنَادِي الْجَبْرُ و«الملق»: اللطف الشديد، يعني: لا يجوز التصنع والتكلف وطلب استمالة القلب دون أن يكون بذلك مراداً، وتوجه عليه وجوب، أو ورد به استحباب، إلا للإمام الحقّ والأبوين، فإنّ حقوقهم عظيمة.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ قَالَ: لا يكون أصطناع الخير والمعروف صالحاً إلا بالحسب والمتدين، فإنّ من لم يكن له أفعال حميدة وصنائع جميلة يضع الإحسان إليه، بل يتولد منه العداوة لدنائه ولقلّة دينه؛ و«الصنيعة»: المعروف تصطنعه إلى غيرك مع التحري، و«الحسب» ما يدخل الحساب إذا عدّ المآثر، وشبه ذلك بالرياضة التي تنفع بالبعير الذي له نجابة، وتضرّ بها سواه.

وقيل: أصل عداوة اللثام تلقّيمهم بالإكرام والإنعام.

يُنَادِي الْجَبْرُ ثُمَّ يَبَيِّنُ أَنَّ طاعة الخلق في المعروف لا في المنكر.

وسببه أن أنصاريّاً بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية، فوجد عليهم يوماً، فقال لهم: أوليس رسول الله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. فقال: عزمت أن تدخلوا هذه النار التي

أضرمتها. فقال شابٌ منهم: حتّى يأتي رسول الله، فأتوه، فنكروا له ذلك، فقال لهم ذلك؛^(١) أي: لا تسخطوا خالقكم في رضا المخلوقين.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لا يدخلوا الجنة التي هي أشرف الجنان وأعلاها النّام، يسمع حديث قوم فيجيء إلى آخرين وينقله إليهم ليقع بينهم شرٌّ، وإلا فالنّام إذا كان مؤمناً يدخل الجنة بثواب إيمانه وإن لم يعف الله عنه وعاقبه ذلك.

وقيل: يحمل معنى الحديث على تغليظ العقوبة لصاحبه بسوء فعله، وهو إن لم يعف الله عنه يستحق لعظيم حرمة أن لا يدخل الجنة.

بَيَانُ الْخَبَرِ وبيان الخبر الذي بعده في تمامه، وهو أنّه قيل: «يا رسول الله! وما بوائقه؟ قال: شرّه»^(٢). و«البوائق»، جمع بائقة وهي الغائلة، أي: كلّ من لم يأمن أحد من جيرانه غوائله وشروره فليس هو بأهل لدخول الجنة.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى حِفَافِ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ وَدَفَعَ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى حَسَبِ الْإِمْكَانِ، والعدول عن إيصال المشقة بقلبه ونفسه لمكان كرامته وقرب منزلته من الله. وتام الخبر: «فإن روعة المؤمن عند الله عظيم»^(٣).

بَيَانُ الْخَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْهَجْرَانَ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ الْمُسْلِمِينَ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَا يَحِلُّ. وقيل: الهجر بمعنى الترك، فتركه هاهنا أن لا يحدث معه ولا يسلم عليه، بهذا لا يجوز في حقوق الإسلام ولا في آداب نبينا ﷺ.

١. راجع: شرح كتاب السير الكبير: ١٦٦/١؛ مسند ابن المبارك: ١٦٣، ح ٢٦٤؛ مسند الطيالسي: ١٧،

ح ١٠٩؛ كنز العمال: ٣١٥/٥، ح ١٤٣٩٨.

٢. مسند أحمد: ٢٨٨/٢، ح ٧٨٦٥؛ مسند البزار: ١٦٤/١٥، ح ٨٥١٣؛ جامع الأحاديث: ٨٣/٨، ح ٢٦٥٦٩.

٣. في الشهاب: «فإن روعة المسلم ظلم عظيم»؛ راجع: الفردوس بمأثور الخطاب: ١٨٥/٥، ح ٨٩٠٩؛ جامع

الأحاديث: ١٥٨/٨، ح ٢٥١٠٦.

وقال بعده: «السَّابِقُ يَسْبِقُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(١)، أي السابق إلى الصلح بعد الانصرام^(٢).
 يَنَالُ الْخَيْرَ ثُمَّ قَالَ أَخِيرًا: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحُلُّ لِمَنْ لَهُ غِنَاءٌ وَغِنَى وَلِمَنْ يَجِدُ قُوَّةَ يَقْدِرُ بِهَا
 عَلَى الْكَسْبِ؛ وَ«الْمَرَّةُ»: الْقُوَّةُ؛ وَ«رَجُلٌ سَوِيَ الْخَلْقِ» أَي مَسْتَوٍ لَا آفَةَ وَلَا عَاهَةَ بِهِ، بَلْ
 هُوَ صَحِيحُ الْأَعْضَاءِ.

لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ * لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ
 حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ * لَا
 يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ * لَا يَبْلُغُ
 الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا
 أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ * لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيْمَانَ حَتَّى يَكُونَ
 فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ،
 وَبَذْلُ السَّلَامِ * وَلَا يَسْتَكْمِلُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى يَخْزَنَ
 لِسَانَهُ * لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ

يَنَالُ الْخَيْرَ أَمَا قَوْلُهُ: «لَا يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»، فَقَدْ رَوَى هَكَذَا، أَيْ
 تَكَثَّرَ ذُنُوبُهُمْ وَعُيُوبُهُمْ، يُقَالُ: أَعْذَرْتُ، أَيْ كَثَرَتْ عُيُوبُهُ؛ وَكَذَلِكَ عَذَرْتُ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:
 وَلَا أَرَاهُ مِنَ الْعَذْرِ، أَيْ يَسْتَوْجِبُونَ الْعُقُوبَةَ؛ فَيَكُونُ لِمَنْ يَعْذِبُهُمُ الْعَذْرُ.^(٣) وَإِذَا رَوَى

١. راجع: الأمالي للطوسي: ٣٩١، ح ٨٦٠؛ جامع الأحاديث: ٩/٩، ح ٢٦٧٦٩؛ وفي بعض المصادر:
 «وَالَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ يَسْبِقُ إِلَى الْجَنَّةِ»؛ راجع: المعجم الأوسط: ٣٣/٨، ح ٧٨٧٤؛ جامع الأحاديث:
 ٢٩٩/١١، ح ٣٣٦٠٧.

٢. الانقطاع.

٣. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٣١/١.

بفتح الياء «يَعْذِرُوا»، فالمعنى: حتّى يفعلوا ما يتّجه لحلّ العقوبة بهم. العذر من قولهم: عذيري من فلان أي: هات من يعذرنى منه في الإيقاع به إيداناً، فإنّه ^(١) أهل لأن يوقع ^(٢) به، وإنّ على [من] علم بحاله في الإساءة أن ^(٣) يعذر الموقع به ولا يلومه. ^(٤)

وحقيقة «عذرت»: محوت الإساءة وطمستها، وفي معناه: عفوت من عفا الدار. ويجوز أن يكون معناه: لن يهلكوا حتّى يعذروا أنفسهم بذنوبهم.

و«من» [إمّا] للتبويض، أي يعذرون بعض جنایات أنفسهم؛ وإمّا زيادة، «فَمَا حَسَنَ أَنْ يُعْذَرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ» ^(٥).

وروي بضمّ الياء وكسر الذال، وأعذر: اجتهد في العذر.

وقرئ: «وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ» ^(٦)، أي الذين تحسدون في العذر ويبالغون به. أي: لا يهلكون حتّى يعذروا من أنفسهم لاستيجابهم العقوبة، ونحوه ^(٧) قوله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً» ^(٨).

بيان الخبر وجعل عَلَيْهِ السَّلَام في الخبر الثاني شرائط استقامة أسباب وأحوال إيمان كلّ عبد باستقامة قلبه وسكونه وطمأنينته بالرضا على ما يجري عليه من الأحكام والقضايا.

١. في ص: بأنّه.

٢. كذا في ص، وفي خ غير واضحة.

٣. كذا في ص، وفي خ: وأن.

٤. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٣٣٩/٢.

٥. قاله مضر بن ربيع الأسدي في بحر طويل ونصّ البيت في المصادر كذا:

«فَمَا حَسَنَ أَنْ يُعْذَرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَافِيَةٌ» راجع أدب الخواص: ٨؛ أدب الدنيا

والدين: ٤٥٥/١.

٦. التوبة: ٩٠.

٧. في خ غير واضحة.

٨. الإسراء: ١٥.

وجعل استقامة القلب باستقامة اللسان وقلة خوضه فيما لا يعنيه.

و«الاستقامة»: درجة بها كمال الأمور وتسامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في سكون قلبه مع الإيمان لم يعد عمله عملاً يرجع إلى الإحسان والرضا.

وبيان ذلك فيما قال عليه السلام في خبر آخر: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، أَصْبَحَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا، تَقُولُ^(١) لِلِّسَانِ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمَّتْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم قال: لا ينال عبد الدرجة العظمى من درجات الإيمان حتى أتى بهذا الخصلة الحميدة، وهي أن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من كل خير. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم قال: ولا يصل عبد حقيقة التصديق حتى يتحقق أن ما أصابه من الصحة والمرض والفقر والغنى والحياة والموت كله من الله، لا يدافعه أحد؛ لا أن الكافر لا يمكنه أن يؤمن ولا العاصي أن يطيع، فإنه تعالى يقول: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم جعل استكمال خصال كل عبد في ثلاثة أشياء:

الأول: النفقة من الإقتار وهو القلة وضيق العيش، يعني: لا يترك الواجب عليه من النفقة على المستحقين مع سوء الحال.
والثاني: الإنصاف، وهو أن ينصف قولاً وفعلًا سواء كان له أو عليه.

١. كذا في المصادر، وفي غ: يقول.

٢. راجع: الصمت وآداب اللسان: ٤٩؛ التمهيد: ٤٠/٢١؛ وكذا راجع: مسند الطيالسي: ٣٥٨، ح ١٠١٢؛ مسند أحمد: ٩٥/٣، ح ١١٩٢٧؛ جامع الأحاديث: ١٦٧/١، ح ١٠٣٩.

٣. الذاريات: ٥٦.

والثالث: نشر السلام على من عرف وعلى من لم يعرف من المسلمين، ويجوز أن يريد به كلمة «السلام عليكم» التي هي تحية الإسلام، ويجوز أن يعني به السلامة. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** ثم جعل في خبر آخر حقيقة استكمال حقيقة الإيمان للعبد خزن اللسان وحفظه وإمساكه عما نهى عنه وأوعده عليه؛ وجعل الفم لللسان خزانة، لأن الله خلقه وراء حجابين ليحفظه المرء جداً واجتهاداً إلا من ذكر الله أو ممثلاً له من قضاء الحوائج. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** وإنا يرحم الله الرحيم على عباده.

لَا يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ دُونَ جَارِهِ * لَا يَشْبَعُ عَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ حَتَّى يَكُونَ
مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ * لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِذْبَاراً
وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحْحاً، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ
وَلَا مَهْدِيٍّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ * لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلَّا
وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ * لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقِلَّ الرِّجَالُ وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ حتّ أولاً على مراعاة حال الجار والتفحص عن باطن أموره، ومعناه: لا يجوز أن يصير المؤمن شبعان ويكون جاره جائعاً، ومن كان مؤمناً لا يفعل هذا. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** وإنا لا يشبع العالم من علم إلا أن يموت، لأن العلم لا يكون إلا حسناً، والمؤمن لا يخلو من فعل الحسن؛ والعلم من أحسن الحسن. وروي مرفوعاً: العالم لا يشبع من الأثر، كالأرض من المطر، والأنثى من الذكر، والعين من النظر^(١).

١. قال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ لَا يَشْبَعْنَ مِنْ أَرْبَعٍ: عَيْنٌ مِنْ نَظَرٍ، وَأَرْضٌ مِنْ مَطَرٍ، وَأُنْثَى مِنْ ذَكَرٍ، وَعَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ»؛ راجع: المعجم الأوسط: ١٥٩/٨، ح ٨٢٦٦؛ حلية الأولياء: ٢٨١/٢؛ جامع الأحاديث: ٣٩٨/١، ح ٢٧٢٢؛ وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً، راجع: الفقيه: ٥٦١/٣، ح ٤٩٣٠.

يُنَالِ الْخَيْرَ ثُمَّ ذَكَرَ أَحْوََالَ آخِرِ الزَّمَانِ وَظُهُورَ أَشْرَاطِهِ، بِأَنَّ الْأَمْرَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ يَكُونُ كُلُّ يَوْمٍ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ، وَلَا يَرْجَى الْإِقْبَالُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يَزِيدُ الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا عَنْ أَهْلِهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلَا يَزِيدُ النَّاسَ إِلَّا بَخْلًا بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَبِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْ أَمَارَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ.

وأَمَارَةُ قِيَامِ السَّاعَةِ - وَهِيَ الْقِيَامَةُ - أَنْ لَا يَكُونُ النَّاسُ إِلَّا شَرَارًا، وَالْحَالُ أَنْ لَا يَكُونُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ هَادٍ وَلَا مُهْدِيٍّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ؛ وَهَذَا تَنْبِيْهُ عَلَى مَا هُوَ مَرْكَوزٌ فِي الْعُقُولِ وَيَقْتَضِيهِ الْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ، وَهُوَ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ التَّكْلِيفُ لِلْخَلْقِ وَالْعَصْمَةُ مَرْتَفَعَةً مِنْهُمْ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَئِيسٌ مَعْصُومٌ مُهْدِيٌّ، لَكُونَهُ لَطْفًا؛ فَالْخَلْقُ مَعَ وَجُودِهِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّلَاحِ وَأَبْعَدُ مِنَ الْفُسَادِ، وَمَعَ فَقْدِهِ الْأَمْرُ بِالضَّدِّ؛ وَاللَّطْفُ وَاجِبٌ فِي التَّكْلِيفِ كَالْتِمَكِينِ، وَاللَّهُ لَا يَخْلُ بِالْوَاجِبِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مَعْصُومٌ فِي وَقْتِ ذَلِكَ الْوَقْتِ [وَقْتُ] زَوَالِ التَّكْلِيفِ، وَإِذَا زَالَ فِي هَذَا الدَّارِ التَّكْلِيفُ يَكُونُ بَعْدَهَا دَارُ الْجَزَاءِ - يَعْنِي يَقُومُ الْقِيَامَةُ - إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ حُجَّةٌ لِلَّهِ إِلَّا عِيسَى. وَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ مُهْدِيَّ عَثْرَتِهِ يَمُوتُ، وَيَبْقَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ. وَالْوَاوُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: «وَلَا مُهْدِيٌّ» «وَاوُ» الْحَالُ، وَقَوْلُهُ: «لَا مُهْدِيٌّ» مُبْتَدَأٌ، أَيْ لَا مُهْدِيٍّ حَاصِلًا حَاضِرًا الْبَتَّةَ، وَلَا آتِيًا فَصَاعِدًا^(١)؛ وَقَوْلُهُ: «إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ» حَدِيثٌ وَاحِدٌ؛ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، لَا يُمْكِنُ^(٢) لِأَجْلِ هَذَا أَحَدًا أَنْ يَقُولَ: لَا يَكُونُ مُهْدِيٌّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ بِنَعْتِ الْمُهْدِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ عَثْرَتِهِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، وَخَرَجَتْهُ فِي السَّيْرِ وَالصَّحَاحِ.

وقد جمع الشيخ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الإصفهاني،

١. في خ: ولا آتيان فصاعد.

٢. في خ: ولا يمكن.

صاحب كتاب حلية الأولياء، كتاباً في ذكر المهديّ ونعوته وحقيقته مخرجه وثبوته المستفيض من أخبار الرسول ﷺ وآثاره يوفّي عددها على المائتين؛^(١) ثم ذكر في آخره فصلاً في تأويل الحديث الذي تفرد أبان بن صالح عن الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِذْبَاراً، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحّاً، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا مَهْدِيٌّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ»^(٢)؛ قال: ومعناه: أن لا مهديّ مرسل نبيّ مهديّ إلا عيسى، وأن لا مهديّ كعيسى؛ لأنّ عيسى من النبيّين، والمهديّ الذي هو من عترة النبيّ إمام عادل ليس بنبيّ موحى إليه؛ والفرق بينهما: أنّ عيسى هو المهديّ المرسل الموحى إليه، والمهديّ ليس بنبيّ موحى إليه. وقد أخبرنا عنه ذلك أبو عليّ الحسن بن أحمد بن الحسن الحّدّاد بإصفهان.^(٣)

وقد ذكر الشيخ أبو بكر محمّد بن موسى الباب الأبوابي^(٤) في شرح الشهاب الذي ألفه: «إنّ هذا الحديث ليس بموضوع ولا مذكور على وجه النفي بأن لا يكون مهديّ [إلا] عيسى عليه السلام في هذه الأمّة، لأنّه عليه السلام أخبر بنعوت المهديّ الذي يخرج في آخر الزمان من عترته وذكر صفته؛ وقال: معناه أي: لم يكن أحد صاحباً للمهديّ إلا

١. هو من الأعلام المحدثين وأكابر الحفاظ، ولد في سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، وتوفّي في سنة ثلاثين وأربعمئة بأصبهان؛ راجع: وفیات الأعيان: ٩١/١؛ تاريخ الإسلام: ٢٩/٢٧٥؛ جمع كتاباً في ستّ وعشرين ورقة من أربعين حديثاً وسنّه «كتاب ذكر المهديّ ونعوته وحقيقته مخرجه»، ذكر في صدره تسعة وأربعين حديثاً أسندها إلى النبي ﷺ يتضمّن البشارة بالمهديّ عليه السلام وجملة الأحاديث المذكورة فيه مائة وستة وخمسون حديثاً؛ راجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٨١ - ١٨٣.

٢. راجع: حلية الأولياء: ١٦١/٩، ح ٤٥٢؛ سنن ابن ماجه: ١٣٤٠/٢، ح ٤٠٣٩؛ جامع الأحاديث: ٣٣٧/٨، ح ٢٦٤٧٤.

٣. ولد سنة عشرة وأربعمئة، كان ثقة جليل القدر وتوفّي سنة خمس عشرة وخمسائة؛ راجع: كتاب الأوائل: ١٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣٠٣/١٩؛ المنتظم: ٢٢٨/١.

٤. باب الأبواب، ويقال له الباب وهو الدررند؛ راجع: معجم البلدان: ٣٠٣/١؛ و ٤٤٩/٢.

عيسى بن مريم، فإنه ينزل من السماء لنصرته وصحبته؛ أو أراد ﷺ به خصوصية وشرفاً لعيسى وكرامة من الله، فأخبر ﷺ أن المهدي وإن كان من عترتي من ولد فاطمة، فإنه لا يكون كعيسى.

وقيل: معناه: لا هدى إلا هدى عيسى، فيكون تخصيصاً له، كقوله: «لَا هُمْ إِلَّا هُمُ الَّذِينَ»^(١)؛ ونحن نعلم أن غيره هم أيضاً؛ فهو على التخصيص.

وعلى ما نبهنا عليه أولاً لا تحتاج إلى هذه التمحلات.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم ذكر أن الزمان كل يوم يكون شراً مما قبله.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال: لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال وتكثر النساء؛ وهذا أيضاً من علامات قرب حضور القيامة؛ وتام الخبر: «حَتَّى يَكُونَ لِمُتْسِينَ امْرَأَةً قِيمٌ وَاحِدٌ»^(٢).

لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * لَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الَّذِي تَرَى لَهُ * لَا تَذْهَبُ حَبِيبَتَا عَبْدٍ فَيَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ * لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ * لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ * لَا تَزَالُ نَفْسُ الرَّجُلِ مُعَلَّقَةً بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ * لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ * لَا تَطْهَرُ الشَّاتَاةُ لِأَخِيكَ، فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَسْكُنَكَ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ حث أولاً على الستر على مؤمن يرتكب ذنباً في حقيقة، فقال: إن الله يكافئه على جزاء فعله، ويستر عليه ذنوبه وعيوبه، ولا يفضحه على رؤوس الخلائق يوم

١. الكافي: ١٠١/٥، كتاب المعيشة، باب في آداب اقتضاء الدين، ح ٤؛ المعجم الأوسط: ١٥٤/٦، ح ٦٠٦٤.

٢. سنن الترمذي: ٤٩١/٤، ح ٢٢٠٥؛ مسند أبي يعلى: ٣٩٥/٥، ح ٣٠٦٩.

القيامة؛ وظاهره يدل على معنى آخر، أي: لا يكسو عبد عبداً لباساً إلا ألبسه الله يوم القيامة لباس الكرامة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي هِيَ رِجَالُ الْحَبْرِ ثُمَّ حَذَّرَ مِنْ صَحْبَةِ مَا يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ تَتِيهاً وَكِبَرًا، وَلَا يَرَى لِأَحَدٍ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا.

وقيل: يريد: لا ترض بأن تكون^(١) مغموراً ببر من تصحبه، حتى تنيله من برك ما تنال من برّه.

وقيل على عكسه أيضاً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَأَرَادَ بِ«الْحَبِيبَتَيْنِ»: العَيْنَيْنِ الْبَاصِرَتَيْنِ. وَ«الْاِحْتِسَابُ»: عَدُّ الْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ، وَ«الْحَسْبَةُ»: الْأَجْرُ. وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ فِي «فِيصِر» وَ«يَحْتَسِبُ»: لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوَابِ النَّفْيِ، بَلْ هُوَ عَظْفٌ فَعْلٌ مَثْبُتٌ عَلَى مَنْفَى، أَيْ: لَا تَذْهَبُ عَيْنَا عَبْدٍ؛ «فَهُوَ يَصِيرُ» أَيْ يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ الشُّكُوفِ، وَيَتَلَقَّ بِطَبِيعَةِ النَّفْسِ لِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ إِلَّا كَافَاهُ اللَّهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَنْ اجْتَمَعَ فِي مَالِهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، كَمَنْ يَعْرِفُ بِالرِّبَا فِي تِجَارَتِهِ، وَكَمَنْ صَنَاعَتُهُ مُحَرَّمَةٌ كَاتِّخَاذِ اللَّهْوِ وَنَقْشِ التَّمَاثِيلِ الْمَصُورَةِ؛ فَإِنَّ قَضِيَّةَ الْوَرَعِ أَنْ لَا يَعَامَلَ هَؤُلَاءِ، وَيَتَجَنَّبَ أَكْلَ أَمْوَالِهِمْ وَإِنْ كَانَتْ فِي ظَاهِرِ الْحَلَالِ، وَالْحُكْمُ مُحَرَّمَةٌ^(٢) مَا لَمْ يَتَيَقَّنْ أَنَّ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهَا عَنْ ثَمَنِ الْعَيْنِ الْمُحَرَّمَةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْ جَمَلَةِ طَوَائِفِ أَمْتِي طَائِفَةٌ تَكُونُ مَتَظَاهِرِينَ عَلَى مَرَاعَاةِ الشَّرْعِ وَالْعِلْمِ، حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَافِظَهُ الَّذِي بِهِ قَوَامُهُمْ وَلَا نِظَامُهُمْ زَمَانًا فَرِزْمَانًا. وَتَمَامُ

١. في خ: يكون.

٢. كذا في خ.

الخبر: «أو يأتي بأمره»^(١).

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّينِ، بِأَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ دِينٌ لغيره فَكَلَّهَا مشغولة به، ومن مات وعليه دين فهو مأخوذ به إلى أن يودّي عنه.

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ ثُمَّ قَالَ: لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ مَا دَامَ يَكُونُ فِي انْتِظَارِهَا وَيَحَافِظُ عَلَيْهَا، لَا أَنَّهُ فِي حَكْمِ الْمُصَلِّينَ بِحَيْثُ يَحْرَمُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ.

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ ثُمَّ نَهَى عَنْ إِظْهَارِ الْفَرْحِ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِأَخٍ مُؤْمِنٍ، فَقَالَ: لَا تَفْرَحُ بِوُقُوعِهِ فِي الْبَلَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِمَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَعَلَّةٍ أَوْ هَلَاكِ مَالٍ، أَوْ مِنْ ظَالِمٍ يَظْلِمُ بِخَصِّهِ فَإِنَّكَ فَرَحْتَ بِذَلِكَ، خَلَّصَهُ اللَّهُ وَابْتَلَاكَ؛ وَهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْثَلَهُ»^(٢).

لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ * لَا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ فَإِنَّهُ فِيءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ * لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ * لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا * لَا تَمْسَحْ يَدَكَ بِثَوْبٍ مِنْ لَا تَكْسُوهُ * لَا يَرُدُّ الرَّجُلُ هَدِيَّةَ أَخِيهِ، فَإِنْ وَجَدَ فَلْيُكَافِئْهُ * لَا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ * لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ * لَا تُخْرِقَنَّ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا * وَلَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمُعْرُوفِ شَيْئًا

يَبَيِّنُ الْخَبَرَ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ: أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَنْسُبُونَ الْحَوَادِثَ وَالْبَلَاءَ إِلَى

١. لم أقف عليه؛ في المصادر: يأتي أمر الله.

٢. سنن الترمذي: ٦٦١/٤، ح ٢٥٠٥؛ المعجم الأوسط: ١٩١/٧، ح ٧٢٤٤؛ جامع الأحاديث: ٦٥/٧.

ح ٢٠٩١١؛ وأيضاً عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، راجع: الكافي: ٣٥٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التعيير، ح ٣.

الدهر، فيقول: فعل الدهر كذا، شيبني وأمرضني وأفقرني وأهلك قومي، وكانوا يستبون الدهر فيقولون: لحى^(١) الله دهرأ خيره قبل شره؛ فقال علي^(٢): إن فاعل هذه الأمور هو الله، ولا تسبوا فاعلها.

قال تعالى - حاكياً عنهم -: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»^(٣)، أي: قال منكر البعث: ليس الحياة إلا التي نحن فيها في الدنيا، ولا بعث ولا حساب، وما يميتنا إلا الأيام والليالي، أي: مرور الزمان وطول العمر؛ إنكاراً منهم للصانع؛ «وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ»^(٤) أي إنما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم، ولو علموا أن الذي يميتهم هو الله فإنه قادر على إحياءهم، لما نسبوا الفعل إلى الدهر. وقيل: الدهر الثاني في الخبر مصدر بمعنى الفاعل، أي الله داهر الدهر.

وقيل: تقديره: فإن الله هو خالق الدهر، ولا تسبوه لعلّه أصابتكم فإنكم إذا سببتم فاعل ذلك فهو الله.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم نهى عن مخالفة الإمام قولاً أيضاً، يعني: إن عذركم وأدبكم وأقام عليكم حداً واستنهضكم إلى جهاد، لا تظنوا^(٥) أن ذلك منه؛ فإنه حجة الله في أرضه، وظلّ وراحة يستريح إليه المتعب إليه، ويلتجئ إليه المظلوم؛ كمن كان في الشمس فرأى ظلاً والتجأ إليه استراح.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم نهى عن سبّ الموقى وإن كانوا ظلمة، فهم في موضع الترحم والشفقة والدعاء؛ فربّما يذوق بعضهم العذاب الأليم، ولا ينفع في الدين سبهم غير الأذى في

١. لعن.

٢. الجاثية: ٢٤.

٣. الجاثية: ٢٤.

٤. في خ: ولا تظنوا.

قلوب السامعين.

وقيل: إنه ورد بسبب عِكرمة بن أبي جهل.^(١)

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقوله: «لَا تَمْسَحْ يَدَكَ بِثَوْبٍ مَنْ لَا تَكْسُوهُ»، له معان:

أحدها: أنه أراد: لا تستخدم من لم تنعم عليه، ولا تبتذل ثوب من لم تكسه بمسح اليد. والثاني: لا تثق بمن لا تجربيه. والثالث: لا تجعل انبساطك عريضاً طويلاً مع من لم يسبق منك إحسان إليه بنوع من الأنواع. والرابع: حذر به عن الطمع. والخامس: لا يستبدل أحداً من المؤمنين وإن كان فقيراً، فإن الله يطعمه ويكسوه، ولست تكسوه. بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال: إن علمت أن غرض من أهدى إليك شيئاً هو عمارة الأخوة في الدين والمودة، فالأولى قبولها؛ وإن كان رياءً وسمعةً فالأولى رده، إلا أن يكون في الرد اكتساب عداوة، وتحمل المنّة أولى من اكتساب الحقد.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم نهى عن ردّ السائل وحرمانه، وإن كان بشيء تافه^(٢)؛ لأنه ربّما كان مضطراً إليه فيعظم موقعه، مع حقّه مؤونته. و«شق» الشيء: نصفه.

وروي: «وَلَوْ بَظْلَفٍ مُحْتَرَقٍ»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وبيان الخبر الذي في النهي عن الغيبة في تمامه، وهو ما روي: أنه عليه السلام كان على المنبر، فنادى بأعلى صوته: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخِلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ: لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ [مَنْ] تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَاتِهِ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»^(٤).

١. راجع: المغازي: ٢٧٧/٢؛ المستدرک علی الصحیحین: ٢٦٩/٣، ح ٥٠٥٥؛ جامع الأحاديث: ٢٤٢/٢٠، ح ١٤٥٣٨.

٢. قليل.

٣. الكافي: ١٥/٤، ح ٦؛ مسند ابن المبارك: ١٨٦، ح ٢٩٦؛ قوت القلوب: ٨٠/١.

٤. سنن الترمذي: ٣٧٨/٤، ح ٢٠٣٢؛ صحيح بن حبان: ٧٥/١٣، ح ٥٧٦٣؛ جامع الأحاديث: ٩٩/٩، ح ٢٧٣٩٦؛ وراجع: الكافي: ٣٥٤/٢، ح ٢.

بَيَانُ الْجَبْرِ ثُمَّ قَالَ: لَا تَهْتِكْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِتْرَهُ الَّذِي أَخْفَاهُ عَنِ النَّاسِ، حَذَاراً مِنْ هَتِكَ سِتْرِكَ^(١).

وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاحَى اللَّهَ بِهِ فِي شَأْنِ حَرْمَلَةٍ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَاناً ذَاكِراً وَقَلْباً شَاكِراً، وَلَا تَخْرِقَنَّ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا»^(٢).

بَيَانُ الْجَبْرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الْأَخِيرِ فِي تِمَامِهِ، [وَهُوَ]: «وَلَوْ بِشِشْعِ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ يُعْطِيَ الْحَبْلَ، وَلَوْ أَنْ تُؤَنَسَ الْوُحْشَانُ»^(٣)؛ وَهُوَ أَنْ تَلْقَاهُ بِمَا يُؤَنَسُهُ مِنَ الْقَوْلِ الْجَمِيلِ، وَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِفَعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْرُوفُ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الصَّدَقَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَوْ تَصَدَّقْتَ بِشِشْعٍ، فَهِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اسْتِحْقَاقِكَ الْمَعْرُوفَ مُعْطِياً وَمُعْطَى.

لَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مَوْعِداً فَتُخْلِفُهُ * لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ
نَزَلَ بِهِ * لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ *
لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ
إِخْوَاناً * وَلَا تَكُونُوا عَيَّابِينَ وَلَا مَدَّاحِينَ وَلَا طَعَّانِينَ وَلَا مُتَمَاوِتِينَ
* لَا تُعْجِبُوا بِعَمَلٍ عَامِلٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمِمْ يُخْتَمُ لَهُ * لَا يُعْجِبَنَّكُمْ
إِسْلَامُ رَجُلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا كُنْهَ عَقْلِهِ

بَيَانُ الْجَبْرِ نَهَى أَوَّلًا عَنْ خَلْفِ الْمِيعَادِ، فَإِنَّهُ مِنْ عَادَاتِ اللَّثَامِ، وَالْوَفَاءُ بِذَلِكَ مِنْ شِهَائِلِ الْكِرَامِ. وَ«الْمَوْعِدُ» بِمَنْزِلَةِ الْوَعْدِ، فَإِنَّهُمَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلْخَيْرِ، فَالْخُلْفُ^(٤) فِي الْوَعِيدِ كَرَمٌ؛

١. فِي خ: سِرْك.

٢. مُسْنَدُ الشَّهَابِ: ٨٤/٢، ح ٩٣٤؛ وَرَاجِعُ: الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٥/٤، ح ٣٤٧٥؛ مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ: ٨٦٤/٢.

٣. غَرِيبُ الْحَدِيثِ: ١٥٧/١؛ الْفَائِقُ: ٢٤٣/٢؛ وَرَاجِعُ: مُسْنَدُ أَحْمَدَ: ٤٨٢/٣، ح ١٥٩٩٧.

٤. كَذَا فِي خ، وَلَعَلَّ الصَّحِيحَ: فَالْوَفَاءُ.

ومن أخلف الوعد اكتسب عداوة.

يُنَادِي الْجَبَرُ وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ تَمَيُّيِ الْمَوْتِ لئَلَّا يَنْزِلَ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَيَزِدَادُ كُلَّ يَوْمٍ ثَوَابَهُ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَتُوبُ.

وروي صحيحاً أن يقول صاحبه: «اللَّهُمَّ أَحْيِيْنِي مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي»^(١).

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ أَمَرَ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ حَتَّى عَلَى أَنْ يَحْسَنَ الْعَبْدُ عَمَلَهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَحْسِنُوا أَعْمَالَكُمْ بِحَسَنِ ظَنِّكُمْ بِاللَّهِ. وقيل: «حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّجَاءِ وَتَأْمِيلِ الْعَفْوِ وَاللَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ»^(٢).

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ نَهَى عَنِ الْحَسَدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَإِنَّ الْحَاسِدَ عَدُوٌّ نِعَمَتِي لَا يَرْضَى بِقِسْمَتِي»^(٣).

و«النَّجَشُ» أَصْلُهُ مَدَحُ الشَّيْءِ وَالْمَدَاحُ بِهِ؛ لَا تَمْدَحُ أَحَدَكُمْ صَاحِبَهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ يَسْتَدْعِي مَنْفَعَتَهُ؛ وَهَذَا أَنْسَبُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُهُ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَلَا تَدَابَرُوا» أَشَدَّ مُطَابَقَةً لَهُ؛ وَمَعْنَى «لَا تَدَابَرُوا»: لَا تَهَاجَرُوا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَتَّهَدَحُوا بِمَا لَا اسْتِحْقَاقَ، وَلَا تَتَّقَاطَعُوا.

وقيل: هو^(٤) تنفير الناس عن الشيء إلى غيره. ومعناه: لَا تَمْدَحُ أَحَدَكُمْ السَّلْعَةَ أَوْ يَزِيدُ فِي ثَمَنِهَا وَهُوَ لَا يَرِيدُ شِرَائَهَا، لِيَسْمَعَهُ غَيْرُهُ فَيَزِيدَ.

و«الْبَغْضُ»: خِلَافُ الْحُبِّ؛ وَنَهَى عَنْهُ، لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ لَيْسَتْ بِمَحْمُودَةٍ، وَأَيْضاً بَغْضُ

١. فِي الْمَوَاصِرِ الْحَدِيثِيَّةِ: «مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ» رَاجِعٌ: مُسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ: ٣٤/١، ح ٢٠٥٨؛ مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ:

٤٤/٦، ح ٢٩٣٤٧؛ وَكَذَا رَاجِعٌ: الْمَهَذَّبُ فِي فِقْهِ الشَّافِعِيِّ: ١٢٦/١؛ تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ: ٦٩/٣.

٢. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: رَاجِعٌ: شَرْحُ السُّنَنِ: ٢٧٢/٥؛ عَوْنُ الْمُعْبُودِ: ٢٦٥/٨.

٣. رَاجِعٌ: تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ: ٣٣٠/٣؛ شُعَبُ الْإِيمَانِ: ٢٧٤/٥، ح ٦٦٣٧؛ رِبْعُ الْأَبْرَارِ: ٢٨٦/١١.

٤. النَّجَشُ.

الإسلام في بغض المسلم.

ومعنى «التدابير»: الخذلان وأن تولّى الرجل صاحبه دبره؛ وكونوا عباد الله أصدقاء. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا مَعَ تَدَابِيرَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** قال: لا تكونوا معتادين لعيب الناس ولا لمدحهم خرقه واكتساباً، ولا تطعنوا فيهم، ولا تماوتوا تخشعاً وتقشفاً^(١) مرائين الخلق.

وقيل: «المتماوت» الذي يجعل نفسه كالميت تكسلاً، ولا يشتغل بالكسب. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَعْلَبُوا** ثم قال: لا تعجبوا لمن يدخل في أمر حسن حتى تعلموا أهل يداوم عليه إلى بلوغ آخره.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَعْلَبُوا ولا تعجبوا بعمل عامل حتى تعلموا درجة استعماله العقل؛ فمن كان أعقل كان أداء صلاته أكمل.

لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ * لَا يَنْفَعُ أَحَدُكُمْ مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُومَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ * وَلَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنْ تَالَتْهُمَا الشَّيْطَانُ * لَا تُرْضِيَنَّ أَحَدًا بِسُخْطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمِدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ، وَلَا تُذِمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهَةُ كَارِهِ * لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا * لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالْمَطَرُ قَيْضًا وَتَفِيضُ اللَّئَامُ قَيْضًا وَتَفِيضُ الْكَرَامُ غَيْظًا وَيَجْتَرِي الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَاللَّئِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ * لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ بَعْدَ مَشُورَةٍ * لَنْ يَهْلِكَ الرَّعِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ ظَالِمَةً

مُسَيِّئَةً إِذَا كَانَتْ الْوَلَاةُ هَادِيَةً مَهْدِيَةً

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ أشار أولاً بإكثار الصلاة عليه ﷺ، فقال: لا تنسوني في حالتي الشدة والرخاء، ولا تنكروني كصنع الراكب مع قدحه المعلق في مؤخر رحله، إذا احتاج إليه للعطش استعمله وإذا لم يحتاج إليه تركه خلفه معلقاً.

وروي: «قيل: يا رسول الله! وما قدح الراكب؟ فقال: إنَّ الرجل ليرفع متاعه على راحلته، فيبقى في قدحه ماء، فيعيده في أدواته»^(١).

وقيل: حثَّ بمداومة الصلاة عليه ليقرب بها من النجاح في جميع الأمور، أي: لا تجعلوني آخر الدعاء.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثمَّ حثَّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: قل الحق، ولا يدفعك عنه خوف الخلق.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وبيان الخبر الثالث في تمامه: فقال بعض أصحابه: وإن كانت امرأةً سالحةً؟ فقال: «نعم، ولو كانت مريم ابنة عمران»^(٢).

وفيه: يكره للمرأة السفر إلّا مع ذي محرم.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثمَّ بيّن أن رزق الله لا يأتي إلّا من الله، ولا تحمد مخلوقاً على ما أعطاك الله، ولا تذمَّ مخلوقاً إذا لم يعطك الله شيئاً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثمَّ بيّن أن خيار الناس يكرهون الولاية وطلبها، وقال: إن طلبتها وأعطيت لا تعان عليها، وإن دعاك عليها السلطان يجب عليك قبولها، وهو يعينك عليها.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثمَّ ذكر علامات لقيام الساعة، وهي أن معاشر الأولاد مع الأبوين تكون كمعاشرة الأضداد، ويحيي المطر في حرّ الصيف حيث لا فائدة فيه بل يؤدي

١. مسند الشهاب: ٨٩/٢، ح ٩٤٤؛ وراجع: المجرّوحين: ٢٣٦/٢، الفردوس بمأثور الخطاب: ٥٧/٥، ح ٧٤٥٢.

٢. راجع: ذم الهوى: ١٤٨/١.

إلى تعطيل المغائر^(١)، وتكبر الدون من الناس، وينقص الكرام، ولا تحترم الصغار الكبار. **بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ** ثُمَّ قَالَ: لَنْ يَضِلَّ فِي أَمْرِهِ أَحَدٌ بَعْدَ أَنْ يَفْتَتِحَهُ بِمَشُورَةِ ذِي دِينٍ وَرَأْيٍ. **بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ** ثُمَّ دَلَّ عَلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِالْتِّزَامِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ، فَقَالَ: إِذَا كُنْتُمْ تَأْتُمُّونَ بِهَادٍ فَإِنَّهُ يُوصلُكُمْ إِلَى مَقْصِدِ الرِّشَادِ، وَالْعَامَّةُ تَنْجُوا بِالْخَاصَّةِ؛ أَيُّ: اجْتَهِدُوا أَنْ تَحْشُرُوا مَعَ الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ كُنْتُمْ مُسِيئِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُ، وَلَا ضَلَالَ لِأَحَدٍ يَكُونُ مَعَ هَادٍ مُهْدِيٍّ.

فصل

إِيَّاكَ وَمَا يَعْتَذِرُ مِنْهُ * إِيَّاكُمْ وَالْمُدْحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ * إِيَّاكَ
وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ هَذَا مِنْ اللَّهِ طَالِباً * إِيَّاكَ وَمُشَارَةَ النَّاسِ^(٢)
فَإِنَّهَا تَظْهَرُ الْعُرَّةَ وَتَدْفِنُ الْعُرَّةَ * إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ * إِيَّاكُمْ
وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ هُمُ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةُ بِالنَّهَارِ * إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ
أَكْذَبُ الْحَدِيثِ * إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْمُظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِراً

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ يَقُولُ: عَلَيْكَ أَنْ لَا يَقْصِدَ عَمَلًا يُؤَدِّيكَ إِلَى الْإِعْتِزَالِ مِنَ اللَّهِ أَوْ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَا تَرْتَكِبَ أَمْرًا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْعُذْرِ. وَمَعْنَى «إِيَّاكَ»: الْقَصْدُ، وَإِيَّاكَ كَلِمَةُ تَخْصِيصٍ، وَمَعَ الضَّمِيرِ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وَتَقْدِيرُهُ: إِيَّاكَ أَخْصَصْتُ بِنَصِيحِي، وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَعْتَذِرُ مِنْهُ. وَدَخَلَ الْوَاوُ لِعَطْفِ الْفِعْلِ الْمَقْدَرِ عَلَى الْمَقْدَرِ، أَيُّ: أَخْصَصْتُكَ وَأَحْذَرُكَ. **بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ** ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ أَنْ لَا يَقْصِدَ مَدْحَ النَّاسِ فِي وُجُوهِهِمْ طَمَعاً مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، فَإِنَّهُ ذَبْحٌ لَهُمْ وَلِنَفْسِكَ، إِذْ تَقُولُ فِيهِمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ، وَتَتَمَلَّقُ وَتَهْوَنُ نَفْسَكَ.

١. جمع المغائر، وهو شيء كالصمغ يسيل من بعض الشجر حلو كالعسل وله رائحة كريهة.

٢. في خ: ومشاورة النساء.

وقيل: معناه: إياكم أن تمدهون فتهلكوا.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وكذلك نهى عن ارتكاب صفائر الذنوب، ومعناه: عليك أن لا تقصدي إلى ذنب تستصغرنه، فإن الله يطالبك بها، ولا تنظري إلى صغرها وحقارتها، ولكن انظري إلى عظمة من تعصيه بذلك؛ و«الحقير»: الصغير، و«المحقّر»: المستصغر، والخطاب مع روايتها.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم نهى عن محاصمة الناس، فإن الخصومة معهم تظهر كل عورة وتستر كل فضيلة. أي: أن مشاركة الناس تظهر المعائب وتخفي المناقب؛ لأن الخصام يبالي في بحث مثالب^(١) صاحبه ولا يجد [فضيلة] إلا دفنها، فكأنه يبيت محاسنه ويحبي مساوئه.

وقيل: المراد بـ«الغرة»: النفيسة من المال، والمراد بـ«الغرة»: البلاء والهلاك؛ والأول أشبه.

وقال الصادق عليه السلام: «إياكم والعداوة، فإنها تكشف العورة، وتورث المعرة»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وبيان الحديث الخامس في تمامه، وهو: «قيل: يا رسول الله! وما ذاك؟ - وفي رواية: «وما خضر الدمن»^(٣) - قال عليه السلام: المرأة الحسناء في منبت السوء»^(٤).

قال أبو عبيد: أراد فساد النسب وشبهها بالنبات الناضر^(٥) في دمنة البعر^(٦).

يقول: ولا تنكحوا هذه المرأة لجمالها، ومنبتها وأصلها خبيث كالدمنة^(٧)، وهي ما تلبّد من الأبول والأبعار منظرها حسن أنيق معجب للناس، وأصلها فاسد وأعراق

١. جمع المثلبة وهي العيب.

٢. راجع: المجازات النبوية: ١٧٧؛ وفيه: «إياكم وتعداد العرة»؛ وراجع: سراج الملوك: ١٦٩/١.

٣. في المصادر: «خضراء الدمن»؛ راجع: الكافي: ٣٣٢/٥، ح ٤؛ وكذا راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٩٩/٣.

٤. الفائق في غريب الحديث: ٣٧٧/١.

٥. كذا في خ، وفي ص: «بالشجرة الناضرة».

٦. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٩٩/٣؛ تهذيب اللغة: ٤٩/٧؛ غريب الحديث لابن جوزي: ٣٤٩/١.

٧. المزبلة.

السوء فيها، انتزع أولادها إلى طبعها وعاداتها؛ فنهى عنه عن نكاح المرأة عن ظاهر الحسن وهي في البيت السوء، أو كانت مطعونة في نفسها أو في نسبها.

وقيل: إنه نهى عن تعارض النفاق وتغاير الأخلاق، وأن يتلقى الرجل أخاه بالظاهر الجميل، وينطوي على الباطن الذميم، أو يخدعه بحلاوة اللسان، ومن خلفها مرارة الجنان.^(١)
يَنْهَى الْخَبَرَ ثُمَّ حَذَّرَ عَنْ أَخْذِ الدِّينِ، فَإِنَّ الْمُدْيُونَ إِذَا أَعْجَزَ عَنْ أَدَائِهِ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ لكَثْرَةِ التَّفَكُّرِ وَيَهْتَمُّ؛ وَبِالنَّهَارِ يَتَوَارَى عَنْ سُوءِ الْخَفَاءِ.

يَنْهَى الْخَبَرَ ثُمَّ نَهَى عَنْ تَحْقِيقِ كُلِّ ظَنٍّ، وَالْحَكْمِ مَلِكٍ مَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ، كَمَا يَقَعُ تَعَيَّنِي الْعِلْمُ فِي الْأُمُورِ الْمَعْلُومَةِ؛ وَالظُّنُونِ أَكْثَرُهَا كَذِبٌ.

وتام الخبر: «وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا»^(٢)، بالجيم تعرف الخبر بتلطّف، وبالحاء تطلب الشيء بحاشّة.

يَنْهَى الْخَبَرَ ثُمَّ قَالَ: اجْتَنِبُوا وَاحْذَرُوا عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ عَلَيْكُمْ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ لِأَنَّ وَبِالْكَفْرِ يَعُودُ عَلَيْهِ، [و] بِالْظُّلْمِ يَعُودُ إِلَيْكُمْ، و«إِنَّا» اسم مبهم، ولا محلّ من الإعراب للضمائر بعده.

١. راجع: المجازات النبوية: ٧٠؛ وقال فيه بعد الإشارة إلى هذا القول: «وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر [زفر بن الحارث] في قوله:

«فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْغَى عَلَى دِمَنِ التَّرَى وَتَبَقَى خَزَايَا النُّفُوسِ كَمَا هِنَا

كأنه أراد: إنا وإن لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر فإننا نضمركم على باطن الفس والفهم.

٢. مسند أحمد: ٢٨٧/٢، ح ٧٨٤٥؛ صحيح البخاري: ١٩٧٦/٥، ح ٤٨٤٩.

باب [٧]

إِنَّ مِنَ الْبَيِّنِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالًا
وَأَنَّ مِنَ طَلَبِ الْعِلْمِ جَهْلًا * إِنَّ مِنَ إِمْتِي أُمَّةً مَرْحُومَةً * إِنَّ
حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ * إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ *
إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ * إِنَّ الدِّينَ يُسْرُ * إِنَّ دِينَ اللَّهِ الْخَنِيفَةُ
السَّهْلَةُ السَّمْحَةُ * إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صَلََةُ الرَّجَمِ * إِنَّ
الْحِكْمَةَ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا * إِنَّ مُحَرَّمُ الْحَلَالِ كَمُحِلِّ الْحَرَامِ *
إِنَّ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا هَذَا الْمَالُ * إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ سبب الحديث الأول هو: «أَنَّ وَفَدَ»^(١) بني تميم دخلوا عليه ﷺ، فسأل
عمر بن الأهتم عن قيس بن عاصم، فقال: أنه مانع لحرونة^(٢) مطاع في عشيرته.
فقال قيس: يا رسول الله! حسدني ولم يَقُلِ الحق. فقال عمرو: هو والله زَمِرُ^(٣) المروءة^(٤)
ضيق العَطْنِ^(٥) لئيم الخال، فنظرَ إِلَى فِي عَيْنِيهِ، [فقال عمرو^(٦)] : يا رسول الله!

١. وَفَدَ، وَفُودٌ: جمع وافد، ووافد القوم سابقهم وإمامهم.

٢. حرن فلان بالمكان: لزمه فلم يفارقه؛ حرن فلان في البيع: لم يزد في الثمن ولم ينقص.

٣. رجل زمر: قليل المروءة.

٤. في خ: المرأة.

٥. كناية عن البخل؛ فلان واسع العَطْن: واسع الصبر والحيلة عند الشدائد سخي كثير المال، وضده ضيق العطن.

٦. في خ: عمرو فقال.

رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وغضبتُ فقلتُ أسوأ ما علمتُ، وما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الأخرى. فقال عليه السلام: «إنَّ من البيان لسحراً»^(١)؛ أي يعمل عمل السحر. ومعنى «السحر»: إظهار الباطل في صورة الحق والبيان والفصاحة، أي أنَّ المبتين بصور الحق في أحسن صورة.

«وإنَّ بعضَ البيانِ يَكُونُ سِحْرًا»، يعني: أنَّ مدَّعي البيان يكون مبطلاً، يراى الناس الحقَّ في بيانه وفصاحته.

قال الشافعي: «البيان اسم جامع لمعان متَّفقة الأصول منشعبة الفصول»^(٢). يريد: أنَّ اسم «البيان» يقع على الجنس، ويقع تحته أنواع مختلفة المراتب في الجلاء والخفاء.

وقيل: «البيان اثنان: بيان يقع به الإبانة عن المراد بأيِّ لغة كان وأيِّ لسان أبان»^(٣)، ولم يرد بالسحر هذا النوع منه.

ومعنى الحديث: أنَّ منه ما يصرف من قلوب السامعين إلى قبوله. وقيل: معناه أنَّ من البيان ما يكسب به من الإثم ما يكتسب الساحر بسحره. و«السحر» في اللغة الصرف؛ وقيل: «الخداع».

«وإنَّ بعضَ الشعرِ حِكْمَةٌ»، أراد به المواعظ والأمثال التي يتَّعظ بها الناس. وقيل: معناه أنَّ من الشعر كلاماً يمنع عن الجهل والسفه وينهى عنها. و«الحكم» الحكمة، ومعناها المنع.

١. الطبقات الكبرى: ٣٨/٧؛ المعجم الأوسط: ٣٤١/٧؛ المستدرک: ٦١٣/٣؛ الاستيعاب: ١١٦٣/٣.

٢. في المصدر: متشعبة الفروع؛ راجع: الرسالة (لشافعي): ٢١.

٣. قاله الخطابي، قال في النوع الثاني: «والآخر ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم».

راجع: فتح الباري: ٢٠٢/١.

ثم قال: إِنَّ بعض القول يكون عيلاً لقائله ووبالاً، ويستتضرّ به ويعود إليه كلّ وقت منه مؤونة وشدة. وقيل: إِنَّ بعض الكلام ينسب إليك كما ينسب العقال إلى الرجل.
ثم قال: وإنّ طلب بعض العلم يكون جهلاً. وقيل: معناه: أن يكلف العالم إلى علمه ما لا يعلمه فذلك جهل منه، أي من جعل معلومه ومظنونته سواءً فذلك جهل. وقيل: أراد به علم الاولدرس^(١) والفلسفه والأوائل والنجوم والغنا.
و«من» في هذه الأربعة للتبعيض.

وقيل: معناه: أن العالم ربّما يحمله علمه على التكبر والشروع فيما لا يعنيه، وتقديره: أن من طلب العلم طلب سبب جهل؛ فحذف المضاف.

وقيل: إِنَّ للعلم طغياناً كطغيان المال.
يُنَازِلُ الْخَبَرَ ثم قال: إِنَّ أمتي مخصوصة بالرحمة، جعلهم الله مرحومين لكرامتي عنده تعالى، وهو الأمان من الخسف والمسح وتسيويد الوجوه وسائر العذاب الذي كانت ألوانه على بني إسرائيل؛ فخفف الله عن هذه الأمة ببركة محمد ﷺ و«الأمة»: أتباع الأنبياء.

يُنَازِلُ الْخَبَرَ و«العهد» في الخبر ههنا الحفاظ والحرمة؛ يقول: من كمال إيمان المرء حفاظ الحرمة القديمة وتعاهده لها.

وجاء هذا الحديث في شأن ماشطة خديجة، لما دخلت على رسول الله وجعل سائلها عن أولادها وأحوالها وأهاليها حتى سأها من كلّها ملاق. فقالت عائشة: ما هذا؟ فقال ﷺ: هذه امرأة كانت تأتينا زمان خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان.^(٢)
يُنَازِلُ الْخَبَرَ ثم قال: من حسن عمل العبد في طاعة الله حسن ظنه بفضل الله وكرمه.

١. كذا في خ.

٢. المعجم الكبير: ١٤/٢٣، ح ٢٣؛ المستدرک: ٦٢/١، ح ٤٠؛ روضة الواعظين: ٢٦٩.

وقيل: إن حسن ظنّ العبد بالناس من جملة حسن العبادّة؛ وكلا المعنيين حسن.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ وتام الخبر الأخير: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُؤَزِّرُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛
 فَمَنْ أَخَذَ فَقَدْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١). وهو أن ميراثهم الأحكام الشرعيّة.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثم حضّ على الاقتصاد، فقال: إن دين الله يسر ولا غلوف فيه ولا تقصير، قال
 لعثمان بن مظعون - لما ترهب - : «يا عثمان! إن الله لم يبعثني بالرهبانّيّة وأن خير الدين
 الحنيفيّة»^(٢).

وقيل: معناه: أن شرع محمد ﷺ سهل.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ وكذا معنى الخبر الأخير: إن ملّة رسول الله المستقيمة لا محالة السهلة جدًّا
 وحقيقة.

و«الحنيفيّة» في الإسلام: الميل إليه والإقامة على عقده، و«السمحة»: في غاية
 السهولة.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ وإنما يكون التعجيل بثواب صلة الأرحام، لأنّه يزيد في العمر. وقال تعالى في
 ذمّ قوم: «وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ و«الشريف»، إذا كان له حكمة وهي الفقه ههنا زاد شرفاً.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثم قال: عقوبة محرّم الحلال كعقوبة محلّ الحرام.
 بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثم قال: فخر أهل الدنيا المال؛ وقيل: إذا لم يجد الرجل مهر امرأة ونفقتها
 فالتكافؤ بينهما غير ثابت لهذا الخبر [و] إن خطبها ولم يزوّج فلا حرج.

١. الكافي: ٣٤/١، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلّم، ح ١؛ سنن الترمذي: ٤٨/٥، ح ٢٦٨٢؛

جامع الأحاديث: ٤٢/٧، ح ٢٠٧٣٠.

٢. كنز العمال: ٤٧/٣، ح ٥٤٢٢؛ الطبقات الكبرى: ٣٩٥/٣.

٣. محمد: ٢٢.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ وبيان الخبر الأخير في تمامه، وهو: لا يجوز العدل وكثرة اللائمة لمن أتى الحق أو قال حقاً أو ثبت على حق وإن كان فيه نوع من الخشونة والوحشة.
وروى البخاري عن أبي هريرة: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَقَاضَا، وَأَغْلَظَ فَهَمَّ أَصْحَابُهُ بِضَرْبِهِ. فَقَالَ ﷺ: دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ يَدًا وَلِسَانًا»^(١). أي من له حق فله ينطق.

إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ * إِنَّ أَحْسَنَ الْحَسَنِ
الْخُلُقِ الْحَسَنِ * إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ * أَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ
الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ * إِنَّ أَقْلَ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ * إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي
الْعَبْدَ مِنْ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ
الْمُصِيبَةِ * إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ
الْأَبَ * إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ * إِنَّ أَشْكَرَ
النَّاسِ لِلَّهِ أَشْكُرُهُمْ لِلنَّاسِ * إِنَّ إِعْطَاءَ هَذَا الْهَالِ فِتْنَةٌ وَإِمْسَاكُهُ
فِتْنَةٌ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ رَغَبٌ فِي الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، بَأْتُمَا تَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَأَوَّلُهَا الدِّينَ، ثُمَّ الْمَرْوَةَ
وَالْفِتْنَةَ.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ وَأَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَ حَسَنٌ.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ ثُمَّ حَتَّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْمَالِكِ وَتَقْوِيَتِهِمْ، يَقُولُ: مَوْلَى الْقَوْمِ مَعْدُودُ مِنْهُمْ،
فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرَمَ كَحَرَمَتِهِمْ.

وقيل: قاله لرافع مولاً في نهى أخذ الصدقة، وإنَّما قال على سبيل التشبيه في

الاقتداء بسيرتهم في اجتناب مال الصدقة التي هي أوساخ الناس. ويشبه أن يكون عليه السلام فقد كان يكفيه المؤونة، اذ كان أبو رافع مولى له، يتصرف له في الحاجة والخدمة؛^(١) وهذا إضافة تشبيه وتقريب، لا إضافة تحقيق. وأراد بآئه منهم، يعني في حكم الولاء دون حكم النسب.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«البلة»: زوال العقل، فلو حمل الخبر عليه فعناه: أكثر أهل الجنة المتقون والمجانين، فالعقلاء أكثرهم يعملون أعمال أهل النار.

وقيل: «البلة»: سلامة الصدر والغفلة عن الشر والخبث^(٢) والمكر.^(٣) فأراد أكثر من يدخل الجنة من هو أبلة في أمور الدنيا؛ والبلة هم الذين خلوا عن الدَّهَاءِ^(٤) والنكر والخبث^(٥) وغلبت عليهم سلامة الصدور وهم عقلاء.^(٦)

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَاماً بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ وَلَيْسَ لَهُمْ كَثِيرٌ عَمَلٍ».^(٧)

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وأقل من يسكن الجنة النساء، لبعدهن من العلم والطاعة، وقربهن من الجهل والمعصية، وكفرانهن إحسان بعولتهن.

١. راجع: مسند الطيالسي: ١٣١، ح ٩٧٢؛ سنن الترمذي: ٤٦/٣، ح ٤٥٧.

٢. في خ: الخبء.

٣. غريب الحديث (ابن قتيبة) ٣٣١/١؛ قال: «... البلة في الحديث هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس».

٤. العقل.

٥. كذا في المصدر، وفي خ: الخبء.

٦. راجع: الفائق في غريب الحديث: ١٢٨/١.

٧. غريب الحديث (ابن قتيبة): ٣٣٣/١؛ وفي: الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٣١/١، ح ٨٨٤: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلاة، ولكن بسلامة الصدور وسخاء النفس ونصيحة للمسلمين».

وفي رواية أنه عليه السلام قال: «النساء أُنكَنَ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»^(١) أي المعاشرة، والمراد به الزوج.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثم قال: من كان عياله أكثر ومصيبته أعظم فالرزق والصبر عليه أوسع.

بَيَانُ الْخَبَرِ ثم نبه على أن حق الوالد مقدم على حق الوالدة.

وبيان الخبر ما روي: «صل من كان يصل إيتاك، فإن صلة الميت في قبره أن تصل من كان يواصل»^(٢).

بَيَانُ الْخَبَرِ ثم أراد أن يبين قرب إبليس من الآدمي وسواساً، فشبّه في القرب بالدم وجريانه، وروي أنه عليه السلام قال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ»^(٣)، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ بِجَرَى الدَّمِ»^(٤) أي أنه لا يزائله، لا أنه يدخل عروقه.

وقيل: أراد به التسلط والغلبة له على ابن آدم أحياناً كما يغلب الدم وفاقاً في بني آدم.

مركز تحقيق تكملة علوم حسبي

بَيَانُ الْخَبَرِ والله يكره كفران النعم له ولخلقه.

بَيَانُ الْخَبَرِ ومعنى الخبر الأخير: أن الله إذا أعطى عبداً مالاً وأمسكه منه فليس باستحقاقه، ولكنه يمتحنه بكلاهما.

إِنَّ عَذَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ جُعِلَ فِي دُنْيَاهَا * إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ
بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ * إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ *
إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ * إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً خَلَقَهُمْ

١. مستد الطيالسي: ٥٠، ح ٣٨٤؛ مسند ابن أبي شيبة: ١٧٣/١، ح ٢٤٩؛ جامع الأحاديث: ٩٧/٩، ح ٢٧٣٩٠.

٢. مصنف ابن أبي شيبة الكوفي: ٣٠٧/٥، ح ٢٦٣٦٣؛ حلية الأولياء: ٢٥٤/٤.

٣. اللاتي غاب عنهن أزواجهن.

٤. سنن الدارمي: ٤١١/٢، ح ٢٧٨٢؛ جامع الأحاديث: ٢١١/٨، ح ٢٥٥٢٨.

لِحَوَائِجِ النَّاسِ * إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا
وَضَعَهُ * إِنَّ لِحَوَائِبِ الْكِتَابِ حَقًّا كَرِدَ السَّلَامِ * إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ
لَمَنْذُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ * إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ،
وَوَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ * إِنَّ الْمُسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِفَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ غُرْمٍ
مُقْطَعٍ * إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ مَعَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَإِنْ كَثِيرَ الْعَمَلِ مَعَ
الْجَهْلِ قَلِيلٌ

بَيَانُ الْجَبَرِ نَهَى عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْخَبَرِينَ الْأَوَّلِينَ عَنْ مَبَاشَرَةِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُ عَذَابَ هَذِهِ
الْأُمَّةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، بَأَن يَضِيقَ عَلَيْهَا الرِّزْقَ. وفيه بيان: أنه إذا أطاع الله العبد يستحق
السَّعة ولا يصيبه مصائب عذاب في الدنيا.
وقيل: يريد بالأول تكفير الخطايا بالهموم.

وروي: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ عِبَادًا أَوْلِيَاءَ يَخْصُّهُمْ بِالْكَرَامَاتِ.

روي: «إِنَّ عَمَّةَ أَنْسَ كَسَرَتْ سِنَّ امْرَأَةٍ، فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ بِالْقَصَاصِ، فَقَالَ أَنْسُ:
وَالَّذِي بَعَثَكَ لَا تَكْسِرُ سَنَهَا، فَرَضُوا بِالْأَرْضِ؛ فَقَالَ الْحَدِيثُ»^(٢).

بَيَانُ الْجَبَرِ وَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا هُمْ خَوَاصُّهُ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِنُورِ الْفِرَاسَةِ. و«التَّوَسُّمُ»: التَّدْبِيرُ فِي
النَّظَرِ وَالْإِمْعَانِ فِيهِ.

بَيَانُ الْجَبَرِ وَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يُحِبُّونَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَكُونُوا فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ
الْإِخْوَانِ. وتام الخبر: «إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ عَلَى أَيْدِيهِمْ، يَفْرَعُ

١. مسند أبي يعلى: ٢٤٧/٧، ح ٤٢٥٤؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٤٣/١، ح ٩٤١؛ كنز العمال: ٤٧/١١، ح ٣٠٧٩٩.

٢. صحيح البخاري: ١٠٣٢/٣، ح ٢٦٥١؛ وكذا راجع: المعجم الكبير: ٢٦٤/١، ح ٧٦٨.

النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أَوْلَتْكَ الْآمِنُونَ مِنْ فَرْعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).
 بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ حَضَّ عَلَى الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالرِّضَا بِالْكَفَافِ فِيهَا، بِأَنْ كُلَّ رَفِيعٍ فِيهَا
 سَيَتَضَعُ، وَقَوْلُهُ: «حَقًّا» نَكْرَةً، وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ جَعَلَ اسْمَ «إِنَّ»، لِأَنَّهُ تَجَدَّدَ بِقَوْلِهِ: «عَلَى
 اللَّهِ».

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ أَخٍ مُؤْمِنٍ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجِيبَهُ.
 بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَإِنَّ فِي كِتَابَاتِ الْكَلَامِ فَسْحَةً عَنِ الْإِتْيَانِ الْكَذِبِ الَّذِي يَأْتُمُّ بِهِ الْإِنْسَانُ،
 وَالْفِرَارُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَلِكَ؛ فَرَخَّصَ بِمَا ظَاهَرَهُ غَيْرَ بَاطِنِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ؛ وَلِلْمُفْجَعِ
 الْبَصْرِيِّ^(٢) كِتَابٌ فِي ذَلِكَ،^(٣) كَقَوْلِهِمْ: «مَا لَ صَدَقَةٌ»، وَيَكُونُ «مَا» لِلنَّفْيِ؛ «وَاللَّاهُ لَمْ
 أَفْعَلْ»، يَعْنِي اللَّاهِي؛ «وَاللَّهُ مَا رَأَيْتَ زَيْدًا»، أَيْ مَا أَصَبَتْ رُؤْيَتُهُ.

و«الْمُسْتَدَوْحَةُ»: السَّعَةِ فِي الشَّيْءِ؛ وَ«التَّعْرِيزُ»: خِلَافُ التَّصْرِيحِ؛ وَ«مَعَارِضُ
 الْكَلَامِ»: كُنَايَاتُهُ، وَهُوَ جَمْعُ مَعَارِضٍ، يُقَالُ: عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي مَعَارِضِ كَلَامِهِ، وَهُوَ مَفْعَالٌ
 مِنَ التَّعْرِيزِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْعُرْضِ، وَهُوَ الْجَانِبُ، كَأَنَّ الْمَعْرُضَ ذَكَرَ الْغُرْضَ فِي غُرْضٍ
 مِنْ كَلَامِهِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ قَالَ: أَحَلَّ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَأَنْ كَسَبَ وَلَدُهُ مِنْ يَدِهِ؛
 فَحَذَفَ الْمُضَافَ.

١. الدعوات: ١٠٨، ح ٢٤١؛ بحار الأنوار: ٣١٨/٧١، باب ٢٠، ح ٨١؛ وراجع: قضاء الحوائج: ٥٥؛ جامع
 الأحاديث: ١٣٩/٣، ح ٧٧٦٧.

٢. هو من كبار النحاة كان شاعراً وشيعياً وله شعر كثير في أهل البيت (عليه السلام)، توفي سنة ٣٢٠ ق. له كتاب
 الترجمان، عرائس المجالس، المنقذ من الإيثار وغيرها؛ راجع: رجال النجاشي: ٣٧٤؛ فهرست ابن نديم: ٩١؛
 الوافي بالوفيات: ١١٧/١؛ هدية العارفين: ٣١/٢.

٣. كتاب المنقذ من الإيثار، كان على نسق كتاب الملاحن لابن دريد.

وفيه دليل على أن نفقة الآباء لازمة على الأبناء إذا كانوا فقراء^(١).
 بَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ نَهَى عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَحَثَّ عَلَى الْكَسْبِ، فَقَالَ: لَا تَحُلْ الصَّدَقَةَ مَعَ الْقُوَّةِ عَلَى الْكَسْبِ؛ وَإِنَّمَا يَجُوزُ لِفَقْرٍ شَدِيدٍ يُلصِقُ صَاحِبَهُ فِي التَّرَابِ، وَلَدَيُونِ قِطِيعَةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ يَجُوزُ السُّؤَالُ لِأَدَائِهَا.

و«الإدقاع» مثل لمجاورة الحد في الفقر.
 وروى: «وَلَدَمٌ مَوْجِعٌ»^(٢)، وهو أن يحمل حِمْلًا في حقن الدماء، فيسعى إذا ما تحمل دية يؤذيها إلى أولياء المقتول، وإن لم يؤذيها قتل المتحمل عنه وهو أخوه أو حميمه فيوجعه قتله، فيفعل ذلك لإصلاح ذات البين؛ فتحل له المسألة فيها^(٣).
 بَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ بَيَّنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ وَنَقْصَانَ الْجَهْلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ بِمُحْسِنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ * إِنَّ لِكُلِّ
 دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ هَذَا الدِّينِ الْحَيَاءُ * إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا وَإِنَّ
 أَشْرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ * إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَإِنَّ فِتْنَةَ
 أُمَّتِي الْهَالُ * إِنَّ لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةً وَغَايَةُ كُلِّ سَاعٍ الْمَوْتُ * إِنَّ
 لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ * إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ مُصْداقًا وَلِكُلِّ
 حَقٍّ حَقِيقَةً * إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ * إِنَّ
 لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً * إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابًا وَإِنَّ بَابَ

١. في خ: فقراء.

٢. في المصادر: ودم مَوْجِعٌ؛ راجع: مسند الطيالسي: ٢٨٥، ح ٢١٤٥؛ مسند أحمد: ١١٤/٣، ح ١٢١٥٥؛
 جامع الأحاديث: ٣٢٣/٢، ح ٥٧١٣.

٣. راجع: غريب الحديث للخطابي: ١٤٣/١؛ الفائق: ٤٣١/١.

الْعِبَادَةِ الصَّيَامُ * إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنًا وَمَعْدِنُ التَّقْوَى قُلُوبُ
الْعَارِفِينَ * إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يَس * إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ
دَعْوَةً دَعَاها لَأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

بَيَانُ الْجَبَرِ وبيان الخبر الأول فيما روي عنه عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَذُرُّكَ بِمُحْسِنِ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ
دَرَجَاتٍ الْآخِرَةَ وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ
دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ»^(١).

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ عَادَةً، وَعَادَةُ هَذَا الدِّينِ تَرْكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَإِتْيَانُ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؛ وَهَذَا هُوَ الْحَيَاءُ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ أَفْضَلَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُ الْمُؤْمِنُ لِلْجُلُوسِ فِيهِ هُوَ مَا فِي مَقَابِلَةِ
الْقِبْلَةِ، سِوَاهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْهَا [أَوْ] بَعِيدًا^(٢)؛ وَفِيهِ دَلِيلٌ: أَنَّ أَعْظَمَ الْبَقَاعِ شَرْفًا هِيَ الْكَعْبَةُ.
بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَذَّرَ عَنْ أَسْبَابِ الْفِتَنِ، وَحَثَّ عَلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَبَيَّنَّ أَنَّ غُلُوبَ هَذِهِ
الْأُمَّةِ فِي جَمْعِ الْمَالِ مَهْلِكَةٌ، كَمَا كَانَتْ أَنْوَاعُ الْفِتَنِ لِسَائِرِ الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ، وَ«الْفِتْنَةُ»:
الْبَلَاءُ^(٣) وَالْامْتِحَانُ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: خَوَاتِيمُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى الْمَوْتِ، فَتَبَّهْ بِذِكْرِهِ لِيَكُونَ الْمَرْءُ عَلَى حَذَرٍ مِنْ
سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ. وَ«غَايَةُ» الشَّيْءِ: مَنْتَهَاهُ.

بَيَانُ الْجَبَرِ وَ«شَرُّةُ الشَّبَابِ»: نَشَاطُهُ، أَيْ: [يَكُونُ] لِكُلِّ مُتَعَبِّدٍ رَغْبَةً وَنَشَاطًا، وَلِكُلِّ
نَشَاطٍ تَهَاوُنًا وَكَسَلًا؛ وَالْمَعْنَى مَدْحُ الْاِقْتِصَادِ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَوَازَنَةِ عَلَيْهَا.

١. المعجم الكبير: ٢٦٠/١، ح ٧٥٤ الفردوس بمأثور الخطاب: ١٩٧/١، ح ٧٤٣؛ جامع الأحاديث: ٢٤٧/٢، ح ٥١٦٤.

٢. في خ: وبعيداً.

٣. في خ: والبلاء.

وتهام الخبر: «فإن صاحبها سدّد وقارب فأزجوه، وإن أشر إليه بالأصابع فلا تعدّوه»^(١).

وروي: «إن لكل عابِدٍ شرها ولكل شره فترة»^(٢)، والشره: الحرص.
وروي ابن عباس: «أن مولاة للنبي تصوم الدهر وتقوم الليل، فقال: إن لكل عمل شره، والشره إلى فترة»^(٣).

وفي رواية أخرى: «هَذَا الْقُرْآنُ شِرَّةٌ، ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ عَنْهُ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى الْقَصْدِ فَبِعَيْنٍ هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى الْإِعْرَاضِ فَأُولَئِكَ بُورٌ»^(٤) أي هلكى.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْقَوْلَ بِمَجْرَدِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ وَلَا مُصَدَّقٍ إِذَا لَمْ يُقَارَنْهُ مَا يَصَدِّقُهُ مِنَ الشُّهُودِ وَالْدَّلَائِلِ، وَأَحَقُّ حَقٍّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ حَقُّ الْحَقَائِقِ، وَالْحَقِيقَةُ إِذَا صَحَّتْ أَوْصَلَتْ الْمُتَحَقِّقِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَبِالنَّظَرِ فِي الصَّنْعِ يَوْصَلُ إِلَى الصَّانِعِ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ وَجُوبَ الْاجْتِنَابِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَلَا يُقَرَّبُ مِنْهَا؛ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَمَا يَمْلِكُهُ الْآدَمِيُّ أَوْ مَبَاحٌ لَهُ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَالٌ غَيْرُهُ حَرَامٌ عَلَيْهِ إِلَّا بِشَرَطٍ مِنْ مَلِكٍ يَمِينٍ أَوْ هِبَةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نِكَاحٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. جَعَلَ مَا حَظَرَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ الْمَحَارِمِ كَالْحَمَى الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَطُورُوا^(٥) بِهِ، وَمَنْ خَالَفَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَنْتَظَرَ لَهُ النِّكَالَ؛ فَمَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَشْيَاءِ حَمَى لَا يَرَعَى، وَمَا أَحَلَّ مِنْهَا مَرَعَى لَا يَحْمَى، وَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا الْأَعَزَّ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَإِنَّمَا جَعَلَ الصِّيَامَ بَاباً لِلْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ بِهِ انْكِسَارَ

١. سنن الترمذي: ٦٣٥/٤، ح ٢٤٥٣؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٠٤/١، ح ٧٨٠؛ جامع الأحاديث: ٣٧٦/٢، ح ٦٠٦٩.

٢. مسند أحمد: ١٥٨/٢، ح ٦٤٧٧؛ حلية الأولياء: ٢٨٦/١، ح ٦٤٧٧.

٣. مسند الشهاب: ١٢٦/٢، ح ١٠٢٧.

٤. مسند أبي يعلى: ٤٣٤/١١، ح ٦٥٥٧؛ شعب الإيمان: ٥٣٤/٢، ح ٢٦٣٢؛ جامع الأحاديث: ١٤٧/٣، ح ٧٨١٥.

٥. لا يقربوه ولا يفعلوه.

الشهوة ومخالفة النفس وموافقة الفقراء والمساكين عند عدمهم الطعام والشراب.
 بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ وجوب توحيد الله، بأن جعل الله العارف ظرفاً للتقوى، وتقوى
 الله تكون بعد معرفته تعالى.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: أعظم الجوارح في البدن القلب، وكذلك سورة يس أعظم سورة في
 الأجر والثواب من الله، وستاها قلباً لأن القلب لب الشيء وخلاصته.
 بَيَانُ الْجَبَرِ وبيان الخبر الأخير في تمامه: «أبرأها للمؤمنين المطيعين لا ولكنها للمتوانين
 المخاطئين المذنبين»^(١).

والحديث حجة في الشفاعة وباب قوي في الرجاء.
 و«اختبأت»: ادخرت؛ و«شفاعة» مفعول له أو حال، التقدير: اختبأت دعوتي
 كائنة شفاعة.



إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُسْلَهَا إِلَّا شَيْئاً جَعَلَهُ فِي التُّرَابِ أَوْ
 الْبِنَاءِ * إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخَطْبَ * أَنْ
 أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ وَأَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ
 الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ * إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ
 غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ * إِنَّ الْفِتْنَةَ تَحْجِي فَتَنْسِفُ الْعِبَادَ
 نَسْفاً يَنْجُو الْعَالَمُ مِنْهَا بِعِلْمِهِ * إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ
 وَتَدْخِلُ الْجَمَلَ الْقَدْرَ

بَيَانُ الْجَبَرِ حَذَّرَ أَوَّلًا عن الركون إلى الدنيا تنبيهاً، فكل ما ينفقه المؤمن له فيه أجر إلا

١. راجع: كنز العمال: ٤٠٣/١٤، ح ٣٩٠٨١؛ تاريخ بغداد: ٣٥٢/٧؛ وردت بهذا النص: «... لأمتي يوم
 القيامة للمذنبين المتلطفين».

ما يبني به القصور ومواضع اللهو.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ خَوْفُ أُمَّتِهِ عَنْ فِعْلِ الْحَسَدِ وَطَاعَتِهِ وَالْأَخْذَ بِتَسْوِيلِهِ الْبَاطِلِ، لَكِي يَرُدَّعَ الْمَرْءَ عَنْ مَخَائِلِ الْحَسَدِ، وَإِلَّا فَهُوَ لَا يَفْسُدُ عَلَى نَفْسِهِ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْحَسَنَاتِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مَجَازٌ، كَمَا أَنَّ الْأَكْلَ مِنْهُ مَجَازٌ؛ وَ«الْحَسَدُ» مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ حَسَدَ الْإِطْوَصِ^(١) وَجِهَ الْأَرْضَ إِذَا قَشَرَهُ،^(٢) فَكَأَنَّ الْحَاسِدَ يَقْشُرُ أَوْ يَشْتَرِي^(٣) زَوَالَ مَا عِنْدَكَ. وَقَوْلُهُ: «لِيَأْكُلَ»: لِيَبْطُلَ.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ نَهَى عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَنَهَى عَنِ الْمُبَاشَرَةِ بِالْفَرْجِ حَرَاماً وَسَفَاحاً، وَبَيَّنَّ أَنَّ هَذَيْنِ أَكْثَرُ عَقُوبَةٍ مِنَ الذُّنُوبِ الْآخِرَةِ. يَبَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ جَعَلَ الْإِسْلَامَ غَرِيباً فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ تَشْبِيهاً بِالرَّجُلِ الْغَرِيبِ الَّذِي قَلَّ نُصَارُهُ وَبَعْدَتْ دِيَارُهُ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي أَوَّلِ ظَهْوَرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ قَوَاعِدُهُ، وَيَعُودُ إِلَى مِثْلِ الْحَالَةِ الْأُولَى فِي قَلَّةِ الْعَامِلِينَ بِشَرَايِعِهِ، فَيَنْمُحِي آيَاتِهِ؛ فَيَبَيِّنُ أَنَّ الْإِسْلَامَ حِينَ بَدَأَ كَانَ قَلِيلاً وَهُوَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَلِيلٌ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الدِّينَ لَمْ يَرْغَبْ فِيهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَدَأَ وَظَهَرَ وَعَلَا عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ حَتَّى يَكُونَ غَرِيباً لَا يَرْغَبُ فِيهِ وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ؛ كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: الْفِتْنَةُ كَائِنَةٌ لَا مُحَالَةَ، فَيَقْلَعُ الْعِبَادَ مِنْ أَصُولِهِمْ وَمَوَاضِعِهِمْ وَتَفَرِّقَهُمْ^(٤) فِي الْآفَاقِ، وَيَنْجُو الْعَالَمُ بِإِخْلَاصِهِ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الْعِبَادَ دُونَ النَّاسِ، لِأَنَّ

١. كَذَا فِي خ.

٢. رَاجِعْ: تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: ١٦٥/٤.

٣. كَذَا فِي خ.

٤. فِي خ: يَبْرِمُهُمْ.

أكثر الفتن يصيب لمن كان عابداً مطيعاً لله؛ قال تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا»^(١)، الآية. وخصوصية العالم لأنه يبصر فتنة الجاهل وعليه الضلالة، ينجوا منها لبصيرته؛ والجاهل يخفى عليه ذلك فيهلك.

وقيل: إن الأموال والأولاد ليستأصل أكثر العباد إلا من أيده الله بالعلم، والمال والنعمة فتنة عظيمة، ولذلك تجنب كثير من العلماء من أعمال الظلمة ولم يخلطوا منهم. **بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ** ثم دعا أمته إلى الاستعاذة من الإصابة بالعين، فإن تأثيرها في النفوس وإصابتها في الآدمي والحيوان هو أن يغير الله تعالى المستحق من الأشياء عن حاله اعتباراً للناظر وإعلاماً: أن نعيم الدنيا لا يدوم؛ وإلا فالعين لا يفعل شيئاً من استعاذ بالله، فلا يغير تعالى نعمته.

إِنَّ الَّذِينَ يَجْرُ ثَوْبُهُ خِيَلًا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأُمْرِ كُلِّهِ * إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّعَاءِ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَخْفَاءِ الْأَثْفَاءِ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرَفَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَاقَهَا وَيُكْرِهُ سَفْسَافَهَا * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتِيَ رُخْصَتَهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُتْرَكَ مَعْصِيَتُهُ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّهَوَاتِ وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ نُزُولِ الشَّهَوَاتِ وَيُحِبُّ السَّخَاةَ وَلَوْ عَلَى تَمَرَاتٍ وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَاتٍ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ بين أولاً عن كراهية تطويل الشياح على مذهب الكبر والنخوة والتشبه

بعادات الجاهليّة؛ ومن فعل ذلك لا ينظر إليه ربّه، أي لا يرحمه؛ ومنه قولهم: «انظر إلى نظر الله إليك»^(١)؛ أي: ارحمني، يرحمك الله.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ حَتَّ عَلَى الْمَسَاهِلَةِ وَالْإِغْمَاضِ عَلَى طَرِيقِ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ خَارِجاً عَنْ حَدِّ الشَّرْعِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى مُحْسِنٌ مَجْمَلٌ، يُحِبُّ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنٍ؛ فَأَحْسِنُوا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَاللِّبَاسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ حَتَّ عَلَى الدُّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ مِنْهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ وَسِيلَةُ الْإِجَابَةِ. وَ«أَلَحَّ فِي كَذَا»: بِالْغِثِ فِيهِ وَاسْتَقْصَى.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ إِثَابَةَ كُلِّ مَتَّقٍ بَرٍّ حَقِيٍّ لَا يَرِيدُ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ طَاعَتَهُ لئَلَّا تَقَعَ فِي الرِّيَاءِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ^(٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَنْقُطَاعَهُ مِنْ طَمَعِ الْخَلْقِ وَانْتِظَارِهِ رِزْقَ اللَّهِ. بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ نَهَى عَنِ النَّظَرِ، فَاللَّهُ يُحِبُّ الْقَلْبَ الَّذِي فِيهِ الْحُزْنُ لِأَجْلِ الدِّينِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْأُمُورَ الَّتِي تَدْنِي الْعَبْدَ مِنْهُ تَعَالَى وَهِيَ مُعَالِيهَا، وَيَكْرَهُ الدُّونَ الَّذِي يُوْرثُ سَخَطَهُ تَعَالَى وَالْقِسْوَةَ وَالْجَفَاءَ^(٣).

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَإِذَا رَخَّصَ اللَّهُ فِي أَمْرٍ لَا يَشُدُّ عَلَى نَفْسِكَ بِتَرْكِهِ وَلَا كِرَاهَةً لَهُ تَعَالَى فِي إِتْيَانِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَعْصِيَ فِي حَالٍ إِذَا مَا نَهَى عَنْهُ؛ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: يَرِيدُ أَنْ يَنْفِذَ بَصَرَ الْمُؤْمِنِ وَبَصِيرَتَهُ عِنْدَ

١. تفسير الطبري: ٣/٣٢٠؛ مشكل الحديث: ٢٦٩.

٢. المكتسب.

٣. في خ: والجفاف.

غلبة شهوة، ويستعمل عقله عند نزول شبهة، ويفعل السخاء والجود ولو على قمرة، وأن يكون شجاعاً وجريئاً ولو بقتل حيّة؛ وقال عليه السلام: «مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّمَا قَتَلَ كَافِرًا»^(١).

إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْمُحَامِدَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلُقَ * إِنَّ اللَّهَ
يَقْبِلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْرِغْ^(٢) * إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْعَفْرِيَّةَ الْنَفْرِيَّةَ
الَّذِي لَمْ يَرَزَأْ فِي جَسْمِهِ وَلَا فِي مَالِهِ وَلَا وَلَدِهِ * إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ
الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ وَالرَّقَّةَ فِي الصِّيَامِ وَالضَّحِكَ عِنْدَ الْمَقَابِرِ * إِنَّ
اللَّهَ يَنْهَيْكُمْ عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ * إِنَّ اللَّهَ
يُغَارِ لِلْمُسْلِمِ فَلْيَتَغَرَّ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْحَمُ مَنْ عَسَادِهِ إِلَّا الرَّحَمَاءَ *
إِنَّ اللَّهَ لَيَذَرُّ بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ مِائَةً مِنَ الشُّؤْمِ * إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا
الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ يريد أنه تعالى يريد أن يعملوا أموراً يحمدون على فعلها، وتورث الرضا عند الله.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وهو تعالى يحب الرجل الذي لا يكون صعباً في خلقه، بل يكون ضاحك الوجه مع المؤمنين.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم بين كرم الله، فإنه قابل التوبة من عباده ما لم يبلغ الروح الحلقوم؛ وهذا يدل على من أسلم في هذه الحالة حكم عليه بالإسلام.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثم قال: إن رضا الله في مكروهات العبد في دار التكليف وآفاته التي يصيب

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٧٠/١، ح ٢٨٤؛ مسند أبي داود الطيالسي: ٤٢، ح ٣١٥؛ كنز العمال: ٤٨/١٥، ح ٤٠٠٣٢.

٢. غرغر الروح: ترددت في الحلق عند الموت.

تارة في ماله وتارة في بدنه؛ قال تعالى: «عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»^(١)، يعني: أن الله يصيب العبد المؤمن في الدنيا الألم والبلاء والمصيبة، ولا تصيبه الكافر. و«لم يُرْزَأَ»، أي: لم ينقص، وأصله من الرزئة؛ و«العفريّة»: الموثق الخلق المصحح الجسم الشديد؛ و«النفريّة» من أتباعها. وقيل: هو من فسر رسول الله، وهذا نوع من الفصاحة، كقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً»^(٢)، ثم فسر الهلوع بقوله: «إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً»^(٣).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ اللَّعِبَ فِي الصَّلَاةِ، نحو مس اليد باللحية والالتفات يمينا وشمالاً؛ ولهذا قال عليه السلام: «لو علم المصلي من يناجي ما التفت»^(٤)، ويكره إذا كنتم صائمين أن تتكلموا بالرث وهو اللغو والباطل والمخنا^(٥) والفحش، ويكره أن تستخفوا بمواضع القبور محل العبرة، فلا يضحك أحد هناك إلا من فرط الجهل.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ نَاهٍ لَكُمْ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَنْ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ، فيقولوا: قال فلان كذا؛ وفعل كيت، وكان فيما مضى كذا وكذا؛ ما لا عظة فيه ولا فائدة، أو يقولوا: قيل كذا، ما لا يقين معه. وناهٍ عن الإسراف في النفقة ووضعه في غير موضعه. وناهٍ عن سؤال الناس والاستكثار منه على سبيل الشره والجشع^(٦). وقيل: هو^(٧) سؤال

١. البقرة: ٢١٦.

٢. المعارج: ١٩.

٣. المعارج: ٢٠ و ٢١.

٤. نصب الراية: ١٠٠/٢؛ الدراية في تخريج أحاديث الدراية: ١٨٢/١؛ نقل الطبراني في المعجم الأوسط: ١٨٨/٤، ح ٣٩٣٥: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِ فَلْيَقْبَلْ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، وَإِيَّاكُمْ وَالْإِلْفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا أَحَدُكُمْ يَنَاجِي رَبَّهُ مَا دَامَ فِي الصَّلَاةِ».

٥. الفحش في الكلام.

٦. شدة الحرص.

٧. كثرة السؤال.

الناس عن العلم تعنتاً.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ و«الغيرة»: الحمية على الأهل والقربات، يقول: إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ أَنْ يَنْظُرَ أَحَدٌ إِلَى زَوْجَةٍ آخَرَ نَظَرَ رَيْبَةٍ غَيْرَةٍ وَحَمِيَّةٍ، فليُغْرِ أَحَدَكُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلِيَحْفَظِ النِّسَاءَ، وَلَا يَتْرَكَهُنَّ يَخْرُجْنَ.

وقيل: معناه: أَنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ الظَّالِمَ لِلْمَظْلُومِ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَهْلُ وَلَا يَهْمِلُ.

وقيل: يعني: أَنَّ اللَّهَ زَجَرَ الْعَبْدَ عَنِ الْمَعَاصِي، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَنْزَجِرَ عَنْ نَوَاهِيهِ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الرَّحْمَةَ فِي الْقَلْبِ دَلِيلُ الرَّحْمَةِ مِنَ الرَّبِّ.

وقيل: رحمة العبد على نفسه بلزوم طاعة ربه أولى من رحمته على غيره، ومن رحم على نفسه رحم على غيره، ومن لا يكون كذلك لا يرحمه الله. و«الرحماء»: الذين يبذلون النصيحة، ويستعملون الشفقة.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لِيُدْفِعَ الْحَرَقَ وَالْغَرَقَ وَالْهَدْمَ وَالْوَقُوعَ فِي الْبُرِّ وَفِي الْبَلَايَا بِإِعْطَاءِ الصَّدَقَةِ وَبِرَكَّتِهَا. وَهَذَا حَتٌّ عَلَى الْإِحْسَانِ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ دِينَ اللَّهَ مُؤَيَّدٌ، وَرَبُّهُ يَكُونُ سَبَبَ تَأْيِيدِهِ سَعْيَ الْكَفَّارِ كَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي سَبَبِ الْحَدِيثِ طَوَّلٌ.^(١)

إِنَّ اللَّهَ لَيَنْفَعُ الْعَبْدَ بِالدَّنْبِ يُذْنِبُهُ * إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ

يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَشْكُرَهُ عَلَيْهَا *

إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى عَلَيْهِ * إِنَّ اللَّهَ

لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَرَعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ

بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ * إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ وَأَبَى أَنْ
يُعْطِيَ الْآخِرَةَ عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا * إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْعَبْدِ أَنْ
يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرْدَهُمَا خَائِبَتَيْنِ * إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِي الْأَرْضَ
مَسْجِداً وَطَهُوراً

بَيَانُ الْجَبَرِ ذكر بعض ما يفعل الله من الكرم بالعباد، وهو أن لا يأخذهم بعد ارتكابهم
الذنوب والمعاصي ويمهلهم، ثم يدعوهم إلى التوبة بعد ذلك، وبعد قبلوها منهم وعفوههم
عن معاصيهم فإن تابوا فتوبتهم طاعة عظيمة يستحقون عليها ثواباً عظيماً، ويغفر لهم
تفضلاً؛ فلو أخذهم بعد الذنب لما كان لهم هذه المنفعة؛ فكأنه تعالى نفعهم بسبب
ذنوبهم. وذلك مجاز ما ذكرناه، وذلك إذا تاب منه العبد خوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه.
بَيَانُ الْجَبَرِ والخبر الثاني حث على أدب الطعام والشراب، وهو أن يبدأ بهما وعليهما
بالبسملة، وتختتم بالحمد له.

بَيَانُ الْجَبَرِ وعموم الخبر الثالث يدل على أشياء كثيرة؛ منها أنه أراد بإظهار النعمة أن
يأكل ويلبس ويطعم أهله وكل محتاج لا يظهر البؤس^(١) والتباس مع سعة نعمة الله
عليه. وقيل: إذا شكرها ظاهراً وباطناً فقد أظهرها ورئت عليه. وقيل: أراد آثار نعمه
في حالتي الغنى والفقر. وقيل: أراد به الإنفاق في سبيل الله من الصدقات وعمارة القناطر ونحوها.
بَيَانُ الْجَبَرِ وتام الخبر الرابع: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَاًلًا فَسُئِلُوا
فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

وفي ذلك حث على التزام العلماء قبل موتهم، والأخذ منهم قبل أن يطلب العلم

١. المشقة، الفقر.

٢. كنز الفوائد: ٢٣٩؛ بحار الأنوار: ١١٠/٢، باب ١٥، ح ١٩؛ مصنف عبد الرزاق: ٢٥٦/١١، ح ٢٠٤٧٧؛

جامع الأحاديث: ٢٩٧/٢، ح ٥٥١٥.

ولا يوجد.

وروي: «موت العلماء»^(١).

وفي خبر آخر: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجُهْلُ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ حَتَّ عَلَى الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي مَا يَكْفِيهِمْ فِي الدُّنْيَا تَفْضُلًا عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَ الْآخِرَةَ طُلَّابِ الدُّنْيَا.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْشِبُ عَبْدًا دَعَاهُ، وَلَا يَرُدُّهُ فِيمَا رَجَاهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يَكْشِفُ السُّوءَ إِلَّا بِإِيَّاهُ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ أَنَّهُ لَمْ يَضِيقْ فِي الشَّرْعِيَّاتِ عَلَيَّ وَلَا عَلَى أُمَّتِي، وَقَدْ جَعَلَ تَعَالَى بِرَأْفَتِهِ جَمِيعَ بَسِيطِ الْأَرْضِ مِمَّا يَصِحُّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَوْجَدْ الْمَاءَ لِلطَّهَارَةِ فَقَدْ جَعَلَ التُّرَابَ قَائِمًا مَقَامَ الْمَاءِ، وَهَذَا مِنْ فُرْطِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ كَرَامَتِهِ.

إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لِي مِنْهَا * إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلِّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ * إِنَّ اللَّهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْجَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشُّكِّ وَالسَّخَطِ * إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْغِيْرَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ فَتَنْ صَبَرَ مِنْهُ احْتِسَابًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ * إِنَّ اللَّهَ

١. عوالي اللئالي: ٦٢/٤؛ بحار الأنوار: ٢٤/٢، باب ٨، ح ٧٤؛ الحاوي الكبير: ١٦/١٤١، وفي غريب

الحديث لابن سلام: ٦٩/٤: «أتدرون كيف يدرس العلم؟ أو قال: الإسلام؟ فقالوا: كما يخلق الثوب أو كما تقسو الدراهم. فقال: لا، ولكن دروس العلم بموت العلماء»، وكذا راجع: حلية الأولياء: ٢٤٧/٥.

٢. روضة الواعظين: ٤٨٥؛ مسند أحمد: ١٥١/٣، ح ١٢٥٤٩؛ كنز العمال: ٢١٠/١٤، ح ٣٨٤٢٤.

عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ عَمَلَ عَبْدٍ حَتَّى يَرْضَى
قَوْلَهُ * إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ خَيْرًا ابْتَلَاهُمْ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ وَضَمَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَرْضِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ
الْوَقْتِ، فَأَرَيْتُ جَمِيعَ آفَاقِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ. ثُمَّ وَعَدَ أُمَّتَهُ بِأَنَّ اللَّهَ يَمْلَأُ الدُّنْيَا
كُلَّهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَيَمْلِكُ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعَ الْأَرْضِ؛ وَهَذَا
لَمْ يَوْجَدْ بَعْدُ، فَإِنَّ فِي كُلِّ عَهْدٍ مِنْ لَدُنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا كَانَتْ الدُّنْيَا
مَلَكًا لِلْكَفَّارِ وَالْفَجَّارِ، وَأَكْثَرُهَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَ«أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ» هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ، فَأَمَمَ
الْأَنْبِيَاءُ أَتْبَاعَهُمْ، وَلَيْسَتْ النَّصَارِيُّ وَالْيَهُودُ وَالْمَجُوسُ وَالْوَثْنِيَّةُ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ
الْمَوْجُودِينَ مَذْهَبُ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ؛ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وَقْتِ
خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَخْصُّونَ الْخَبَرَ الثَّانِي بِأَشْيَاءَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِذَنْبٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
اللَّهِ فَإِنَّهُ مَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِلَّا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ. وَقَالَ: فَأَمَّا إِذَا هَمَّ بِجُرْمٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنَّهُ
مَأْخُذٌ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِجَوَارِحِهِ، فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ وَشَتَمَ مُسْلِمًا أَوْ ضَرَبَهُ يَعْاقِبُ عَلَى
فِعْلِ الْقَلْبِ وَفِعْلِ الْجَوَارِحِ؛ وَالْفُقَهَاءُ يَعْمَلُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِطَلَاقِ
امْرَأَتِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ عَلَى الشَّرَاطِ. ^(١)

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْغَنَى وَالْفَقْرَ وَنَحْوَهُمَا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ كَانَ فِي رَاحَةٍ، وَإِنْ وَقَعَ
فِي بَلِيَّةٍ فَرَّجَهُ اللَّهُ؛ وَمَنْ جَهِلَ ذَلِكَ كَانَ حَزِينًا مَهْمُومًا مَا عَاشَ.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وَرَوَى: «فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُمْ» ^(٢)، يَعْنِي: أَنَّ النِّسَاءَ يَقِلُّ صَبْرُهُنَّ عَلَى ضَرَّةٍ وَزَوْجَةٍ

١. «عَنْ زُرَّارَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: رَجُلٌ كَتَبَ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَوْ بَعَثَنِي غُلَامِي ثُمَّ بَدَّلَهُ فَمَتَّاهُ؟ قَالَ:

لَيْسَ ذَلِكَ بِطَلَاقٍ وَلَا عَتَاقٍ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ» رَاجِعُ: الْكَافِي: ٦٢/٦، ح ٤.

٢. مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: ٣٠٢/٧، ح ١٣٢٧٠؛ الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٨٧/١٠، ح ١٠٠٤٠؛ مُسْنَدُ الشَّهَابِ: ١٦٩/٢، ح ١١١٧.

أخرى يكون للزوج، كما يقلّ صبر الرجال على محاربة الكفار.
ثم قال: إن من رضى من الرجال بفرض الجهاد ومن طاب نفسها من النساء بوجود الضرّات، يجد كلّ واحد منهما أجر الشهادة.
يُنَالُ الْجَبَرُ ثم قال: إن الله لا يخفى عليه خافية، يعلم السرّ وأخفى؛ لأنّه تعالى قال: «أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي»^(١).
يُنَالُ الْجَبَرُ ثم حتّ على إصلاح اللسان، فإن من صلح قوله صلّح فعله، والله لا يقبل عمله حتّى يرضى قوله.
يُنَالُ الْجَبَرُ ثم سلّى المصايين، وقال: إن كلّ مبتلى بمصيبة ومحنة وفتنة مخصوص بخير، فإن الله إذا أراد خيراً وأجراً بقوم بعث إليهم ببلاء، فهو صفة أولياء الله، ليعضوا الدنيا ولا يطمئنوا إليها.

إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ * إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ فَرَقَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فُحْشِهِ *
إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ * إِنَّ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ * إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي أَعْمَالاً ثَلَاثَةً: زَلَّةَ عَالِمٍ وَحُكْمَ جَائِرٍ وَهَوَى مُتَّبِعٍ * وَإِنِّي مُمَسِّكٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ وَتَتَقَا حُمُونَ فِيهَا تَقَاحِمُ الْفِرَاشَ وَالْجَنَادِبَ

يُنَالُ الْجَبَرُ نبّه أولاً على أن العالم بتحريم ما نهى الله عنه إذا ارتكب المناهي كان أشدّ

١. الكافي: ٤٩٦/٢، كتاب الدعاء، باب ما وجب من ذكر الله ﷻ في كلّ مجلس، ح ٤؛ المصنّف (لابن أبي شيبة الكوفي): ١٠٨/١، ح ١٢٢٤؛ كنز العمال: ٢٢١/١، ح ١٨٦٥.

عذاباً، ولهذا قال عليه السلام: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْحَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مَثَلُ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ»^(١).

بَيَانُ الْحَيْرِ والخبر الثاني مشتمل على أمرين:

أحدهما: أنه بمداواة من هذا سبيله ليسلم المداري من شره وغائلته.

والثاني: أنه يأمر أن لا يكون العبد على وجه يؤذي الناس، فإن من خافه الناس أن يشتمهم أو يضربهم فهو شر الخلائق.

بَيَانُ الْحَيْرِ ثم أوعد عمال السلطان الجائر يهلكون دينهم لدنياه.

بَيَانُ الْحَيْرِ ثم ذكر حال فقراء الكفار، يشتمل عليهم خسران الدارين.

بَيَانُ الْحَيْرِ ثم ذكر أن خوفه على الأمة بعد وفاته ثلاثة أشياء: زلّة العالم، فإنه فتنة العالم يقتدون بزلته؛ وقضاء ظالم مائل عن الحق جائر للخلق؛ وأن يتابع الناس هوى أنفسهم، ومن اتبع الهوى في النار هوى.

وروي: أنه يذهب بجور واحد بركات سنين كبيرة.^(٢)

بَيَانُ الْحَيْرِ ثم قال: إني أعلمكم الحلال والحرام، وأنتم تخرجون إلى البدعة من سنتي، تحرمون وتحللون على رأيكم.

وروي: «إني مُمَسِّكٌ بِحُجَزِكُمْ هَلُمُّونَ عَنِ النَّارِ وَتَغْلِبُونَنِي تَقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحِمُ الْفَرَاشِ وَالْجَنَادِبِ وَأَوْشِكُ أَنْ أُرْسَلَ حُجَزُكُمْ»^(٣).

وفيه اتساع ومجاز، وذلك أن المراد به أنه يبالغ في زجر أمته عن التقحم والدخول

١. عدة الداعي: ٧١؛ بحار الأنوار: ٣٨/٢، باب ٩، ح ٥٦.

٢. لم أقف عليه.

٣. مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٩/٦، ح ٣١٦٧٨؛ المجازات النبوية: ٨٠ - ٨١، ح ٥٠؛ مسند الشهاب: ١٧٥/٢.

جامع الأحاديث: ٢٠٥/١٠، ح ٣٠٢٤٧.

في المعاصي بشكّايم^(١) المنع، فشبه ذلك بإمساك الرجل بحجزه صاحبه إذا كاد أن يسقط في مهواة، فيتماسك وينجو، فلما شبه إحدى الحالتين بالأخرى أجرى عليها الاسم مجازاً، وحسن أن يقول: إني أخذ بحجزكم عن النار؛ ومراده عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار، ولأن سبب الشيء جارٍ مجرى الشيء، ومما تبين أن المراد بذلك أنهم لم يكونوا في حال سماعهم لهذا الخطاب متهافتين في النار، وإنما كانوا في الأعمال التي يستحقون بها عذاب النار.

و«حجزة السراويل» معروفة، أي تمتنعون من أمري بترك المأثور، وتدخلون النار كدخول الفراش فيها؛ و«الجنادب»: صغار الجراد.

إِنَّا لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ * إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتَّقَاءَ
الله إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ * إِنَّ مِنْ مُوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِدْخَالَ
السُّرُورِ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ * إِنَّ مِنْ مُوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ
السَّلَامِ وَحُسْنَ الْكَلَامِ * إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ
مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * إِنَّ مِنْ قُلُوبِ ابْنِ آدَمَ
بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ فَمَنْ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعْبَ كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي [أَيِّ] وَادٍ
أَهْلَكَهُ * إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ وَلَا تُبْعِضْ إِلَى
نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُتَنَبِّتَ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى * إِنَّ
مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُخْرِجَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ * إِنَّ رُوحَ
الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ يَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا،
فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ * إِنَّ مِمَّا أُدْرِكَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ

١. جمع الشكيمة بمعنى اللجام.

الأولى؛ إذا لم تستحي فاصنع ما شئت

يُنَاقِ الْحَبْرُ ذكر أولاً: أن العلماء والأمرء على العباد والبلاد لا يكونون من قبلنا بموجب اختيار الخلق، فإننا نستعمل من يستأهل ذلك لا كل من أَرَادَهُ.

يُنَاقِ الْحَبْرُ ثم قال: ومن أمكنه أن يأخذ مال مسلم أو زنا أو فعل معصية فترك ذلك إعراضاً عن متابعة الهوى واتخاذاً بلباس التقوى، أعطاه الله خيراً من ذلك؛ فنال الدرجة الرفيعة والبغية المطلوبة.

قال قتادة وأبو الدهماء: أَتَيْنَا رَجُلًا بَدَوِيًّا، فَقَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلِمَنِي مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، فَكَانَ مِنَّا حَفَظْتُهُ مِنْهُ: إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ»، الخبر^(١)؛ وفائدته الأمر بالتقوى.

يُنَاقِ الْحَبْرُ ثم ذكر في حديثين علامات المغفرة وأسبابها، وهي ثلاثة: إدخال السرور على قلوب المؤمنين؛

يُنَاقِ الْحَبْرُ والسلام عليهم فإنه تحية الإسلام وإظهار السلام من نفسه للمسلمين؛ وحسن القول ابتداءً وجواباً مع من يسمع المكروه والمحبوب. وأحسن الكلام ذكر الله. وروي: «أنه ليس ذنب بعد الشرك أشدَّ عقوبةً من أذى المؤمن»^(٢).

يُنَاقِ الْحَبْرُ ثم قال: إن صورة الدنيا ومتاعها حسنة المنظر موقنة تعجب الناظر، فحذف المضاف. ثم حث على الاقتصاد في جمع المال، ودعا إلى الصدقة وترك الإمساك والإدخار، فإن الله يعوضكم منها، فاعملوا ما هو خير لكم، وأنتم تختارون في عمل ما يريدون.

١. مسند الشهاب: ١٧٨/٢، ح ١١٣٥؛ مسند أحمد: ٧٩/٥٥، ح ٢٠٧٦٥؛ مسند ابن أبي شيبة: ٤٤٠/٢، ح ٩٩٤.

٢. لم يوجد بهذا النص؛ عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَكْبَرُ مِنْ ذَنْبِ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولٌ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ نُطْفَةٍ حَرَامٍ وَضَعَهَا فِي رَحِمِ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ»؛ راجع: نوادر الراوندي: ١٨٠، الورع: ٩٤، ح ١٣٧؛ الجامع الصغير: ٥١٣/٢، ح ٨٠٣٠.

يَنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ بَيِّنَ أَنَّ تفرقة القلب آفة عظيمة، وإنَّ له إقبالاً وإدباراً، فحذر ههنا عن صرفه إلى شهواته، فمن اتَّبَعَ كُلَّ ما يشتهي لا يبالي الله بهلاكه.

يَنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ وصف الدين بالمتانة، وهو مجاز؛ والمراد: أنه إنَّما وصفه بذلك لرسوخ أصله، أي أن الدين ليس بالشيء الذي يضمحل سريعاً، بل هو ثابت الأركان. والمعنى: لا ينبغي للإنسان أن يستفرغ جميع قوله في تعبده دفعةً واحدةً حتَّى يكون هذا الاستقصاء تقصيراً، فإنَّه عسى من كثرة تعايطه إيَّاه يجمد سامةً^(١) فيطرحه جملةً.

وقيل: المراد أنه صعب الظهر شديد الأسر مأخوذ من متن الإنسان، وهو ما اشتدَّ من لحم منكبيه، وإنَّما وصفه بذلك لمشقَّة القيام بشرائطه، فأمر أن يدخل الإنسان أبوابه مترقِّقاً، ليستمرَّ على تجشُّم متاعبه وشبهه العابد الذي يستنفد طاقته بالمنبِت وهو الذي يغدُّ السير ويكد الظهر منقطعاً من رفقته ومنفرداً عن صحابته، فتحسر مطيئته ولا يقطع شقَّته.^(٢)

ويقويه قوله **إِنِّي**: «عَلَيْكُمْ هَذَا قاصِداً، فَإِنَّهُ مَنْ شَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ»^(٣).
و«أوغل»: أدخل؛ و«المنبِت»: المتعب مركوبة في السفر حتَّى يهلك فيبقى منقطعاً؛ و«البت»: القطع.

وروي: «فإنَّ المنبِتَّ المغدَّ»^(٤)، أي الذي يغدُّ في سيره حتَّى ينبت أخيراً، فسماه بما يؤول إليه عاقبته، كقوله تعالى^(٥): «إِنَّكَ مَيِّتٌ»^(٦). و«الظهر»: الدابة، والمنبِت: المنقطع

١. ملالة.

٢. راجع إلى شرح الحديث في المجازات النبوية: ٢٦٠-٢٦١؛ وكذا راجع: بحار الأنوار: ٢١٨/٦٨.

٣. المجازات النبوية: ١٦١؛ مسند أحمد: ٣٥٠/٥، ح ٢٣٠١٣؛ الفائق: ٣٧٢/٣؛ جامع الأحاديث: ١٩٨/٥، ح ١٤٣١٠.

٤. لم أقف عليه، راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢٨/٢.

٥. في خ: كقولك.

٦. الزمر: ٣٠.

عن أصحابه في السفر.

وسبب الخبر: أنه عليه السلام رأى رجلاً اجتهد في العبادة حتى غارت عيناه، فقال له ذلك.^(١)

يُنَاقِ الْجَبَرُ ثُمَّ حَثَّ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْكَرَمِ مَعَ الْأَضْيَافِ وَحَسَنِ الْأَدَبِ مَعَهُمْ.
يُنَاقِ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَبْرِئِيلَ أَعْلَمَنِي مِنْ حُكْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى الْمَقْسُومِ وَلَا يَنْقُصُ
عَلَى مَا يَزِيدُ النَّاسَ، وَلَا يَمُوتُ أَحَدٌ حَتَّى يَأْخُذَ رِزْقَهُ بِالتَّامِّ؛ ثُمَّ دَعَا عَلَى الطَّلَبِ
الْجَمِيلِ لِلْأَرْزَاقِ.

يُنَاقِ الْجَبَرُ ثُمَّ ذَكَرَ آخِرَ كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ لِأَدَابِ الدُّنْيَا^(٢)، فَإِنَّ لِلْحَيَاءِ أَسْبَاباً يَتَّصِلُ بِبَعْضِهَا
بِالْدِّينِ، وَمِنْهَا مَا يَعُودُ إِلَى الْأَخْلَاقِ؛ وَإِنَّمَا تَقْدُمُ الْمَرْءَ عَلَى الْقَبَائِحِ إِذَا غَلَبَهُ الْهَوَى
وَالشَّهْوَةُ، فَيَزُولُ بِذَلِكَ عَنْهُ الْحَيَاءُ؛ وَمَنْ كَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ كَانَ رَادِعاً عَمَّا
لَا يَسْتَحْسِنُ قَوْلًا وَفِعْلًا. وَمَعْنَى «النَّبُوءَةِ الْأُولَى»: أَنَّ الْحَيَاءَ لَمْ يَزَلْ مَمْدُوحاً عَلَى أَلْسِنِ
الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ.

وفي الخبر إشعار بأن الذي يكف الإنسان ويردعه من مواقف السوء هو الحياء،
فإذا رفضه وخلع ربقته فهو كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطي كل سيئة؛ ومعناه:
يجب عليك فيما تريد أن تقول أو تفعل^(٣) أن تنظر فيه، فإن كان مما يستحي منه
فلا تفعله، وإن لم تستحي منه فافعله.

وقيل: إذا لم يقدم على ما يجب أن يستحي منه فاصنع ما شئت. وقيل: أراد به الوعيد.
وقيل: لفظه أمر ومعناه الخبر.

١. راجع: مجمع الأمثال: ٧/١.

٢. في خ: والدنيا.

٣. في خ: فيما يريد أن يقول أو يفعل.

إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا * إِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيَقْرَعُ بَابَ الْمَلِكِ وَإِنَّهُ مَنْ
يُذْمِنُ قَرَعَ الْبَابِ يُوشِكُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ * إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ يَكُونَ
نُطْقِي ذِكْرًا وَصَمْتِي فِكْرًا وَنَظْرِي عِبْرَةً * إِنَّهَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ *
إِنَّهَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ * إِنَّهَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ ذُوقُوا
الْفَضْلَ * إِنَّهَا بُعِثَتْ لِاتِّمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ * إِنَّهَا أَخَافُ عَلَى
أُمَّتِي الْأُئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ * إِنَّهَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَبِحَوَاتِيمِهَا * [إِنَّهَا
التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ] * إِنَّهَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ * إِنَّهَا الرِّضَاعَةُ
مِنَ الْجَمَاعَةِ * إِنَّ هَذَا الْقُلُوبَ تَصُدُّ كَمَا يَصُدُّ الْحَدِيدُ، قِيلَ: فَمَا
جَلَاؤُهَا؟ قَالَ: ذِكْرُ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ * أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ
حَزْنٌ بِرَبُوءَةٍ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ

بَيَانُ الْجَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَشْغَلَهُ أَدَاءُ صَلَاتِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَشْغَالِ،
وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْخَضُوعِ وَالْخُشُوعِ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَنَاجَاةُ اللَّهِ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ فَرَضَهَا وَنَفَلَهَا، فَالْمُصَلِّي عَلَى بَابِ حَضْرَةِ
اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى بَابِهِ لَا زِمًا لِعَتَبَتِهِ لَا غُرُو أَنْ يَفْتَحَ لَهُ يَوْمًا مَا.

و«أَنَّهُ مَنْ يُذْمِنُ»، الْهَاءُ لِلْأَمْرِ وَالشَّانِ، وَ«مَنْ» شَرْطِيَّةٌ، وَفُلَانٌ يُذْمِنُ كَذَا، أَيْ
يَدِيهِ؛ وَ«يُوشِكُ» جَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ مَنْ أَوْشَكَ الرَّجُلَ، أَيْ أَسْرَعَ السَّيْرَ، وَالْعَامَّةُ
يَفْتَحُ الشَّيْنَ.

بَيَانُ الْجَبَرِ ثُمَّ ذَكَرَ بَيَانَ أَخْلَاقِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ مَعَ الْحَقِّ، فَقَالَ: أَغْلِبَ حَالَاتِي فِي التَّكَلُّمِ هُوَ
ذَكَرَ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرَ سَكُوتِي التَّفَكُّرَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ، وَأَكْثَرَ تَفَكُّرِي تَدَبُّرًا فِي
شَأْنِهِ مَعَ خَلْقِهِ وَعِبْرَةً بِمَنْ كَانَ قَبْلِي. بَيَّنَّ هَهُنَا أَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ حَالَةٌ إِلَّا وَهُوَ فِي نَوْعٍ

من الطاعة لديه تعالى؛ وأنا نبيكم، فكونوا كذلك.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ: أَنَا لَسْتُ إِلَّا رَحْمَةً أَهْدَاهَا اللَّهُ إِلَى الْعَالَمِينَ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^(١)، و«إِنَّ» يَجِيءُ فِي الْكَلَامِ لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّحْقِيقِ، وَ«إِنَّمَا» يَجِيءُ لِلتَّأْكِيدِ^(٢) مَا أَذْكَرَ وَنَفِي مَا لَمْ يَنْكَرْ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ شِفَاءُ الْجَهْلِ إِلَّا السُّؤَالُ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، وَهَذَا يَكُونُ فِي السَّمْعِيَّاتِ. وَ«الْعِي» خِلَافُ الْبَيَانِ، وَقَدْ عَيَّ فِي مَنْطِقِهِ، وَعَيَّ وَعَيَّ بِأَمْرِهِ: إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَوَجْهِهِ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ حَثَّ الْعُلَمَاءَ عَلَى مِرَاعَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَقَالَ: لَا يَعْرِفُ فَضْلَ الْفَضْلَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ. وَرَوَى هَذَا فِي شَأْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) لَمَّا أَكْرَمَهُ وَأَعْظَمَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَمَّا بَعَثْتُ إِلَّا لِإِتِمَامِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ لَهُمْ أَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ وَشَائِلٌ حَمِيدَةٌ، وَبَخَلْتُ يَتَمُّ ذَلِكَ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ حَذَّرَ عَنِ الْمُضْلِينَ، فَقَالَ: لَا أَخَافُ إِلَّا الْأُتَمَّةَ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ النَّاسَ، وَيَبْتَغُونَ وَلَا يَتَّبِعُونَ، ضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ «إِنَّمَا» كَلِمَةٌ مَرصُودَةٌ لِإِثْبَاتِ الشَّيْءِ وَنَفِي مَا عَدَاهُ، فَمَعْنَى «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، أَيُّ: لَيْسَتْ صَحَّةُ الْأَعْمَالِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا خَبْرَانُ؛ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» بِرَوِيَّةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ^(٤).

١. الأحزاب: ٤٣.

٢. في خ: للتأكيد.

٣. مسند الشهاب: ١٩١/٢، ح ١١٦٤.

٤. مسند أحمد: ٣٣٥/٥، ح ٢٢٨٨٦؛ صحيح البخاري: ٢٤٣٦/٦، ح ٦٢٣٣.

والأول غمر^(١).

ومعنى قوله: «إنما الأعمال بالخواتيم»، أي: لا استحقاق على الأعمال لثواب الله إلا بإتمامها، فإن من صلى ركعة أو صام نصف يوم، فإنه لا يستحق الثواب إلا بنحتم ذلك، فإن لم يتم فلا ثواب له.

بيان الخبر وقوله: «إنما التصفيح للنساء»، يعني في الصلاة، وهو التصفيق، يقال: صفح إذا صفق، ومنه المصافحة في السلام، وقد تقدّم بيان ذلك.

بيان الخبر وقوله: «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة»، يجوز أن يكون «ما» كافة، أي: لم يبق من هذه الدار إلا بلاء؛ ويجوز أن يكون «ما» موصولة، أي: أن الذي بقى من ديانا هو البلاء، يعني أن الأخير شرّ إلى أن يقوم الساعة.

بيان الخبر وقوله: «إنما الرضاعة من الجماعة»، معناه: إنما يكون للرضاع حكم التحريم إذا كان في الحولين، وكان قدر ما يرد به الجماعة وهو ما قدر الشرع لأقله خمس عشرة رضة - على ما قدّمناه -، وما كان دون ذلك لم يقع به التحريم.

بيان الخبر ثم قال: إن هذه القلوب يغشى عليها صدأ الغفلة والسهو عن الطاعة، كما يعلو الصدأ على الحديد؛ و«الجلأ» - بكسر الجيم - : إزالتها وتصفيتها عما كان عليها من القساوة والرین؛ ويكون ذلك بذكر الموت، لأنه هادم اللذات^(٢)، وبقراءة القرآن إذا كان عن تدبّر وتفكر.

بيان الخبر وأما الحديث الأخير فعناه نحو: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، يقول: إن أعمال أهل الجنة كلّها صعبة وعمل أهل النار سهل لا مشقة

١. مسند الحميدي: ١/١٦٦، ح ٢٨؛ صحيح البخاري: ٣/١، ح ١.

٢. قال رسول الله ﷺ: «فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ»؛ راجع: سنن الترمذي: ٦٣٩/٤، ح ٢٤٦٠.

فيها. و«الحزن»: ما غلظ من الأرض، و«الربوة»: المكان المرتفع، و«السهوة»: الأرض اللينة. وروى: «بشهوة»^(١)، بالشين المعجمة؛ جعل عمل أهل الجنة كالحزن من الأرض، لأنه يصعب تجشّمه، فكذلك عمل الجنة يشقّ تكلفه؛ وزاد الكلام إيضاحاً بقوله: «حزن بربرة»، وهي الأكمة؛ وكذا لم يرض بأن جعل عمل النار سهلاً حتى يكون بشهوة، ليكون أخفّ على عامله.^(٢)



١. مسند الشهاب: ٢/٢٠٠، ح ١١٨٠؛ كنز العمال: ٨٨٣/١٥، ح ٤٣٥٠٢؛ شعب الإيمان: ١٤٧/٧، ح ٩٧٩٦.
٢. قال الشريف الرضي: «قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إن عمل الجنة حزن بربرة، ألا إن عمل النار سهل بسهوة»، فجعل عليه الصلاة والسلام عمل الجنة كالحزن من الأرض، وهو ما غلظ منها، لأنه يصعب تجشّمه، فكذلك عمل الجنة يشقّ تكلفه، وزاد عليه الصلاة والسلام الكلام إيضاحاً بقوله: «حزن بربرة»، فلم يرض بأن جعله حزناً حتى جعله بربرة، وهي الأكمة العالية، ليكون تجشّمه أشقّ وتكلفه أصعب، ولم يرض عليه الصلاة والسلام بأن جعل عمل النار سهلاً وهو ضدّ الحزن حتى جعله بسهوة، ليكون أخفّ على فاعله وأهون على عامله»؛ راجع: المجازات النبوية: ٣٦٥.

باب [٨]

لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ * لَيْسَ لِفَاسِقٍ غَيْبَةٌ * لَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٌ
 حَقٌّ * لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْمُؤْمِنِ الْمَلَقُ * لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ
 * لَيْسَ مِنَّا مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ * لَيْسَ مِنَّا مَنْ
 تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا * لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَسْتَفْنِ بِالْقُرْآنِ * لَيْسَ مِنَّا مَنْ
 لَمْ يُوقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمْ الصَّغِيرَ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 * لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ غَنَى خَيْرًا *
 [لَيْسَ الْغِنَى مِنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ] ^(١) * لَيْسَ
 الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ *
 لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ * لَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً
 مِنَ الْبَغْيِ * لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مِثْلِهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ * لَيْسَ
 لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْتَرْتِ أَوْ لَبِستِ فَأَبْلَيْتِ أَوْ تَصَدَّقْتَ
 فَأَمْضَيْتِ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ فِي الْخَبَرِ الْأَوَّلِ بَيَانٌ: أَنَّ أَعْلَى الْيَقِينِ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَحْصُلُ بِالْمُشَاهَدَةِ؛ وَالْعِلْمُ
 [الَّذِي] يَحْصُلُ بِالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ كَالْعِلْمِ بِالْبُلْدَانِ، فَلِإِنَّهُ دُونَ الْعِلْمِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ
 الْمُشَاهَدَةِ وَالرُّؤْيَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عِلْمٌ جَمَلَةٌ، وَهَذَا عِلْمٌ تَفْصِيلٌ؛

١. الظاهر أن الرواية سقطت في خ؛ لأن جاء بشرحها الشارح رحمه الله تعالى.

ولهذا قال تعالى حاكياً عن إبراهيم: «وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي»^(١)، أي بيقين الرؤية، على بعض التأويلات؛ على أن الخبر مما يحتمل الصدق والكذب، والمعاينة لا يدخلها الاحتمال؛ فهو قطعي، والخبر تجويزي.

وفي رواية أخرى: «لَيْسَ الْمُخْبَرُ كَالْمُحَايِنِ»^(٢)، فإن موسى أخبر أن قومه قد ضلوا من بعده، فلم يلق الألواح، فلما رأى ما أحدثوا ألقى الألواح.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ و«الفساق» هو من يرتكب القبائح جهاراً نهاراً، ولا يبالي بمن يراه سكران وزانياً وسارقاً وظالماً ونحو ذلك، فهذا الذي ألقى جلباب الحياء عن نفسه وهتك سرّه، ليس له غيبة؛ فإن كان مذنباً ويستر ذنبه فيحرم غيبته؛ و«الغيبة»: ذكر الغائب بما فيه من عيب من غير حاجة إلى ذكره. وإنما جاءت الرخصة في غيبة من يشرب الخمر ظاهراً ومن يظلم الناس علانية ومثلها، لأنه ربّما سمع لؤم الخلق له وخُدي^(٣) ذكره بالسوء فيما بين الناس يرتدع ويتقاصر عن سوء فعله.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال: ليس لعرق ظالم حق، [و] هو الرجل الذي يغرس في أرض غيره على سبيل الغصب، فذلك الشجر وإن طال وأثمر فقد يجوز أن يقلعه صاحب الأرض ويرمي به؛ هذا إذا روي بالإضافة؛ وروي: «لعرق» - بالتثنية - على أن يكون «ظالم» صفة عرق؛ لأنه نبت في غير موضعه، فعلى هذا جعل العرق ظالماً لما كان يحصل به الظلم، والمعنى به هو الذي يأخذ ما ليس له؛ والتقدير: ليس لذي عرق ظالم حق.

وبيانه في الحديث: «إِنَّ رَجُلًا غَرَسَ فِي أَرْضِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ نَخْلًا فَاخْتَصَمَا إِلَى

١. البقرة: ٢٦٠.

٢. غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٨٠/١؛ تأويل مختلف الحديث: ٩٢؛ تفسير مجمع البيان: ٣٦٤/٤.

٣. بعته وحثه.

رسول الله، ففضى للأنصاري بأرضه وقضى على الآخر أن ينزع نخله. قال الراوي: ولقد رأيتهما يضرب في أصولها بالفؤوس^(١)، وأنها لنخل عُم - أي تامة طويلة -^(٢).
 بيان الخبر ثم قال: ليس التصنع بما ليس في الضمير من خلق المؤمنين، ورخصته في تمامه: «إلا في طلب العلم»^(٣)، يجوز له أن يتكلف للعالم الذي يرشده؛ وفي هذا الاستثناء إشارة إلى تعظيم العلماء.

بيان الخبر و«المستعَب» المسترضى، يقال: استعَبْتُهُ واسترضيته، أي طلبتُ رضاه، قال تعالى: «وإن يُسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ»^(٤)، أي المرضين^(٥)؛ يقال: عتب، أي غضب؛ وأعتبته، أي أزلتُ غضبه؛ مثل شكى وأشكىته؛ وأصل الكلمة في الخبر من «العتبي» وهو الرجوع.

يقال: عتب في أيامك التي أنت فيها، وتُب إلى الله الآن وأنت حي، فإنه لا ينفع التوبة بعد الموت، ولا يقبل التوبة بعده.
 بيان الخبر ثم قال: ليس على طريقتنا من وسع النعمة عليه ربه وكثر رزقه، ثم ضيق هو النفقة على من يعوله من الأهل والأولاد.

بيان الخبر وقوله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ^(٦) بِغَيْرِنَا»، وتمامه: «كَي لَا تُشَبِّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ [الْإِشَارَةُ] بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةَ

١. فؤوس وأفؤوس، جمع الفأس، وهو آلة ذات يد ملساء من الخشب وسنّ عريضة من الحديد يحضر بها ويعزق.

٢. غريب الحديث (لابن سلام): ٢٩٦/١؛ الحراج: ٩٧، ح ٢٧٥؛ الفائق في غريب الحديث: ٣٤٦/٢؛ سنن البيهقي: ٩٩/٦، ح ١١٣١٩.

٣. عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٨٥؛ نثر الدرر: ١١٢/١.

٤. فضلت: ٢٤.

٥. راجع: تفسير البغوي: ١١٣/٤.

٦. في خ: يشبه.

بِالْكَفِّ»^(١)؛ أي ليس من تزياً بزي الكفار في المطعم والمأكّل والمشرب من جملتنا وممن هو على سُنَّتنا وأدبنا.

وقيل: هو نهي عن التسليم بالإشارة دون القول كاليهود والنصارى.
بَيِّنَ الْجَبَرُ ومعنى الخبر الآخر: قيل: أراد من لم يرجع في القرآن صوته ولم يحسنه فإنه ليس متناً، أي: من لا يحسن الصوت فيه لأن يقرأ حزينا على وجه يعلم من سمعه أنه يخشى الله. وقيل: المراد ما لم يتلذذ بالقرآن ولم يستعذب قرائته كاستحلاء أصحاب الطرب غناء، فإنه ليس متناً.^(٢)

والأحسن أن يكون معناه: من لم يقم على أوامر القرآن ونواهيه وأحكامه ولم يتّخذ منزلاً مقام، فليس متناً، أي ليس على ديننا. ويكون «يتغنى» من «غنى الرجل بالمكان»، إذا طال مقامه؛ قال تعالى: «كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا»^(٣)، أي لم يقيموا فيها؛ ومن تعدى القرآن إلى السنة فما تجاوز القرآن إلى غيره، لأن القرآن دالٌّ على وجوب اتباع السنة؛ قال: «مَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^(٤).

ويجوز أن يكون «يتغنى» بمعنى يستغني، أي من لم يستغن بالقرآن عن التوراة فليس متناً. فإنهم كانوا يسألون اليهود، حتى قال النبي ﷺ: «أُمْتَهُوْكُمْ أَنْتُمْ». قال: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودٍ تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ يُكْتَبَ بَعْضُهَا، فَقَالَ: أُمْتَهُوْكُمْ أَنْتُمْ كَمَا تَهُوَّكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ

١. في المصادر بالأكف؛ راجع: مسند الشهاب: ٢٠٥/٢؛ سنن الترمذي: ١٥٩/٤؛ كنز العمال: ١٢٨/٩.

ح ٢٥٣٣٣.

٢. راجع: الأماي (للسيد المرتضى): ٢٤/١-٢٥.

٣. الأعراف: ٩٢.

٤. الحشر: ٧.

إِلَّا اتَّبَاعِي»^(١). و«التهوؤك»: الاضطراب على غير استقامة؛ والضمير في «بها» للملّة الحنفيّة. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** وقوله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُؤَقِّرِ الْكَبِيرَ»، فعنايه: ليس على ستننا من ترك هذه الأشياء الأربعة مع القدرة عليها، وهو: ترك مراعاة من هو أكبر منه بالوقار، وترك غباوة من هو أصغر منه بالرحمة والشفقة، والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع التمكن.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«غنى الخير»: بَلَّغَهُ ورفعهُ على وجه الإصلاح؛ و«أغنى الخير»: رفعه وبَلَّغَهُ على وجه الإفساد. والخبر رخصة بأن من يصلح بين رجلين مسلمين يقول: إِنَّ فلاناً يستحي منك ويعتذر، أو به يبلغ من هذا إلى هذا من غير إذن منها قولاً حسناً تكلّم به ليسئل^(٢) من قلة^(٣) أخيه المسلم السخيمة^(٤)؛ فلا يكون تماماً ولا آناً. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** ثم قال: [ليس] كثرة المال بغنى، وإنما الغنى هو القناعة، وهي غنى النفس. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** وروي: «إِنَّ رسول الله مرّ بقوم يتصارعون، فقال: ما هذا؟ فقال: يعلم أيّنا أقوى. فقال **عَلَيْهِ**: ليس الشديد - أي القوي - من يصرع الناس، إنما القوي من لا يغلبه الغضب»^(٥).

١. نصّه هذا: «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ، فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: «أَمْثَهُوْكُمْ أَنْتُمْ كَمَا تَهْوَكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَتْهُ إِلَّا اتِّبَاعِي». راجع: الدعوات: ١٧٠، ح ٤٧٥؛ معاني الأخبار: ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٥٩٤/٣١، باب ٣٢، ح ٢٦؛ و ١٧٩/٣٠، باب ٢٠، ح ٣٩؛ غريب الحديث لابن سلام: ٢٨/٣-٢٩؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٨٧/٣، ح ١٥١٩٥.

٢. خرج في خفيّة.

٣. كذا في خ.

٤. الحقد و الضغينة.

٥. راجع: راجع: غريب الحديث (لابن سلام): ١٦/١-١٧؛ كز العمال: ٧٨٤/٣، ح ٨٧٤٩.

و«الضُرعة»: الذي يصرع الناس كالضحكة، والهمزة والهاء في الفعل للمبالغة في الصفة.

بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: لا شيء أفضل من الدعاء، وهو أفضل من السكوت.
بَيِّنَ الْجَبَرُ ولا شيء يكون عقوبته أسرع منبغي، وهو الأخذ بالظلم من غير شفقة.
وقيل: أن يتناول بالظلم وقت الظفر. و«البغي»: تجاوز الحد.
بَيِّنَ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: ليس فرس خيراً من ألف فرس، ولا بعير خيراً من ألف بعير، ولا حيوان من ألف حيوان من جنسه؛ إلا المؤمن، فإنه يكون واحد من المؤمنين خيراً من ألف مؤمن. وهذا التفاوت لا يكون في جنس آخر ولا يحصل.

و«شيء» نكرة، وإنما جاز كونه اسم «ليس» في الأخبار الثلاثة لشياعه، وكل ما قَدَّرته فهو المراد، وهذا آخر المواضع التي يقوم النكرة مقام المعرفة فيها.
بَيِّنَ الْجَبَرُ ومعنى الخبر الأخير في تمامه: «وَمَا بَقِيَ فَهُوَ مَالُ الْوَارِثِ»^(١)، يعني: نصيبك من جملة مالك ما أكلت ولبست أو تصدقت، وما سوى ذلك فلوارثك.

باب [٩]

خَيْرُ الذِّكْرِ الْحَقِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي * خَيْرُ الْعِبَادَةِ أَخْفُهَا *
 خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا * خَيْرُ دِينِكُمْ يُسْرُهُ * خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ
 * خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرٍ غَنَى * خَيْرُ الْعَمَلِ مَا نَفَعَ
 وَخَيْرُ الْهُدَى مَا اتَّبَعَ [و] خَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ * خَيْرُ
 النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ * خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ
 لِصَاحِبِهِ * خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ الطَّلَاقِ أَرْبَعُمَائَةٍ وَخَيْرُ
 الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ * خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ * خَيْرُكُمْ مَنْ
 تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ * خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ *
 خَيْرُ بُيُوتِكُمْ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ * خَيْرُ الْهَالِ سَكَّةٌ مَا بُوْرَةٌ
 وَفُرْسٌ مَا مَوْرَةٌ * خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ حَتَّى أَوَّلًا عَلَى أَنْ يَدْعُو الْعَبْدَ رَبَّهُ وَيَذْكُرَهُ سِرًّا، فَإِنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ،
 قَالَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ زَكَرِيَّا: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا»^(١)؛ وَالذِّكْرُ يَكُونُ نَقِيضَ النِّسْيَانِ،
 وَالَّذِي فِي الْحَدِيثِ هُوَ بِاللِّسَانِ وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ، لَا الَّذِي بِالْقَلْبِ فَهُوَ خَافٍ لَا يَعْلَمُهُ
 غَيْرُ اللَّهِ؛ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الذِّكْرَ الَّذِي لَا يَسْمَعُهُ الْحَفِظَةُ يَضَاعِفُ عَلَى الَّذِي تَسْمَعُهُ
 سَبْعِينَ ضِعْفًا»^(٢)؛ وَالرِّزْقُ إِذَا كَانَ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا يَطْعَى الْعَبْدُ أَوْ يَشْقَى، وَالْكَفَايَةُ نَعْمُ الرِّزْقِ.

١. مريم: ٣.

٢. شعب الإيمان: ٤٠٧/١، ح ٥٥٥؛ جامع الأحاديث: ٣٨٢/٤، ح ١٢٣٠٢.

وقيل: هو قوت يوم بيوم، ولا تهتم لرزق غدٍ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ دعا إلى الخفّة في أداء العبادة مع الكمال، فإنّها تورث النشاط، والعبادة مع النشاط أسرع إلى القبول.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ أمر باتّخاذ المجالس واسعة، لأنّها إذا كانت ضيقة يتبرّم^(١) الإنسان بمجلس العلم والدرس، [و]إذا كان ضيقاً يمنع عن حسن التفهّم وتمكّن الاستماع، وإذا كان المجلس في المأدبة والمائدة فإنّه يقطع الناس عن لذة الطعام ضيقه؛ فلهذا جعل خيرها في سعتها لتلاّ يكون الناس في مشقة.

وروي: «إنّ أبا سعيد الخدري دخل مجلس قوم، فقام بعضهم ليجلس هو في مجلسه، فتنحّى، وجلس في مكان واسع، وذكر الخبر»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قال: إنّ هذا الدين بأسره سهل، ليس فيه إصر ولا ثقل، كما كان على بني إسرائيل.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وخير النكاح أخفه مؤونة وأقله صداقاً وأحسنه معاشرة.

وقيل: أيسر^(٣) النكاح هو أن يسرع للخاطب الإجابة إذا خطب.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قال: خير صدقة يتبرّع بها على غير عوض هو ما يكون عن كفاية عيلته، لم يرد به الغنى في العرف ولا الغنى الذي هو تلك النصاب؛ و«الظهر» قد يراد في مثل هذا إشباعاً للكلام.

وللحديث سبب ذكره جابر، قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل ببيضة من ذهب، فقال: أصبتُ هذا من معدن، فخذها، فهي صدقة، ولا أملك غيرها؛

١. يتبرّم الشيء: شمه وضجر به.

٢. مسند أحمد: ١٨/٣، ح ١١١٥٣؛ مسند الشهاب: ٢/٢١٩، ح ١٢٢٣؛ المستدرک: ٤/٣٠٠، ح ٧٧٠٥.

٣. في خ: أسير.

فأعرض النبي عنه وحذفه بها، وقال: يأتي أحدكم بما يملك، فيقول: هذه صدقة، [يقعد]^(١) فيكف^(٢) الناس^(٣)؛ وهذا لا تناقض. قوله عليه السلام: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ»^(٤)؛ لأن الجهد هو الطاقة، فهو يبنى^(٥) أنه يطيقه وإن جاهد نفسه بإخراجها. بَيِّنَاتُ الْجَبْرِ ونفع العلم^(٦) به وتعليمه، وخيره: ما يعود إلى عالمه نفعه [و]فائدته عاجلاً وآجلاً، والعمل الخالص لله هو الذي ينفع، ومن منافعه أن يكون حجة عند الخصام وعوناً عند الشدائد العظام.

وقوله: «خير الهدى ما اتبع»، أراد به الطريقة المحمودة في القول والفعل، البعيدة عن الإنكار على ألسن الناس جميعاً، يتبع ويعول عليها.

ولا فعل من أفعال القلب مثل اليقين، لأن محصله يصير البلاء نعمة، والرخاء مصيبة.^(٧)



مركز تحقيق التراث

١. كذا في المصادر، وفي خ: ويبعد تركه في كلامه، وسدى.
٢. في أكثر المصادر: ويتكفف، وفي بعضها: ويستكف.
٣. نص تمام الحديث في المصادر: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل يمثل البيضة من ذهب أصابها في بغض المغازي. فقال: أحمد في بغض المعادين، وهو الصواب فقال: يا رسول الله خذها مني صدقة، فوالله مالي مال غير هذا، فأعرض عنه؛ ثم جاءه عن ركنه الأيسر، فقال مثل ذلك، ثم جاءه من بين يديه فقال مثل ذلك؛ ثم قال: هاتين مئطبتين فحذفتهما خذها مني صدقة، لو أصابه لأوجعه أو عقره. ثم قال: يعمد أحدكم إلى ماله لا يملك غيره، فيصدق به، ثم يقعد يتكفف الناس، إنما الصدقة عن ظهر غنى؛ خذ الذي لك، لا حاجة لنا به؛ فأخذ الرجل ماله وذهب». راجع: سنن الدارمي: ٤٧٩/١، ح ١٦٥٩؛ صحيح ابن خزيمة: ٩٨/٤، ح ٢٤٤١؛ صحيح بن حبان: ١٦٥/٨، ح ٣٣٧٢.
٤. نص الحديث في المصادر كذا: «[سئل عنه ﷺ] فأبى الصدقة أفضل؟ قال ﷺ: جُهدٌ من مُقِلٍّ». راجع: الخصال: ٥٢٤؛ بحار الأنوار: ٧٤/٧٠، باب ٤، ح ١.
٥. كذا في خ، ولعل يكون: يعني.
٦. نص الحديث في الشهاب: «خير العمل».
٧. كذا في خ، ويحتمل أن يقع التقدّم والتأخر في اللفظان، وكان الصحيح: والمصيبة رخاء.

بَيَانُ الْخَيْرِ وَمَنْ طَلَبَ مَنَافِعَ النَّاسِ فَهُوَ خَيْرُهُمْ.

بَيَانُ الْخَيْرِ وَالصَّاحِبُ الْخَيْرِ مَنْ يَحِبُّ خَيْرَ الْآخِرِ. وَبَيَانُ الْحَدِيثِ فِيهِمَا رَوَى^(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَا اصْطَحَبَ رَجُلَانِ قَطُّ إِلَّا وَأَنَّ اللَّهَ سَأَلَ أَحَدَهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ.

بَيَانُ الْخَيْرِ وَخَيْرُ الْمُرَافِقِينَ أَرْبَعَةٌ؛ لَأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا ثَلَاثَةً أَمَكْنَ أَنْ يَجْتَمَعَ اثْنَانِ عَلَى قَتْلِ الْآخَرِ، وَلَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ الثَّلَاثَةُ عَلَى إِيْذَاءِ وَاحِدٍ؛ وَفِيهِ نَهْيٌ عَنِ التَّفَرُّدِ فِي السَّفَرِ، وَأَكْثَرُ مِنَ الْأَرْبَعَةِ زِحَامٌ^(٢) وَتَوَاكُلٌ، وَإِذَا كَانَ الطَّلَاعُ - وَهِيَ السَّرَايَا - أَرْبَعَاءٌ لَا يَتَوَاكَلُونَ وَلَا يَتَخَاذَلُونَ، وَإِذَا جَاوَزَ ذَلِكَ أَدَّى إِلَى التَّنَازُعِ؛ وَكَذَلِكَ فِي الْجَيْشِ إِذَا زَادُوا عَلَى الْمَقْدَارِ الَّذِي اخْتَارَهُ فَإِنَّهُ يُوَدِّي إِلَى الشَّقَاقِ وَكَثْرَةِ مُؤَوْنَةٍ، وَيَخْرُبُ كُلَّ مَوْضِعٍ يَنْزِلُونَ.

وَتَمَامُ الْحَدِيثِ: «وَلَا يَغْلِبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ»^(٣)؛ يَعْنِي إِذَا غَلَبُوا فَلَا يَكُونُ مِنْ قَلَّةٍ الْعَدَدُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالتَّوَاكُلِ وَالتَّكَاسُلِ وَالْفَتْرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

بَيَانُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: أَكْثَرَكُمْ خَيْرًا لِأَهْلِهِ الْأَدْنَى خَيْرُكُمْ؛

بَيَانُ الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَلَّمَهُ فَهُوَ خَيْرُكُمْ؛

بَيَانُ الْخَيْرِ وَخَيْرُ النَّاسِ الْمَأْمُولُ^(٤) خَيْرُهُ الْمَأْمُونُ شَرُّهُ.

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَرْجَى خَيْرُهُ فِي الْعَقْبَى وَهِيَ شَفَاعَةُ فِي الْإِخْوَانِ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ وَقِيعَةٌ فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ.

بَيَانُ الْخَيْرِ وَبَيَانُ خَيْرِ «الْيَتِيمِ» فِي تَمَامِهِ، وَهُوَ: «يُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ [فِي الْمُسْلِمِينَ]

١. نَصَّهُ فِي الْمَوَاصِرِ كَذَا: «مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ إِلَّا كَانَ أَكْبَرُهُمَا أَجْرًا وَأَخْبَثُهُمَا إِلَى اللَّهِ ﷻ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ»؛

رَاجِعْ: الْكَافِي: ١٢٠/٢، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، بَابُ الرِّفْقِ، ح ١٥.

٢. تَدَافَعُ النَّاسُ وَغَيْرُهُمْ فِي مَكَانٍ ضَيْقٍ.

٣. مَسْنَدُ الشَّهَابِ: ٢٢٥/٢، ح ١٢٣٨.

٤. فِي خ: الْمَأْمُونُ.

بَيِّتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»^(١)؛ وفيه حثٌّ على الإحسان إلى اليتامى.
بَيِّنُ الْجَبْرِ و«السَّكَّةُ الْمَأْبُورَةُ» هي الطريقة المصطفَىة من النخل التي ألقحت؛ وروي:
المهرة المأمورة، أي كثيرة النتائج.^(٢)

وروي: «مهرة مأمورة»^(٣)، أي جماعة مهرة.
وكان ينبغي أن يقال: مؤمرة، ولكن زاوَجَ بها المأبورة، كما قال: «أَرْجَعْنَ مَأْزُورَاتٍ
غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ»^(٤)؛ وعن أبي عبيدة: أمرته يعني أمرته، أي كثرت. وقيل: إنها لكثرة
نتائجها، كأنها مأمورة بذلك. وقيل: المراد سَكَّةُ الحراثة.^(٥) والمأبورة: المصلحة.
بَيِّنُ الْجَبْرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى النِّسَاءِ عَلَى لُزُومِ الْبُيُوتِ وَتَرْكِ الْبَرَّازِ^(٦)، مخافة الافتنان.

إِنَّ خَيْرَ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمُذُ * خَيْرُ
شَبَابِكُمْ^(٧) مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ وَشَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ
* خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ

١. «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»؛ راجع:
مسند عبد بن حميد: ٤٢٧، ح ١٤٦٧؛ سنن ابن ماجه: ١٢١٣/٢، ح ٣٦٧٩؛ جامع الأحاديث: ٣٠٦/٤، ح ١١٧٨١.

٢. غريب الحديث لابن سلام: ٣٥٠/١؛ سنن البيهقي: ٦٤/١٠، ح ١٩٨١٤.

٣. الطبقات الكبرى: ٧٩/٧؛ غريب الحديث للحري: ٨٠/١.

٤. مصنف عبد الرزاق: ٤٥٦/٣، ح ٦٢٩٨؛ سنن ابن ماجه: ٥٠٢/١، ح ١٥٧٨؛ جامع الأحاديث:
٤٠١/١، ح ٢٧٤٠؛ قال الجوهري في (الصحاح: ١٠/١): «وإنما أراد «موزورات» من الوزر، فقال:
«مأزورات» مكان موزورات، طلباً للتوازن والسجع». أيضاً هنا: قال: «مأمورة» مكان مؤمرة، طلباً للتوازن
والسجع مع لفظة «مأبورة».

٥. راجع: الفائق في غريب الحديث: ١٨٩/٢.

٦. الفضاء الواسع الخالي ممن الشجر ونحوه.

٧. في خ: شبانكم؛ ولكن في شرح الحديث شرح لفظة «شبابكم»، فيكون السهو من الكاتب.

النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا * أَيْدُ الْعُلَيَّا خَيْرٌ مِنَ أَيْدِ السُّفْلَى *
مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى * الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرٌ مَتَاعِهَا الْمُرَاةُ
الصَّالِحَةُ * الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ الْجَلِيسِ السَّيِّئِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ
خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلَاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ
خَيْرٌ مِنَ إِمْلَاءِ الشَّرِّ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَمَّا قَوْلُكُمْ: «خير ثيابكم البياض»، فبيانه في تمامه: «فإنَّها أطهر وأطيب،
وكفَّونا فيها موتاكم»^(١)؛ وإنَّما جعل «البياض» وهو حدث خبر المبتدأ الذي هو «خير
ثيابكم» لأحد وجهين: إمَّا أن يكون على حذف المضاف، أي خير ألوان ثيابكم
البياض؛ أو خير ثيابكم ذات البياض، أي لا يتكلَّف فيها بل يكتفى بما خلقها الله
عليه؛ وقد يسمَّى الكرباس البياض، كأنَّه قال: خير ثيابكم الكرابيس، ليخرج من
ذلك الديباج والحريز والمذهب؛ أو وصفاً بالمصدر، فإنَّ البياض كان في الأصل
مصدراً.

ثمَّ أمر بمراعاة العين وإعطاء حقها، فإنَّ الأئمة يزيد نورها ويحسن ظاهرها.
بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثمَّ قال: خير الفتيان من كان على طريقة المشايخ، وشرَّ الشيوخ من كان
كالصبيان مجنوناً^(٢) وجنوناً؛ و«الشباب»: الحداثه، ويكون جمع شاب أيضاً، ويكون
وصفاً بالمصدر. وقيل: معنى التشبُّه ههنا امتثال طريقتهم الصالحة والأخذ بأدابهم

١. وردت على نصين: «البسوا من ثيابكم البياض فإنَّها أطهر وأطيب وكفَّونا فيها موتاكم»، راجع: سنن
النسائي: ٦٢١/١، ح ٢٠٢٣؛ جامع الأحاديث: ٦٩/٢، ح ٣٩٥٥؛ و«خَيْرُ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ أَلْبِسُوهَا
أَحْيَاءَكُمْ، وَكَفَّنُوا فِيهَا مَوْتَكُمْ»، راجع: مسند الحميدي: ٢٤٠/١، ح ٥٢٠؛ سنن ابن ماجه: ١١٨١/٢؛ جامع
الأحاديث: ٣٠٦/٤، ح ١١٧٨٤.

٢. المجنون: من قلَّ حياؤه.

الحسنة وأفعالهم المرضية.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَإِنَّمَا جَعَلَ خَيْرَ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا بِحِيَازَةِ الْفَضِيلَةِ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفِّ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا وَلِلثَانِي مَرَّةً^(١) وَجَعَلَ شَرَارَهَا فِي آخِرِهَا لِمَخَافَةِ الْإِفْتِنَانِ بِهِ وَابْعَدَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ.

وروي: أَنَّهُ قَالَ هَذَا فِي الْمُسَافِقِينَ، وَهَذَا السَّبَبُ نَزُولُ قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَأَخِّرِينَ»^(٢).

حكى عن ابن عباس: إِنَّ مَرَأَةً حَسَنَاءَ كَانَتْ تَصَلِّيْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، فَتَقْدَمُ بَعْضُ النَّاسِ لثَلَا يَرَاهَا وَاسْتَأْخَرُ بَعْضُهُمْ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا رَكَعَ وَسَجَدَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. ثُمَّ أَمَرَ الرِّجَالُ لِيَلْزِمُوا الصَّفَّ الْأَوَّلَ وَأَمَرَ النِّسَاءُ لِيَلْزِمْنَ الصَّفَّ الْآخِرَ مَعَ جَمَاعَةِ الرِّجَالِ.^(٣) بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: الْمُعْطَى خَيْرُ دَرَجَةٍ وَثَوَابٍ وَمَنْزَلَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْآخِذِ، وَلَا تَرْغِبُوا فِي الدَّنَاءَةِ وَلَا تَرْضَوْا بِهَا لِأَنْفُسِكُمْ؛ وَ«الْيَدُ الْعُلْيَا»؛ الْمُعْطِيَّةُ وَ«السُّفْلَى» الْآخِذَةُ؛ لِأَنَّ مَنْ أَعْطَى دَنًا إِلَى الْفَقْرِ، وَمَنْ أَخَذَ دَنًا مِنَ الْغِنَى بِقَدَرِ مَا أَخَذَ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: إِذَا وَقَعَتِ الْكُفَايَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالكَثِيرُ يَلْهَى وَيَشْغَلُ عَنِ أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ؛ فَذَلِكَ الْقَلِيلُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَإِنَّمَا قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ»؛ لِأَنَّ مَنَفْعَتَهَا لَا تَدُومُ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ مَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِنْ امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ وَهِيَ الْمُطِيعَةُ لِرُجُوعِهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ الْمُعِينَةِ لَهُ

١. سنن الدارمي: ٣٢٤/١، ح ١٢٦٥؛ سنن الترمذي: ٤٣٦/١، ح ٢٢٤؛ كنز العمال: ١٤٢/٨، ح ٢٣٠١٤.

٢. الحجر: ٢٤؛ راجع: مسند الطيالسي: ٣٤٥، ح ٢٧١٢؛ حلية الأولياء: ٨١/٣.

٣. راجع: مسند أبي داود الطيالسي: ٣٥٤، ح ٢٧١٢؛ سنن ابن ماجه: ٣٢٢/١، ح ١٠٤٦؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٨٤/٢، ح ٣٣٤٦.

ديناً ودينياً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ والرواية الصحيحة: «الوحدة خير من جليس السوء»^(١)، وفيه حثٌ على مقارنة الصالح ومفارقة الطالح؛ و«إملاء الخير» قيل معناه: ملأ الفم منه؛ وقيل: هو الإملاء المستعمل في الكتب والرواية.

اسْتَتَمْتُ الْمَعْرُوفَ خَيْرٌ مِنْ ابْتِدَائِهِ * عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ
مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ * خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ * خِيَارُكُمْ
أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً * خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَانِعُ وَشِرَارُهُمُ الطَّامِعُ *
خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا وَخِيَارُ عُلَمَائِهَا حُلَمَاؤُهَا * خِيَارُ أُمَّتِي
أَحْدَاؤُهَا الَّذِينَ إِذَا غَضِبُوا رَجَعُوا * أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللِّسَانُ^(٢) *
أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ * أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي
الرَّجَمِ الْكَاشِحُ * أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ *
أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ * أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ *
أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ تَكْرِمَةُ الْجُلَسَاءِ * أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ
مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ * فَضْلُ
الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ * أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ وَأَفْضَلُ الدِّينِ
الْوَرَعُ * مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ مِنْ إِشْبَاعِ كَبِدِ جَائِعٍ

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وإِنَّمَا كَانَ الْإِتِمَامُ أَفْضَلَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِالْمَعْرُوفِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَبْتَدِئْ بِهِ لَا يَنْتَظِرُهُ أَحَدٌ، فَإِذَا ابْتَدَأَ أَوْ وَعَدَ يَنْتَظِرُ إِتِمَامَهُ.

١. مصنف ابن أبي شيبة: ١٤٢/٧، ح ٣٤٨١٩؛ جامع الأحاديث: ١٢٢/٨، ح ٢٤٨٢٣؛ وراجع: الأُمَالِي لِلطُّوسِي: ٥٣٥.

٢. في خ: كَفَّ اللِّسَان.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ دَعَا عَلَى الْاِقْتِصَارِ عَلَى سُنَّتِهِ مِنْ غَيْرِ إِيرَادِ بَدْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِذَا صَدَرَ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَإِذَا وَقَعَ مِنَ الْمُبْتَدِعِ كَثِيرٌ مَتَى جَمَعَهُ بِرَأْيِهِ فَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ، وَإِنْ كَانَ حَلَّتْهَا بِاسْمِ الطَّاعَةِ. وَلَا يَدُلُّ قَوْلُهُ: «خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بَدْعَةٍ»، عَلَى أَنَّ فِي الْبَدْعَةِ ثَوَابًا وَخَيْرًا، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا»^(١)، وَأَصْحَابُ النَّارِ لَا خَيْرَ فِي مَقِيلِهِمْ وَمُسْتَقَرِّهِمْ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقَوْلُهُ: «خِيَارَكُمْ كُلَّ مَفْتَنٍ تَوَابٌ»، مَعْنَاهُ: خِيَارَكُمْ أَتَمَّهَا الْمُؤْمِنُونَ! كُلٌّ مِنْ فَتْنَةٍ وَامْتَحَنَةِ الشَّيْطَانِ وَالشَّهَوَاتِ بِالذَّنُوبِ، ثُمَّ يَتُوبُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ يَتُوبُ.

وَرَوَى: «مَفْتَرٌ» - بِالرَّاءِ - يَعْنِي: يَقَعُ بِهِ الْفَتْرَةُ بَيْنَ الذَّنْبِ بِالرَّجُوعِ وَالنَّدَامَةِ. وَرَوَى «كُلَّ مَفْتَنٍ» - بِالْفَاءِ مِنَ الْفَيْتَةِ - وَهِيَ السَّاعَةُ بَعْدَ السَّاعَةِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دِينَ فَيَحْسِنُ قَضَائَهُ فَهُوَ خَيْرُكُمْ.

وَرَوَى: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ يَتَقَاضَاهُ بَعِيرًا لَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعْطَوْهُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا سَنَةٌ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ أَفْضَلُ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَانِعُونَ، وَشَرَارُهُمُ الطَّامِعُونَ، وَ«الْخِيَارُ» وَ«الْشَّرَارُ» كِلَاهُمَا جَمْعٌ، وَ«الْقَانِعُ» وَ«الطَّامِعُ» يَعْنِي بِهِمَا الْجَنَسُ، فَلِذَلِكَ صَحَّ، وَقَالَ تَعَالَى: «مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ»^(٣)، كَقَوْلِكَ: جَاءَ الْحَاجُّ، يَرِيدُ «الْحَجَّاجَ».

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّتِي خِيَارُ النَّاسِ، وَخِيَارُ أَمَّتِي عِلْمَاؤُهُمْ، وَخِيَارُ عِلْمَانِهِمْ حُلَمَاؤُهُمْ. وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ أَحْسَنَ مِنْ عَلِيمٍ حَلِيمٍ»^(٤).

١. الفرقان: ٢٤.

٢. راجع: مسند أحمد: ٤١٦/٢، ح ٩٣٧٩؛ صحيح البخاري: ٨٤٣/٢، ح ٢٢٦٢ و ٢٢٦٣.

٣. المؤمنون: ٦٧.

٤. لم أقف على مصدره.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَ«أَحَدًاؤَهَا» مِنَ الْحِدَّةِ، وَهِيَ مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ الْخَفَّةِ وَالنَّزَقِ؛ وَإِنَّمَا كَانُوا خِيَارَ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ سَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا.

وَرَوَى: «إِذَا غَضِبُوا أَسْكَنُوا»^(١)، وَسَكُونُهُمْ قَبُولُ الْعُذْرِ سَوَاءً اعْتَذَرُوا أَوْ لَمْ يَعْتَذِرُوا. وَرَوَى مَرْفُوعاً: «مَنْ لَمْ يَقْبَلْ عُذْرَ مَنْ رَأَاهُ مُصَلِّياً خَلْفَهُ، فَهُوَ مُلْعُونٌ شَرٌّ مِنْ إِبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ»^(٢).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللِّسَانُ»، تَقْدِيرُهُ أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ، وَهِيَ إِغَاثَةُ الْمَظْلُومِينَ وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِينَ. أَوْ تَقْدِيرُهُ: أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ، وَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ؛ فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِاللِّسَانِ ذِكْرُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ بِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ.

وَرَوَى: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ كَفُّ اللِّسَانِ»^(٣). وَإِنَّمَا قَالَ: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يَجْمَعْهَا؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْجَنَسَ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ؟ قَالَ: الشَّفَاعَةُ.^(٤)

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»، أَيُّ: لَا صَدَقَةُ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَصْلَحَ الْحَالُ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ هَاجِرَ بَعْضٍ فَصَالِحَتْ بَيْنَهُمْ. بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَ«الْكَاشِحُ»: الَّذِي يَضْمُرُ عِدَاوَتَهُ فِي كَشْحِهِ^(٥)؛ أَيُّ: لَا صَدَقَةُ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ ذَا الرَّحِمِ الَّذِي يَبْغُضُكَ.

١. لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ.

٢. لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ.

٣. يَوْجَدُ بِلَفْظَةٍ: «حِفْظُ اللِّسَانِ»؛ رَاجِعٌ: الْفَتْحُ الْكَبِيرُ: ١٩٨/١؛ كَنْزُ الْعَمَالِ: ٢٢٢/٣، ح ٧٨٧٥.

٤. الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٢٣٠/٧، ح ٦٩٦٢؛ مُسْنَدُ الشَّهَابِ: ٢٤٣/٢، ح ١٢٧٩؛ كَنْزُ الْعَمَالِ: ١٨٠/٦، ح ١٦٣٦٠.

٥. بَاطِنُهُ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَلَا جِهَادٌ^(١) أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ عِنْدَ مَلِكٍ ظَالِمٍ؛ وَمَعْنَاهُ فِي تَهَامِهِ: يَقْبَلُ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ نَفْسِهِ؛ وَلَا تَنَاقُضُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^(٢). لِأَنَّ مِنْ أَمْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَى سَبِيلِ الْقَهْرِ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ؛ وَإِنْ كَانَ فِي بَلَدَةٍ حَيْثُ إِنْ ذَكَرَ هُوَ ذَلِكَ كَانَ وَهْنًا فِي الْإِسْلَامِ وَإِنْ قَتَلَ هُوَ كَانَ شَرًّا مِنَ الْإِسْلَامِ، فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَإِنْ قَتَلَ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَشِيرُ إِلَيْهِ الْخَبَرُ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: لَا عِبَادَةَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَنْتَظِرَ الْمَبْتَلَى الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بِأَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ بِقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ وَقَالَ: لَا عِبَادَةَ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ فِي الصَّلَاةِ. وَقِيلَ: عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قِرَاءَةُ الرَّجُلِ [الْقُرْآنَ] فِي غَيْرِ الْمُصْحَفِ أَلْفُ دَرَجَةٍ وَ[قِرَاءَتُهُ]^(٣) فِي الْمُصْحَفِ يُضَاعَفُ عَلَى ذَلِكَ [إِلَى] أَلْفِي دَرَجَةٍ»^(٤).

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حَتَّ عَلَى خَلْقِ الْحَسَنِ [وَأَنَّ] هُوَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ: صَلَاةُ الْقَاطِعِ، وَإِعْطَاءُ الْحَارِمِ، وَالصَّفْحُ عَنِ الظَّالِمِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: فَضْلُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَالْمَعْنَى بِـ«الْفَضْلِ» هُنَا الثَّوَابُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ثَوَابُ الْعِلْمِ أَكْثَرُ مِنْ ثَوَابِ الْعِبَادَةِ، [وَأَقْبُولُهُ أَفْضَلُ وَأَزِيدُ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْلَمُ»^(٥) بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يَعْمَلْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رُكْعَةٍ، فَإِنْ عَمِلَ

١. فِي خ: صَدَقَةٌ.

٢. الْبَقَرَةُ: ١٩٥.

٣. فِي خ: قَرَأَهُ.

٤. الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٢٢١/١، ح ٦٠١؛ شُعَبُ الْإِيمَانِ: ٤٠٧/٢، ح ٢٢١٨؛ جَامِعُ الْأَحَادِيثِ: ٣٥١/٥، ح ١٥٢٨١.

٥. فِي ص: تَعَلَّمَ.

بِهِ أَوْ عَلَّمَهُ كَانَ لَهُ ثَوَابُهُ وَثَوَابُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

واستدل الشافعي بهذا على أَنَّ طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.^(٢)

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ ثُمَّ قَالَ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ اسْتِعْمَالُ الْفَقْهِ أَوْ تَعْلِيمُهُ، وَأَفْضَلُ أَسْبَابِ الدِّينِ الْوَرَعُ؛ فَحَذَفَ الْمُضَافَانَ.

يَبَيِّنُ الْحَبْرُ وَيَبَيِّنُ الْحَبْرُ الْأَخِيرُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَشْبَعَ جَائِعاً فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٣).

مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ [بِشَيْءٍ] أَفْضَلَ مِنْ سُجُودٍ خَفِيِّ * مَا نَحَلَ
وَالِدٌ وَلَدَهُ [مِنْ نَحْلٍ] أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ * أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى
اللَّهِ الْأَتْقِيَاءُ الْأَخْفِيَاءُ * أَحَبُّ اللَّهِ عَبْدًا سَمَحًا بَائِعًا وَمُشْتَرِيًا
وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا * أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَاجِدُ * أَحَبُّ
الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ * أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ * الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ
فَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ * مَا صَلَّتْ امْرَأَةٌ مِنْ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَى
اللَّهِ مِنْ صَلَاتِهَا فِي أَشَدِّ بَيْتِهَا ظُلْمَةً * مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
مِنْ جُرْعَةٍ غِيْظٍ كَظَمَهَا رَجُلٌ أَوْ جُرْعَةٍ صَبَرٍ عَلَى مُصِيبَةٍ وَمَا مِنْ
قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دَمْعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ قَطْرَةٍ دَمٍ

١. تاريخ بغداد: ٤٨/٦، ح ٣٠٧٤؛ كنز العمال: ١٦٤/١٠، ح ٢٨٨٥٢.

٢. مسند الشافعي: ٢٤٩؛ غرائب مالك بن أنس: ١٣٥؛ حلية الأولياء: ١١٩/٩؛ المدخل إلى سنن الكبرى:

٣١٠/١، ح ٤٧٤.

٣. نصه في المصادر الحديثية عن الإمام الصادق عليه السلام كذا: «مَنْ أَشْبَعَ مُؤْمِنًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»؛ راجع: الكافي:

٢/٢٠٠، كتاب الإيمان والكفر، باب إطعام المؤمن، ح ١؛ وأيضاً ورد: «مَنْ أَشْبَعَ جَائِعاً أَجْرَى اللَّهُ لَهُ نَهْرًا فِي

الْجَنَّةِ»؛ راجع: الدعوات: ١٤٢؛ المحاسن: ٣٩٠/٢.

أَهْرَيْقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

يُنَالِ الْجَبَرُ كُنَى بالسجود عن الصلاة؛ يقول: لا طاعة أفضل من صلاة في خفية؛ وهذا تفضيل طاعة السر على العلانية، لبعدها عن الرياء.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ حَتَّ عَلَى تعليم الأولاد وتأديبهم، فقال: ما أعطى والد ولدًا شيئاً أفضل من الحرفة التي فيها أشرف الدارين، وهي العلم.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: الذين يَتَّقُونَ الله يخفون طاعتهم، يحبهم الله.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ حَتَّ عَلَى لين الجانب و[سهل]^(١) الخلق وحسن المعاشرة. وقال: إِنَّ الله يحب السهل في البيع والشراء وفي قضاء دينه وفي اقتضائه، فقلوه: «بايعاً» حال من الضمير المستكن في «سمحاً»، أي: يحب الله العبد إذا كان سهل المعاملة في حال بيعه وشرائه، ويجوز أن يكون «أحب» دعاءً.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ المسجد أعلى المواضع، لأنه مهتاء لذكر الله.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ أَمَرَ بِالْاِقْتِصَادِ وَلِزُومِ طَرِيقِ الْوَسْطِ فِي الطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ أَسْرَعُ إِلَى الْقَبُولِ وَالِدَوَامِ.

يُنَالِ الْجَبَرُ وَكَرَامَةُ اللَّهِ وَالْقَرَبُ مِنْ رَحْمَتِهِ لِلْقَائِمِ بِالْحَقِّ الْإِمَامِ الْعَدْلِ، لَا دَنَوَ الْمَسَافَةِ.

يُنَالِ الْجَبَرُ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعِيَالِ لِلَّهِ، لِأَنَّهُ الضَّامِنُ؛ وَ«عِيَالُ اللَّهِ» مَجَازٌ، كَأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ اللَّهِ لِمَا كَانَ يَرْزُقُهُمْ.

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ حَتَّ النِّسَاءَ عَلَى التَّسْتَرِّ، لِئَلَّا يَقَعَ الْبَصَرُ عَلَيْهِنَ سَيِّئاً فِي وَقْتِ أَدَاءِ صَلَاتِهِنَّ، فَإِذَا صَلَّيْنَ فِي بَيْتٍ مَظْلَمٍ فَيَكُنَّ أَصَوْنَ وَأَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ.

يُنَالِ الْجَبَرُ وَجُرْعَةُ غَيْظٍ وَجُرْعَةُ صَبْرٍ مَحْبُوبَتَانِ إِلَى اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: «وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ»^(٢)، وَقَالَ: «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ» وَقَالَ: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»^(٣).

١. في خ: وكربه.

٢. آل عمران: ١٣٤.

٣. البقرة: ١٧٧ و ١٥٥.

والمراد بجرعة الغيظ الصبر وترك اتباع غيظه فيما يدعو إليه من تنفيس كربة، مراقبةً لله، فشبه تلك الحال بالجرعة، لأنَّ الإنسان كأنَّه بالكظم لها قد ذاق حرارةً.

وفي رواية أخرى: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ مُصِيبَةٍ يَرُدُّهَا بِحُسْنِ عَزَاءٍ أَوْ جُرْعَةٍ غَيِظٍ يَرُدُّهَا بِحِلْمٍ»^(١).

ثم حثَّ ورعاً على البكاء وعلى الجهاد، وقال: قطرتان محبوبتان إلى الله. وعن أمير المؤمنين: «يا رسول الله! إذا كان أرض الجنة وتراها وحيطانها من المسك والعنبر والكافور، فما طيبها؟ قال: طيب أهل الجنة دم العزة ودمع العصاة»^(٢). وروي: «أريق»^(٣).

قال سيبويه: إنَّهم زادوا بين الهمزة وفاء الفعل هاء، فقال: إهراق، يهريق، إهراقه؛ كما زادوا في اسطاع بمعنى أطاع؛^(٤) ولم يوجد هذا الحكم إلَّا في هذين الفعلين.

مركز تحقيق تكملة علوم رسول

١. المجازات النبوية: ١٥٣؛ مسكن الفؤاد: ١١٨؛ تفسير القرطبي: ٢٤٧/٩.

٢. لم أقف عليه.

٣. راجع: شرح نهج البلاغة: ٨٦/١٠.

٤. راجع: صحاح اللغة: ١٥٧٠/٤؛ الأصول في النحو: ٢٢٩/٣؛ المحكم والمحيط الأعظم: ١٢١/٤.

باب (١٠) [١٠]

نَعَمْ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * نَعَمْ الْهَدِيَّةُ الْكَلِمَةُ مِنْ
كَلَامِ الْحِكْمَةِ * نَعَمْ الْهَالُ النَّخْلُ الرَّاسِخَاتُ فِي الْوَحْلِ الْمُطْعِمَاتِ
فِي الْحَلِّ * نَعَمْ بِالْهَالِ (٢) الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحُ * نَعَمْ الْعَوْنُ عَلَى
تَقْوَى اللَّهِ الْهَالُ * نَعَمْ الشَّيْءُ الْقَالُ * نَعَمْ الْإِدَامُ الْخِلُّ * نَعَمْ
صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ * أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَوْثَقُ
الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَشْرَفُ الْمَنَاقِبِ
قَتْلُ الشُّهَدَاءِ * أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمِسْكُ * سَيِّدُ إِدَامِكُمْ الْمِلْحُ *
أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةُ دُعَائِهِ (٣) غَائِبٌ لِقَائِهِ * لِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ
أَسْرَعُ تَقَلُّباً مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلِيّاً * حَبْدَا الْمُتَخَلِّلُونَ مِنْ
أُمَّتِي

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: نعم المشفع كتاب الله لقارئه، وهو فعيل بمعنى مفعول.
وروي: «أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» (٤).

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: ليس هدية كالعلم، فإن كلمة منه أعظم قدرًا من كل شيء، والمراد به

١. في المصدر لم ترد هنا باب.

٢. في خ: الهال.

٣. في مسند الشهاب وأكثر المصادر الحديثية: دعوة.

٤. مسند الطيالسي: ٢٨٣، ح ٢١٢٤؛ جامع الأحاديث: ٣/٣٢٣، ح ٨٩١٤؛ عيون الحكم والمواعظ: ٧١؛

وسائل الشيعة: ١٦٨/٦، ح ٧٦٤٤.

«الحكمة» ههنا العلم، ويجوز أن يكون على ظاهرها.

يُنَادِي الْجَبْرِ ثُمَّ قَالَ: نعم الهال النخيل التي رسخت عروقتها تحت الثرى، فوصلت إلى الماء، ولا يحتاج إلى السقي، وإن كان جَدْبٌ وَقَلَّةٌ مطر فهي تطعم وتثمر ولا يتغير حالها كالإبل إذا لم يكن نبات وماء لا يكون لها لبن.

وقال عليه السلام: «نِعْمَتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ»^(١)، فكأنها لا انتفاعهم بها وتعويلهم على ثمرتها قامت مقام ذات الرحم.

وقيل: إنها ذكر في الخبر الذي في الكتاب على عادة العرب، لأنَّ أحبَّ الطعام إليهم التمر.

يُنَادِي الْجَبْرِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «نَعْمًا بِالْهَالِ الصَّالِحِ»، فالباء زائدة، فكأنه قال: نعم الهال الحلال للرجل الذي يقوم فيه ما أمره الله، فإنَّ المرء الصالح يصلح بأمواله أحوال نفسه وعباله والمؤمنين؛ و«ما» في «نعمًا» نكرة غير موصوفة ولا موصولة، والمعنى: نعم شيئاً.

وقيل: الباء في قوله: «بالهال» يدلُّ على أنَّ المعنى: مرحباً بالهال، كأنه قال: نعمًا، فقيل: بم يختص هذه الكلمة؟ فقال: بالهال الصالح. كقوله: مرحباً؛ ثمَّ كأنه قيل: بم يختص؟ فقال: بك.

يُنَادِي الْجَبْرِ و«العون» مصدر بمعنى الفاعل، أي نعم المعين على التقوى هذا الهال؛ لأنَّ المؤمن إذا كان له مال يتخلص من ذلِّ السؤال ومن الطلب والتكسب، فيؤدي الطاعات على فراق القلب، وينفق في سبيل الله.

يُنَادِي الْجَبْرِ وتام الخبر الذي بعده: «قيل: يا رسول الله! ما الفأل؟ قال: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»^(٢). فكان الرجل إذا سمع ذلك أتاه بشارة بنجاحه، فيفرح.

١. المجازات النبوية: ٢٧٠؛ أمالي ابن سمعون: ١١٨/٢؛ الفائق في غريب الحديث: ٢٣٨/١.

٢. مصنف عبد الرزاق: ٤٠٣/١٠، ح ١٩٥٠٣؛ مسند أحمد: ٢٦٦/٢، ح ٧٦٠٧؛ جامع الأحاديث: ٢٩٥/٨، ح ٢٦١٥٢.

ثُمَّ حَثَّ عَلَى الِاتِّقَاءِ الْبُلْغَةِ مِنَ الْعَيْشِ وَلِزُومِ الْاِقْتِصَادِ.^(١)

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَالْخَلَّ إِدَامَ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، وَكَثِيرًا مِنَ الْعَلَلِ.

وعن جابر قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي، وقال: أما من غذاء؟ فأخرجتُ إليه فِلَقًا من خبز، فقال: هل من إدام؟ فقلت: لا، إلَّا شيء من خلٍّ، فقال: إِنَّ الْخَلَّ نَعَمُ الْإِدَامُ»^(٢).

وفي الحديث: «ما أفقر قوم عندهم خلٌّ» أي لا يعدمون.^(٣)

الإدام والأدام: ما يؤدم به^(٤) الطعام، أي يصلح؛ وهذا البناء يجيء لما يُفعل به كثيراً، نحو الركاب لما يُركب به، والحزام لما يُحزم به.^(٥)

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ رَغَبَ فِي الْاِعْتِزَالِ عَنِ الْخَلْقِ وَالِاشْتِغَالِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي الْبَيْتِ، وَلَا حَاجَةَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الصَّوَامِعِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وَالْقُرْآنُ أَصْدَقُ كُلِّ كَلَامٍ، لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا هُوَ، فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ. وَ«كَلِمَةُ التَّقْوَى» شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ، وَهَذَا حَبْلٌ وَثِيقٌ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا.

ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنُ الطَّرِيقَةِ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّهَا مَحْمُودَةٌ تَهْتَدِي بِهَا الْخَلَائِقُ.

وَلَا مَوْتَ كَقَتْلِ الشَّهِيدِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُ بِالْإِحْيَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

١. كذا في خ.

٢. سنن الدارمي: ١٣٧/٢، ح ٢٠٤٨؛ سنن النسائي: ١٤٨/٤، ح ٦٦٢٨؛ شعب الإيمان: ١٠٠/٥، ح ٥٩٤٢.

٣. كتاب العين: ١٥٢/٥؛ ونص الحديث في المصادر الحديثية كذا: «نَعَمُ الْإِدَامُ الْخَلُّ، مَا أَفْقَرَ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ»؛ راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٥٨/٣، ح ٤٢٦٧.

٤. في المصادر اللغوية: الإدام والأدم: ما يؤتدم به؛ راجع: العين: ٨٨/٨؛ تهذيب اللغة: ١٥١/١٤.

٥. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٢٩/١-٣٠.

فالشهداء أحياء مرزقون فرحون بما آتاهم الله^(١).

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كَانَ عَلَيْكَ لَعْنٌ يَسْتَعْمَلُ الطَّيِّبَ، حَتَّى قَالَ: أَطْيِبُهَا الْمَسْكُ، وَمَعْنَاهُ^(٢) أَنَّهُ أَزْكَى رَائِحَةً. وَقِيلَ: مَعْنَى «أَطْيِبُ»: أَظْهَرُ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَلَا حَلَاوَةَ لِلْأَغْذِيَةِ وَالْأَطْعَمَةِ إِلَّا بِالْمَلْحِ، فَكَذَلِكَ جَعَلَهُ سَيِّدَهَا، وَقَالَ عَلَيْكَ: «عَلَيْكُمْ بِالْمَلْحِ، فَإِنَّهُ دَوَاءٌ مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ دَاءً»^(٣).

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ رَغِبَ فِي أَدْعِيَةِ الْغُرَبَاءِ النَّزَّاعِ مِنْ أَوْطَانِهِمْ بِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِهِمْ؛ وَقَالَ عَلَيْكَ: اغْتَنِمُوا دَعَاءَ الْغَرِيبِ، فَإِنَّ لِلْغَرِيبِ عِنْدَ اللَّهِ حَرَمَةً^(٤) وَهُوَ تَرْغِيبٌ لِلْغَرِيبِ أَيْضاً فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ دَعَاءَهُ أَرْجَى لِلْإِجَابَةِ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى حَالِ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنَّهُ أَسْرَعَ نَقْلَهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ مِنَ الْقَدْرِ حَالِ غَلِيَانِهَا، وَإِنْ صَلَاحَ [الْبَدَنِ] فِي صَلَاحِهِ وَفَسَادَ الْبَدَنِ فِي فُسَادِهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْكُلِّ، فَعَلَيْكُمْ عَلَى تَثْبِيتِهِ عَلَى الطَّاعَاتِ؛ وَ«اسْتَجْمَعُ» يَكُونُ لَازِماً كَقَوْلِهِمْ: سَبِيلُ مُسْتَجْمَعٍ، أَيْ مَجْتَمِعٍ، وَيَكُونُ مُتَعَدِّياً كَمَا فِي الْحَبْرِ؛ وَ«غَلِيّاً» تَمَيِّزٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَفْعُولِ، كَأَنَّهُ قَالَ: اسْتَجْمَعْتُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْغَلَى، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَلِيّاً مُصْدِراً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ،

١. «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»، آل عمران: ١٦٩ و ١٧٠.

٢. فِي خ: وَمَعْنَى.

٣. نَصَّهُ فِي الْمَصْدَرِ كَذَا: «يَا عَلِيُّ افْتَبَحْ بِالْمَلْحِ وَاخْتَمِ بِالْمَلْحِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ دَاءً»، رَاجِع: مِنْ لَا يَحْضَرُهُ الْفَقِيه: ٣٦٨/٤.

٤. عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اغْتَنِمُوا دَعَاءَ ضَعْفَةٍ - أَوْ ضَعْفَاءَ - أُمَّتِي، فَإِنَّهُ يَسْتَجَابُ لَهُمْ فِيكُمْ، وَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ»؛ رَاجِع: الْفَرْدُوسُ بِمَأْتُورِ الْخَطَابِ: ٨٩/١ ح ٢٨٦؛ مَخْتَصَرُ تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ: ١٤٧/٨.

أي غالية.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ استحمد الذين يستعملون الخلال بعد أكل الطعام، فإنه سنة. وقال عليه السلام: «من استعمل الخشبين لا يحتاج إلى القلع»^(١)، أراد الخلال والسواك.



١. «من استعمل الخشبين أمن من عذاب الكلبتين»، راجع: مستدرک الوسائل: ٣١٨/١٦، ح ٢٠٠١٥؛
بحار الأنوار: ٢٩١/٥٩.

باب [٨١]

بِئْسَ مَطِئَةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا * شَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَشَرُّ الْعَمَى
عَمَى الْقَلْبِ وَشَرُّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ وَشَرُّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَرُّ الْمَأْكَلِ مَالُ الْيَتِيمِ وَشَرُّ الْمَكَايِبِ كَسْبُ الرَّبَا *
شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحُّ هَالِعٍ أَوْ جُبْنٌ خَالِعٌ * أَغْمَى الْعَمَى
الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ * مَا
مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ يقول أولاً: بئس عادة الإنسان كلمة «زعموا»، يعني: لا تحدّثوه بكلّ ما تسمعون؛ وزعموا كلام من غير تحقيق.

وقيل: إنّما يكون كلمة «زعموا» في حديث لا بيت فيه، وإنّما هو شيء يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ، فذمّ النبي ﷺ من الأحاديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت والتوثق بما يحكيه، ولا يروي إلّا عن ثقة. وقيل: الرواية أحد الكاذبين. وفي الخبر: «من روى حديثاً وهو يرى كذب، فهو أحد الكاذبين»^(١).

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم قال: السنّة كافية في الشرعيّات لا يحتاج إلى البدع، فإنّ محدّثات الأمور وما أحدث بعد رسول الله فلا خير فيه، وهو مفسدة وشرّ، فاطرحوه ولا تقبلوه. ثم قال: ولا شرّ في العين يذمّ به الإنسان ويعاقب، لأنّه من فعل الله وإنّ اللّوم

١. الأماشي للشيخ الطوسي: ٤٠٢؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٣٧/٥، ح ٢٥٦١٤ و ٢٥٦١٥؛ كنز العمال:

والعقوبة على عمى القلب الذي هو فعل العبد إذا لم يتفكر ولم يتأمل، فيحصل له المعارف والعلوم التي هو نور وبصيرة.

ثم نبّه على أنّ المؤمن ينبغي أن يتوب قبل الموت، فإنّه لا يقبل^(١) توبة من حضره الموت؛ ولا تناقض بين الحديث وما تقدّم من «أنّه يقبل التوبة قبل أن يغرغر»، لوجوه: أحدها، أنّه عليه السلام ما نفى قبول التوبة ههنا على كلّ حال، بل قال: شرّ المعاذير معذرة يكون عند حضور الموت، وربّما يقبل التوبة، ولكّنها لا يكون بمنزلة العذر الذي يكون في حالة الصّحة والشباب، ويكون بعدها الطاعات الكثيرة. وقد يقال: حضر فلاناً الموت ولم يحضره بعد، وإنّا حضرته أمارته. قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ»^(٢)؛ فعلى هذا يكون هذه الحالة قبل أن يغرغر فيقبل توبته وإن كانت شرّ معذرة وإن حضر الموت، فهو حال الغرغرة، ولا يقبل توبة أحد في هذه الحالة.

وقيل: إنّ هذا الحديث جاء في معذرة الكافر دون المؤمن، لأنّ المؤمن يقبل توبته قبل أن يغرغر، والكافر لا يقبل توبته في هذه الحالة.

وروي: «شَرُّ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، ولا يتغيّر المعنى؛ وإنّا لا ينفع الندامة يوم القيامة، لأنّ الله ستّاهها «حسرة»، والمحسرة إنّما يكون على شيء فائت لا يستطاع أن يدرك. وروي أيضاً: «شَرُّ الْمَأْكَلِ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ»^(٤)، والمعنيان واحد، وقد أوعده الله عليه النار في كتابه.^(٥)

١. في خ: لا يفعل.

٢. البقرة: ١٨٠.

٣. مستند الشهاب: ٢٦٩/٢، ح ١٣٣٧؛ مروج الذهب: ٢٨٨/١؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٣٧١/٢، ح ٣٦٥٩؛ جامع الأحاديث: ١٤١/٢، ح ٤٤٥٠.

٤. الكافي: ٨٢/٨، ح ٣٩؛ مصنف ابن أبي شيبة: ١٠٦/٧، ح ٣٤٥٥٢.

٥. «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا»؛ النساء: ١٠.

وقال النبي ﷺ: «آليت عند العرش ليلة أُسرى بي أن لا أشفع لأكل مال اليتيم»^(١).
ثم قال: أكل الربا من جملة الكبائر أيضاً، فإنه شرّ مكسب؛ وأصل الربا الزيادة،
وفي الشرع يقع الربا على أخذ زيادة شيء من غير وجه حلال.
بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثم نهى عن متابعة البخل والجبن، فإنهما شرّ ما في الإنسان، سيما إذا وصف
البخل بأفحش الجذع، ويكون الجبن خالعاً فؤاده من شدّته؛ أي: لا تغلبوهما على
أنفسكم ولا تسلطوهما على أفئدتكم، فالبخل يمنع صاحبه من إخراج الحقّ الواجب
عليه، فإذا استخرج منه هلع وخرج وخاف؛ ومن جبن عن النهوض إلى الحجّ والغزو
وكانا واجبين عليه، فلا يجبر كسره.

و«الشخّ الهالع» الذي يجزع فيه العبد، وإنا قال: هالع، لازدواج «خالع»، وإلا
فلا يقال إلا هلع فهو هلع وهلوع.
بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وقوله: «أعمى العمى الضلالة بعد الهدى»، هذا في حقّ من ولد على فطرة
الإسلام يكون أبواه مؤمنين قبله في ذلّة^(٢) الإسلام، فيسمع ويرى، فإذا كان عند
بلوغه اختار الكفر ولا ينظر في الدليل، فحكمه الارتداد الذي لا يستتاب منه؛ بل
يقتل عند إظهار الكفر؛ فقال: لا ضلالة أعمى من ضلّاته؛ ومن كان كافراً ثم دخل في
الإسلام تقليداً ثم ارتدّ، فإنه يستتاب، فإن لم يرجع ضربت عنقه؛ فحاله الضلالة بعد
الهدى على ظاهر الحال، ولم يكونا في الحقيقة قطّ مؤمنين هادين؛ فأما من كان على
الهدى بالتحقيق فلا يضلّ أبداً ولا يكفر وإن قدر على ذلك.

وقد يقع من المهتدي الذنوب، قال الصادق عليه السلام: «المُذْنِبُ مِنْ شِيعَتِنَا كَالنَّائِمِ عَلَى

١. لم أقف عليه.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: ملّة.

المَحْجَّةِ إِذَا انْتَبَهَ لَزِمَ الطَّرِيقَ»^(١).

وقيل: الذين انصرفوا عن الطريق لا عن الرفيق، لو فصلوا فانفصلوا. ويجوز أن يكون المعنى: الفسق بعد العقّة، لأنّ التّهتك من أعمال الضلالة والتصوّن^(٢) من أعمال الهدى. ووصف العمى بالأعمى مبالغة، كما يقال: جُنّ جُنُونَهُ، وإلا فالجنون لا يحسن.

ثمّ بيّن أن من جملة أعظم كلّ خطيئة اللسان الذي يكثر الكذب، فحذف المضاف. **يَا أَيُّهَا الْخَبِيرُ** ثمّ رغب في الصوم ونهى عن كثرة الأكل، فقال: لا يفعل ابن آدم مع نفسه فعلاً شراً عليه من أن يملأ بطنه.

وروي: «البِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ»^(٣)، أي: لا تفعلوا ذلك، فمن ملأ بطنه تشاقل عن الطاعات، فالأولى أن لا تزيدوا على إمساك الرمق.

«[وروي: مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ] بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقَمِّنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتَلْتُ طَعَامٍ وَتَلْتُ شَرَابٍ وَتَلْتُ لِنَفْسِهِ»^(٤).

١. لم أقف عليه.

٢. في خ غير واضحة اللفظ.

٣. راجع: البيان والتبيين: ٢٥٣؛ جهرة اللغة: ٣٦١/١؛ العقد الفريد: ٣١٣/٦.

٤. سنن الترمذي: ٥٩٠/٤، ح ٢٣٨٠؛ مسند الشهاب: ٢٧١/٢، ح ١٣٤٠؛ كنز العمال: ١١٤/١٥، ح ٤٠٨٧٠؛ بحار الأنوار: ٣٣١/٦٣، باب ٥، ح ٤.

باب [١٢]

مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ * مَثَلُ أَصْحَابِي مَثَلُ التُّجُومِ مَنْ اقْتَدَى بِشَيْءٍ مِنْهَا اهْتَدَى * مَثَلُ أَصْحَابِي فِي أُمِّي كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يَصْلَحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِالْمِلْحِ * مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّباً وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّباً * مَثَلُ أُمِّي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ * مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَالْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ يَجُولُ فِي آخِيَّتِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ * مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ مَثَلُ النَّخْلَةِ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ كَحَامَةِ الزَّرْعِ * مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبَلَةِ تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ فَتَقُومُ مَرَّةً وَتَقَعُ أُخْرَى وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْإِرْزَةِ لَا تَزَالُ قَائِمَةً حَتَّى تَنْفَعِرَ

والمثل: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول.

وقيل: هو لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثل [الذي] يعمل عليه غيره.^(١)

وقيل: سميت أشياء يعلم صدقها أمثالاً لانتصاب صورها في العقول مشتقة من

١. قاله ابن سكيت، راجع: مجمع الأمثال: ٦/١.

المثول وهو الانتصاب.^(١)

ويجمع المثل أربعة أشياء من البلاغة: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ وإذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح وأتق وأوسع.^(٢)

والمثل ما يمثل به الشيء، أي يشبهه، فهو اسم مصرّح لما يضرب، ثم يردّ إلى أصله الذي كان له من الصفة؛ فيقال: مثلك كذا، أي صفتك. قال تعالى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ»^(٣)، أي صفتها.^(٤)

يُنَادِي الْجَبَرُ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَرَادَ ﷺ: «أَهْلُ الْبَيْتِ» عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَذُرِّيَّتَهُمَا الْمُعْصُومِينَ ﷺ،^(٥) مِنْ وَالَاهُمْ نَجَا وَمِنْ عَادَاهُمْ هَلَك. وَلَا خِلَافَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ هَلَكُوا، وَإِنْ آوَى بَعْضُهُمْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُهُ مِنَ الْمَاءِ وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ، وَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ؛ فَكَذَلِكَ مَنْ تَخَلَّفَ قَرْنًا فَقَرْنًا عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ حُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ كَانَ هَالِكًا، وَإِنْ اقْتَدَى بِكُلِّ سَلَفٍ مِثْلِ النُّجُومِ.

يُنَادِي الْجَبَرُ ثُمَّ نَبَّهَ عَنْ دَرَجَةِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخَذَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ وَشَرِيعَتَهُ وَأَحَادِيثَهُ مِنْهُمْ وَاهْتَدَى بِهَا وَاقْتَدَى بِهِمْ فِي سُلُوكِهِمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، كَانَ نَاجِيًا؛ يُنَادِي الْجَبَرُ وَكُلُّ مَنْ سَافَرَ نَهَارًا وَلَهُ دَلِيلٌ خَرَّيْتُ، فَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى مِرَاقَبَةِ النُّجُومِ؟ وَإِذَا فَعَلَ كَانَ أَحْسَنَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَا لُؤْمَ؛ وَكَذَلِكَ شَبَّهَهُمُ بِالنُّجُومِ، وَلَا يَنْكُرُ فَضْلَهُمْ وَلَا سَابِقَتَهُمْ؛

يُنَادِي الْجَبَرُ فَإِنَّ مِثْلَهُمْ بَيْنَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْخَبَرِ الْآخِرِ - كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ.

١. المصدر.

٢. قاله إبراهيم النظام، راجع: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤/٣.

٣. الرعد: ٣٤.

٤. راجع: تهذيب اللغة: ٧٠/١٥؛ تفسير ابن زمنين: ٣٥٨/٢؛ تفسير البغوي: ١٨١/٤.

٥. راجع: تفسير الثعلبي: ٣٧/٨؛ فضائل الصحابة: ٦٦٩/٢، ح ١١٤١؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٧٦/١٠.

يصلح التابعون إذا كان واحد من الصحابة فيهم، كما لا يصلح الطعام إلا بأن يكون الملح فيه؛ وأشار بذلك أن الصلاح ثابت في الأرض بين هذه الأمة ما دام واحد من أصحاب رسول الله ﷺ يكون فيهم، فإذا ماتوا وانقرضوا وطال المدة مذ عهده عليه السلام فسدوا.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ ضرب مثل المؤمن بنحلة العسل التي أكلها ووضعها أطيب الأطياب؛ كذلك المؤمن لا يكون طعامها إلا حلالاً، وكلامه إلا ذكر الله وطاعته، ولا يكون عمله إلا عبادة؛ وهو مع ذلك ضعيف يستضعفه غيره، كما أن النحل مستضعف عند كل طائر.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ ذكر فضيلة أمته، فقال: مثلهم مثل المطر، كله نافع، وكله خير؛ فكذلك أمته عليه السلام كلهم خيرون من راوه، ومن راوا من راوه^(١) ومن سمعوا به فلا يعلم أنهم خير أحد المخلوقين، كما لا يعلم لأول المطر خير أم آخره، والله عالم بذلك؛ فأحبوا كل مؤمن تقدّم أو تأخر.

وقال عليه السلام: «خِيَارُ أُمَّتِي أَوْلُهَا وَآخِرُهَا، وَبَيِّنَ ذَلِكَ تَبَجُّ أَعْوَجُ - أي وسط - لَيْسَ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْهُ»^(٢)؛ وهذا نفي أن يكون الشبح من الجانبين.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ ذكر أن الإيمان إذا استقرّ في قلب الإنسان لا يزول أبداً وإن وقع صاحبه في المعاصي، فإن مثله كالفرس المشدود في آخية^(٣) لا يزول عن مكانه وإن جال جوهها؛ وبهم^(٤) الحديث، والمؤمن يسهو ثم يرجع؛ وهذا دليل على أن المؤمن لا يكفر

١. كذا في خ.

٢. تأويل مختلف الحديث (لابن قتيبة): ١٠٧؛ الفائق في غريب الحديث: ١٤٣/١؛ النهاية في غريب

الحديث: ٢٠٦/١.

٣. عروة تثبت في أرض أو حائط وتربط فيها الدابة.

٤. كذا في خ.

بذنوبه وإن صار فاسقاً، وفيه دليل أيضاً أنه يقبل توبة كل من تاب من الكفر والبدعة.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ ضرب مثل المؤمن القوي بالنخلة، لعموم بركتها وكرامتها ومنفعتها، ومن إكرامها أن [لا] يضيع منه شيء حتى أوراقها ونواها وقليلها وكثيرها وطلعها^(١)، كذلك من كان قوياً في دينه ونفسه وبدنه وماله من المؤمنين فلا يستولى عليه الشيطان، وينفع كل من مر به، ويكون منفعته للقريب والبعيد على كل حال.

وشبه المؤمن إذا كان ضعيفاً بخامة الزرع، وهي أول ما نبت من الزرع على ساق، فإنه ينتفع به وإن كان قليلاً، ولا يستضر به أحد.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ شبه المؤمن بالخامة وهي السنبلة أو ذات السنبلة التي تميلها كل ريح، سواء كان عاصفاً أو رحاء؛ لأن المؤمن مُرْزَأٌ^(٢)، مصاب في نفسه وأهله وولده، ويؤذيه كل أحد، ويصاب كل وقت مصيبة أخرى، ومع ذلك يبقى، فإذا انقضى بلاؤه استقام أمره واستوى حاله؛ وشبه الكافر بالإرزة، لأنها لا تميلها رياح كثيرة تهب عليها، فهي أبداً تكون قائمة حتى تأتيها ريح عاصف تستأصلها وتقلعها بمرة من أصلها وقعرها؛ فكذلك الكافر لا يرزأ شيئاً ولا يصاب بمصيبة حتى يستأصل الله ساقته من حيث لا يحتسب قبل أن يلقى الله، فيلقيه في نار جهنم^(٣).

وبيان الخبر فيما روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيَّاحُ تُفَيِّئُهُ - أي تقلبه من جانب إلى جانب - وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلَاءٌ،

١. في خ: وطلعها.

٢. رجل مرزأ: كريم يصاب منه كثيراً؛ راجع: لسان العرب: ٨٦/١.

٣. كذا راجع إلى نقل كلام أبو عبيد في غريب الحديث (لابن سلام): ١١٨/١؛ كتاب أمثال الحديث: ٨١ وكذا راجع: مجمع الأمثال (للميداني): ٢٧٧/٢.

وَمَثَلُ الْمُتَنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزَةِ لَا تَهْتَرُ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ^(١)، والأرزة - بسكون
الراء - : شجره الصنوبر، وبفتحها شجرة الأرن. وروي: الأرزة، وهي الثابتة في
الأرض.^(٢)



١. سنن الترمذي: ١٥٠/٥، ح ٢٨٦٦؛ الترغيب والترهيب: ١٤٠/٤ - ١٤١، ح ٥١٥٤.

٢. الفائق في غريب الحديث: ٣٤٧/١؛ صحاح اللغة: ٨٦٣/٣.

باب (١٣) [١٣]

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى * مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ رِيَشَةٍ بِأَرْضٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ * مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَقَلَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ * مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ * مَثَلُ الْمَرْأَةِ كَالضِّلْعِ إِنْ أَرَدْتَ تَقِيْمَهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَمْتَعَ بِهِ اسْتَمْتَعْتَ بِهِ وَفِيهِ أَوْدٌ * مَثَلُ الْجُلَيْسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الدَّارِي إِنْ لَمْ يُحَذِّكَ مِنْ عِطْرِهِ عَلَّقَكَ مِنْ رِيحِهِ وَمَثَلُ الْجُلَيْسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الْقَيْنِ إِنْ لَمْ يُحَرِّفْكَ بِشَرِّهِ يُؤْذِكَ بِدُخَانِهِ * مَثَلُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَالْمِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى * مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا * مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إَصْبَعَهُ السَّيِّئَاتُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ

بَيْنَ الْخَبَرِ حَتَّى أَوَّلًا عَلَى مِرَافِقَةِ الْإِخْوَانِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَلَا سِيَّامَا مَعَ الضَّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ مِثْلَهُمْ كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ أَصَابَ الْقَدَمَ وَجَعَ لَا تَنَامُ الْعَيْنُ، وَكَذَلِكَ جَوَارِحُهُ جَمِيعًا مُضْطَرِبَةٌ، وَقَلَمًا يَنَامُ مِنْ بِهِ عِلَّةٌ، وَرَبِّمَا يَكُونُ سَهْرُهُ لِإِزَالَةِ عِلَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزِيلَ مَشَقَّتَهُ شَارِكَهَا بِالسَّهْرِ لِلْمِرَافِقَةِ؛ فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا كَذَلِكَ.

ويقال: تداعت الحيطان للخراب، أي تهدمت؛ وبينهم أدعية يتداعون بها، ودعوته: صحتُ به واستدعيته.^(١)

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ قَالَ: القلب يتقلب من حالة إلى حالة، فتارةً يكون أميراً وأخرى أسيراً، مثل ريشة تقلبها الرياح في أرض لا نبات بها.^(٢)

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى مواظبة قراءة القرآن، وأنه إذا لم يقرأ ينسى ويذهب، كالإبل المشدودة بالعقال، فما دامت كذا تقيم على مكانها، وإذا أنشط غفها ذهبت ضياعاً.

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ ضرب المنافق بالشاة العائرة تخرج من بين قطعة غنم إلى أخرى ليضرها الفحل، تعير إلى هذه مرةً وإلى هذه أخرى، لا تدري أيها تتبع؛ فكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ».^(٣)

يقال: «عار» الفرس، أي انفلت وذهب هاهنا وهاهنا من مرجه؛^(٤) ومنه العيار، وهو كثير التطواف؛ و«العائرة»: الناقة يخرج من الإبل إلى أخرى ليضرها فحل، والحمل عائر يترك الشوك إلى أخرى.

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى المساهلة مع النساء وترك المحاجة معها في أحوالها، لئلا يقع الخلل في العشرة والتقصير فيما يجب من الحقوق.

وروي: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ شَكَى إِلَى رَبِّهِ سُوءَ خَلْقِ سَارَةَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّا هِيَ ضَلَعٌ فَارْفَقَ بِهَا، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ نَصِيكَ مِنَ الْمَكْرُوهِ؟»^(٥).

وقيل: المرأة حيّة تسعى ما دامت حيّة تسعى، والمرأة إذا أحصنت فرجها فقد أحسنت فارجها.

١. راجع: الصحاح: ٢٣٣٧/٦.

٢. في خ: لا نباتها.

٣. النساء: ١٤٣.

٤. راجع: الصحاح: ٧٦٣/٢.

٥. المقاصد الحسنة: ٣٢٤؛ فيض القدير: ٦٤٣/١؛ كشف الخفاء: ٣٨٠/١.

وقال عليه السلام: «النِّسَاءُ خُلِقْنَ مِنْ ضَعْفٍ، فَاسْتَرُوا عَوْرَاتِهِنَّ بِالْبُيُوتِ، وَذَاوُوا ضَعْفَهُنَّ بِالسُّكُوتِ»^(١).

وروي: «وإن استمعت به استمعت»^(٢).

«وفيه أود» أي: عوج.

بيان الخبر والرواية الصحيحة: مثل جليس الصالح مثل الداري، إن لم يحذك من عطره علقك من ريحه؛ ومثل الجليس السوء مثل الكيران^(٣) إن لم يحرقك من شرار ناره علقك من نتنه؛

فالداري: العطار، نسب إلى دارين بلدة ينسب إليها العطر.

وقيل: هو فُرْضَة^(٤) بالبحرين كان بها سوق يحمل إليها المسك.^(٥) و«الإحذاء»:

الإعطاء؛ وكير الحذاء هو المبني من الطين. وقيل: الكير: الزق.

و«السوء»: الرداءة والفساد، فوصف به كما يوصف بالمصادر، يقال: رجل سوء.

وقيل: على حذف المضاف، أي الجليس ذي السوء؛ وأكثر الاستعمال على الإضافة،

يقول: رجل سوء، ومنه قوله [تعالى]: «ظَنَّ السَّوْءَ»^(٦).

و«القين»: الحذاء. و«الحذّيات»: العطية على البشارة.

بيان الخبر و«البصلاة المكتوبة»: الفريضة، قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^(٧)، ومثلها

١. الفردوس بمأثور الخطاب: ٣١٥/٤؛ كتاب المجروحين: ١٢١/١؛ العلل المتناهية: ٦٣٢/٢.

٢. في صحيح البخاري: ١٩٨٧/٥، ح ٤٨٨٩: «وإن استمعت بها استمعت بها وفيها عوج»؛ وراجع:

مسند الشهاب: ٢٨٦/٢، ح ١٣٧٥؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ١٤٧/٤، ح ٦٤٥١.

٣. جمع الكور، وهو بحمرة الحذاء.

٤. كلّ مشرعة إلى الماء.

٥. قاله ابن السكيت، راجع: المخصص: ٤٣٦/٣؛ أخبار أبي القاسم الزجاجي: ٤١.

٦. الفتح: ٦.

٧. البقرة: ١٨٣.

كالميزان من أعطى الزيادة.

وجاء في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِذَا التَفَتَ أَعْرَضَ عَنْهُ»^(١)، أي رحمته.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ وَقَالَ: فِي الْخَيْرِ الْآخِرِ مِنَ الْقِيلُولَةِ. ومفهوم الخبر: أَنَّ مَا مَضَى مِنَ الْعُمُرِ لَا يَعُودُ، وَمَا يَأْتِي لَا يَعْلَمُ حَالَهُ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَهِيَ عَمْرُكَ فَاعْتَنِمَهَا؛ وَلَيْسَ مِثْلُهَا إِلَّا كَمِثْلِ الرَّكَّابِ الْمُسْتَظِلِّ تَحْتَ الشَّجَرَةِ لِلْقِيلُولَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الرِّوَا حَ تَرَكَهَا، أَوْ إِذَا اسْتَرَاحَ ذَهَبَ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ قَالَ: لَا يَعْتَمِدُ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ نِعْمَةً فَهِيَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ، كَمَنْ وَضَعَ إصْبَعَهُ فِي الْبَحْرِ وَأَخَذَ، فَكَمْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الدُّنْيَا، وَالْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَبْنِي عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا تِلْكَمُ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا»^(٢).

وتشبيه الآخرة بالبحر وإن كانت باقية وهذا فإن، للتقريب ولكثرة مائه في أعين الناس، وهو كقوله: «مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ»^(٣).

١. راجع: تفسير السلمى: ٣١٧/١؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٢٤ - ٥٢٥؛ مستدرک الوسائل: ٣٥/٣، ح ٢٩٥١.

٢. تنبيه الخفاطر: ٧٦/١؛ بحار الأنوار: ٣٢٦/١٤، باب ٢١، ح ٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٣٠/٤٧؛ قصص

الأنبياء: ٤٤٢/٢؛ ونقل عن بعض الحكماء، راجع: شرح نهج البلاغة: ٢٨٧/١٩.

٣. النور: ٣٥.

باب [١٤]

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ * وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةً * إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ ^(١) * إِذَا اسْتَشَاطَ السُّلْطَانُ تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ * إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ * إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ انْتَقَى الْمَوْتُ خِيَارَ أُمَّتِي كَمَا يَنْتَقِي أَحَدُكُمْ خِيَارَ الرُّطْبِ مِنَ الطُّبِّ * إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يَخْلِصُ الْكَبِيرُ الْحَبَثَ مِنَ الْحَدِيدِ * إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْفَادَ قَضَائِهِ وَقَدَرَهُ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ حَتَّى يَنْفَذَ فِيهِمْ قَضَاؤَهُ وَقَدَرَهُ

بَيَانُ الْخَبَرِ وَبَيَانُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ فِي تَامِهِ، قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا عِنْدَ مَوْتِهِ فَيَقْبِضُهُ عَلَيْهِ» ^(٢).

وَفِي رَوَايَةٍ: «يَبْنِي يَدِي مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ» ^(٣).
وَرَوَى: «قَبْلَ مَوْتِهِ» ^(٤).

١. زاد في خ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمَهُ»؛ ولكن لم ترد في المصدر هنا ولكن جاء في الباب الرابع وجاء بشرحه الشارح رحمته الله في ذلك الباب.

٢. مسند أحمد: ٢٠٠/٤، ح ١٧٨١٩؛ مسند الشهاب: ٢٩٣/٢، ح ١٣٨٨؛ جامع الأحاديث: ١٥٥/١، ح ٩٤٩.

٣. مسند أحمد: ٢٢٤/٥، ح ٢١٩٩٩؛ مسند عبد بن حميد: ١٧٥، ح ٤٨١؛ جامع الأحاديث: ٣٧/١٠، ح ٢٩٢٠١.

٤. مسند أحمد: ٢٠٠/٤، ح ١٧٨١٩؛ المعجم الكبير: ١٧٤/٨، ح ٧٧٢٥؛ كنز العمال: ٤٤/١١، ح ٣٠٧٦٣.

فشبهه العمل الصالح الذي يفتح له ويوفق بالعسل، أي يكون عمله الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه كالعسل الذي يجعل في الطعام فيحلوه به ويطيب. وقيل: جعله أخلاقه حلوة كالعسل، ويجوز أن يكون من العسلان وهو العدو. وروي: «عسله» بالتخفيف والتشديد.

ويروى في رواية في تمامه: «يحببه إلى جيرانه»^(١). وقيل: طيب ثناؤه في أفواه الناس. قال: «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»^(٢). ويقال: عسلت الطعام، أعسله؛ أي عملته بالعسل، وزنجبيل مُعَسَّلٌ: معمولٌ بالعسل.^(٣)

وقيل: وفقه الله بعمل صالح يتحف به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل. ومن روى «عَسَلَهُ»^(٤) - بالغين المعجمة - أراد: وفقه الله لعمل يغسل به ما قبله، وهو التوبة؛ وإلا فلا إحباط بين الطاعة والمعصية. **بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ** والخبر الثاني سبعة^(٥) من قوله تعالى: «وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»^(٦)، ولا بد لكل نفس أن يدفن حيث قدر الله تربيته. روي: «أن رجلاً كان قاعداً عند سليمان النبي ﷺ يوماً، فدخل عليه عزرائيل

١. شرح مشكل الآثار: ٥٣/٧؛ المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها: ٦١، ح ١١٠؛ كنز العمال: ٤٧/١١، ح ٣٠٧٩٨.

٢. الشعراء: ٨٤.

٣. راجع صحاح اللغة: ١٧٦٤/٥.

٤. الأحاد والمثاني: ١٥/٤، ح ٢٣٤٠؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٤٤/١، ح ٩٤٥؛ جامع الأحاديث: ٣٨/١٠، ح ٢٩٢٠٣.

٥. كذا في خ.

٦. لقمان: ٣٤.

ليسلم عليه، فرأى ذلك، فنظر في وجهه وانصرف. وقال الرجل: من هو؟ يا رسول الله! فقد خفتُ منه عظيماً. فقال: هو ملك الموت. فقال: بالله عليك يقدم إليّ الريح لتحملني إلى أقصى الدنيا، فأمرها فحملته إلى آخر الدنيا فقبضه على الفور بذلك الموضع ملك الموت، وانصرف من ساعته، ودخل على سليمان، فقال له سليمان: أين كنت؟ فقال: أمرني الله بقبض روح ذلك الذي كان عندك في أرض كذا، فعجبت^(١) لِمَا رأيته عندك، فذهبتُ على ما أمرني الله، وإذا أنا بذلك الرجل في تلك الأرض فقبضته هناك^(٢). وعن أبي سعيد الخدري: «مرَّ النبي ﷺ بجنازة وضعت، فقال: من هذا؟ قالوا: فلان الحبشي. فقال: لا إله إلا الله، سبق من أرضه وسماه إلى تربته التي خلق منها^(٣)».

وروي: «أنه ﷺ وقف على قبر، فقال: سبحان الله! ولد هذا بأرض الحبشة، ودفن في تربته^(٤)».

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ ثُمَّ سَلَّى فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ عَبْدًا مَنَعَهُ حَطَامَ الدُّنْيَا، كَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَشْرَبَ مَرِيضَهُ الْمَاءَ إِذَا أَضَرَّهُ وَحَمَاهُ مَنَعَهُ. بَيِّنَاتُ الْجَبَرِ و«استشاط»: اِحتَدَمَ^(٥) وتلهَّبَ وتحرَّقَ غضباً، وهو استفعال من شطوطة^(٦) الزيت، وفيه تحذير على صحبة السلطان، وحثٌّ للسلطان على محافظة حال نفسه، بأن لا يسخط على الرعيَّة، فإنَّه إن غضب على أحد تسلَّطَ عليه إبليس بالوسواس

١. في خ: فنعمت.

٢. راجع: المصنَّف (لابن أبي شيبة الكوفي): ٧٠/٧، ح ٣٤٢٦٨؛ الزهد لابن حنبل: ٤١؛ حلية الأولياء: ١١٨/٤.

٣. المستدرک: ٣٦٧/١؛ تعزية المسلم: ٦٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢١٤/٣٠.

٤. لم أقف عليه.

٥. كذا في خ وتاج العروس، وفي أكثر معاجيم اللغة: احتدَّ.

٦. كذا في خ، وفي الفائق في غريب الحديث: ٢٢٦/٢؛ وشيطة.

حتى يوقعه في المآثم.

يُنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ طَيَّبَ قُلُوبَ الْمَمَالِكِ بِأَتَمِّهِمْ إِذَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ اللَّهِ وَنَصَحُوا لِمَوَالِيهِمْ كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ ضَعْفٌ مَا يَكْتُبُ لِلْأَحْرَارِ^(١). وَنَبَّهَ عَلَى أَنْ لَا يَقَالَ لِصَاحِبِ الْعَبْدِ: رَبِّ، وَإِنَّمَا يَقَالُ: سَيِّدُ؛ لِأَنَّ مَرْجِعَ السِّيَادَةِ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدِهِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ قَالَ: إِذَا قَرَّبَ قِيَامَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ أَشْرَاطُهَا انْقِرَاضُ الصَّلَاحِ وَذَهَابُ الْخِيَارِ، وَفِي ذَهَابِهِم الْوَهْنُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ يَتَنَاهَى إِلَى وَقْتٍ لَا يَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ.

يُنَالُ الْجَبَرُ ثُمَّ ذَكَرَ تَسْلِيَةً لِلْمَرْضَاءِ، فَقَالَ: إِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ حَالَةٌ^(٢) يَشْكُو مِنْهَا سَائِرَ الْخَلْقِ يَكُونُ وَجَعَهُ كَفَّارَةً لَذُنُوبِهِ، وَيَفَارِقُ عَنْهُ كَمَا يَفَارِقُ جَيِّدَ الْحَدِيدِ مِنْ رَدِيئِهِ فِي كَبِيرِ الْحَدَادِ. يُنَالُ الْجَبَرُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَقُولُ: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ - طَاعَاتِهَا وَمَعَاصِيَهَا - كُلَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، أَنْ يَسْتَدِلَّ بِالْخَبَرِ الْأَخِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْكَرُ أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ أَفْعَالَهُ تَعَالَى كُلَّهَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

وَمَعْنَى الْخَبَرِ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمْرُضَ إِنْسَانًا أَوْ يَمِيتَهُ أَوْ يَهْلِكَ مَالَهُ لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُ ذَلِكَ بِوَجْهِ وَسَبَبٍ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْعَقْلَ الَّذِي كَانَ يَدْفَعُ عَنْهُ بِاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ سَلَبَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ وَالْمَجَازُ فِي الْكَلَامِ لَثَلًا يَبْطُلُ دَلِيلُ الْعَقْلِ حَسَنًا، وَهَذَا أَحَدُ الْقَرَائِنِ الَّتِي تَوْجِبُ أَنْ لَا يَحْمِلُ الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ، بَلْ يَطَابِقُ دَلِيلَ السَّمْعِ عَلَى دَلِيلِ الْعَقْلِ.

١. خ: الأحرار.

٢. خ: حاله.

باب [١٥]

كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءٌ * كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى وَكَفَى
بِالْعِبَادَةِ سُغْلًا * كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقْوَتُهُ * كَفَى بِالمَرْءِ
إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ * كَفَى بِالمَرْءِ سَعَادَةً أَنْ يُوثِقَ فِي أَمْرِ
دِينِهِ وَدُنْيَاهُ

بَيَانُ الْجَبَرِ وللخبر الأول معنيان :

أحدهما : أن يقول: كفى بالرجل داءً في حال سلامته وصحته أن يكون متوقعاً
ومنتظراً بأن يفارق منه تلك السلامة وتذهب عنه تلك الصحة؛ فجعل ذلك التوقع
هماً وحزناً وداءً؛ وعلى هذا أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً.
ومعنى الثاني: اكتف أيتها السالم الصحيح! في يديك بهذه السلامة التي عندك داءً أن
لا يكتب لك أجر وعوض، وليس سلامتك التي لا تعبد الله فيها إلا حجةً عليك وداءً
ومضرةً، فمن حَقَّك أن تداوي داءك وتشتغل بشفاء نفسك بالطاعات والعبادات،
ليصير ما أنت فيه سلامة.

وقيل: معناه: كفاك داء، حيث يفارقك الصحة والسلامة.

و«كفى» يتعدى إلى مفعولين، و«الباء» زائدة؛ أي كفى بالسلامة داء، فحذف
الفاعل، لأن «كفى» يدل على «الكافي».

بَيَانُ الْجَبَرِ ثم حث ذكر الموت أبداً ونصبه بين العينين ليردعك عن المعاصي، فالموت
أبلغ وأعظم.

ثم قال: من تيقن أن الرزق من الله استغنى عن الخلق، فيكون نفسه غنى لا فقر عنه.

ثم حثَّ على العمل الصالح والاكتفاء بالعبادة عن تطلُّبِ شغلٍ؛ فإنَّها نفعُ عملٍ يُحمد ويثاب عليه.

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ يَكْفِي المرءَ من الإثمِ يَضِيعُهُ من لا كادَ له سواه فيبقى ضائعاً، ولعلَّ الله أنما يوسع عليه لعياله.

والأشهر في «كفى» أن يليه الفاعل، كما تقدَّم من قوله تعالى: «وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً»^(١)؛ وقد يليه المفعول كما في هذا الخبر، لأنَّ التقدير: كفى المرءَ إثماً تضييعه من يقوت؛ ذ «إثماً» تمييز ومفعول ثانٍ، لأنَّ «كفى» يتعدَّى إلى مفعولين، و«الباء» أيضاً زائدة كما كانت لما دخلت في الفاعل.

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ زَجَرَ أن يحدث إنسان بكلِّ شيء يسمعه، حتَّى يعلم ثم يحدث به إن كان فيه منفعة أو دفع مضرة.

وقال عليٌّ عليه السلام: «بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَرْبَعُ أَصَابِعَ، فَقِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَذُنِ، فَقَالَ: الْحَقُّ أَنْ يَقُولَ: رَأَيْتُهُ، وَالْبَاطِلُ أَنْ يَقُولَ سَمِعْتُهُ»^(٢).

بَيِّنُ الْجَبَرِ ثُمَّ رَغَّبَ في الأمانة وترك الخيانة ديناً ودنياً، فقال: السعيد كلُّ السعيد من كان ثقة عند الناس في الأمور الدنيئة والدنياوية، ولا يَتَّهِمُونَهُ بشيءٍ لأمانته الراسخة.

والوجوه التي ذكرناها في «كفى» و«الباء» يجوز في جميعها، وقوله: «أن يوثق به» يجوز أن يكون فاعل كفى و«المرءَ إثماً» مفعولان.

١. النساء: ٧٩.

٢. راجع: نهج السعادة: ١٢٣/٣؛ دستور معالم الحكم: ١٣٩-١٤٠؛ وكذا راجع: الخصال: ٢٣٦، ح ٧٨؛ بحار الأنوار: ١٩٦/٧٢، باب ٦٢، ح ١٠.

باب [١٦]

رُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ * رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ
مِنْهُ * رُبَّ حَامِلٍ حِكْمَةٍ إِلَى مَنْ هُوَ لَهَا أَوْعَى مِنْهُ * أَلَا رُبَّ
نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلَا رُبَّ
نَفْسٍ جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ فِي الدُّنْيَا طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلَا رُبَّ
مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ، أَلَا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ،
أَلَا رُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ أَوْزَتْ صَاحِبَهَا حُزْناً طَوِيلاً * رُبَّ قَائِمٍ
لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا
الْجُوعُ وَالْعَطَشُ * رُبَّ طَاعِمٍ شَاكِرٍ أُعْظِمَ أَجْراً مِنْ صَائِمٍ صَابِرٍ

رَبِّ لِلتَّقْلِيلِ وَ«كَمْ» لِلتَّكْثِيرِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ ثُمَّ يَتَدَاخِلَانِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يَقُولُ أَوَّلًا: كَمْ وَاعِظٌ نَفَعَ لِنَفْسِهِ بِمَا يَقُولُ مِنَ الْمُسْتَمْعِينَ وَأَحْفَظٌ لَوْعِظَهُ مِنَ
السَّامِعِينَ، فَيَنْتَفِعُ هُوَ بِذَلِكَ، وَيَصِيرُ حِجَّةً عَلَى مَنْ يَسْمَعُ. وَمَنْ رَوَى: «رَبِّ مُبْلَغٌ» -
بِفَتْحِ اللَّامِ - فَمَعْنَاهُ: رَبِّ تَلْمِيزٌ أَحْفَظُ مِنَ الْأُسْتَاذِ وَأَسْهَلُ تَخْرِيجاً؛ وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى ^(١)
أَصَحُّ. وَرَبِّ بَأَنَّ يَكُونُ فِي بَابِهِ أَحْسَنُ، أَيُّ: قَلَّمَا يَكُونُ مُبْلَغٌ شَيْءٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ
وغيرهما أَحْفَظُ مِنَ سَامِعٍ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ، فَيَهْمُ مِنْ يَضْبُطُ ذَلِكَ
وَنَعِيهِ.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ قَالَ: وَيَقُلُّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ يَحْمِلُ شَيْئًا مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ،

١. أَيُّ مَا تَقَلَّتْ بِلَفْظِهِ «مُبْلَغٌ».

أو يحمل شيئاً من الحكم المستخرجة باستعمال العقل إلى من هو أحفظ لها منه. وهذا وإن أقل فقد يكون.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ يُقَالُ: وعيت العلم، أي حفظته. قال تعالى: «أُذُنٌ وَإِعْيَةٌ»^(١)، وأنفعه العلم السمعي، والحكمة من السمعيات والعقليات معاً.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ ثُمَّ استفتح كلامه بـ «ألا» تنبيهاً وللوعظ البليغ، فقال: ألا! قد يكون نفوس في الآخرة رهائن جوع وعرى، وقد كانت في دار الدنيا في نعمة، ونعمه لاختيارها الدنيا على الآخرة؛ وقد يكون على عكس ذلك، فإن المؤمن إذا كان جائعاً عارياً في دنياه وصبر على ذلك احتساباً كان ذلك سبب أن يكون في الآخرة طاعماً ناعماً؛ وهذا ليس على العموم بل هو على الخصوص، لأنه قد يكون من المؤمنين يجمع خير الدنيا والآخرة.

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ مِنْ أَكْرَمِ نَفْسِهِ عَلَى مَذْهَبِ النُّخْوَةِ وَالْكِبَرِ وَاسْتِخْدَامِ النَّاسِ عِزَّةً وَقَهْرًا فَذَلِكَ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ إِهَانَةٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، وَعَلَى ضِدِّ ذَلِكَ مَنْ ذَلَّلَ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَتَوَاضَعَ الْمُؤْمِنِينَ تَعْظِيماً لِلَّهِ فَهَذَا هُوَ الْإِعْزَازُ وَالْإِكْرَامُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ؛ فَافْعَلُوا هَذَا وَاجْتَنِبُوا مِنْ ذَلِكَ لِتَكْرُمُوا فِي الدَّارَيْنِ.

ثُمَّ حَذَّرَ مِنْ تَتَبُّعِ الشَّهَوَاتِ فَقَالَ: إِذَا دَعَاكَ الشَّهْوَةُ إِلَى شَيْءٍ فَانْظُرْ: فَإِنْ كَانَ فِي مَبَاحٍ فَاقْتَصِدْ، وَإِنْ كَانَ الْمَشْتَهَى مُحَرَّمًا تَنَاوَلْهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ، فَقَدْ يَكُونُ شَهْوَةٌ سَاعَةً يورث الإنسان حزناً يطول ثباته.

وَقِيلَ فِي سَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّهُ أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ الْجُوعُ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: أَلَا رَبِّ نَفْسٍ طَاعِمَةٌ إِلَى آخِرِهِ^(٢).

١. الحاققة: ١٢.

٢. مسند الشهاب: ٣٠٨/٢، ح ١٤٢٣؛ الآحاد والمثاني: ١٦٥/٥، ح ٢٧٠٣؛ الطبقات الكبرى: ٤٢٣/٧.

وقال علي عليه السلام: «رُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَابٍ»^(١).

وعن الحسن بن علي عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ [عَقْلاً] دُونَ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَرَكَّبَ فِي الْحَيَوَانَاتِ هَذِهِ الشَّهْوَةَ دُونَ الْعَقْلِ، وَرَكَّبَهُمَا^(٢) فِي بَنِي آدَمَ، فَمَنْ تَبَعَ عَقْلَهُ وَتَرَكَ شَهْوَتَهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْعَقْلَ وَتَبَعَ شَهْوَتَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَأَضَلُّ»^(٣).

فن ههنا من اتبع العقل وترك هواه لا يندم على فعل قط، وإذا أتى ما يأمره الهوى يندم على ذلك ويصيبه حزن طويل.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى الطَّاعَةِ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، بِأَنْ قَالَ: قَدْ يَكُونُ مَنْ يَصَلِّي طَوْلَ لَيْلِهِ وَلَا ثَوَابَ لَهُ، وَيَصُومُ كَثِيراً وَلَا جِزَاءَ لَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ نَصِيْبُهُ مِنْ ذَلِكَ سَهْرَ اللَّيْلِ وَالْجُوعَ وَالْعَطَشَ بِالنَّهَارِ.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَطْعَمُ وَيَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لَا يَكُونُ لَصَائِمٍ لَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِخْلَاصٌ.

١. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام: ٢٧٨؛ وفي مصادر الحديثية الشيعية: «كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ...»، راجع: نهج البلاغة: ٥٠١، حكمة ١٧١.

٢. خ؛ وركبها.

٣. نقلت في المصادر الحديثية عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأيضاً نص الرواية يختلف يسيراً في المصادر مع ما في المتن؛ راجع: علل الشرايع: ٥٤/١؛ بحار الأنوار: ٢٩٩/٥٧، باب ٣٩، ح ٥.

باب [١٧]

لَوْ لَا أَنَّ السُّؤَالَ يَكْذِبُونَ مَا قُدِّسَ مَنْ رَدَّهُمْ * لَوْ تَعْلَمُونَ مَا
أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا * لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ
مَا يَعْلَمُ ابْنُ [آدَمَ مَا] أَكَلْتُمْ مِنْهَا سَمِينًا * لَوْ رَأَيْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ
لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ * لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي جُحْرِ فَأَرَةً لَقَيَّضَ
اللَّهُ فِيهِ مَنْ يُؤْذِيهِ * لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا
سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ * لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ
لَا يَبْتَغِي إِلَيْهِمَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ
عَلَى مَنْ تَابَ * لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا
يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِفَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا * لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ
عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، الْعُجْبُ الْعُجْبُ * لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ

بَيَانُ الْجَبَرِ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ حَتَّى عَلَى إعطاء السائل ونهى عن رده، فقال: لو لا أن هؤلاء
الذين يسألون الناس يكونون كاذبين، وربما منع المسؤول بعضهم ظناً منه أنه يكذب
فما يظهر من الاحتياج والاجتياح^(١)، ما طهر من الآثام من ردهم ولا يعطيهم.
وروي: «ما أفلح من ردهم»^(٢)، أي ما ظفر بخير من دافعهم وخيبهم لو لم يكن

١. الإهلاك.

٢. المعجم الكبير: ٢٤٦/٨، ح ٧٩٦٧؛ الفردوس بآثور الخطاب: ٣٥٥/٣؛ جامع الأحاديث: ١٤٠/٦، ح ١٧٧٢٥.

الكذب فيهم.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لو نظرتُم فيما نظرتُم^(١) وتفكرتُم كثيراً لعلمتُم ما أعلم، ولو تعلمون^(٢) بعض ما أعلمه من أحوال وأهوال لضحكتم ضحكاً قليلاً إلا تبسماً لفرح ملاقات المؤمنين أو لتعجب، وكان بكاؤكم كثيراً خوفاً من وعيد الله.

وقيل: ذكر قلّة الضحك والمراد نفيه، كقوله: «قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»^(٣)، أي لا ينكرون البتّة، و«ما» إذا كانت موصولة فعمومها دون عموم «الذي»، لأنّه أمّ الباب، سيّما إذا حذف العائد من الصلة إليه.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ قَالَ: لو علمت البهائم ما علمتُم من الموت لم تُسمن، فإذا لم تُسمن ما أكلتم منها سميناً.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ثُمَّ حَذَّرَ مِنَ الْأَمَلِ الَّذِي يَغُرُّ الْإِنْسَانَ، فقال: لو نظرتُم إلى قرب وقت موتكم منكم لأبغضتم هذه الآمال الكاذبة وغرورها فانظروا إلى مسير الأجل لتبغضوا غرور الأمل، و«الأجل» و«الأمل» المراد بهما العموم والجنس.

و«المسير» مصدر السير، وأكثره يقع على ذهاب الليل، وههنا أراد به المجيء، لأنّ الأجل تجيء ولا تذهب.

وقيل: المراد به الذهاب، لأنّ الإنسان يسير إليه.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وبيان الخبر الخامس في تمامه: «ليكثر ثوابه»^(٤)، أي: أنّ المؤمن لا يخلو من نصب أو تعب في الدنيا، لأنّها لا تخلو من الفتن والمحن. ومعنى «لَقِيَّضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ

١. في خ: لو نظرت.

٢. في خ: يعلمون.

٣. الأعراف: ٣.

٤. لم أقف على مصدره.

يؤذيه» على المجاز، أي: لسبب الله له عدواً تناله مضرته ومشقته.
وقال عليه السلام: «ما من مؤمن إلا قيض الله له جاراً يؤذيه، فإن صبر على أذاه أجره الله»^(١).

بيان الخبر وقوله: «ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة» معناه: ليست الدنيا كلها إلا تفضلاً من الله تعالى على عباده، فلو كانت على سبيل الاستحقاق وكان قيمتها مثل جناح بعوضة لما سقى الله من كفر به شربة ماء منها.

وقيل: بيان الخبر في قوله تعالى: «وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ» إلى قوله: «لِلْمُتَّقِينَ»^(٢).

بيان الخبر ثم قال: إن أكثر بني آدم غلب عليهم الأطماع، بحيث لو كان له وادٍ مملوء من ذهب جيد لا غش، لطلب وادياً آخر مثل ذلك منضمّاً إلى الأول؛ وإذا كان الأمر على [ذلك] فابن آدم إنما قطع طمعه من حطام الدنيا إذا سلم إلى التراب واللحد؛ ويقبل الله توبة من رجع إليه وندم مما كان عليه.

و«تاب الله على العبد» له معنيان: أحدهما: أي قبل الله توبته. والثاني: أي ألقى الله التوبة عليه، يعني وقفه الله للتوبة؛ و«يتوب الله على من تاب» يجوز أن يكون دعاءً، ويجوز أن يكون خبراً يحث به على الزهد ومال^(٣) الدنيا.

وليس الخبر على الشيعاء والعموم بحيث لا يكون أحد من بني آدم إلا كذلك، ألا ترى أنه قد كان لله عباد حقّروا^(٤) ولو جعلت الجبال ذهباً لم يلتفتوا إليها.

١. راجع: تنزيه الشريعة: ٣١٣/٢، ح ١٠٥؛ وكذا راجع: الفردوس بمأثور الخطاب: ٧٧/٤، ح ٦٢٣٩؛ جامع

الأحاديث: ٩٣/٦، ح ١٧٤١٤.

٢. الزخرف: ٣٣ - ٣٥.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: في مال.

٤. في خ: حفروا.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ حَتَّ عَلَى حَسَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَالثِّقَةِ بِجَمِيعِ صَنْعِهِ وَحَسَنِ تَدْبِيرِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الطُّيُورَ لَمَّا كَانَ اعْتِمَادُهَا عَلَى اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَالٌ وَلَا كَسْبٌ غَدَتْ جِيَاعاً وَرَاحَتْ شَبَاعاً. و«البطان»: الممتلئة من الأكل والشرب، و«الخصاص» على ضِدِّ ذَلِكَ، جمع خَمِيصٍ وهو ضامر البطن من الجوع.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْعَجَبَ أَعْظَمُ مِنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، فَلَوْ لَمْ يَذْنِبْ ابْنُ آدَمَ وَعَجِبَ مِنْ نَفْسِهِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَجَبٌ بِسَبَبِ صَلَاتِهِ وَصَوْمِهِ وَزَكَاتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَكَانَ هَذَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ ذَكَرَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَكُونُوا أَتْيَاهَا الْحَاضِرُونَ مَذْنِبِينَ وَاسْتَعْفَيْتُمْ فَرَضاً وَتَقْدِيرًا لَكَانَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مَنْ يَرْتَكِبُ الْجَرَائِمَ وَيَقْتَرِفُ^(١) مِنَ الْعِظَائِمِ، وَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ وَيَغْفِرُ عَنْهُ تَفَضُّلاً وَكِرْماً بَعْدَ أَنْ كَانَ مُؤْمِناً، وَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ.

مركز تحقيق تكوير علوم راسدي

باب [١٨]

يتضمن كلمات رويث عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى

يقول الله ﷻ :

أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي [وَأَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي] * وَجَبَتْ مَحَبَّتِي
لِلْمُسْتَخَائِبِينَ فِيَّ وَالْمُسْتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُسْتَزَاوِرِينَ فِيَّ *
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي مَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي * اَشْتَدَّ
غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي * يَا دُنْيَا مُرِّي
عَلَى أَوْلِيَائِي، وَلَا تَحْلُولِي لَهُمْ فَتَقْتَنِيهِمْ * يَا دُنْيَا اخْدُمِي مَنْ
خَدَمَنِي وَأَتَعِبِي مَنْ خَدَمَكَ * مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي
بِالْمُحَارَبَةِ وَمَا رُدِّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ مِثْلُ مَا رُدِّدْتُ فِي قَبْضِ
نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ وجه الحديث الأول هو: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ثُمَّ تَابَ تَوْبَةً
نُصُوحاً وَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(١) كُلَّهُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ؛ وَكَذَلِكَ
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَابَ وَكَانَ حَسُنَ الظَّنُّ بِرَبِّهِ، يَغْفُو عَنْهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الظَّنُّ هَهُنَا بِمَعْنَى
الْعِلْمِ.

وقيل: معناه: أنا عند ظنّ عبدي بالفضل والعدل، فإن ظنّ أنّه يعدل أو يفضل فإنّه تعالى به كما ظنّ، وأنا كائن مع عبدي بالعون والنصرة والحفظ والكلاءة والفضل والإحسان إذا ذكرني بالرفقة والرحمة.

وتأمله: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»^(١)، أي قريب أسمع دعائي به، وأجيبه عليه.
 بيان الخبر ثم قال: إنّ الله تعالى يقول: لوجبْتُ على نفسي أن أثبت هؤلاء الأربعة، وأشهدت ملائكتي على ذلك؛ ولا يجب شيء على الله، وإنما الله إذا وعد بشيء أن يفي به فكأنّه واجب، لأنّه تعالى لا يخل بذلك البتّة. ومحبة الله للعبد إرادته أن يشيبه، يعني الذين يتحابّون لوجه الله ويتجالسون لخدمة الله ويتعاطون لرضا الله ويتزاور بعضهم بعضاً تقرباً إلى الله يشبههم الله البتّة ثواباً عظيماً.
 ورويت على التثنية^(٢).

بيان الخبر ثم حكى عنه أنّه قال: من أتى بكلمة «لا إله إلا الله» مخلصاً وأقام على شرائطها متيقناً، فهو في أمان وحصني في الدارين، أكفيه وسواس الشيطان، وأعصمه من اقتراف الذنوب، وأوفقه للقيام بالواجبات؛ فيأمن عقابي. و«الحصن» كناية عن الجوار.

بيان الخبر ثم ذكر ما فيه تحذير عن الظلم سيّما على الضعفة الذين لا يكون لهم عون غير الله، «والله عزيز ذو انتقام»^(٣)، ينصر المظلوم ويخذل الظالم.
 بيان الخبر وقوله: «مُرِّي على أوليائي» من مرّ الشيء يَمُرُّ بالفتح مرارَةً فهو مُرٌّ، وأمرٌ أي

١. مسند أحمد: ٤٤٥/٢، ح ٩٧٤٨؛ سنن الترمذي: ٥٩٦/٤، ح ٢٣٨٨؛ جامع الأحاديث: ٣٥٦/١٠، ح ٢١١٨.

٢. أي: للمتحابين في المتجالسين في المتبازلين في المتزاورين في.

٣. آل عمران: ٤.

صار مُرّاً، ويقال: أمره غيره أيضاً.

خاطب الدنيا وأمرها بأن تكون مرةً على أوليائه، لأنها لو كانت حلواً عليهم لأوقعتهم في الفتن؛ وهذا الخطاب والأمر من الله تعالى مجاز واستعارة^(١)، لأن مخاطبة الجهاد غير صحيحة على سبيل الحقيقة؛ ومفهوم ذلك: أن الله قد قدر وقضى أن الدنيا تكون مرةً على عباده المخلصين، ولا تكون حلواً لهم لئلا يفتنوا.

وقيل: الخطاب مع الملائكة الموكلين بتدبير الأرض.

يَنَالُ الْجَبَرُ وقوله: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» معناه: أن من عادى أوليائي وأهان بأمرهم ونهيهم ولا تطيعهم، فإنه يعاديني ويحاربنني؛ وهذا نهي عن الوقعة في أولياء الله.

واعلم: أن التردد في صفات الله غير جائز، و«البداء» عليه غير سائغ، وتأويله

على وجهين:

أحدهما: أن المرء قد يُشرف في أيام عمره على الهلاك مرّاتٍ من داء يصيبه وآفة تنزل به، فيدعو الله فيشفيه منها، ويدفع مكروهاً منه، فيكون ذلك من فعله؛ كتردد من يريد أمراً، ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه، ولا بدّ له من لقاء ربه، وهذا معنى ما روي: «إن الدعاء يردّ البلاء»^(٢).

والوجه الثاني: أن يكون معناه: ما ردّدت رسلي في شيء أنا فاعله تردّدي إليّهم في قبض نفس عبدي المؤمن.

١. خ: استعار.

٢. طب الأئمة (عليهم السلام): ١٥؛ بحار الأنوار: ٣٦٥/٩٠، باب ١٣، ح ١٠؛ الجامع الصغير: ٦٥٦/١، ح ٤٢٦٥؛ كنز

العمال: ٦٣/٢، ح ٣١٢١.

كما روي أنه بعث ملك الموت إلى إبراهيم^(١) وإلى موسى^(٢) وإلى محمد^(٣) - عليه وعليهما السلام - أن الله يقول: إن الله قبض أرواحكم إليكم إن شئتم قدّمت وأخرت. وليس في تقديم أجل العبد وتأخير من قبل الله بمنكر، فإن الله تعالى يقول: «يَمُوتُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٤)، فأما قوله: «إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ»^(٥)، فعنايه: إذا أراد الله قبض أرواحهم فلا يمكنهم تأخير ذلك قهراً، وإذا دعا الله العبد وكان قبل ذلك مصلحته أن يعيش مثلاً ثلاث سنين لا يستبعد أن يجعل الله ثلاثين سنة عمره.

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا بعد كل مكتوبة: اللهم إن الصادق عليه السلام^(٦) قال: إنك قلت: ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، اللهم صل على محمد وآل محمد، وعجل لوليّك الفرج والعافية والنصر، ولا تسؤني في نفسي ولا في أحد من أحبتي؛ عاش حتى ملّ الحياة»^(٧).

ومن الناس من يروي هذا الخبر على خبرين:

أحدهما: «ما ترددت في شيء أنا فاعله»؛ أي: أتى كلّما أخلق شيئاً وأصنعه وأفعله فإن داعي الحكمة يدعوني إلى ذلك، فلا تردّد لي فيه كمن لا يعلم عواقب الأمور.

١. تاريخ مدينة دمشق: ٢٥٢/٦.

٢. راجع: الأمالي: ٣٠٣، مجلس ٤١، ح ٢؛ بحار الأنوار: ٣٦٥/١٣، باب ١٢، ح ٨.

٣. راجع: المعجم الكبير: ٦٢/٣-٦٣؛ الموضوعات: ٢٩٨-٢٩٩.

٤. الرعد: ٣٩.

٥. يونس: ٤٩.

٦. في بعض المصادر: إن الصدق المصدّق محمداً...؛ راجع: الدعوات: ١٣٤، ح ٣٣٢.

٧. مصباح المتبجّد: ٥٨؛ فلاح السائل: ١٦٨؛ بحار الأنوار: ٧/٨٣-٨، باب ٣٨، ح ٧.

والخبر الآخر: «ما ترددت في قبض نفس عبدي» (إلى آخره)؛ ويكون «ما» هذه أيضاً نافية وجوابه محذوف.

وعلى الوجه الأول الذي هو حديث واحد - وهو الصحيح - «ما» الثانية مصدرية، أي: ما رددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي؛ فكان هذا المعنى التبس على من روى ذلك على خبرين.

وَمَا يَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَلَا تَعَبَّدَ لِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ * يَا مُوسَى لَمْ يَتَصَنَّعِ الْمُتَصَنِّعُونَ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَيَّ الْمُتَقَرَّبُونَ بِمِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَعَبَّدْ لِي الْمُتَعَبِّدُونَ بِمِثْلِ الْبُكَاءِ مِنْ خِيفَتِي * هَذَا دِينُ ارْتِضَائِي لِنَفْسِي وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرَمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ * إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي مُصِيبَةً فِي مَالِهِ وَبَدَنِهِ أَوْ وَلَدِهِ ^(١) ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوانًا * الْكِبَرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَسَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا الْقَيِّمَةُ فِي النَّارِ

الصحيح أن هذا من تمام الخبر الأول أي: من زهد في الدنيا رغب في الآخرة لأنها ضرّتان ^(٢). ثم ذكر تعظيم أمر الفرائض فتواها أجل.

بَيِّنَاتُ الْخَبَرِ ومعنى الخبرين الآخرين: أنه لم يأت أحد بفعل طلب رضائي خير من الزهد

١. في ص: في بدنه أو ماله أو ولده.

٢. قال عيسى عليه السلام: «مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا سَخِطَتِ الْآخَرَى».

راجع: روضة الواعظين: ٤٤٨؛ مشكاة الأنوار: ٤٦٧.

في الدنيا، وكذلك لم يتقرب أحد بعمل يرجو بذلك قربي وعفوي أفضل من الورع، وكذلك لم يأت أحد بعبادتي أفضل وأزكى من البكاء من خشيتي.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ ومعنى الخبر: الزموا السخاء وحسن الخلق تكثرماً للدين إذا أردتم صحبته والنجاة به عاجلاً وآجلاً.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«الصبر الجميل» صبر لا شكوى فيه، وهو حبس النفس عن الموعود بمجيء المضمون. وقوله: «استحييت»، فالاستحياء في صفة الله تعالى هو الترك.

بَيِّنَاتُ الْخَيْرِ و«الكبرياء والعظمة» صفتان لله اختص بهما، ولا يشركه فيها أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل.

وضرب الرداء والإزار مثلاً في ذلك، لأنهما في الشاهد يشتملان صاحبهما بحيث لا يصلان إلى غيره، فاستعير ههنا، لأنه كما لا يشرك الإنسان في إزاره وردائه أحد، فكذلك لا يشرك الله أحد من المخلوقين في الكبرياء والعظمة.

باب [١٩]

في الدعاء الذي يختم به هذا الكتاب

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ
لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ [اللَّهُمَّ إِنِّي] أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ
* اللَّهُمَّ إِنِّي [أَعُوذُ بِكَ] أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ
أُظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ وَصَبْرًا عَلَى بَلِيَّتِكَ وَخُرُوجًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى
رَحْمَتِكَ * اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي * اللَّهُمَّ [كَمَا] حَسَنْتَ خَلْقِي
فَحَسِّنْ خُلُقِي * اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ وَاعْفُ عَنِّي * اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي مَا أَخْطَأْتُ وَمَا تَعَمَّدْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا
جَهِلْتُ وَمَا عَلِمْتُ

يُنَالِ الْجَبَرُ يَقُولُ أَوَّلًا: يَا رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ أَحْصَلَهُ بِجُهِدٍ وَمَشَقَّةٍ وَنَظَرٍ وَتَفَكُّرٍ، ثُمَّ
لَا يَعُودُ إِلَيَّ نَفْعُهُ وَلَا يَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِي فِي الْآخِرَةِ، مِنْ حَيْثُ لَا أَعْمَلُ بِهِ وَلَا أَعْلَمُهُ
غَيْرِي؛ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَطْمَئِنُّ لِأَمْرِكَ بِخُشُوعٍ وَلَا لَطَاعَتِكَ بِخُضُوعٍ،
وَلَا تَهْتَدِي إِلَى رِضَاكَ بِرَجُوعٍ؛ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يَجَابُ وَنِدَاءٍ لَا يَسْتَجَابُ؛
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَخْتَصِرُ عَلَى قَلَّةِ الْأَكْلِ، وَلَا تَشْبَعُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ.

استعاذ عَلَيْهِ السَّلَام بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهَا آفَاتٌ لِنُفُوسِ الطَّاعَاتِ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ يَا رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ ضَالًّا أَوْ مُضَلًّا، أَيْ بَأَنْ يَنْصَبَ لِي أَحَدٌ تَرْبِيَّتَهُ أَوْ أَكُونَ سَبَبًا لِتَرْبِيَةِ الضَّالَّةِ؛ وَأَصِيرُ ذَلِيلًا أَوْ مَذَلًّا، بَأَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ سَبَبًا لِمِثْلِي، أَوْ أَكُونَ سَبَبًا لِمِثْلِهِ أَحَدٌ؛ أَوْ أَكُونَ ظَالِمًا عَلَى أَحَدٍ، أَوْ يَظْلِمَ أَحَدٌ عَلَيَّ؛ أَوْ أَدْعُو إِلَى جَهْلِ، أَوْ يَجْهَلُ عَلَيَّ أَحَدٌ، أَوْ يَدْعُونِي أَحَدٌ إِلَى الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ.

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِيضًا، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو بِهِذَا، وَيَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ، فَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْرَهُهُ، فَشَفَاهُ اللَّهُ عَاجِلًا^(١).

فَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْعَافِيَةَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّ فِي هَذِهِ الْعَلَّةِ لَا أَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِمَّا أَنْ تَحْيِيَنِي وَيُرِيدَ أَنْ يَكُونَ حَالَتِي بِمَرَادِي أَوْ بِمَرَادِكَ؛ وَإِمَّا أَنْ تَمِيتَنِي وَمَرَادِي تَعْجِيلَ الْعَافِيَةِ، فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَمِيتَنِي فَأَخْرِجَنِي إِلَى رَحْمَتِكَ. يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ طَلَبَ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْرِفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ، وَطَلَبَ أَنْ يَخْتَارَ تَعَالَى لِنَفْسِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»^(٢).

يَا أَيُّهَا الْخَيْرُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَسْلَمْتُ خَلْقِي مِنَ الْعَاهَاتِ وَالْآفَاتِ، بَلْ حَسَّنْتَهُ، فَجَعَلْتَنِي أَصْبَحَ وَجْهًا وَأَمْلَحَ نَظْرًا مِنْ غَيْرِي؛ فَكَمَا أَحَسَّنْتَ فِي تَحْسِينِ صَوْرَتِي، فَكَذَلِكَ تَفَضَّلْ بِتَحْسِينِ خَلْقِي.

وَيَسْتَحَبُّ قِرَاءَةَ هَذَا الدُّعَاءِ إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ فِي الْمِرْآةِ^(٣).

١. مسند الشهاب: ٣٣٣/٢-٣٣٤، ح ١٤٧٠؛ الدعوات: ١٩٢-١٩٣، ح ٥٣١؛ مهج الدعوات: ٧٣؛ بحار الأنوار: ٢١٤/٩١، باب ٣٨، ح ١١.

٢. القصص: ٦٨.

٣. راجع: مسند الرضا: ١٠١؛ تحف العقول: ١١؛ بحار الأنوار: ٦٥/٧٤، باب ٣، ح ٥؛ الأذكار النوية: ٣٠٨.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ و«العفو»: الإغماض^(١) عن الذنوب.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطَايَ وَعَمْدِي وَإِسْرَارِي وَإِعْلَانِي وَجَهْلِي وَعِلْمِي.
و«ما» يجوز أن يكون موصولةً، ويجوز أن يكون مصدريةً.

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا وَأَنْتَ وَلِيُّهَا
وَمَوْلَاهَا * اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ وَأَذْرَأُ بِكَ فِي
نُحُورِهِمْ * بِكَ أَحَاوِلُ وَبِكَ أَقَاتِلُ وَبِكَ أَصُولُ * اللَّهُمَّ وَاقِيَهُ
كَوَاقِيَةِ الْوَلِيدِ * اللَّهُمَّ أَذَقْتُ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نِكَالاً فَأَذِقْ آخِرَهُمْ
نَوَالاً * اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا * إِلَيْكَ انْتَهَتْ الْأُمَانِي يَا
صَاحِبَ الْعَافِيَةِ * رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَاجِبْ
دَعْوَتِي * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشَةً سَوِيَّةً وَمَيِّتَةً نَقِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ
مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! اعْطِ نَفْسِي حِظًّا مِنَ التَّقْوَى لِتَخْلُصَ بِهَا عَنِ الْهَوَى، يَعْنِي:
افْعَلْ بِنَفْسِي الْطَافاً تَقَرَّبَنِي مِنَ التَّقْوَى؛ وَأَضَافَ التَّقْوَى إِلَى النَّفْسِ إِعْلَاماً أَنَّهَا فَعَلَهَا
لَا فَعَلَ اللَّهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ تَعَالَى؛ فَسَأَلَ اللَّهَ: أَوَّلَ التَّوْفِيقِ لِلتَّقْوَى، ثُمَّ
الْعَصْمَةَ مِنَ الْهَوَى بِقَوْلِهِ: «وَزَكَّاهَا» فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ثُمَّ قَالَ مَا فَعَلَ اللَّهُ فِي الْهَاضِي مَعَهُ بِأَنْ
طَهَرَ نَفْسَهُ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ! أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ الْأَعْدَاءِ، وَاسْتَدْفَعُ بِقُوَّتِكَ شَرَّ
الضَّغَائِنِ الَّتِي فِي نُحُورِهِمْ. و«الدرأ»: الدَّفْعُ؛ وَإِنَّمَا اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ
لَا يَخَافُونَ اللَّهَ.

«وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى! حق أن يخاف ممن لا يخافني»^(١).

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ بك يا رب أحتال وأطلب، يقال: ما للرجل حول ولا محالة، ومنه قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: لا حيلة في دفع سوء ولا قوة درك خير إلا بالله.

وفيه وجه آخر، وهو أن يكون معناه الدفع والمنع من قولك: حال بين الشيتين، إذا منع أحدهما عن الآخر؛ فقوله: «بك أحاول»، أي: لا أمانع ولا أدفع إلا بك.

وقوله: «وبك أصول»، أي: بك أحمل على العدو. وروى: «وبك أصاول»^(٢)، أي أواثب. وروى: «أنه إذا لقي العدو كان يقول: اللهم بك أحول وبك أصول»^(٣). وهو من حال يحول حيلة بمعنى احتال، والمراد كيد العدو. وقيل: هو من حال بمعنى تحرك.^(٤)

يَبَيِّنُ الْجَبَرُ و«الواقية» مصدر كالعافية والكاذبة.

وقيل: معناه: يا رب! أسأل من فضلك أن تجعلني في واقيتك وحفظك، كما جعلت الوليد في كلاءتك.

وقيل: هو^(٥) موسى لما خرج أبوه من عنده وترك أمه وغنمه، ووضعته أمه في مفازة

١. في الفتوحات المكية: ٣٨/٢: «يا موسى! خفي، وخف نفسك - يعني هواك - وخف من لا يخافني»؛ وكذا نقلت في وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام كذا: «أوصاني أبي - رضي الله عنه - قبل موته بثلاثين خصلة، قال: يا بني! إن أنت عملت بها في الدنيا سلمك الله من شر الدنيا والآخرة. قلت: وما هي يا أبا؟ فقال: احذر من الأمور ثلاثاً، وخف من ثلاث، وارج ثلاثاً، ووافق ثلاثاً، واستحي من ثلاث، وافزع إلى ثلاث، وشغ على ثلاث، وتخلص إلى ثلاث، واهرب إلى ثلاث، واهرب من ثلاث، وجانب ثلاثاً؛ يجمع الله بذلك حسن السيرة في الدنيا والآخرة.... خف الله وخف من لا يخاف الله وخف لسانك...»، راجع: دستور معالم الحكم: ٧٩؛ عيون الحكم والمواعظ: ١٠٥.

٢. سنن الدارمي: ٢٨٥/٢، ح ٢٤٤١؛ المعجم الكبير: ٤٠/٨، ح ٧٣١٨؛ جامع الأحاديث: ١٧٠/٣، ح ٧٩٦٠.

٣. مصنف عبد الرزاق: ٢٥٠/٥، ح ٩٥١٧؛ وكذا راجع: المعجم الكبير: ٣٤٩/١١، ح ١١٩٨٠.

٤. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٢٩٠/١.

٥. الوليد: زاد في خ: أن.

لا وافي لهم غير الله.

وقيل: أراد به حبس الولدان، أي: قني واقيةً مثل واقيتك للولدان، فإنك تحفظ الصبي عن المهالك مع فرط غفلته، فكذلك قني بفضلك عما لا أحاذر في الدنيا والآخرة. ويروى: «كواقية موسى»^(١)، وذلك حين ألقته أمه في التابوت وألقت التابوت في البحر، فردّه إليها سالماً من غير إصابة بلاء، فكذلك سلّمني من الآفات. و«واقية» نصب على المصدر، ومحلّ الكاف نصب لأنّه صفة، أي قني واقيةً مثل واقيتك الوليد، والمصدر الثاني مضاف إلى المفعول.

والصحيح: أن المراد بالوليد موسى، لقوله تعالى: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا»^(٢)، ولقوله: «أَوْ تَتَّخِذْهُ وَلَدًا»^(٣)؛ وفي المثل: الواقية خير من الراقية،^(٤) أي حفظ الله خير من رقيتك. **بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ** و«النكال»: العبرة التي ينكل الرجل عندها، أي يجبن ويضعف؛ وأراد بنكال قريش ما جرى عليهم من القحط والجذب والقتال. وقيل: الرحال وما رماهم الله به من الأنكال والقيود والأغلال وشيئة الأعداء وهجران الأوطان.

وإنما دعا لهم لفرط محبته وشفقته عليهم.

بَيِّنَاتُ الْحَبَرِ وقال **عَلِيٌّ**: «بورك لأمتي في بكورها يوم سبّتها وخسيسها»^(٥).

١. لم توجد بهذا النص، نعم ورد في تفسير الوليد أن المراد منه «موسى» **عَلِيٌّ**؛ راجع: مجمع الأمثال: ٣٦٢/٢؛

النهاية في غريب الأثر: ٢٢٣/٥.

٢. الشعراء: ١٨.

٣. القصص: ٩.

٤. راجع: البصائر والذخائر: ٢٢٣؛ نثر الدرر: ٣٤/٦؛ مجمع الأمثال: ٣٧١/٢.

٥. جمال الأسبوع: ١١٥؛ بحار الأنوار: ٣٦/٥٦، باب ١٧، ح ٧؛ وكذا نقلت بلفظة: «بارك لأمتي...»؛ راجع:

الحصائل: ٣٩٤؛ بحار الأنوار: ٤١/١٠٠، باب ٣، ح ١.

وقال: «من بكر يوم السبت في طلب حاجة فأنا ضامن بنجاحها»^(١).

وبيان قوله: «بارك لأمتي في بكورها»، في تمامه وهو قوله: بكرُوا تنجحوا، وأصدقوا تفلحوا، واغزوا تصحوا^(٢).

وقيل: أراد هذه البركة في طلب العلم وطلب كسب الحلال.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ وقوله: «إليك انتهت الأمانى يا صاحب العافية»، معناه: إليك بلغت الآمال والأمانى، يا من يملك دفع المضار والبلايا عن العباد ودفع العلل والأسقام عنهم، ولا يقدر عليه غيرك. و«العافية»: دفاع الله عن العباد.

والصحيح أن هذه الكلمة ليست من جملة الدعاء وغلط القضاعي في إيرادها في هذا الباب؛ لأنه ظن أن معناها ما ذكرناه؛ وتحقيق ذلك: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب إنساناً يكون في العافية والسلامة، ولا يكون عنده مال ولا نعمة يطيب عَلَيْهِ قَلْبُهُ بذلك، ويقول: إلى حالتك انتهى أمانى الخلق، يا من هو في العافية! أحمد الله على العافية، وسله تمام العافية، فإنها أعظم النعم.

بَيِّنَاتُ الْجَبَرِّ ثُمَّ قَالَ: يا رب اجعل توبتي في موضع القبول، ومعنى «توبتي» أي: رجوعي عن الذنوب والخطايا. «واغسل حوبتي»، أي: ازل عني الدرن من الآثام والعيوب، كما يزال وسخ الثوب بالماء؛ و«الحوبة»: الإثم.

وروي: «وارحم حوبتي» وفسرت بالحاجة والمسكنة؛ وإنما سموا الحاجة حوبة لكونها مذمومة غير مرضية، وكل ما لا ترتضونه فهو عندهم خطيئة وسيئة، وإذا ارتضوا شيئاً سموه خيراً ورشداً وصواباً^(٣).

١. نقله أبو نعيم عن جابر، الفردوس بمأثور الخطاب: ٥١٩/٣؛ كنز العمال: ٥٢٠/٦، ح ١٦٨١٢.

٢. لم أقف عليه.

٣. راجع: الفائق في غريب الحديث: ٢٨٥/١.

وإنما أقام إماطة وزرها وإسقاط إثمها مقام غسل الأدران، لأن الإنسان بعدها يعود نقي الأثواب؛ وهذا الدعاء منه عليه السلام على وجه التعبد والخضوع، لا أن له حوبةً فسيحط وزرها ويستغسل درنها، ويكون قوله ذلك على طريق التعليم لأئمة كيف يتوب المعاصي ويستأمن الخائف؛ والسبب - الذي لأجله قلنا: إن الأنبياء لا يجوز أن يواقعوا المعاصي - أن الحكيم ^(١) إذا أرسل رسولاً جئبه كل ما ينفر عنه، والمعاصي منفرة في العادات، وليس ههنا موضع بيانه ^(٢).

وعنه عليه السلام: «اللهم إليك ارفع حوبتي» ^(٣).

يُنَالِ الْجَبَرُ ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ عَيْشاً سَوِيّاً عَلَى السَّدَادِ وَالرِّشَادِ بَعِيداً عَنِ الزَّيْغِ وَالْفُسَادِ؛ و«عَيْشَةً سَوِيَّةً» يعني ذات سواء. «وَمَيْتَةً نَقِيَّةً» أي: طاهرة من الشبهات والشهوات والآفات والعاهات؛ و«مَرْدّاً» أي مرجعاً إليك لا يخزي صاحبه؛ و«الخزي»: الهوان والمذلة؛ و«لا فاضح» أي مردّاً لا يفضح لي على رؤوس الأشهاد.

وأراد عليه السلام حسن العافية في الدنيا وجميل الخاتمة في الآخرة.

جعل الله عاقبتنا إلى كل خير بحق محمد وآله عليهم السلام ^(٤).

١. في خ: الحكم.

٢. راجع: المجازات النبوية: ٢٧١-٢٧٢، ح ٢١٠.

٣. تهذيب اللغة: ١٧٤/٥؛ الفائق في غريب الحديث: ٢٨٦/١.

٤. زاد كاتب النسخة: «قد وقع الفراغ من تنميته يوم الجمعة الخامس والعشرون من شهر ذي الحجة

الحرام سنة ١٠٩٦ ست وتسعين بعد الألف من الهجرة النبوية».

فهرس مصادر التحقيق

- القرآن الكريم.

- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (٤٢١)؛ نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (٦٣٠)؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (٦٠٦)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (٦٠٦)؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرئوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

- ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم (٣٤٠)؛ الزهد وصفة الزاهدين، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

- ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم (٣٤١)؛ معجم شيوخ ابن الأعرابي (٥ج)؛ تحقيق محمود محمد نصار والسيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- ابن البراج، القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (٤٨١)؛ جواهر الفقه، إبراهيم بهادري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، وتليه رسالتان: للسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، الأولى، ١٤١١.

- ابن البطريق، يحيى بن حسن (٦٠٠)؛ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب الإمام

- الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، جهادي الأولى، ١٤٠٧.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧)؛ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣، الطبعة الأولى.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧)؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧)؛ الموضوعات، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧)؛ صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧)؛ غريب الحديث، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي (٧٠٩)؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٨ م.
- ابن العربي، محيي الدين بن علي بن محمد الطائي الحناتمي (٦٣٨)؛ الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (١٨١)؛ الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (١٨١)؛ مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدر السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
- ابن المظفر، أبو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى البزار (٣٧٩)؛ غرائب مالك بن أنس، دراسة وتحقيق طه بن علي بوسريج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.
- ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم ابن زاذان الخازن

- الاصبهاني (٣٨١)؛ معجم ابن المقرئ، تحقيق نبيل سعد الدين جرار، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥ق.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم (٤٣٨)؛
الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.
- ابن أبي الخطاب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (١٧٠)؛ جمهرة أشعار العرب،
تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ كتاب ذم
المسكر، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية، الرياض.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ مكارم
الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ الفرج بعد
الشدة، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ الصمت
وآداب اللسان، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ المحتضرين،
تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ الهم والحزن،
تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي (٢٨١)؛ مداراة
الناس، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين الأحسائي (ن ٨٨٠)؛ عوالي اللثالي العزيزة في
الأحاديث الدينية، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبي
العراقي، سيد الشهداء، قم، الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

- ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٣٢٧)؛ تفسير القرآن، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

- ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٣٢٧)؛ علل الحديث، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥.

- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري (٣٩٩)؛ تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم (٦٩٣)؛ كشف الغمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام، الثانية، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت.

- ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد (٢٣٥)؛ الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت؛ مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

- ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد (٢٣٥)؛ مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزبدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني (٢٨٧)؛ الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١.

- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني (٢٨٧)؛ الزهد، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨.

- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني (٢٨٧)؛ السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.

٤٢٤ ضياء الشهاب

- ابن إدريس الحلّي، أبو جعفر محمّد بن منصور بن أحمد (٥٩٨)؛ السرائر، لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الثانية، ١٤١٠.

- ابن إسحاق، محمّد بن إسحاق بن يسار المظلي (١٥١)؛ سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمّد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، المغرب، الطبعة الأولى، ١٣٦٩ق.

- ابن بابويه، عليّ بن الحسين (ن ٣٢٩)؛ تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، الثالثة، صفر ١٤٠٤.

- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي (٤٤٩)؛ شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢)؛ سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

- ابن جِبّان، أبو حاتم محمّد بن حَبّان بن أحمد بن حَبّان التيمي الدارمي البُستي (٣٥٤)؛ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- ابن جِبّان، أبو حاتم محمّد بن حَبّان بن أحمد بن حَبّان التيمي الدارمي البُستي (٣٥٤)؛ صحيح ابن حَبّان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

- ابن جِبّان، أبو حاتم محمّد بن حَبّان بن أحمد بن حَبّان التيمي الدارمي البُستي (٣٥٤)؛ الثقات، تحقيق: السيّد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

- ابن جِبّان، أبو حاتم محمّد بن حَبّان بن أحمد بن حَبّان التيمي الدارمي البُستي (٣٥٤)؛ المجروحين من محدّثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني (٨٥٢)؛ الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني (٨٥٢)؛ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني (٨٥٢)؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني (٨٥٢)؛ لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦)؛ المحلى، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦)؛ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، المحقق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٠م.

- ابن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (٥٦٢)؛ التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس.

- ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي (٦١٠)؛ الثاقب في المناقب، نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الثانية، ١٤١٢.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١)؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

٤٢٦ ضياء الشهاب

- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة (٣١١)؛ صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ - ١٩٧٠.

- ابن خلدون، أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي (٨٠٨)؛ مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤.

- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١)؛ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١)؛ تعليق من أمالي ابن دريد، تصحيح مصطفى سنوسي، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٤٠٤ق.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١)؛ جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى.

- ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي القمي المروزي (٢٣٨)؛ مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢ - ١٩٩١، الطبعة الأولى.

- ابن زنجويه، حيمد بن مخلد بن قتيبة الأزدي النسائي (٢٥١)؛ الأموال .

- ابن زهرة الحلبي، أبو المكارم عز الدين حمزة بن علي (٥٨٥)؛ غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، الشيخ إبراهيم البهادري، إشراف: جعفر السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الأولى، محرم الحرام ١٤١٧.

- ابن سابور، أبو عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين ابني البسطام النيسابوريين (٤٠١)؛ طب الأئمة عليهم السلام، قم، انتشارات الشريف الرضي، الثانية، ١٤١١ - ١٣٧٠ش.

- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (٢٢٤)؛ الأمثال .

- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (٢٢٤)؛ الإيمان (معالمه وسننه واستكمالاه ودرجاته)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (٢٢٤)؛ فضائل القرآن، حققه وشرحه وعلق عليه: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٥ ق.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (٢٢٤)؛ كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ابن سمعون، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون (٣٨٧)؛ أمالي، دراسة وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (٤٥٨)؛ المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ابن سيرين، محمد بن سيرين البصري (١١٠)؛ منتخب الكلام في تفسير الأحلام، دار الفكر، بيروت.
- ابن شاذان الصغرى، أبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان (٤٢٦)؛ مشيخة ابن شاذان الصغرى، تحقيق: عصام موسى هادي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ هـ.
- ابن شاذان، الفضل بن شاذان الأزدي (٢٦٠)؛ الإيضاح، السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ ش.
- ابن شعبة الحراني، حسن بن علي (٣٨١)؛ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الثانية، ١٤٠٤.
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (٥٨٨)؛ مناقب آل أبي طالب ﷺ، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.
- ابن طاووس، علي بن موسى (٦٦٤)؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، الخيام، قم، الأولى، ١٣٩٩.
- ابن طاووس، علي بن موسى (٦٦٤)؛ المجتني من دعاء المجتبي، تحقيق: صفاء الدين البصري، ١٤١٢ ق.

٤٢٨ ضياء الشهاب

- ابن طاووس، علي بن موسى (٦٦٤)؛ جمال الأسبوع بكمال العمل للمشروع، جواد قبيومي الجزه اي الإصفهاني، مؤسسة الآفاق، الأولى، ١٣٧١ ش.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣)؛ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠ م.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣)؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة - المغرب - ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣)؛ جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٨.

- ابن عبد ربّه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه (٣٢٨)؛ العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني (٣٦٥)؛ الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٨.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (٥٧١)؛ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل، تحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

- ابن عطية، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي (٣٨٦)؛ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي
الغرناطي (٥٤٢)؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي
محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ابن فندق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي (٥٦٥)؛ لباب
الأنساب والألقاب والأعقاب، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.
- ابن فهد الحلبي، جمال الدين أحمد بن محمد (٨٤١)؛ الرسائل العشر، تحقيق: السيد مهدي
الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة،
قم، الأولى، ١٤٠٩.
- ابن فهد الحلبي، جمال الدين أحمد بن محمد (٨٤١)؛ عدة الداعي ونجاح الساعي، تصحيح:
أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني، قم.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦)؛ الإمامة والسياسة،
تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦)؛ أدب الكاتب، تحقيق:
محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦)؛ تأويل مختلف الحديث،
تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣-١٩٧٢.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦)؛ عيون الأخبار، دار
الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦)؛ غريب الحديث، تحقيق:
د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجعافيلي المقدسي (٦٢٠)؛ المغني في فقه
الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجعافيلي المقدسي (٦٢٠)؛ الكافي في فقه

- الإمام الحنبل أحمد بن حنبل، المكتب الاسلامي، بيروت.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي (٦٨٢)؛ المغني الشرح الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١)؛ الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١)؛ زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.
- ابن مفلح، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني (٧٦٣)؛ الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى (٣٩٥)؛ مسند إبراهيم بن أدهم الزاهد، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١)؛ مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روجية النحاس، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥ ق.
- ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٥٨٤)؛ لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، درا الجيل، بيروت، ١٩٩١ م.
- ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (٦٧٩)؛ شرح مائة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام، تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري الماعفري (٢١٣)؛ السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١.
- أبو الفتوح لرازي؛ التفسير الكبير، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.
- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني الاموي القرشي (٣٥٦)؛ مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ق.
- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد المرواني الاموي القرشي (٣٥٦)؛ الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
- أبو خيثمة، زهير بن حرب بن شدّاد النسائي البغدادي (٢٣٤)؛ العلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري (٢٠٩)؛ مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٧ق.
- أبو عوانة الأسفراييني، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري (٣١٦)؛ مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت.
- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التيمي (٣٠٧)؛ مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- الأزدي السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمر (٢٧٥)؛ المراسيل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.
- الأزدي السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمر (٢٧٥)؛ سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك (٤٠٦)؛ مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان (٣٦٩)؛ كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي

الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٤٣٠)؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٤٣٠)؛ معرفة الصحابة؛ تصحيح عادل بن يوسف عزازي، درا الوطن، الرياض، ١٤١٩ ق.

- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (٣٢٨)؛ الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- الأندلسي، أبي الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨)؛ المختص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- ابن الأزرق، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن محمد الصباحي الاندلسي الغرناطي (م) (٨٩٦)؛ بدائع السلك، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، الطبعة الأولى.

- الإسفراييني، أبو المظفر طاهر بن محمد (٤٧١)؛ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- الإسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (٢٢٠)؛ المعيار والموازنة، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الأولى، ١٤٠٢ - ١٩٨١ م.

- الإسكافي، محمد بن أبي بكر همام (٣٣٦)؛ كتاب التقيص، مدرسة الإمام المهدي (عجل)، قم.

- الإمام النووي، الأذكار النوية؛ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- البجلي الرازي، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر (٤١٤)؛ الفوائد، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (٢٥٦)؛ الأدب المفرد،

- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (٢٥٦)؛ الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧.
- البرقي، أحمد بن محمد (٢٧٤)؛ المحاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)؛ دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش.
- البروجردي، حسين بن علي (١٣٨٣)؛ جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، تحت إشراف آية الله العظمى حاج حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم.
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (٢٩٢)؛ البحر الزخار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.
- البغدادى، إسماعيل باشا (١٣٣٩)؛ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ - ١٩٩٢.
- البغدادى، عبد القادر بن عمر (١٠٩٣)؛ خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طربني واميلى بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (٥١٠)؛ شرح الستة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩)؛ أنساب الأشراف، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣١٧ ق.
- البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (١٥٠)؛ تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨)؛ المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٤.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨)؛ سنن البيهقي الكبرى، تحقيق:

٤٣٤ ضياء الشهاب

محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨)؛ شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨)؛ كتاب الدعوات الكبير، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- التبريزي، أبو عبد الله ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري (٧٤١)؛ ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت.

- التنوخي المعري، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد (٤٤٢)؛ تاريخ العلماء النحويين، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الهجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة (مصر)، ١٤١٢ق.

- التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (٤١٤)؛ البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- ثابت بن جابر (تأبط شراً) (٥٤٠م)؛ ديوان ثابت بن جابر، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤ق.

- الشعالي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن لبيح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- الشعالي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة.

- الشعالي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد محمد قححية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- الشعالي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ الإعجاز والإيجاز، دار الفنون، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- الثعالبي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد، دار الحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١ق.
- الثعالبي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩)؛ فقه اللغة، تصحيح لويس شيخو اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧)؛ الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)؛ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الثقي، إبراهيم بن محمد (٢٨٣)؛ الفارات، السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثي (٢٥٥)؛ الآمل والمأمول، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثي (٢٥٥)؛ البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.
- جرير بن عطية (١١٠)؛ ديوان جرير، بيروت، دار لصادر، ١٩٩١.
- الجصاص، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الحنفي (٣٧٠)؛ أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قحايوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥.
- جعفر بن محمد ^{عليه السلام}، الإمام السادس (١٤٨)؛ مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.
- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله (٢٣١)؛ طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، بيروت.
- الجوهرى الهاشمي البغدادي، أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد (٢٣٠)؛ مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (٣٩٣)؛ الصحاح، أحمد عبد الغفور، دار

- العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧-١٩٨٧ م، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ ق.
- الحافظ الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الازدي الميورقي (٤٨٨)؛ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم (٤٠٥)؛ المستدرک علی الصحيحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن (١١٠٤)؛ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٤.
- الحربي البغدادي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله (٢٨٥)؛ غريب الحديث، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العابد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
- حسن بن علي، الإمام العسكري عليه السلام (٢٦٠)؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام، برعاية: السيّد محمد باقر الموحّد الأبطحي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الأولى، ١٤٠٩.
- الحسيني الشجري الجرجاني، يحيى بن الحسين بن إسماعيل (٤٩٩)؛ كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخمسية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الانصاري (٤٥٣)؛ زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: أ.د يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر (ح ٣٢٠)؛ نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢ م.

- الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤)؛ السيرة الحليّة في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠.

- الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر (ق ٥)؛ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الأولى، ١٤٠٨.

- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله (٢١٩)؛ المسند، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلميّة، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.

- الخادمي، أبو سعيد محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان (١١٥٦)؛ البريقة المحموديّة في شرح الطريقة المحمديّة، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٠٨ق.

- الخرائطي السامري، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل (٣٢٧)؛ المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تحقيق: أبو طاهر أحمد بن محمد السليقي الأصبهاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

- الخرائطي السامري، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل (٣٢٧)؛ مساوي الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهاها، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣ق.

- الخراساني المروزي، سعيد بن منصور بن شعبة (٢٢٧)؛ السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفيّة، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

- الخطابي البستي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (٣٨٨)؛ العزلة، المطبعة السلفيّة، القاهرة، ١٣٩٩هـ، الطبعة الثانية.

- الخطابي البستي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (٣٨٨)؛ غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، ١٤٠٢.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣)؛ الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣)؛ تاريخ بغداد، دار الكتب

العلمية، بيروت.

- الدارمي السجستاني، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد (٢٨٠)؛ الرد على الجهمية، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- الديلمي الهمداني، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الملقب إلكيا (٥٠٩)؛ الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري الهالكي (٣٣٣)؛ المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢)؛ الأخبار الطوال، تحقيق: د. عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨)؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨)؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨)؛ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣.

- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (٦٠٦)؛ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ق، الطبعة الأولى.

- الرازي، منتجب الدين علي بن بابويه (٥٨٥)؛ فهرست منتجب الدين، سيد جلال الدين محدث الأرموي، بإهتمام: محمد سامي حائري، إشراف: السيد محمود المرعشي، قم، مكتبة

- آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٦٦ ش.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢)؛ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢)؛ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الرافعي القزويني، أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (٦٢٣)؛ التدوين في أخبار قزوين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م، تحقيق: عزيز الله العطارى.
- الرامهرمزي، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (٥٧٦)؛ أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.
- الراوندي الكاشاني، فضل الله بن علي (٥٧١)؛ النوادر، سعيد رضا علي عسكري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، الأولى، قم.
- الروياني، أبو بكر محمد بن هارون (٣٠٧)؛ مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يمان، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦.
- الرؤاسي، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن ملبع (١٩٧)؛ الزهد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥ ق.
- الزجاجي النهاوندي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (٣٣٧)؛ أخبار أبي القاسم الزجاجي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠ م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (١٤١٠)؛ الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الخامسة، ١٩٨٠.
- الزمخشري الخوارزمي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨)؛ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزمخشري الخوارزمي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨)؛ أساس

البلاغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- الزمخشري الخوارزمي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨)؛ ربيع الأبرار، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢ق.

- الزمخشري الخوارزمي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨)؛ الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

- الزهري، أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم (٣٨١)؛ حديث أبي الفضل الزهري، دراسة وتحقيق حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٨ق.

- الزيلعي، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد (٧٦٢)؛ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- الزيلعي، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد (٧٦٢)؛ نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧.

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكاف (٧٧١)؛ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (٣٣٠)؛ كتاب غريب القرآن، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- الشَّخاوي، عبد الرحمن أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٩٠٢)؛ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل (٤٨٣)؛ المبسوط، دار المعرفة، بيروت.

- السلفي الأصبهاني، أبو طاهر أحمد بن محمد (٥٧٦)؛ معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (٣٧٥)؛ تفسير السمرقندي المسمى بـ «بحر العلوم»، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (٤٨٩)؛ تفسير القرآن (تفسير السمعاني)؛ تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- السيّد المرتضى، أبو القاسم عليّ بن طاهر أبي أحمد الحسين (٤٣٦)؛ الأمالي، تصحيح وتعليق: السيّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، الأولى، ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م.
- الشّيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١)؛ الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى.
- الشّيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١)؛ الفتح الكبير في ضمّ الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة الأولى.
- الشّيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١)؛ جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) (٢١ ج)، جمع وترتيب عبّاس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ ق.
- الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة (٦٥٢)؛ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١٩ ق.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة؛ ضبط نصّه وابتكر فهرسه العلميّة د. صبحي الصالح، بيروت، قم، دار الهجرة، ١٣٩٥ ق.

٤٤٢ ضياء الشهاب

- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (٤٠٦)؛ المجازات النبوية، تحقيق وشرح: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (٤٠٦)؛ خصائص الأئمة عليهم السلام، محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، الأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ربيع الثاني ١٤٠٦.

- الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح (٦٤٣)؛ طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي (٩٦٦)؛ مسكن الفؤاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الأولى، ١٤٠٧.

- الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (١٩٨)؛ السير الكبير، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات، القاهرة.

- الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (١٨٩)؛ الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ق.

- الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (١٨٩)؛ المبسوط، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.

- الشيخ البهائي، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (١٣٠١)؛ الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ الأمالي، مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الأولى، ١٤١٧.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣-١٣٦٢ش.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ ثواب الأعمال، تقديم: السيّد محمد مهدي

السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، الثانية، ١٣٦٨ ش.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ علل الشرائع، تقديم: السيد محمد صادق

بجر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعها، النجف الأشرف، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام تصحيح

وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤ -

١٩٨٤ م.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي

أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش.

- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (٣٨١)؛ من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق:

علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الثانية.

- الشيخ المفيد، محمد بن محمد (٤١٣)؛ الأمالي، حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، دار

المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.

- الشيخ المفيد، محمد بن محمد (٤١٣)؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق:

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ ق.

- الشيخ المفيد، محمد بن محمد (٤١٣)؛ المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي، الثانية، ١٤١٠، قم.

- الصفار القمي، محمد بن الحسن (٢٩٠)؛ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليه السلام،

تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، طهران، منشورات الأعلمي،

١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (٧٦٤)؛ الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد

الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان (٨٩٤)؛ نزهة المجالس

ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارد يني، دار المحبة، دار آية، بيروت، دمشق،

- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (٢١١)؛ المصنف في الحديث، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠)؛ المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠)؛ الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠)؛ مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠)؛ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠)؛ مكارم الأخلاق، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة، رباط، ١٣٩٩ ق.

- الطبرسي، أحمد بن علي (٥٤٨)؛ تفسير جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الأولى، ١٤١٨.

- الطبرسي، أحمد بن علي (٥٤٨)؛ تفسير مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

- الطبرسي، أحمد بن علي (٥٤٨)؛ مكارم الأخلاق، ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م، منشورات الشريف الرضي، السادسة.

- الطبرسي، علي بن الحسن (ق ٧)؛ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، مهدي هوشمند، دار الحديث، الأولى، ١٤١٨.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب (٣١٠)؛ تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب (٣١٠)؛ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب (٣١٠)؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.

- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (٣٢١)؛ شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (٣٢١)؛ شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي (٥٢٠)؛ سراج الملوك، مطبعة الوطنية، الإسكندرية، ١٢٨٩ق.

- طرفه بن العبد (٥٦٤م)، ديوان طرفه بن العبد، دار صادر، بيروت، ق ١٤.

- الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠)؛ الأمالي، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الأولى، ١٤١٤.

- الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠)؛ التبيان، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، الأولى، رمضان المبارك ١٤٠٩.

- الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠)؛ المبسوط، تصحيح وتعليق: السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، تهران، ١٣٨٧.

- الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠)؛ تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، نهض بمشروعه: الشيخ علي الآخوندي، تمتاز هذه الطبعة عما سبقها بعناية تامة

في التصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الثالثة، ١٣٦٤ش.

- الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠)؛ مصباح المتجهد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الأولى، ١٤١١ق.

- الطوسي، أبي علي الحسن بن علي بن نصر (٣١٢)؛ مختصر الأحكام مستخرج الطوسي على جامع ترمذي، تحقيق: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)؛ اختلاف الحديث، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥.

- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)؛ الأم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣.

- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)؛ مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)؛ مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

- الظاهري، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف (٢٩٧)؛ الزهرة.

- العجلوني الجراحي، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي، (١١٦٢)؛ كشف الخفاء

ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش،

مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران

اللغوي (٣٩٥)؛ جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران

اللغوي (٣٩٥)؛ الأوائل، تحقيق محمد مصري ووليد قصاب، وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

- العظيم آبادي، أبو الطيب شرف الحق محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر (١٣٢٩)؛

عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

- العلوي الحسيني، أبو علي المظفر بن الفضل بن يحيى (٦٥٦)؛ نضرة الاغريض في نصرة

القريض، مطبعة طربين، دمشق، ١٣٩٦ق.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (٥٠٥)؛ إحياء علوم الدين، دار المعرفة،

بيروت.

- الفتال النيسابوري، محمد بن أحمد (٥٠٨)؛ روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.
- الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (١٧٥)؛ كتاب العين، تحقيق: د. مهدي الخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
- القاضي النعمان، نعمان بن محمد المغربي (٣٦٣)؛ دعائم الإسلام، آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م.
- القرشي الطرابلسي، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة (٣٤٣)؛ الكتاب: من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠.
- القرشي المصري، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم (١٩٧)؛ الجامع في الحديث، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى.
- القرشي، أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء (٧٧٥)؛ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٥)؛ سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢)؛ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ ق.
- القشيري النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (٢٦١)؛ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القشيري، أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥)؛ الرسالة القشيرية، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- القضاءي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم (٤٥٤)؛ دستور معالم الحكم، مكتبة المفيد، قم.

- القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم (٤٥٤)؛ مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.

- القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله (٥٧٣)؛ الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم، الأولى، كاملة محققة، ذي الحجة ١٤٠٩.

- القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله (٥٧٣)؛ الدعوات، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم، الأولى، ١٤٠٧.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٨٢١)؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

- القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (٧٢٨)؛ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريّا عميران، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. مركز تحقيق تكملة علوم رسول

- كثير عزة (١٠٥)؛ ديوان كثير عزة، الجزائر، ١٩٢٨.

- الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (٤٤٩)؛ معدن الجواهر ورياضة الخواطر، السيد أحمد الحسيني، مهر استوار، قم، الثانية، ١٣٩٤.

- الكسي، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر (٢٤٩)؛ المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدر السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

- الكلاباذي البخاري، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب (٣٨٤)؛ بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- الكليني، محمد بن يعقوب (٣٢٩)؛ الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الخامسة، ١٣٦٣ ش.

- الكناني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عراق (٩٦٣)؛ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد (ح ٣٠٠)؛ كتاب الزهد، ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩ ق، العلمية.
- الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد (ح ٣٠٠)؛ كتاب المؤمن، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الأولى، ١٤٠٤.
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (٤١٨)؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢. ليثي الواسطي، علي بن محمد (ق ٦)؛ عيون الحكم والمواعظ، الشيخ حسين الحسيني البيرجندي دار الحديث، الأولى.
- مالك بن أنس (١٧٩)؛ المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠ ق.
- الهاوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠)؛ أدب الدنيا والدين؛
- الهاوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠)؛ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (١٣٥٣)؛ تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ ق.
- المتقي الهندي، علي بن عبد الملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي (٩٧٥)؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١١١١)؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة

- الأطهار عليه السلام، مؤسسة الوفاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الثانية المصححة، ١٤٠٣.
- محمد بن عبد الرحمن الخميس، الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- المحمودي، محمد باقر؛ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصحيح محمد صباغ وحسين بك حسني، دار الطباعة، بويلاق، ١٢٨٣ق.
- المصطفي، أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي (٦١٠)، المغرب في ترتيب المغرب؛ تحقيق: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار عدد، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي (١٠٣١)؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ. مركز تحقيق مكتبة نور
- الميداني النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (٥١٨)؛ مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- الميرجهاني الطباطبائي، محمد حسين بن علي (١٣٨٨)؛ مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة في مشكوة الصياغة)؛ نسخة مخطوطة.
- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي (٤٥٠)؛ رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الخامسة، ١٤١٦.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (٣٣٨)؛ معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.
- النحوي البغدادي، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (٣١٦)؛ الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (٣٠٣)؛ السنن الكبرى،

- تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١.
- النمازي الشاهرودي، علي (١٤٠٥)؛ مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- النوري، حسين بن محمد تقي (١٣٢٠)؛ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، بيروت، الأولى المحققة، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (٧٣٣)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قحبة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة الأولى.
- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (٢٠٧)؛ كتاب المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- الوزير المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين (٤١٨)؛ أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارهم وأنسابها وأيامها، دار اليمامة، الرياض، ١٩٨٨ م.
- وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي (٣٠٦)؛ أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧)؛ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة [١٨٦ - ٢٨٢]، المحقق: د. حسين أحمد صالح البكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧)؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦)؛ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦)؛ معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

فهرس المحتويات

الفهرس الإجمالي

٣٨١.....	باب [١١]	مقدمة التحقيق..... ج
٣٨٥.....	باب [١٢]	ديباجة الكتاب..... ٣
٣٩٠.....	باب [١٣]	باب [١]..... ١٤
٣٩٤.....	باب [١٤]	باب [٢]..... ١٦٩
٣٩٨.....	باب [١٥]	باب [٣]..... ٢١٣
٤٠٠.....	باب [١٦]	باب [٤]..... ٢٣٥
٤٠٣.....	باب [١٧]	باب [٥]..... ٢٨١
٤٠٧.....	باب [١٨]	باب [٦]..... ٢٩٤
٤١٣.....	باب [١٩]	باب [٧]..... ٣٢٤
٤٢٠.....	فهرس مصادر التحقيق	باب [٨]..... ٣٥٦
٤٥٢.....	فهرس المحتويات	باب [٩]..... ٣٦٢
		باب [١٠]..... ٣٧٦

الفهرس التفصيلي

٢٠	العِدَّةُ دَيْنُ	ج	مقدمة التحقيق
٢٠	الحَرْبُ خُدْعَةٌ	ج	المؤلف والثناء عليه
٢١	النَّدَمُ تَوْبَةٌ	د	مكانته العلمية في بيان المترجمون
٢٣	الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ	د	تأليفاته القيمة
٢٣	الْأَمَانَةُ غِنَى	ح	مشايخه والرواة عنه
٢٣	الدِّينُ النَّصِيحَةُ	ط	تلاميذه
٢٤	الْحَسَبُ الْهَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى	ط	أنموذج من شعره
٢٥	الْحَيَرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ	ل	وفاته ومدفنه
٢٦	السَّيَّاحُ رِبَاحٌ وَالْعُسْرُ سُؤْمٌ	ل	كلام حول القضاعي
٢٦	الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ	ن	تأليفاته الجليلة
٢٧	الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَحَبَّةٌ مَحَزَنَةٌ	س	كتاب شهاب الأخبار وشروحه
٢٨	الْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ	ص	الكتاب (ضياء الشهاب)
٢٩	الْقُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ	ق	منهج التحقيق
٣١	الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ	ت	أنموذج من تصاویر النسخة
٣٢	الدِّينُ شَيْنُ الدِّينِ	٣	[ديباجة الكتاب]
٣٣	التَّذْيِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ	٤	الحمد لله القادر الفرد ...
٣٤	التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ	٦	أما بعد: فَإِنَّ فِي الْأَلْفَاظِ النُّبُوَّةَ ...
٣٤	قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ	٩	وقد جمعتُ في كتابي هذا مما ...
٣٥	الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ	١٠	ثم زدتُ مأتي كلمة، فصارت ألف...
٣٥	حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ	١١	فصل
٣٦	السَّلَامُ قَبْلَ الْكَلَامِ	١٤	باب [١]
٣٧	الرِّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ	١٤	الأعمال بالنيات
٣٨	الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ	١٦	المجالس بالأمانة
٣٩	مِلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ	١٧	المستشار مؤتمن
٣٩	كَرَمُ الْكِتَابِ خَتْمُهُ	١٨	العِدَّةُ عَطِيَّةٌ

٦٠	آفة الحديث الكذب - وآفة العلم ...	٣٩	ملاك الدين الورع
٦٤	السعيد من وعظ بغيره - والشقي ...	٤٠	خشية الله رأس كل حكمة
٦٥	كفارة الذنب التدامة	٤٠	الورع سيد العمل
٦٥	الجمعة حج المساكين	٤١	مطل الغني ظلم ومسألة الغني نار
٦٦	الحج جهاد كل ضعيف - جهاد ...	٤٢	التحدث بالتعم شكره
٦٧	طلب الحلال جهاد	٤٣	انتظار الفرج بالصبر عبادة
٦٨	العلم لا يحل منعه	٤٣	الصوم جنة
٦٨	موت الغريب شهادة	٤٤	الرعي غارم
٦٩	الشاهد يرى ما لا يرى الغائب	٤٥	الرفق رأس الحكمة
٧٠	الدال على الخير كفاعله	٤٥	كلمة الحكمة ضالة كل حكيم
٧١	ساق القوم آخرهم شرباً	٤٦	البر حسن الخلق
٧١	كل معروف صدقة	٤٦	الشباب شعبة من الجنون
٧٢	مداواة الناس صدقة	٤٧	النساء حبايل الشيطان
٧٢	الكلمة الطيبة صدقة	٤٨	المعز جماع الإثم وأم الخبايا
٧٣	ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة	٥٠	القول من جمر جهنم
٧٣	الصدقة على القربة صدقة وصله	٥١	النباخة من عمل الجاهلية
٧٤	الصدقة تمنع ميتة السوء	٥٢	الحمي رائد الموت
٧٥	صدقة السر تطفى غضب الرب	٥٢	الحمي من قبح جهنم
٧٥	صلة الرحم تزيد في العمر	٥٣	الحمي حظ كل مؤمن من النار
٧٦	صنائع المعروف تقي مصارع السوء	٥٤	القناعة مال لا ينفد
٧٧	الرجل في ظل صدقته حتى ...	٥٥	الأمانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر
٧٨	الصدقة تطفى الخبيثة كما يطفى ...	٥٥	الصبغة تمنع الرزق
٧٩	المعتدي في الصدقة كما نفعها	٥٦	الزنا يورث الفقر
٧٩	التائب من الذنب كمن لا ذنب له	٥٧	زنا العميون النظرة
٨٠	الظلم ظلمات يوم القيامة	٥٨	العمائم تيجان العرب
٨٠	كثرة الضحك تميث القلب	٥٩	الحياء خير كله
٨١	في كل كبد حرى أجر	٥٩	المسجد بيت كل تقى

١٠٠	تَحَقُّقُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ	٨٢	الْعُلَمَاءُ أَمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ
١٠٠	شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ ...	٨٢	رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ
١٠١	الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ...	٨٣	الْجَنَّةُ دَارُ الْأَسْحِيَاءِ
١٠٣	الْغَيْبَةُ مِنَ الْإِيمَانِ - [الْحَيَاءُ مِنْ ...	٨٣	الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ
١٠٤	الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ ...	٨٤	الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأَمْهَاتِ
١٠٥	الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ شُكْرٍ وَنِصْفُ ...	٨٤	الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ
١٠٥	الْإِيمَانُ يَتَانِ وَالْحِكْمَةُ يَتَانِيَّةُ	٨٥	طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ
١٠٧	الْإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتَاكِ × عِلْمُ الْإِيمَانِ ...	٨٦	أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةٌ أَقْلَهُنَّ مَوْتَهُ
١٠٨	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ...	٨٧	الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ
١٠٩	الْمُسْلِمُونَ يَدُ وَاحِدَةٍ عَلَى مَنْ ...	٨٨	الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ
١١٠	طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ...	٨٨	الْمُؤْمِنُ يَسِيرُ الْمَوْتُونَ
١١٢	حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ	٨٩	الْمُؤْمِنُ كَيْسُ فِطْنٍ حَذِرُ
١١٣	الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ...	٩٠	الْمُؤْمِنُ أَلْفُ مَالُوفٍ
١١٤	الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِنَا ...	٩٠	الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى ...
١١٦	الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ - الْمَرْءُ عَلَى ...	٩١	الْمُؤْمِنُ غَيْرُ كَرِيمٍ وَالْفَاجِرُ حَبٌّ لَيْتِيمٍ
١١٩	النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُسْطِ ...	٩١	الْمُؤْمِنُونَ كَالْبُتَيَّانِ يُشَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
١٢٢	كُلُّ امْرِئٍ حَسِيبٌ نَفْسِهِ - كُلُّ مَا ...	٩٢	الْمُؤْمِنُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ يَمْنَزِلُهُ الرَّأْسُ ...
١٢٦	أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ ...	٩٢	الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ
١٢٨	الْحُبُّ يَتَوَارَثُ وَالْبُغْضُ يَتَوَارَثُ ...	٩٢	الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ ...
١٣٢	الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ - لِكُلِّ شَيْءٍ ...	٩٣	الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ
١٣٣	الْإِمَامُ ضَامِنٌ - الْمُؤَدَّنُ مُؤَمَّنٌ ...	٩٤	الشِّتَاءُ رِبِيعُ الْمُؤْمِنِ
١٣٥	الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَبًا لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ ...	٩٥	الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ
١٣٨	الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ الْآخِرَةِ ...	٩٦	الصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ
١٤١	الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدَّيَّارَ بِلَاقِعٍ ...	٩٦	أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ
١٤٢	السَّلَامُ تَحِيَّةٌ لِلْمَلَأَيْنِ وَأَمَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ...	٩٧	الْحِكْمَةُ صَالَةُ الْمُؤْمِنِ
١٤٣	الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ - طِيبٌ ...	٩٨	نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ
١٤٤	وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ ...	٩٩	هَدِيَّةُ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِ السَّائِلُ عَلَى بَابِهِ

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ١٩٦
 مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ... ١٩٧
 مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ مِثْلَ مِفْحَصٍ ... ١٩٨
 مَنْ أَوَّلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَجِدْ لَهُ جَزَاءً ... ٢٠١
 مَنْ رَأَى عَوْرَةَ فَسْتَرَهَا كَانَ كَمَنْ ... ٢٠٢
 مَنْ مَاتَ عَلَى خَيْرِ عَمَلِهِ فَأَرْجُوا لَهُ ... ٢٠٣
 مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى خَيْرًا ... ٢٠٦
 مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا ... ٢٠٧
 مَنْ نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ فَلَا يَصُومَنَّ ... ٢٠٩
 مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمُهُمْ وَ ... ٢١٠

باب [٣]

خَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَارِهِ وَخَفَّتِ النَّارُ ... ٢١٣
 كَمَا تَكُونُونَ يُؤْتَى عَلَيْكُمْ - يُبْعَثُ ... ٢١٧
 أَبِي اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا ... ٢١٩
 تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُونُونَ وَتَجْمَعُونَ ... ٢٢١
 اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَرْدَادُ النَّاسُ ... ٢٢٣
 جَفَّ الْقَلَمُ بِالشَّقِيِّ وَالسَّعِيدِ - وَفَرَّغَ ... ٢٢٤
 تَحْجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوُجْهِينَ ... ٢٢٧
 كَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ... ٢٢٩
 طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبٍ ... ٢٣١

باب [٤]

اشْفَعُوا تَوْجَرُوا - سَافِرُوا تَصِحُّوا ... ٢٣٥
 قَبِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ × أَقِلْ مِنْ ... ٢٣٩
 وَاغْمَلْ بِفَرَائِضِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِدًا ... ٢٤١
 أَرْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ ... ٢٤٣
 بَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ - تَهَادَوْا ... ٢٤٦
 وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ... ٢٤٨

الْقُرْآنُ غِنَى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ وَلَا غِنَى ... ١٤٦
 لِلْسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ ... ١٥٠
 النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامٍ ... ١٥٣
 السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَا وَي ... ١٥٦
 الْأَنْبِيَاءُ قَادَةُ وَالْفُقَهَاءُ سَادَةٌ ... ١٥٩
 الْقَاصُّ يَنْتَظِرُ الْمَقْتِ، فَالْمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ ... ١٦٠
 دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ ... ١٦٢
 خَصْلَتَانِ لَا تَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ: ... ١٦٤
 الشَّيْخُ شَابٌّ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولٍ ... ١٦٥
 الْمُشْتَبَّانِ مَا قَالَا فَهُوَ عَلَى الْبَادِي ... ١٦٧

باب [٢]

مَنْ صَمَتَ نَجَا - مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ ... ١٦٩
 مَنْ بَدَأَ جَفَا - مَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ... ١٧١
 السُّلْطَانُ افْتَتَنَ - مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ ... ١٧٢
 مَنْ اشْتَقَى إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى ... ١٧٤
 مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبَةً فَلَيْسَ مِنَّا ... ١٧٥
 مَنْ أَيْقَنَ بِالْخُلُفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ ... ١٧٧
 مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزِمِ الصَّمْتَ ... ١٧٨
 مَنْ فَطَّرَ صَائِبًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ... ١٧٩
 مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ... ١٨٢
 مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمُنْزِلَ ... ١٨٥
 قَادَعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ ... ١٨٧
 مَنْ عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْدَرَ ... ١٨٨
 مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ الْجَمُّ ... ١٨٩
 مَنْ جَمَعَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشِ أَذْهَبَهُ اللَّهُ ... ١٩١
 مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ ... ١٩٣
 مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ... ١٩٥

- لَا يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ دُونَ جَارِهِ - لَا يَشْبَعُ ... ٣٠٩
لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ... ٣١٢
لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ... ٣١٤
لَا تُوَاعِدُ أَخَاكَ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ - لَا ... ٣١٧
لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّايِبِ ... ٣١٩
٣٢١
فصل
إِيَّاكَ وَمَا يَعْتَدِرُ مِنْهُ - إِيَّاكُمْ وَالْمَدْحَ ... ٣٢١
٣٢٤ باب [٧]
إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ ... ٣٢٤
إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ ... ٣٢٨
إِنَّ عَذَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ جُعِلَ فِي ... ٣٣٠
إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ مُحْسِنَ الْخُلُقِ دَرَجَةً ... ٣٣٣
الْعِبَادَةِ الصَّيَامُ - إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ... ٣٣٤
إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُوجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إِلَّا ... ٣٣٦
إِنَّ الَّذِينَ يَجْرُ ثَوْبُهُ خِيَلًا لَا يَنْتَظِرُ ... ٣٣٨
إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْمُحَامِدَ - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ... ٣٤٠
إِنَّ اللَّهَ لَيَنْفَعُ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ ... ٣٤٢
إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ ... ٣٤٤
إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ٣٤٦
إِنَّا لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مِنْ أَرَادَةٍ ... ٣٤٨
إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا X إِنَّ الْمَصْلَى ... ٣٥٢
٣٥٦
باب [٨]
لَيْسَ الْخُبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ - لَيْسَ لِفَاسِقٍ ... ٣٥٦
٣٦٢
باب [٩]
خَيْرُ الذِّكْرِ الْحَنِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا ... ٣٦٢
إِنَّ خَيْرَ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ وَإِنَّ خَيْرَ ... ٣٦٦
اسْتِثْمَامِ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ مِنْ ابْتِدَائِهِ ... ٣٦٩

- وَأَسْكَنُوا عَنْ شَرِّ تَسْلَمُوا - تَخَيَّرُوا ... ٢٤٩
تَرَوُّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَائِرٌ ... ٢٥٢
فِي السَّحُورِ بَرَكَتٌ - اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ ... ٢٥٣
حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَذَاوُوا ... ٢٥٧
أَجْمِعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ ... ٢٦٠
أَطْعِمُوا طَعَامَكُمْ الْأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا ... ٢٦٤
احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيَارٌ ... ٢٦٦
عُودُوا الْمَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ ... ٢٦٨
كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا وَاتَّخِذُوا ... ٢٦٩
ارْحَمُوا ثَلَاثَةً: غَنِيٌّ قَوْمٌ افْتَقَرُوا وَغَرِيزٌ ... ٢٧١
وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أُمِّي ... ٢٧٣
وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ ... ٢٧٥
عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبِبْ ... ٢٧٦
عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ بِذَلِكَ ... ٢٧٧
٢٨١
باب [٥]
مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ - مَا أَعَزَّ اللَّهُ ... ٢٨١
مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى ... ٢٨٣
مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ ... ٢٨٥
مَا امْتَلَأَتْ دَارُ حَبْرَةٍ إِلَّا امْتَلَأَتْ ... ٢٨٧
مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يُصِيبُهُ ... ٢٨٨
يُفَارِقُ الدُّنْيَا - مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ... ٢٨٩
مَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ ... ٢٩١
٢٩٤
باب [٦]
لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ... ٢٩٤
لَا عَقْدُ فِي الْإِسْلَامِ - لَا ضَرُورَةُ ... ٢٩٧
لَا يَنْبَغِي لِلصِّدِّيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا ... ٣٠٣
لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعَذَّرُوا مِنْ ... ٣٠٦

٤٠٠	باب [١٦]	٣٧٣	مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ [بِشَيْءٍ] ...
٤٠٠	رُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ - رُبَّ ...	٣٧٦	باب [١٠]
٤٠٣	باب [١٧]	٣٧٦	نِعْمَ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ ...
٤٠٣	لَوْ لَا أَنَّ السُّؤَالَ يَكْذِبُونَ مَا قُدِّسَ ...	٣٨١	باب [١١]
٤٠٧	باب [١٨] يَتَضَمَّنُ كَلِمَاتٍ رُوِيَتْ عَنْ ...	٣٨١	بِشَيْءٍ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ رَعَمُوا - شَرُّ ...
٤٠٧	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي وَأَنَا مَعَ عَبْدِي ...	٣٨٥	باب [١٢]
٤١١	وَمَا يَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي ...	٣٨٥	مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ ...
٤١٣	باب [١٩]	٣٩٠	باب [١٣]
٤١٣	في الدعاء الذي يختم به هذا الكتاب	٣٩٠	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ ...
٤١٣	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ...	٣٩٤	باب [١٤]
٤١٥	اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّهَا أَنْتَ ...	٣٩٤	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ ...
٤٢٠	فهرس مصادر التحقيق	٣٩٨	باب [١٥]
٤٥٢	فهرس المحتويات	٣٩٨	كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً - كَفَى بِالْمَوْتِ ...